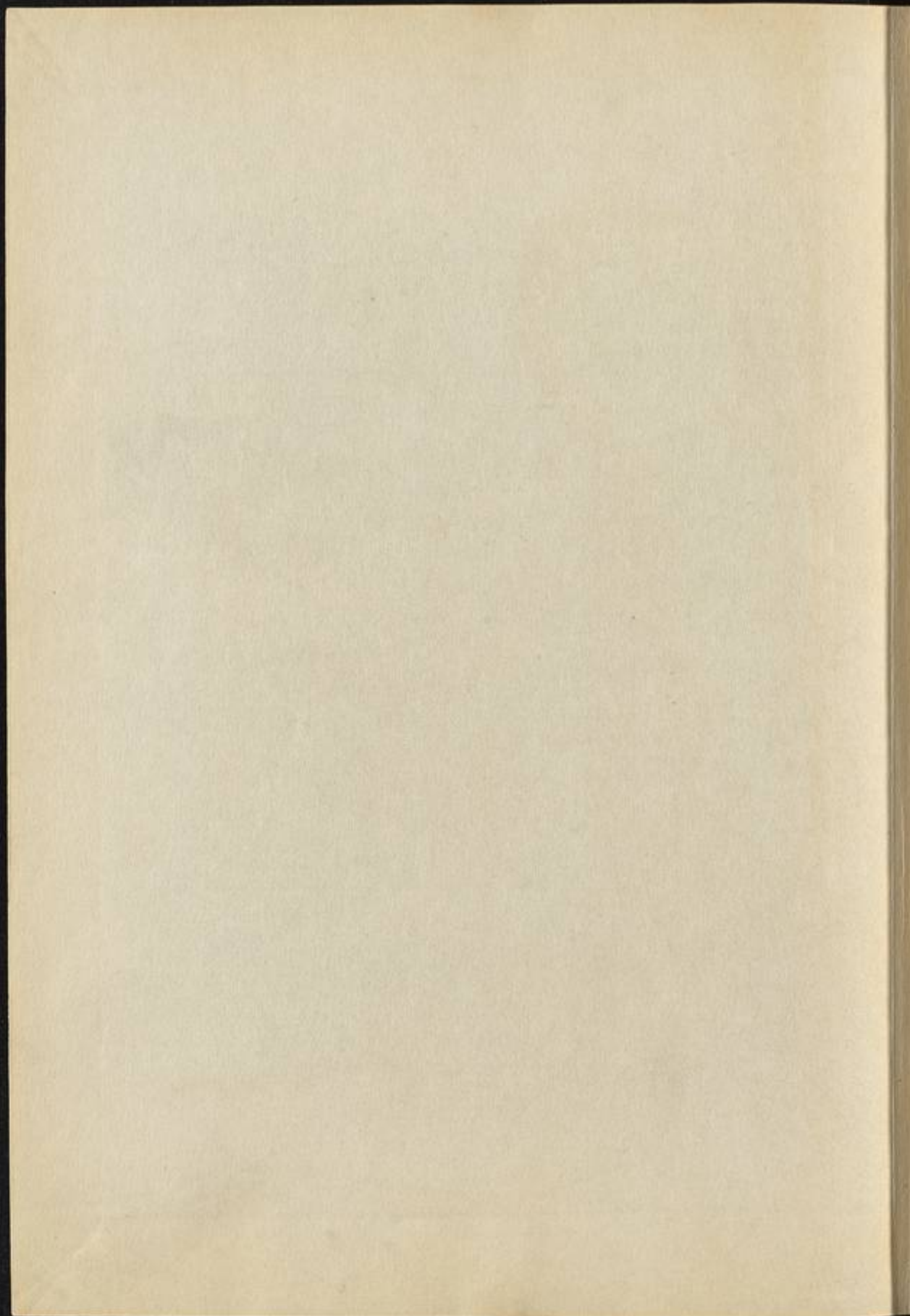


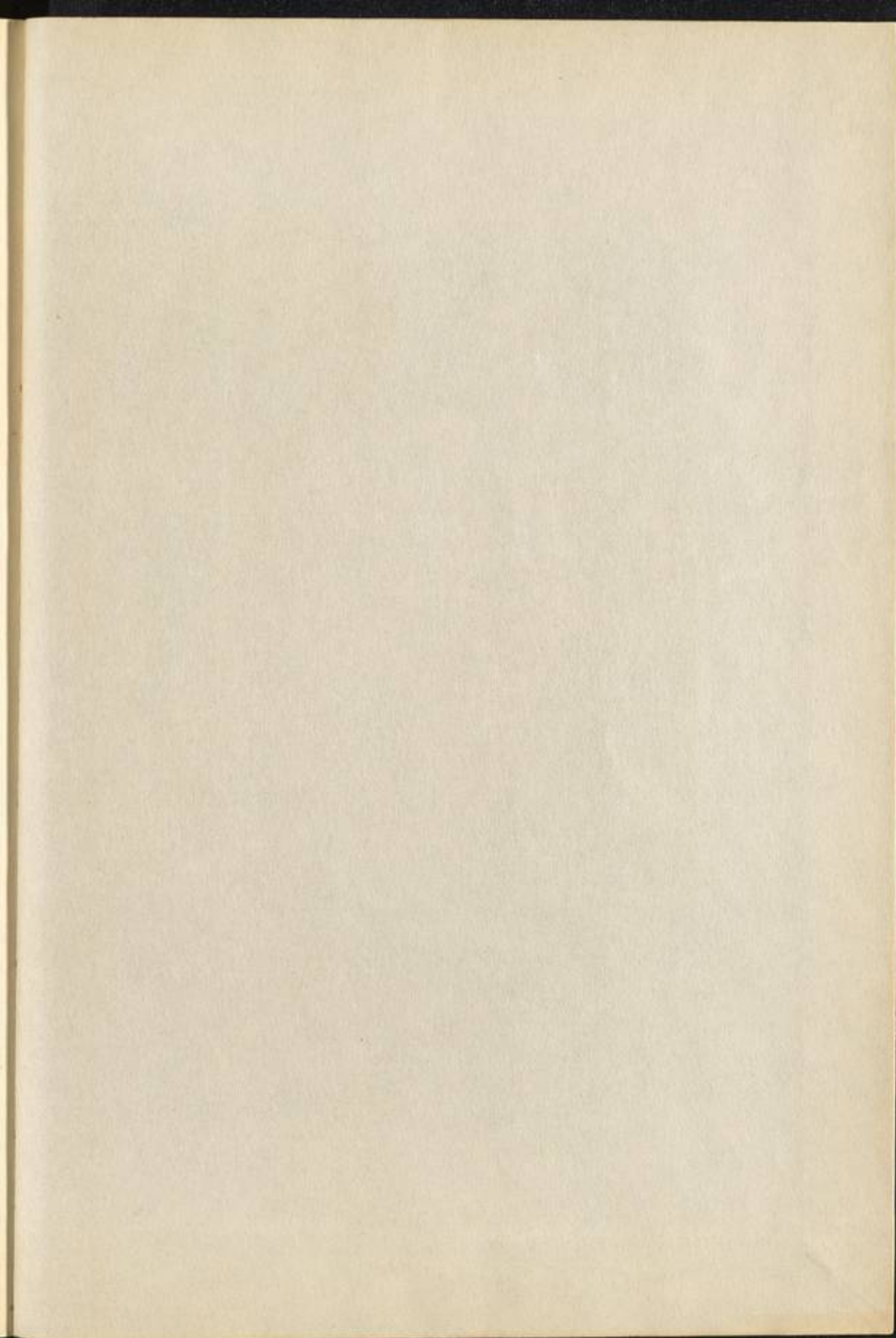
Columbia University  
in the City of New York

THE LIBRARIES

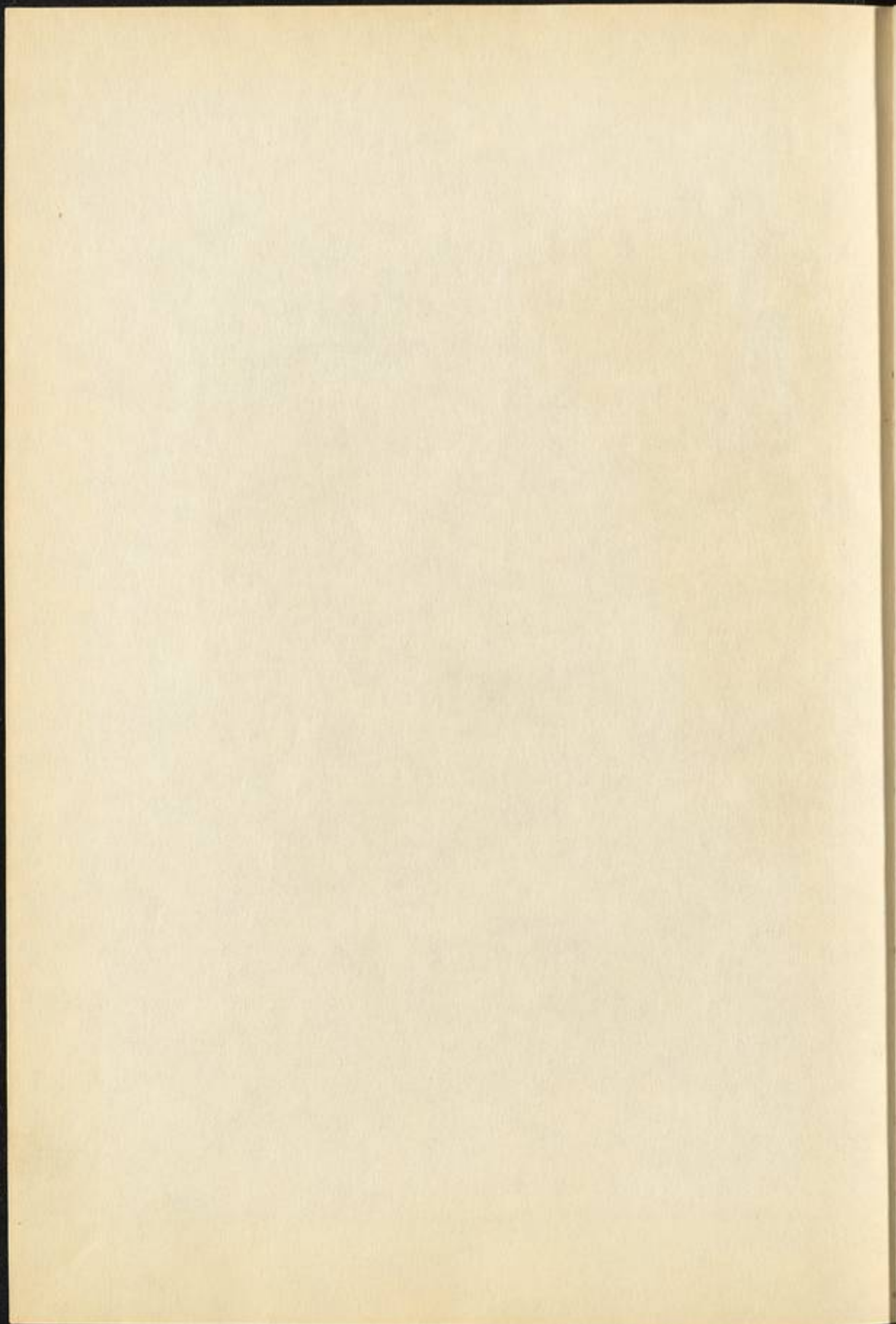


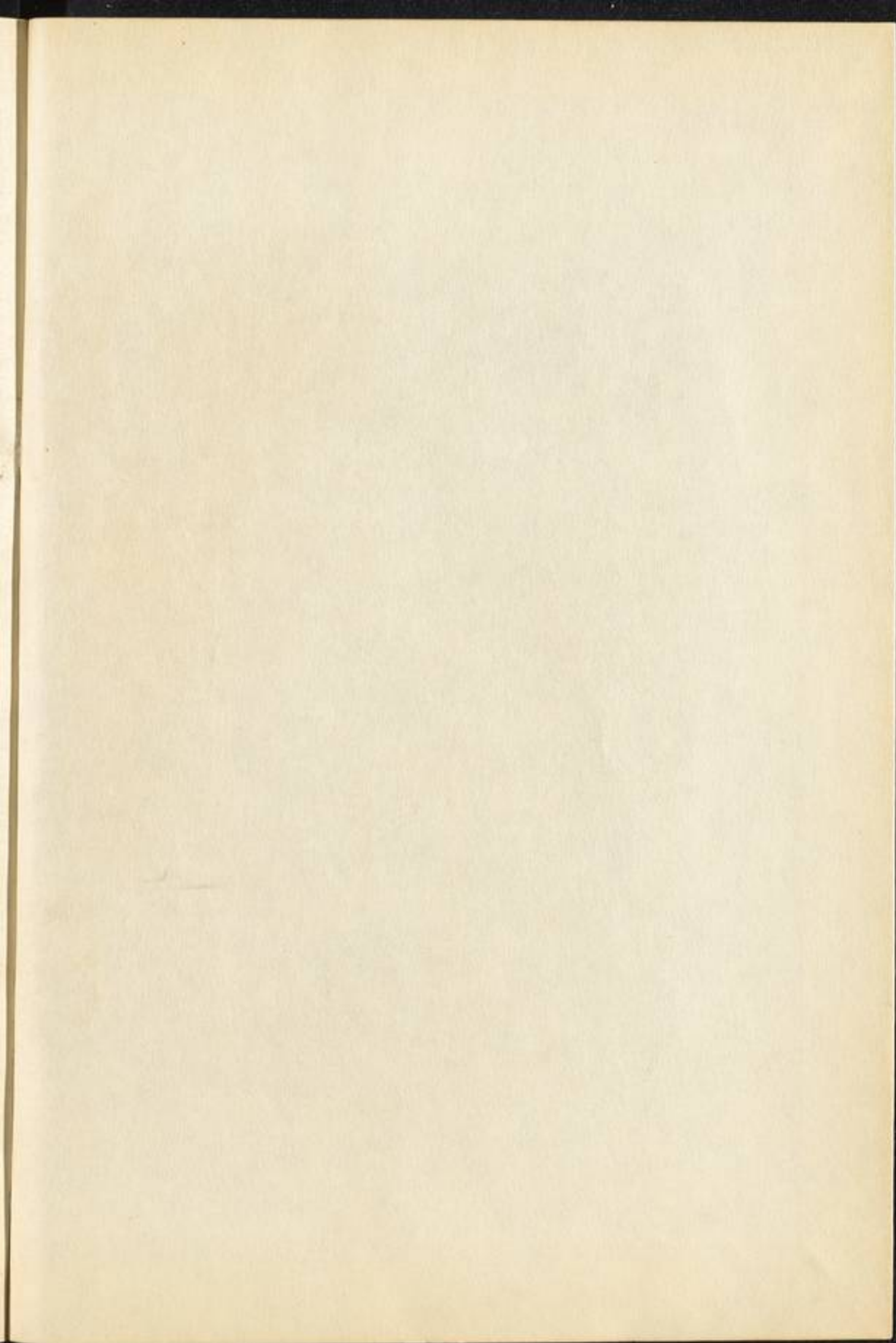














# تاريخ العرب

قبل الإسلام

تأليف

الدكتور جواد علي

## الجزء الأول

( القسم السياسي )

مطبعة التفتيش بغداد

١٣٧٩ - ١٩٥٠

893.712

J329

v. 1



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتاب في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جمعت فيه قدر طاقتي كل ما استطعت أن أجمعه من تاريخ أهل الجاهلية ، شرعت فيه سنة ١٩٣٦ أيام دراستي للهجرات العربية الجنوبية وتاريخ العرب قبل الاسلام على المستشرق « شتروتمن » في جامعة « هامبرك » بألمانيا ، وانتهيت منه على هذه الصورة في سنة ١٩٥٠ م . ولا أقصد أني انتهيت من تاريخ الجاهلية فان هذا الموضوع في رأيي بحر لا ساحل له ، وأنا ما برحت واقفا عند طرفه .

لقد جمعت وأنا في مدينة هامبرك حتى سنة ١٩٣٩ كل ما أمكنتي جمعه من مواد ، واقتنت من الكتب ما اقتنت ، وبعد أن أضفت اليها ما اشتريته من العراق ومصر وأوربة ، أخذت في تنسيق المواد وتشذيبها ، وتهذيبها ، وتبويبها ، فعلت ذلك مرارا ، وكنت كلما تخيلت أني انتهيت من تأليفه وظننت أن البحث قد بلغ حده ومداه ، ثم أعدت النظر فيما كتبت ، بدا لي نقصه ، وتذكرت الحكمة الشرقية القديمة « العجلة من الشيطان » ، وأدركت سر تخوف العلماء من التأليف وتخرجهم من التصنيف ، وندم الكثير منهم على أقدامهم عليه ، وتمزيق بعضهم لكتبهم أو طرحها في النار ، بعد بلوغهم مراتب عالية في العلم والاجتهاد ، والانسان جاهل مغرور .

وصنعي هذا هو صنيع رجل طالب للبحث لم يصل الى المراتب المذكورة ، ولن يصل اليها ، وهذا مما سوغ تسرعى في اخراج هذه الأوراق ، وان كنت لا أبرىء نفسي من الأغلط التي قد تكون فيها . وهو غاية جهدى ومنتهى اجتهادى ، والمجتهد ان أصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر .

وبعد فالكتاب يتألف من أقسام ثلاثة ، تناولت في القسم الأول منه الحالة السياسية للعرب قبل الاسلام وهو هذا القسم الذي أقدمه ويقع في أجزاء . وتناولت في

القسم الثاني الحالة الدينية ، وفي القسم الثالث الحالة الثقافية وحضارة شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام .

وقد أجلت سرد أسماء الكتب التي استعنت بها في تأليف هذا الكتاب الى آخر سلسلة أجزاء التأريخ السياسي ، وكذلك الفهارس ، مكتفيا بالاشارة الى بعضها في حواشي الكتاب لاسباب اضطرارية حملتني على تقديم طبع المتن مع مراجعه على الفهارس وما يتعلق بها ، حتى تيسر لدى وسائل الاتفاق على الطبع فأطبع ذلك في مجلد مستقل .  
والكتاب بحث ، أردت جهد طاقتي أن يكون تفصيليا ، وقد يعاب على ذلك ، وعذري في هذا التفصيل أنني أريد تمهيد الجادة لمن يأتي بعدي فيرغب في التأليف في هذا الموضوع ، وأنتى أكتب ذلك للمتبعين والمتخصصين ، ومن حق هؤلاء المطالبة بالمزيد .

وبعد فلا بد لي ، في هذه المقدمة ، من تقديم شكرى الى كل من آزرني وساعدني وشجعني على المضي في هذا العمل الشاق ، وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل أستاذى السيد محمد بهجة الأثرى نائب رئيس المجمع العلمى العراقى الذى أفخر به والذى له على فضلان : فضل التوجيه والارشاد أيام كنت تلميذه أدرس عليه ، فى جملة من كان يدرس ، الأدب العربى ، فكان يشوقنا ، بأسلوبه الجذاب فى التدريس وبتأثيره القوى المعروف ، الى التوسع فى دراسة الأدب وتاريخ هذه الأمة . وفضل ثان هو فضل قراءة مسودات الكتاب وتقديم الملاحظات القيمة التى أفادتني كثيرا ، وهما فضلان لن ينساهما تلميذ يقدر المسؤولية لأستاذ كريم يقضى نفسه فى سبيل تربية الأجيال وخدمة العلم .  
وشكر آخر لابد من تقديمه الى أساتذة أفاضل ساعدوني مساعدات ثمينة باعارتهم اياى بعض المراجع التى لم تتوافر لدى ، وامدادى بالصور ، وهم صاحب الفخامة العميد طه الهاشمى والأستاذ « جورج ماثيوس » المستشرق الموظف فى شركة البترول العربية السعودية الأمريكية « أرمكو » والسيد حمد الجاسر مفتش المعارف فى المملكة العربية السعودية . وأشكر كذلك السيد كوركيس عواد ملاحظ خزانة كتب مديرية الآثار القديمة العامة ، اذ استقصى كل ما فى هذه الخزانة مما يخص تأريخ العرب قبل الاسلام فقدمه الى وظل يخبرني بكل جديد يصل الى خزانة الكتب المذكورة ، ولم يقطع هذا الفضل عنى حتى الآن وهو فى أمريكا .

أما المجمع العلمى العراقى ، فله فضل نشر الكتاب ، فما كنت لاتمكن من اخراج



هذا الجزء لولا المساعدة المالية التي قدمها الى . وله فضل آخر على هو فضل تقديمه خزانه  
كتبه لي ولكل باحث للانتفاع بها ، ومجمع يتألف من جماعة أفاضل ، لا بد أن يكون هذا  
شأنه ، فلا أعضاء الأجلاء مني كل شكر ، راجيا له ولهم التوفيق .

وبعد كل هذا فهذا الكتاب هو جمعي ، فانا المسؤول عنه ، وهو غاية ما وسعه جهدي  
وطاقتي ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، فان نجحت فذلك حسبي ، لا أريد عليه حمدا  
ولا شكرا ، وان أخفقت فذلك مبلغ علمي واجتهادي أديته بعد تعب ، لا أملك أكبر  
منه ، وبغيتي حسن التوجيه والارشاد ، وفوق كل ذي علم عليم ما

مبارك على

# الفصل الأول

## الجاهلية ومصادر التاريخ الجاهلي

### الجاهلية :

اعتاد المؤرخون أن يسموا تاريخ العرب قبل الاسلام « التاريخ الجاهلي » أو « تاريخ الجاهلية » ، وأن يذهبوا الى أن العرب كانت تغلب عليهم البداوة ، وأنهم كانوا قد تخلفوا عن حولهم في الحضارة ، فعاش أكثرهم عيشة قبائل رحل ، في جهل وغفلة ، لم تكن لهم صلات بالعالم الخارجي ، ولم يكن لهم تاريخ حافل ؛ لذلك عرفت تلك الحقبة التي سبقت الاسلام بـ « الجاهلية » .

ولفظ « الجاهلية » اصطلاح مستحدث<sup>(١)</sup> ، أطلقه المسلمون على الحالة التي كان عليها العرب قبل الاسلام . وهذا الاطلاق يدل ضمنا على شيء من الازدراء والاستهجان لحالة الوثنية التي سبقت التوحيد .

وقد فهم جمهور من الناس ، ومنهم طائفة من المستشرقين<sup>(٢)</sup> ، أن الجاهلية من الجهل الذي هو عدم العلم ، أو عدم اتباع العلم ، أو « من الجهل بالله - سبحانه - ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالانساب والكبر والتجبر وغير ذلك<sup>(٣)</sup> » ؛ ولذلك قالوا في

(١) بلوغ الأرب ١/١٦ . P. 999. Ency. of Islam, Vol. 1. وسارمز اليه بـ Ency. A. J. Wensinck, Und J. H. Kramers, Handwörterbuch des Islam. Leiden, 1941. P. 104. Hand وسارمز اليه بـ

(٢) Ency. Vol, 1, P, 999. Hand. S, 104. Goldziher, Muhammedanische Studien erster Theil S, 219 f. Muh. Stud. Nicholson, A Literary History of the Arabs, P. 30. وسارمز اليه بـ

(٣) بلوغ الأرب ١/١٦ . لسان العرب ١٣/١٣٧ . أساس البلاغة ١/١٤٥ ، صحاح الجوهري ٢/١٦٩ . القاموس المحيط ٣/٣٥٣ ( الطبعة الرابعة ) . ذيل أقرب الموارد ٣/١١٥ . محيط المحيط ص ٣٠٩ قطر المحيط ص ٣٢٥ ، أقرب الموارد ص ١٤٧ . فجر الاسلام ١/٨٧ .

الانكليزية «The Time of Ignorance»<sup>(١)</sup> وفي الألمانية «Zeitder Unwissenheit»<sup>(٢)</sup> ولهذا السبب نفسه أطلق المسيحيون على العصور التي سبقت المسيح والمسيحية «أيام الجاهلية» أو «زمان الجاهلية» بمعنى الجهل<sup>(٣)</sup> . وهذا المعنى قديم ومعروف وقد ورد في شطر بيت من شعر عنتره : « ان كنت جاهلة بما لم تعلمي » وفي شعر النابغة وطرفة والمتلمس<sup>(٤)</sup> .

ويرى المستشرق « كولدزهير » « Goldziher » أن هذا المعنى هو في الدرجة الثانية من الأهمية ، وأن المقصود الأول من الكلمة « السفه » الذي هو ضد « الحلم »<sup>(٥)</sup> ، والانفة والخفة والغضب وما الى ذلك من معان ، وهي أمور كانت جد واضحة في حياة العرب قبل الاسلام ، ويقابلها « الاسلام » وعماده الخضوع لله والانقياد له<sup>(٦)</sup> . وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم في مواضع عديدة منه<sup>(٧)</sup> ، فوردت تارة

(١) Ency. Vol, 1, 999. Zwemer Arabia The Cradle of Islam, London. P. 158  
Bicher Faris, L'Honneur Chez Les Arabes Avant L'Islam. Paris 1932. P. 2, 12 ff. Faris وسأرمز اليه بـ  
(٢) Pfannmüller, Handbuch der Islam- Literatur, Berlin Und Leipzig 1923. P. 84. Handbuch. وسأرمز اليه بـ

Ency. Vol 1. P, 999 Hand. S, 104. (٣)

Ency. 1, P, 999. ( Ahlwardt ) ٤٣ ، ١ المعلقة (٤)

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ان كنت جاهلة بما لم تعلمي  
شرح المعلقات السبع للزوزني ١٧٦ . شرح ديوان عنتره بن شداد ، ص ١٢٦ المتلمس  
الاغانى ٢٠٧/٢١ ، ٨ . النابغة ٢٣ : ١١ ، طرفه ١٠٢/٤ ، امرؤ القيس فى تاريخ  
اليقوبى ٢٥٠/١ . « طبعة هوتسما » .  
(٥) لامية العرب ، للشنفرى : ولا يزدهى الا جهال حلمى ٥٣ فجر الاسلام ص ٨٦  
( الطبعة الثالثة ) . Ency. Vol, 1, P, 999. Muh. Stud. 1, S, 219-228. الاساطير العربية  
قبل الاسلام ص ٣ . وهذا يؤيد قول المستشرق جولدهير الذى اثبت أن الجهل ضد  
الحلم ، لا ضد العلم . R. Nicholson, A literary History of the Arabs. Cambridge  
1941. P, 30.  
(٦) فجر الاسلام ص ٨٧ Ency. Vol, 1, P, 999. Muh Stud. 1, S, 224 f.  
(٧) « وقرن فى بيتوكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » سورة الاحزاب ، رقم  
٣٣ ، آية ٣٣ . « يعنى التبختر » . طبقات ابن سعد ١٤٣/٨ .



بمعنى السفه ، ووردت تارة أخرى بمعنى الجهل . ومما وردت فيه الكلمة بمعنى السفه ، ما جاء فى سورة الفرقان : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما<sup>(١)</sup> » ، وما جاء فى سورة البقرة : « قالوا : أتتخذنا هزوا قال : أعود بالله أن أكون من الجاهلين<sup>(٢)</sup> » . وما ورد فى سورة الأعراف : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين<sup>(٣)</sup> » . وفى سورة هود : « أنى أعظك أن تكون من الجاهلين<sup>(٤)</sup> » . وفى كل هذه المواضع ما ينم على أخلاق الجاهلية . وقد ورد فى الحديث : « إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل<sup>(٥)</sup> » ، وورد أيضا « انك امرؤ فيك جاهلية<sup>(٦)</sup> » . وبهذا المعنى تقريبا وردت الكلمة فى قول عمرو بن كلثوم<sup>(٧)</sup> :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أى لا يسفه أحد علينا ، فسفه عليهم فوق سفههم ، أى نجازيهم جزاء يربى عليه . واستعمال هذا اللفظ بهذا المعنى كثير<sup>(٨)</sup> .

وجاء فى سورة المائدة « أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون<sup>(٩)</sup> » أى أحكام الملة الجاهلية<sup>(١٠)</sup> وما كانوا عليه من الضلال والجور فى الأحكام ، والتفريق بين الناس فى المنزلة والمعاملة<sup>(١١)</sup> . وأطلقوا على « الجاهلية »

- 
- (١) سورة الفرقان ٢٥ آية ٦٣ . تفسير الطبرى ٢١/١٩ . ( انهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم ) . بلوغ الأرب ١٦/١ ( الطبعة الثانية ) .  
(٢) سورة البقرة ٢ آية ٦٧ .  
(٣) سورة الأعراف ٧ آية ١٩٨ . تفسير الطبرى ١٠٤/٩ ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى هامش تفسير الطبرى ١٠٥/٩ .  
(٤) سورة هود ١١ آية ٤٦ .  
(٥) بلوغ الأرب ١٦/١ .  
(٦) ذيل أقرب الموارد ١١٥/٣ . فجر الاسلام ٨٧ .  
(٧) بلوغ الأرب ١٦/١ ، محيط المحيط ص ٣٠٩ ، أساس البلاغة ١٤٥/١ فجر الاسلام ٨٧ . شرح المعلقة السبع للزوزنى ١٥١ .  
(٨) بلوغ الأرب ١٦/١ .  
(٩) سورة المائدة ٥ آية ٥٠ . تفسير الحازن ٥١٦/١ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفى ، حاشية على الحازن ٥١٦/١ .  
(١٠) محيط المحيط ٣٠٩ .  
(١١) تفسير الحازن ٥١٦/١ .



« الجاهلية الجهلاء » والجهلاء صيغة للأولى يراد بها التوكيد ، وتعنى « الجاهلية القديمة »<sup>(١)</sup> . وكانوا اذا عابوا شيئاً واستبسعوه ، قالوا : « كان ذلك فى الجاهلية الجهلاء »<sup>(٢)</sup> ، و « الجاهلية الجهلاء » هى الوثنية التى حاربها الاسلام . وقد أنب القرآن المشركين على حميتهم الوثنية ، فقال : « اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية »<sup>(٣)</sup> .

وقد اختلف المفسرون فى المراد من الجاهلية الاولى فى قوله تعالى : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى »<sup>(٤)</sup> ، فقيل : الجاهلية الاولى التى ولد فيها ابراهيم ، والجاهلية الاخرى التى ولد فيها محمد ،<sup>(٥)</sup> . وقيل : « الجاهلية الاولى بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم »<sup>(٦)</sup> . وقد أدى اختلافهم فى مفهوم هذه الآية الى تصور بعضهم وجود جاهليتين : جاهلية قديمة ، وجاهلية اخرى هى التى كانت عند ولادة الرسول<sup>(٧)</sup> .

واختلف العلماء فى تحديد مبدأ الجاهلية ، أو العصر الجاهلى ، فذهب بعضهم الى أن الجاهلية كانت فيما بين نوح وادريس<sup>(٨)</sup> . وذهب آخرون الى أنها كانت بين آدم

(١) محيط المحيط ٣٠٩ ، أساس البلاغة ١٤٥/١ . صحاح الجوهري ١٦٩/٢ .  
أقرب الموارد ١٤٧ : « وقالوا الجاهلية الجهلاء ، فبالغوا » لسان العرب ١٣٧/١٣ .  
(٢) أقرب الموارد ١٤٧ .

(٣) سورة الفتح ٤٨ آية ٢٦ . عن الجاهلية والجهل وما ورد بهذا المعنى فى القرآن الكريم ، راجع المواضع الآتية : سورة آل عمران آية ١٥٤ ، سورة الأحزاب ٣٣ آية ٣٣ سورة البقرة سورة ٢ آية ٦٧ سورة الانعام سورة ٦ آية ٣٥ سورة الاعراف سورة ٧ آية ١٩٨ ، سورة يوسف ١٢ آية ٣٣ سورة القصص سورة ٢٨ آية ٥٥ ، سورة ٤ آية ١٦ ، سورة ١٦ آية ١١٩ ، سورة ٤٩ آية ٦٠ ومواضع اخرى . تفصيل آيات القرآن الحكيم : تأليف جون لا بوم ، نقله الى اللغة العربية محمد فؤاد عبدالباقى ص ٦٢١ .

(٤) سورة الأحزاب رقم ٣٣ ، آية ٣٣ .

(٥) طبقات ابن سعد ١٤٣/٨ ، ١٤٥ .

(٦) بلوغ الأرب ١٧/١ ، مفتاح كنوز السنة ( تأليف فنسنك ) ص ١٠٩ .

(٧) « وليس المعنى أن ثم جاهلية اخرى ، وقد أوقع لفظ الجاهلية على تلك المدة التى

قبل الاسلام كما لا يخفى » . بلوغ الأرب ١٨/١ .

(٨) تأريخ الطبرى ٨٣/١ . الأساطير العربية قبل الاسلام ص ٢ .

ونوح أو أنها بين موسى وعيسى ، أو الفترة التي كانت ما بين عيسى ومحمد (١) .  
وأما منتهاها ، فظهور الرسول ونزول الوحي عند الأكثرين ، أو فتح مكة عند  
جماعة (٢) . وذهب ابن خالويه الى أن هذه اللفظة أطلقت في الاسلام على الزمن الذي  
كان قبل البعثة (٣) . وهو قول سأذهب اليه في كتابي هذا ، فأقصد بالجاهلية الزمن الذي  
مر على العرب قبل البعثة ، وبالتأريخ الجاهلي تأريخ العرب قبل الاسلام .

وعلى كل ، فالذي يفهم خاصة من كتب الحديث أن أصحاب الرسول كانوا  
يفهمون من « الجاهلية » الزمان الذي عاشوا فيه قبل الاسلام ، وقبل نزول الوحي ،  
فكانوا يسألون الرسول عن أحكامها ، وعن موقفهم منها بعد اسلامهم ، وعن العهود التي  
قطعوها على أنفسهم في ذلك العهد ، وقد أقر الرسول بعضها ، ونهى عن بعض آخر (٤) ،  
وذلك مما يدل على أن هذا المعنى كان قد تخصص منذ ذلك الحين ، وأصبح للفظ  
« الجاهلية » مدلول خاص في عهد الرسول .

#### موارد التأريخ الجاهلي :

تأريخ الجاهلية هو أضعف قسم كتبه المؤرخون العرب في تأريخ العرب ، يعوزه  
التحقيق والتدقيق والغربة . وأكثر ما ذكره على أنه تأريخ هذه الحقبة ، هو أساطير ،  
وقصص شعبي ، وأخبار أخذت عن أهل الكتاب ولا سيما اليهود ، وأشياء وضعت في  
الاسلام ، لما رُب اقتضتها العواطف والمؤثرات الخاصة .  
وقد تداول العلماء وغير أصحاب العلم هذه الأخبار على أنها تأريخ الجاهلية حتى

(١) بلوغ الأرب ١٦/١ فما بعدها « والفترة ما بين كل نبينين » وفي الصحاح : ما بين  
كل رسولين من رسل الله عز وجل من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة وفي الحديث :  
فترة ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام . « لسان العرب ٦/٣٤٩ » « والجاهلية  
زمن الفترة ولا اسلام » لسان العرب ١٣/١٣٧ . Ency. Vol. 2. P. 92.

(٢) بلوغ الأرب ١٦/١ فما بعدها .

(٣) بلوغ الأرب ١٥/١ ، المزهر ١٧٦ « وفي كتاب ليس لابن خالويه ان لفظ  
الجاهلية اسم حدث في الاسلام للزمن الذي كان قبل البعثة . »

(٤) صحيح مسلم ٧٩/١ ، صحيح البخارى ك ٢٤ ب ٢٤ ، ك ٣٤ ب ١٠٠ ، ك ٤٩  
ب ١٢ ، ك ٧٨ ب ١٦ ، ك ٨٨ ب ١ ، ك ٣٣ ب ٥ ، ١٥ ، ك ٦٤ ب ٥٤ ، « قال صلى الله  
عليه وسلم : أربع في أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بلا حساب والظعن في  
الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنيابة . » بلوغ الأرب ١٧/١ . مسند أحمد بن حنبل  
١١/٢ ، ١٠٣ ، ١٨٧ ، ٤٢٥/٣ ، مفتاح كنوز السنة ص ١٠٨ .



القرن التاسع عشر ، فلما انتهت الى المستشرقين شكوا في أكثرها ، فتناولوها بالنقد استنادا الى طرق البحث الحديثة التي دخلت على العلوم النظرية ، وتفتحت بذلك آفاق واسعة في عالم التاريخ الجاهلي لم تكن معروفة ، ووضعوا الأسس للجدات التي ستوصل عشاق التاريخ الى البحث في تاريخ شبه جزيرة العرب .

وكان أهم عمل رائع قام به المستشرقون هو البحث عن الكتابات العربية التي دونها عرب ما قبل الاسلام ، وتعليم الناس قراءتها بعد أن جهلوا مدة تنيف على ألف عام . وقد فتحت هذه النصوص باب تاريخ الجاهلية ، ومن هذا الباب يجب أن نصل الى التاريخ الجاهلي الصحيح . لقد كلف البحث عن هذه الكتابات العلماء والسياح ، ثمنا غاليا ، كلفهم حياتهم في بعض الأحيان ، ولم يكن من السهل تجول هؤلاء الأوربيين بأزياء مختلفة في أماكن تغلب عليها الطبيعة الصحراوية للحصول على معلومات عن الحرائب والعاديات والحصول على ما يمكن الحصول عليه من نقوش وكتابات .

والتاريخ الجاهلي مع ذلك في أول مرحلة من مراحلها وفي الدرجات الأولى من سلم طويل متعب . ولا ينتظر التقدم أكثر من ذلك الا اذا سهل للعلماء التجوال في شبه جزيرة العرب لدراستها من جميع الوجوه والبحث عن العاديات .

لم يطمئن المستشرقون الى هذا المروي في الكتب العربية عن التاريخ الجاهلي ، ولم يكتفوا به ، بل رجعوا الى مصادر وموارد ساعدتهم في تدوين هذا الذي نعرفه عن تاريخ الجاهلية ، وهو شيء قليل في الواقع ، ولكنه مع ذلك خير من هذا القديم المتعارف وأقرب منه الى التاريخ . وقد تجمعت مادته من هذه الموارد :

- ( ١ ) النقوش والكتابات .
- ( ٢ ) التوراة والتلمود والكتب العبرانية الأخرى .
- ( ٣ ) الكتب الكلاسيكية والسريانية ونحوها .
- ( ٤ ) المصادر العربية الاسلامية .

#### ١ - النقوش والكتابات :

تعد النقوش والكتابات في طليعة المصادر التي تكون التاريخ الجاهلي ، وهي وثائق ذات شأن ؛ لأنها الشاهد الحى الوحيد الباقي من تلك الأيام ، وأريد أن أقسمها الى قسمين : نقوش ، وكتابات غير عربية تطرقت الى ذكر العرب ، كبعض النصوص الآشورية أو البابلية ونصوص وكتابات عربية كتبت بلهجات مختلفة ؛ وتكون غالبيتها

النصوص التي عثر عليها في العربية الجنوبية ، ويدخل ضمنها تلك التي وجدت في مصر أو في بعض جزر اليونان أو في الحبشة ، وهي من كتابات المعينين والسبئيين ، وأدخل في الكتابات العربية الكتابات الثمودية والصفوية والنبطية واللحيانية والعربية الجنوبية على اختلافها وكل ما عثر أو سيعثر عليه من نصوص في شبه جزيرة العرب مدونا بلهجة قريبة من اللهجات التي تعارف علماء العرب أو المستشرقون على اعتدادها من العربية .

وأغلب الكتابات التي عثر عليها في مختلف أنحاء شبه جزيرة العرب هو في أمور شخصية ، ولذلك انحصرت فوائدها في نواح معينة ، ولا سيما الدراسات اللغوية ، وأقلها النصوص التي تعرض لحالة بلاد العرب السياسية ، مثل علاقات ممالكها بعضها ببعض ، أو علاقات شبه جزيرة العرب بالعالم الخارجي ، فقلت معارفنا قليلة جدا في هذه الناحية وفي النواحي المشابهة لها التي تكون أصل التاريخ ، مستمدة من الكتب الكلاسيكية أو السريانية أو العبرانية ، وهي غير كافية كذلك .

وتختلف الكتابات العربية الجنوبية طولا وقصرا تبعا للمناسبات وطبيعة الموضوع ، وتشابه في المضمون وفي انشائها في الغالب ؛ لأنها كتبت في أغراض شخصية متماثلة . ومن النصوص الطويلة المهمة نص رقمه العلماء برقم ( G.I.H. 1450 ) ، وقد كتب لمناسبة الحرب التي نشبت بين قبائل حاشد وقبائل حمير في مدينة « ناعط » (١) ، ونص رقمه ( G.I.4334 ) وقد أمر بتدوينه الملك ( شعراوتر « أوتار » بن علهان نهفان ) « ٨٠-٥٠ قبل الميلاد » (٢) ، ونص « أبرهة » نائب ملك الحبشة على اليمن « عزلى » وهو يحوى كتابة مهمة تألفت من « ١٣٦ » سطرا ، يرتقى تاريخها الى سنة ٦٥٨ الحميرية أو ٥٤٣ للميلاد ، وقد كتب بحميرية رديئة ركيكة ، ونص يرتقى تاريخه الى سنة ٥٦٥ للميلاد . أما الكتابات المكتوبة باللهجات العربية الشمالية ، فقليلة .

وقد بحث المستشرقون في موضوع الكتابة والتدوين عند العرب الشماليين ، فأنكر بعضهم وجود كتابة عندهم ، ورأى آخرون كالمستشرق « كولدزهير » و « بروكلمن »

Margoliouth, Lectures on Arabic Historians, Calcutta, 1930. P. 29. (١)

Lectures إليه بـ

Lectures, P. 30 (٢)

« شاعر أوتر » « شاعر أوتار » . وقد ورد الاسم في كتاب الاكليل مكتوبا كتابة صحيحة « شعرم أوتر » في طبعة نبيه فارس ٨-١٩ . وأخطأ فيه أنستاس الكرملي فكتبه « سعوان أوتر » كما ورد في إحدى المخطوطات التي اعتمد عليها . طبعة الكرملي ٢٤ .



و « موير » و « كرنكو » الى أن العرب القدماء كانوا يعنون بكتابة أشعارهم ، وأن عرب الحيرة النصارى كانوا يدونون أخبارهم . ويظهر من بيت ورد في شعر « ابن مقبل » أن عرب أواسط شبه الجزيرة كانوا يدونون أشعار الشعراء في أيام الرسول (١) .

وجاءت الأخبار تفيد أن أهل الحيرة كانوا يرسلون أبناءهم الى « الكتاب » وأنهم كانوا يعلمونهم الكتابة والقراءة العربية كما كان بعضهم يختلف الى « الكتائب » الفارسية كالذى رواه صاحب الاغانى عن « زيد بن حماد بن زيد بن أيوب » الذى تولى الكتابة للنعمان الاكبر (٢) ، وكالذى رواه عن ابنه « عدى بن زيد » الكاتب الشاعر الشهير .

وقد جاء فى القرآن الكريم ما يفيد معرفة عرب الجاهلية القريبة من الاسلام القراءة والكتابة ، كما ورد فى الشعر الجاهلى القريب من الاسلام وفى صدر الاسلام ما يفيد ذلك . ورد فى القرآن « ن . والقلم وما يسطرون » (٣) . و « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » (٤) . و « ان هذا لفى الصحف الاولى ، صحف ابراهيم وموسى » (٥) . و « رسول من الله يتلو صحفا مطهرة ، فيها كتب قيمة . وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة » (٦) . و « لقد كتبنا فى الزبور من

Brockelmann, Suppl. Bd. 1. S. 32. Goldziher in ZDMG, XLVI, 18. Muir, (١)

JRAS.XI, ( 1879 ),72-93.F. Krenkow. the use of writing for the Preservation of Ancient Arabic Poetry, or., Studies., Pres., P To Ec Brown 261-268.

راجع تطور الخط العربى والكتابة عند العرب الشماليين قبل الاسلام فى كتاب : nabia Abbott, 'The Rise of the north Arabic Script and its Kur'anic Development, with a Full Description of the Kur'an manuscripts in the Oriental Institute Chicago. 1939.

(٢) الاغانى ١٠١/٢ ، راجع أيضا قصة المرقش الاكبر فى المفضليات ٤٦٠ حيث يرد فيه ذكر « الكتاب » وأنه تعلم الكتابة من رجل من أهل الحيرة ، فصار يكتب أشعاره . المعارف ٣١٩ .

(٣) سورة القلم سورة ٦٨ آية ١ ، .

(٤) سورة العلق سورة ٩٦ آية ١ فما بعد .

(٥) سورة الاعلى سورة ٨٧ آية ١٨-١٩ .

(٦) سورة البينة سورة ٩٨ آية ٢ فما بعد .

بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون» (١) . و « وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير» (٢) . الى غير ذلك من مواضع وردت فيها كلمات تشير الى الكتابة والقراءة ، ولا يعقل مخاطبة القرآن الكريم قوما بهذه الآيات لو لم يكونوا على علم وبصيرة ، بالقراءة والكتابة . كما ترد في الكتب ذكر « مجلة لقمان» (٣) و « الزبر» (٤) و « صحيفة لقيط» (٥) وغير ذلك . وكل هذه تشير بالطبع الى معرفة القراءة والكتابة .

وورد في الأخبار أيضا أن الراوية النسابة هشام بن محمد بن السائب الكلبى كان يقول : « كنت أستخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من ولى منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة» (٦) . وورد أيضا أن النعمان ملك الحيرة كان قد أمر ففسخت له أشعار العرب فى (الطنوج) ، وهى الكراريس ، ثم دفنها فى قصره الأبيض . فلما كان المختار بن أبى عبيد ، قيل له : ان تحت القصر كنزا ، فاحتفره ، فأخرج تلك الأشعار (٧) . وقيل أيضا : ان النعمان بن المنذر كان عنده ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته ، فصار ذلك الى بنى مروان أو ما صار منه (٨) .

وقد عرف أهل الحجاز الكتابة كذلك ، ويرجع جماعة من الرواة علم الحجازيين بالكتابة الى العراق (٩) .

(١) الانبياء سورة ٢١ آية ١٠٥ .

(٢) فاطر سورة ٣٥ آية ٢٥ .

(٣) راجع عن كلمة « مجلة » :

Fränkel, Aram, Fremdwörter in Arab. P. 247. anm.

(٤) « كخط زبور فى مصاحف رهبان » Ency. Vol, 4. P. 1184 .

(٥) جاء أن جماعة من الشعراء كانت تكتب مثل : المرقش الأكبر وعبدا لله بن

الزبيرى . المفضليات ٤٦٠ ، ابن سلام طبقات الشعراء ٥٨ ، الاغانى ٢٠/٢٤ .

(٦) الطبرى ٣٧/٢ .

(٧) ابن جنى ، الحصاص ٣٩٣/١ . الزبيدى تاج العروس ٧٠/٢ .

(٨) طبقات الشعراء ١٠ . المزهر ٤٧٤/٢ .

(٩) نهاية الأرب ٣/٧ . « عن الشعبى قال : سألنا المهاجرين من أين تعلمتم

الكتابة ؟ قالوا تعلمنا من أهل الحيرة ، وسألنا أهل الحيرة : من أين تعلمتم الكتابة ؟

قالوا : من أهل الأنبار » . المزهر ٣٤٣/٢ . « معرفة كتابة اللغة » ص ٣٤١ .



ولما ظهر الاسلام ، كان فى قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب<sup>(١)</sup> . وكانت « الشفاء بنت عبدالله العدوية » تحسن الكتابة<sup>(٢)</sup> وكذلك جماعة من النسوة<sup>(٣)</sup> . وقال الواقدي : « كان الكتاب بالعربية فى الأوس والحزرج قليلا ، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية بالمدينة فى الزمن الأول ، ف جاء الاسلام وفى الأوس والحزرج عدة يكتبون » . وقد اشتهر بالكتابة فى الجاهلية سويد بن الصامت ، وحضير الكاتب ، وكانا من أهل يثرب<sup>(٤)</sup> . ويدل صلح « بدر » الذى فادى به بعض مشركى بدر ممن لم يكن لهم فداء أنفسهم بتعليم عشرة من المسلمين<sup>(٥)</sup> الكتابة ، على وجودها عند أهل الجاهلية . وقد أوردت الكتب أسماء أناس عاشوا فى الجاهلية ، و نعتوا « بالكاتب » ، ومن الجائز أن يكون هؤلاء الكتاب قد سجلوا أحوال أيامهم وأنساب العرب وأخبارها وأشعارها غير أن ذلك لم يصل إلينا مع الأسف ، والظاهر أنه أهمل بسبب انشغال الناس بأمر الاسلام ، ف ضاع ما كتب ، ولم يكن من الصعب ضياعه ؛ لأن المواد التى كان يكتب عليها كانت سريعة التلف والضياع .

#### تاريخ الكتابات :

والكتابات المؤرخة قليلة . هذا أمر يؤسف له ، اذ يكون المؤرخ فى حيرة من أمره فى ضبط الوقت الذى دون فيه النص ، ولم تتمكن حتى الآن من الوقوف على تقويم ثابت كان يستعمله عرب قبل الاسلام ، مدة طويلة فى شبه الجزيرة . والذى تبين لنا حتى الان هو أنهم استعملوا جملة طرق فى تأريخهم للحوادث ، وتثبيت زمانها ، فأرخوا بحكم الملوك ، فكانوا يشيرون الى الحادث بأنه حدث فى أيام الملك فلان ، أو فى السنة كذا من حكم الملك فلان . كما أرخوا بأيام الرؤساء والمشايخ وأرباب الأوسر ، وهى طريقة عرفت عند المعينين والسبئيين والقبتانيين والحضرميين وغيرهم .

(١) ابن خلدون ٢/٦٠ ، البلاذرى ، فتوح البلدان ٤٧١-٤٧٤ ، راجع عن الرجال الذين تعلموا الكتابة من أهل الحيرة فى الفهرست ص ٤ ، عيون الاخبار ٤٣/١ ، المعارف ٢٧٣ ، المزهر ٢/٣٥١ .

Nabia, P, 6, Caetani, Annali 2, 692.

(٢) البلاذرى فتوح البلدان ص ٤٧٧ .

(٣) البلاذرى ٤٧٨ .

(٤) البلاذرى ٤٧٩ .

(٥) الكامل للمبرد ١/٢١٣ .



والكتابات المؤرخة بهذه الطريقة ، على أنها أحسن حالا في نظرنا من الكتابات المهملة التي لم يؤرخها أصحابها بتاريخ ، فلما نستفيد منها فائدة تذكر . اذ كيف يستطيع مؤرخ أن يعرف زمانها بالضبط ، وهو لا يعرف شيئا عن حياة الملك الذي أرخت به الكتابة ، أو حكمه ، أو زمانه ، أو زمان الرجال الذين أرخ بهم ؟ لقد فات أصحاب هذه الكتابات أن شهرة الانسان لا تدوم ، وأن الملك فلانا ، أو رب الأسرة فلانا ، أو الزعيم فلانا ربما لا يعرف بعد أجيال ، وقد يصبح نسيا منسيا ، لذلك لا يجدى التأريخ به شيئا ، وذاكرة الانسان لا تعي الا الحوادث الجسام . لهذا السبب لم نستفد من كثير من هذه الكتابات المؤرخة على وفق هذه الطريقة ، وأملنا الوحيد هو أن يأتي يوم قد نستفيد فيه منها في تدوين التاريخ .

وترد التواريخ في الكتابات العربية الجنوبية ، ولا سيما في الكتابات القتبانية ، على هذه الصورة : « ورخص ذو سحر خرف ( خريف ) . . . » (١) أو « ورخص ذو تمنع خرف . . . » (٢) أي « وأرخ في شهر سحر من سنة . . . » و « وأرخ في شهر تمنع من سنة . . . » . ويلاحظ أن « ورخ » و « تورخ » مثل « أرخ » و « تأريخا » ، هما قرينتان من استعمال تميم اذ هي تقول : « ورخت الكتاب تورخا » أي أرخت الكتاب تأريخا (٣) . وأما حرف « السين » اللاحق لكلمة « ورخ » فانه أداة التنكير . ويلي التاريخ اسم الشهر ، مثل « ذو تمنع » و « ذو سحر » وغير ذلك . وقد تجمعت لدينا أسماء عدد من الأشهر في اللهجات الجنوبية المختلفة تحتاج الى دراسة لمعرفة ترتيبها بالنسبة للمواسم والسنة . ثم تلى الأشهر في العادة كلمة « خرف » أو « خريف » وهي في العربية الجنوبية السنة أو العام . وعندئذ يذكر اسم الملك أو الرجل الذي أرخ به فيقال : « خرف شهر يكول » أي « سنة شهر يكول » وهو ملك من ملوك قبان . وهكذا بالنسبة للملوك أو غيرهم . ترى من ذلك أن التأريخ بأعوام الرجال كان يتضمن أشهرها . غير أننا لا نستطيع أن نجزم بأن هذه الأشهر كانت ثابتة لا تتغير بتغير الرجال ، أو بأنها كانت تتبدل بتبدل الرجال . والرأى الغالب

N. Rhodokanakis, Katabanische Texte Zur Bodenwirtschaft 2 Vols, Vol, (١)

1. P. 123 KTP. وسأرمز اليه بـ Gl. 1395. = 1604. SE 84.

(٢) Gl. 1412. = 1612. SE 81. K.T.B. Vol. 1. 130.

(٣) بلوغ الأرب ٣/٢١٤ .



صورة محارب لابس ملبسه العسكرية ، وقد كتب  
في أعلاها : « صور أوس ال بن زبي » • أي صورة أوس  
ايل بن زبي وهو صاحب هذه الصورة •



كتابة بالمسند ، ظهرت فيها ثلاثة  
حروف تؤلف كلمة « ن ا د » وفي أعلا  
الصورة الهلال وفي داخله النجمة ، وتحت  
نسر باسط جناحيه يقظ ، وتشير الصورة  
الى بعض الأساطير العربية الجنوبية .



هو أنها وضعت في وضع يلائم المواسم وأوقات الزراعة . ويظهر أنهم كانوا يستعملون أحيانا مع هذا التقويم تقويما آخر هو التقويم الحكومي ، وكان يستند الى السنين المالية أى سنى جمع الضرائب . وتختلف أسماء أشهر هذا التقويم عن أسماء أشهر التقويم التى تؤرخ بالرجال<sup>(١)</sup> . ويظهر أن العرب الجنوبيين كانوا يستعملون التقويم الشمسى فى الزراعة كما كانوا يستعملون التقويم القمرى والتقويم النجمى أى التقويم الذى يقوم على رصد النجوم<sup>(٢)</sup> .

وقد اتخذ الحميريون منذ سنة ١١٥ قبل الميلاد تقويما ثابتا يؤرخون به ، وهى السنة التى قامت فيها الدولة الحميرية ، فأخذ الحميريون يؤرخون بهذا الحادث واعتدوه مبدءا لتقويمهم ، وقد درسه المستشرقون فوجدوه يقابل السنة المذكورة قبل الميلاد . والكتابات المؤرخة بموجب هذه الطريقة لها فائدة كبيرة جدا فى تثبيت التاريخ .

وقد كان ما قدمناه يتعلق بالكتابات العربية الجنوبية المؤرخة ، أما الكتابات التى يطلق عليها المستشرقون « الكتابات العربية الشمالية » فهى معدودة . وهى لا تعطينا لهذا السبب فكرة علمية عن تأريخ الكتابات فى الأقسام الشمالية والوسطى من شبه الجزيرة . وقد أرخ شاهد قبر « امرى . القيس » فى يوم ٧ بكسلول من سنة ٢٢٣ ( ٣٢٨ للميلاد ) ، وهذه السنة هى من سنى تقويم بصرى ، وكان أهل الشام وحواران وما يليهما يؤرخون بهذا التقويم فى ذلك العهد ، ويبدأ بدخول بصرى فى حوزة الروم سنة ١٠٥ للميلاد<sup>(٣)</sup> .

وأرخت كتابة « حران » اليونانية بسنة أربع مئة وثلاث وستين من الأندقراطية الأولى وهى تقابل سنة ٥٦٨ للميلاد . والأندقراطية هى دائرة ثمانى سنين عند

(١) KTB. I.P. 81 f.

(٢) N. Rhodokanakis, Studien Zur Lexikographie Und Grammatik des Altšudarabischen. in 2. Vols. Vol. 2 P. 145 Lexi Sab. Denkm. 21. Glaser. Zwei Inschriften. 47 note. 7. ZDMG. 46. 322. Glaser, Die Sternkunde der Šudarabischen qabylen. in SBWA. Winckler. AOF. 2. 35iff.

(٣) العرب قبل الاسلام ٢٠٣ وسارمز اليه بـ العرب . مجلة سومر الجزء الأول كانون الثانى ١٩٤٧م المجلد الثالث ص ١٣١ .

الرومانيين ، وكانت تستعمل فى تصحيح تقويم السنة<sup>(١)</sup> . أما النص العربى ، فقد أرخ « بسنة ٤٦٣ بعد مفسد خيرى بعم ( عام ) »<sup>(٢)</sup> ورأى الأستاذ ليمان أن عبارة « بعد مفسد خيرى بعام » تشير الى غزوة قام بها أحد أمراء بنى غسان لخير<sup>(٣)</sup> . وفى استعمال هذه الجملة التى لم ترد فى النص اليونانى دلالة على أن العرب الشماليين كانوا يستعملون التواريخ المحلية ، كما كانوا يؤرخون بالحوادث الشهيرة التى تقع بينهم .

ويظهر أن القبائل الشمالية كانت تؤرخ بالأعوام التى تقع فيها أمور متعارفة ، وبالرجال كذلك شأن الجنوبيين . وقد ذكرت الكتب أسماء عدد من الرجال الذين أرخ الناس بهم<sup>(٤)</sup> . كما ذكرت أسماء بعض الأعوام التى أرخوا بها مثل عام الحنان<sup>(٥)</sup> وعام الفيل ، وقد ظهر الاسلام وكان الجاهليون يؤرخون به ، وأرخ المسلمون به أيضا الى أن أمر الخليفة عمر بن الخطاب بالتأريخ بالهجرة . والظاهر من الروايات أن العرب الشماليين لم يكن لهم تأريخ عام موحد ، بل كانت القبائل تتبع تواريخ مختلفة على حسب الأحداث الجسماء التى كانت تراها حربية بأن تكون مبدأ يؤرخ به . وربما كانت تؤرخ بتواريخ من جاورها من الشعوب . ولا يخفى أن ذلك يحدث فوضى وارتباكاً فى ضبط الحوادث وفى تعيينها مدة طويلة . على أن الجزم فى أمر كهذا هو رهين النصوص والكتابات التى قد يعثر عليها فى المستقبل ، فربما يظهر منها أن العرب كانوا يتبعون تقويماً ثابتاً يؤرخون حوادثهم به .

(١) ولغفسون . تاريخ اللغات السامية ص ١٩٢ وسأرمز اليه ب السامية .

(٢) السامية ١٩٢ ، سومر العدد المذكور ص ١٣٢ .

(٣) السامية ١٩٢ . Rivista degli Studi Orientali, 1911, P. 195.

(٤) بلوغ الأرب ٢٥١/٣ « وأرخت قريش بموت ( هشام بن المغيرة المخزومى ) لجلالته فيهم » . حمزة الاصبهاني : كتاب تأريخ سدنى ملوك الارض والانبياء ص ٩٣ فما بعدها .

(٥) بلوغ الأرب ٢١٥/٣ . الحنان بالضم على وزن غراب « قال ابن دريد هو زمن معروف عند العرب قد ذكروه فى أشعارهم . قال : ولم نسمع فيه من علمائنا تفسيراً شافياً ، قال : والأول أصح . قال النابغة الجعدى فى الحنان للابل :

فمن يحرص على كبرى فانى من الشيبان أيام الحنان

لسان العرب ٣٠١/١٦ « وزمن الحنان كان فى عهد المنذر بن ماء السماء وماتت الابل منه » ٢٢٠/٤ . التنبيه والإشراف ١٧٢ فما بعدها .



ويقرأ المرء في الكتب أسماء أشهر لم يستعملها المسلمون ، مثل : مؤتمر وناجر<sup>(١)</sup> وخوان<sup>(٢)</sup> وصوان<sup>(٣)</sup> ويقال فيه وبصان<sup>(٤)</sup> وربى وأيدة وناطل وواغل وورنة وبرك وموجب وموخر ومور وملزم ومصدر وهوبر وهوبل وذيمر ودابر وحيقل ومسيل وحتم وهواع<sup>(٥)</sup> وغير ذلك<sup>(٦)</sup> . والظاهر أنها لم تكن شائعة عند جميع القبائل ، ولذلك لم يكتب لها البقاء ، ولعل أكثرها كان قد أهمل استعماله أو أصبح استعماله شاذاً قبيل الاسلام ، ولهذا استعمل المسلمون أسماء الأشهر التي كانت مستعملة في الحجاز عند ظهور الاسلام ، وهي الأشهر المستعملة في التقويم الهجري ، وهذه الأشهر المهملة هي من بقايا اللهجات العربية القديمة ، وهي تفيدنا من هذه الناحية في المستقبل حين يظفر الباحثون بكتابات قديمة . وقد قال العلماء : انها من الأشهر التي وضعها العرب

(١) « ومنه شهر ناجر ، وكل شهر في صميم الحر فاسمه ناجر ، لأن الأبل تنجر فيه ، أي يشتد عظشها حتى تيبس جلودها ، وصفر كان في الجاهلية يقال له ناجر ، وشهرا ناجر وأجر أشد ما يكون من الحر ، ويزعم قوم أنهما حزيران وتموز وهذا غلط ، انما هو وقت طلوع نجمين من نجوم القيطز » « وقيل كل شهر من شهور الصيف ناجر » « وناجر رجب وقيل صفر » « كانت العرب تقول في الجاهلية للمحرم مؤتمر ولصفر ناجر ولربيع الأول خوان » لسان العرب ٤٦٦/٧-٤٧ .

(٢) « قال في الجمهرة : خوان يوم من أيام الأسبوع من اللغة الأولى . وخوان شهر من شهور السنة العربية الأولى » « وقال الفراء في كتاب الأيام والليالي : خوان ، من العرب من يخفقه » . المزهري ٢١٨/١-٢١٩ .

(٣) « وصوان بكسر الصاد وضمها فعال من الصيانة . » بلوغ الأرب ٧٦/٣-٧٧ .

(٤) « وربيع الآخر وهو وبصان » « وبصان منهم من يقول : بوصان على القلب ومنهم من يسقط الواو ويقول : بصان مضموم مخفف . » المزهري ٢١٩/١-٢٢٠ .

(٥) « وأسماء الشهور في الجاهلية : المؤتمر وهو المحرم . وصفر وهو ناجر . وشهر ربيع الأول وهو خوان ( بالفتح ) . وقالوا : خوان ( بالضم ) . وربيع الآخر وهو وبصان . وجمادى الأولى : الحنين . وجمادى الآخرة : ربي . ورجب : الأصم . وشعبان : عادل . ورمضان : نائق . وشوال : وعل . وذو القعدة : ورنة . وذو الحجة : برك » . المزهري ٢١٩/١ . « وكانوا يسمون الشهور : المحرم نائق ، وصفر ، ثقيل ، ثم طليق ، ناجر ، سماح ، امنح ، احلك ، كسع ، زاهر ، برط ، حرف ، نعس ، وهو ذو الحجة » مروج الذهب ٣٥٦/١ .

(٦) « وفي هذه الأسماء خلاف عند أهل اللغة » . بلوغ الأرب ٧٦/٣-٧٧ . ومن أشهر قتبان : « شهر ذي فرع ذي عثر » و « شهر ذي ررع ذي عثر » و « شهر ذي كبي ذي عثر » .

Le Museon. LXII, ( 1949 ). 3-4.P. 207-228. « The Oracle Sanctuary of Jār al-Labbā » by, A, F. L. Beeston, P. 226;



العربية<sup>(١)</sup> . وهى ، من غير شك ، أقدم عهدا من هذه الأشهر المستعملة فى التسارىخ الهجرى بكثير .

وذكرت الكتب أسماء بعض الأيام التى استعملها الجاهليون ، « قال فى الجمهرة : أسماء الأيام فى الجاهلية : السبت : شيار . والأحد : أول . والاثنين : أهون وأوهد . والثلاثاء : جيار . والأربعاء : ديار . والخميس : مؤنس . والجمعة : عروبة »<sup>(٢)</sup> .

هذا ، وان مما يلاحظ على الكتابات العربية الجنوبية أن التى ترجع منها الى العهد القديمة من تأريخ جنوب بلاد العرب قليلة ، وكذلك النقوش التى ترجع الى العصور الحميرية المتأخرة أى القريبة المتصلة بالاسلام . ولذلك أصبحت أكثر النقوش التى عثر عليها حتى الآن من الأدوار الوسطى المحصورة بين أقدم دور من أدوار تأريخ اليمن وبين أقرب أدوار اليمن الى تأريخ الاسلام . وأكثرها خلو من التأريخ ، غير عدد منها يرد فيه أسماء ملوك وملكات أرخت بأيامهم . لكننا لا نستطيع تعيين تأريخ مضبوط لزمانهم لعدم وجود سلسلة لمن حكم أرض اليمن ولعدم وجود جداول بمدد حكمهم ولفقدان الاشارة الى من كان يعاصرهم من الملوك والأجانب .

ومن النصوص المؤرخة نص يعود تأريخه الى سنة ٣٨٥ من سنى التقويم الحميرى واذا عرفنا أن الحميريين كانوا يؤرخون بسنة ١١٥ قبل الميلاد وهى السنة التى قضوا فيها على الدولة السبئية وأنشأوا فيها دولتهم على أنقاضها ، عرفنا أن تأريخ هذا النص يعود الى سنة ٢٧٠ الميلادية تقريبا . وصاحبه هو الملك « ياسر يهنم » ملك سبأ وذو ريدان وابنه ( شمر يهرعش )<sup>(٣)</sup> . وللملك « ياسر يهنم » « ياسر يهنم » نص آخر يعود تأريخه الى سنة ٣٧٤ للميلاد<sup>(٤)</sup> . و « لشمر يهرعش » « شمر يرهش » كتابة أمر بتدوينها سنة

(١) بلوغ الأرب ٧٦/٣ . (٢) المزهر ٢١٩/١ . مروج الذهب ٣٥٦/١ .

(٣) نص رقم C. I. 46.

Hartmann, Arab. Frage. S, 174. Rhodokanakis. WZKM XXXVII P. 148.

J. H. Mordtmann Und Eugen Mittwoch, Sabäische Inschriften, Hamburg 1931 P.

وسأرمز اليه بـ I-2 Sab. Inschr.

(٤) Sab. Inschr. P. 2 يعرف فى الكتب العربية بـ « مالك ناشر النعم » الأكليل

٢٠٧/٨-٢٠٨ ( طبعة نبيه ) . التيجان ١٧٠-١٧١ ، ١١٩-٢٢١ الطبرى ١/٦٨٣-٦٨٤ .

٣٩٦ للتقويم الحميري أى سنة ٢٨١ للميلاد<sup>(١)</sup> وقد ورد اسمه فى نصوص أخرى ، وقد لقب نفسه بلقب « ملك سبأ وذو ريدان » ولقب نفسه فى مكان آخر بلقب « ملك سبأ وذو ريدان وحصرموت ويمنات » مما يدل على أنه كان قد وسع ملكه وأخضع الأرضين المذكورة لحكمه<sup>(٢)</sup> .

ولما أراد الملك شرحبيل يعفر بن أبى كرب أسعد « ملك سبأ وذو ريدان وحصرموت ويمنات وأعرابها فى الجبال والسواحل » بناء السد أمر بنقش تاريخ البناء على جداره وقد عثر عليه واذا به يقول : ان العمل كان فى سنة ٥٦٤ - ٥٦٥ الحميرية وهذا يوافق عامى ٤٤٩-٤٥٠ من الأعوام الميلادية<sup>(٣)</sup> وبعد ثمانى سنوات من هذا التاريخ أى فى عام ٤٤٨ من التاريخ الميلادى ( ٥٧٣ حميرى ) وضع عبد كلال نصا تاريخيا يذكر فيه اسم الرحمن<sup>(٤)</sup> . ولهذين النصين أهمية عظيمة جدا من حيث الناحية الدينية . يذكر النص الأول « اله السماوات والأرضين » ويذكر الثانى « اسم الرحمن » وتظهر من هذه الاشارة فكرة التوحيد على لسان ملوك اليمن وزعمائها<sup>(٥)</sup> . وقد عثر على نصين آخرين ورد فيهما اسم الملك شرحبيل وكيف تاريخ أحدهما عام ٥٨٢ الحميرى ( ٤٦٧ الميلادى ) وتاريخ النص الثانى هو سنة ٥٨٥ الحميرية ( الموافقة لسنة ٤٧٠ الميلادية )<sup>(٦)</sup> .

ومن النصوص الأثرية المهمة نص حصن غراب ، وهذا النص أمر بكتابه السميع أشوى وأولاده تخليدا لذكرى انتصار الأجباش على اليمانيين فى عام ٥٢٥ ( سنة ٦٤٠ الحميرية )<sup>(٧)</sup> ، ويلىه النص الذى أمر أبرهة حاكم اليمن فى عهد الأجباش

- (١) راجع نص رقم CI 448 = MM 150 يعرف فى الكتب العربية بـ « شمر يرعش » الاكليل ٢٠٨/٨ ، التيجان ص ٢٢٢ فما بعدها . الاكليل ١٩/١٠ ، ٣٣ .
- (٢) راجع نصوص 438 ، 431 ، 430 ، 407 ، 353 ، CI 628 .
- (٣) CI 540. Sab. Inschr. S, 2
- (٤) C 16 = MM 153. Sab. Inschr. S, 2
- (٥) Boasor. 83 ( 1941 ) PP. 22. Sab. Inschr. S, 2
- (٦) CI 537. CI 644. Sab. Inschr. S, 2
- (٧) Sab. Inschr. S, 2.

الهلال الجزء الخامس عشر من السنة العاشرة أيار سنة ١٩٠٢ ص ٤٦٠ . وقد نشرت صورة النقش بالمسند وبالحروف العربية ، ولكنها محرفة مغلوطة .



بوضعه على جدران سد مأرب لما قام بترميم السد واصلاحه في عام ٦٥٧ ( الموافق عام ٥٤٢ الميلادي )<sup>(١)</sup> .

وآخر ما نجده من نصوص مؤرخة هو نص وضع في عام ٦٦٩ ( يوافق عام ٥٥٤ للميلاد<sup>(٢)</sup> ) ولم يعثر المنقبون بعد هذا النص على نص آخر يحمل تأريخا . نعم لقد عثروا على نصوص كثيرة تشابه في مضمونها وعباراتها وألفاظها النصوص التي أقيمت في الفترة الكائنة بين سنة ٤٣٩ الميلادية وسنة ٥٥٤ الميلادية وهذا يبعث على احتمال كون هذه النصوص مكررة وأنها من هذا العهد الذي بحثنا عنه آنفا<sup>(٣)</sup> .

## ٢ - التوراة والتلمود والتفاسير والكتب العبرانية :

وقد جاء ذكر العرب في مواضع كثيرة من أسفار التوراة تشرح علاقات العبرانيين بالعرب . والتوراة مجموعة أسفار كتبها جماعة من الأنبياء في أوقات مختلفة : كتبوا أكثرها في فلسطين ، وأما ما تبقى منها مثل سفر حزقيال والمزامير فقد كتب في وادي الفرات أيام السبي ، وأقدم أسفار التوراة هو سفر « عاموس » ( Amos ) ، ويظن أنه كتب حوالي (٧٥٠) قبل الميلاد<sup>(٤)</sup> .

وأما آخر ما كتب منها ، فهو سفر ( دانيال ) ( Daniel ) والأصحاحان الرابع والخامس من سفر ( المزامير ) ، وقد كتبت هذه في القرن الثاني قبل المسيح<sup>(٥)</sup> . وما ذكر في التوراة عن العرب يرجع تاريخه اذن الى ما بين سنة ٧٥٠ والقرن الثاني قبل المسيح .

وقد وردت في التلمود ( Talmud ) اشارات الى العرب كذلك . وهناك نوعان

(١) Sab. Inschr. S, 2 CI54I. Margoliouth, P. 32

(٢) Sab. Inschr. S, 2 CI325

(٣) Sab. Inschr. S. 2. CI54I CI45, CI540. Rhodokanakis. KTP,S. 140

(٤) أحد الأنبياء ، وكان راعيا في « تقوع » « تقوعة » مدينة صغيرة جنوبي يهوذا على بعد نحو ١٢ ميلا من جنوب القدس . عاش في أيام عزيا ملك يهوذا ويربعام ملك اسرائيل نحو سنة ٨٠٠ قبل الميلاد . وسفر عاموس هو الثلاثون من أسفار التوراة . قاموس الكتاب المقدس « ترجمة الدكتور جورج بوست » ٥٩/٢ .

Hastings, Dictionary of the Bible, P. 27. Hastings. وسأرمز اليه بـ

Encyclopaedia Biblica, P. 147 ff. Ency. Bibl. وسأرمز اليه بـ

Hastings, P,96 (٥)



من التلمود ، التلمود الفلسطيني أو التلمود الأورشليمي « Yerushalmi » كما يسميه  
العبرانيون اختصاراً ، والتلمود البابلي نسبة إلى بابل ( Babylonian Talmud ) بالعراق ،  
ويعرف عندهم باسم ( بابلي ) ( Bablie ) اختصاراً<sup>(١)</sup> .

أما التلمود الفلسطيني فقد وضع ، كما يفهم من اسمه ، في فلسطين . وقد  
تعاونت على تحرير هذه الشروح والتفاسير المدارس اليهودية ( Academies ) في  
الكنائس ( الكيس ) ، وقد كانت هذه مراكز الحركة العلمية عند اليهود في فلسطين ،  
وأعظمها هو مركز ( طبرية ) ( Tiberias ) وفي هذا المحل وضع الحبر ( رابي  
يوحنا ( Rabbi Jochanan ) التلمود الأورشليمي في أقدم صورة من صورهِ  
في أواسط القرن الثالث الميلادي ، وتلاه بعد ذلك الأُخبار الذين جاؤوا بعد « يوحنا » ،  
وهم الذين وضعوا شروحا وتفسيرات عدة تكون منها هذا التلمود الذي اتخذ هيأته  
النهائية في القرن الرابع الميلادي .

وأما التلمود البابلي ، فقد بدأ بكتابه - على ما يظهر - الحبر ( آشي )  
( Rabbi Ashi ) المتوفى عام ٤٣٠ للميلاد ، وأكملهُ الأُخبار من بعده ، واشتغلوا  
به حتى اكتسب صيغته النهائية في أوائل القرن السادس للميلاد<sup>(٢)</sup> . ولكل  
تلمود من التلمودين طابع خاص به ، هو طابع البلد الذي وضع فيه ، ولذلك يغلب على

(١) « التلمود » « تعليم » « Learning » راجع عن التلمود المصادر الآتية :

Hastings, P, 890. Ency. Brita, Vol, 21 P,769 J. Z. Lauterbach. Mishna. and W.  
Bacher. Talmud. in Jew. Ency. Funk, Entstehung des Talmud, Leipzig. 1910.  
Rodkinson. History of the Talmud. New york, 1903. Strack. einleitung in den  
Talmud Leipzig 1908.

ويتألف التلمود من « المشنة » Mishnah وهو الموضوع ومن « جمارة » « كمارة » Gemara  
وهو التفسير . فالمشنة « التكرار » عبارة عن مجموع تقاليد اليهود المختلفة مع بعض الآيات  
من الكتاب المقدس . واليهود يرون بأن هذه التقاليد أعطيت لموسى حين كان على الجبل ثم  
تداولها هارون واليعازر ويشوع وسلموها للأنبياء ، ثم انتقلت عن الأنبياء إلى أعضاء  
المجمع العظيم وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح حينما جمعها الحاخام « يهوذا »  
وكتبها ومن ثم صار يعتبر جامعاً للمشنة . و « الجمارة » « التعليم » وهو مجموع  
المنظرات والتعاليم والتفاسير التي جرت في المدارس العالية بعد انتهاء المشنة . قاموس  
الكتاب المقدس ٢٩٠/١ « ترجمة الدكتور جورج بوست » ٢٩٠/١ .

Pirque Aboth, I , 1

Hastings, P, 891 (٢)

التلمود الفلسطيني طابع التمسك بالرواية والحديث ، وأما التلمود البابلي ، فيظهر عليه الطابع العراقي الحر ، وفيه عمق في التفكير وتوسع في الأحكام والمحاكمات ، وغنى في المادة . وهذه الصفات غير موجودة في التلمود الفلسطيني<sup>(١)</sup> .

وبهذا يكمل التلمود أحكام التوراة ، وتفيدنا اشاراته من هذه الناحية في تدوين تاريخ العرب . أما الفترة بين الوقت الذي انتهى فيه من كتابة التوراة والوقت الذي بدى فيه بكتابة التلمود ، فيمكن أن يستعان في تدوين تاريخها بعض الاستعانة بالأخبار التي ذكرها بعض الكتاب ، ومنهم المؤرخ اليهودي ( يوسف فلافيوس ) ( يوسفوس فلافيوس ) ( Josephus Flavius ) الذي عاش بين سنة ٣٧ و ١٠٠ للمسيح تقريبا . وله كتاب باللغة اليونانية في تاريخ عادات اليهود ( Ioudaïke Archaïologia ) تنتهي حوادثه بسنة ٦٦ للميلاد ، وكتاب آخر في تاريخ حروب اليهود ( Peri tou Joudaikou Polemou )<sup>(٢)</sup> من استيلاء ( انطيوخس افيثانوس ) ( Antiochus Epiphanos ) على القدس سنة ١٧٠ قبل الميلاد الى الاستيلاء عليها مرة ثانية في عهد ( طيطس ) ( Titus ) سنة ٧٠ بعد الميلاد ، وكان شاهد عيان لهذه الحادثة . وقد نال تقدير ( فسبازيان ) ( Vespasian ) و ( طيطس ) وأنعم عليه بالتمتع بحقوق المواطن الروماني<sup>(٣)</sup> .

وفي كتبه معلومات ثمينة عن العرب ، وأخبار مفصلة عن العرب الأنباط لا نجدها في كتاب ما آخر قديم . وكان الأنباط في أيامه يقطنون في منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات فتناخم بلاد الشام ثم تنزل حتى تتصل بالبحر الأحمر<sup>(٤)</sup> . وقد عاصرهم هذا المؤرخ ، غير أنه لم يهتم بهم الا من ناحية علاقة الأنباط بالعبرانيين ، ولم تكن بلاد العرب عنده الا مملكة الأنباط<sup>(٥)</sup> .

Hastings. P. 891 (١)

Peri Tou Joudaikou Polemou, De Bello Judaico (٢)

Harvey, the Oxford Companion To Classical Literature. P. 228 (٣)

Harvey Simon Dubnow, Weltgeschichte Des Jüdischen Volkes وسارمز اليه ب

Vol. 2. P. 83-84 Vol. 3. P. 105. Ency. Brita. Vol. 13 P. 153.

Josephus, Antiquities, Bk. XIV. Ch. 14. § I. The Jewish war, Bk. 1. (٤)

Ch. 14 §. I. 3. Ch. 4. §. 2.

Hastings, P. 68 (٥)



وفى « الأبوكريفا » « Apocrypha » (١) وهى الكتب غير القانونية التى أضيفت الى العهد القديم وبعض الأسفار الملحقه بالعهد الجديد ، وفى العهد الجديد والشروح والتفاسير التى وضعها العلماء حول التوراة والانجيل ، وفى محاضر المجامع الكنسية والمؤتمرات التى كان يعقدها رجال الكنيسة قبل الاسلام ، لمعالجة المشكلات الدينية ، التى كان يحضرها ممثلون عن الهيئات النصرانية فى شبه الجزيرة أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ العرب قبل الاسلام ، فلا بد للمؤرخ الذى يريد التوسع فى هذه الناحية ، وتتبع أحوال العرب فى هذه العهود من التفتيش عن هذه الموارد التى تحوى أحيانا أخبارا لا نعر عليها فى مكان آخر .

### ٣ - الكتب الكلاسيكية والسريانية :

ولهذه الكتب - على ما فيها من خطأ - أهمية كبيرة ، اذ وردت فيها أخبار تاريخية وجغرافية كبيرة الخطورة ، ووردت فيها أسماء قبائل عربية كثيرة لولاها لم نعرف عنها شيئا . وقد استقى هؤلاء الكتاب معارفهم من الرجال الذين اشتركوا فى الحملات التى أرسلها اليونان أو الرومان على بلاد العرب ، ومن السياح الذين اختلطوا بقبائل بلاد العرب أو أقاموا مدة بين ظهرانهم لاسيما فى بلاد الأنباط ، ومن التجار وأصحاب السفن الذين كانوا يتوغلون فى البحار وفى بلاد العرب للمتاجرة . وتعد الاسكندرية من أهم المراكز التى كانت تعنى عناية خاصة بجمع الأخبار عن بلاد العرب وعادات سكانها وما ينتج فيها لتقديمها الى من يرغب من تجار البحر الأبيض المتوسط . وقد استقى كثير من الكتاب « الكلاسيكيين » معارفهم عن بلاد العرب من هذه « البورصة التجارية » العالمية .

وتحدثت الكتب الكلاسيكية جازمة عن وجود علاقات قديمة كانت بين سواحل بلاد العرب وبلاد اليونان والرومان ، وتتجاوز بعض هذه الكتب هذه الحدود فتتحدث عن نظرية قديمة كانت شائعة بين اليونان ، وهى وجود أصل دموى مشترك بين بعض القبائل العربية واليونان . وتفصح هذه النظرية ، على ما يبدو منها من سذاجة ، عن

(١) كلمة يونانية معناها اللغوى « مخبأ » « Hidden » وفى العبرية « كنز » ( Ganaz ) لأن أصحابها كانوا يخفونها عن العامة ، كتبت أكثرها فى اليونانى فى الاسكندرية . ومع أن الآباء اقتبسوا منها كثيرا لم يعدوها كالكتاب المقدس ، غير أن لها قيمة عظيمة لما تحويه من الأخبار التاريخية . قاموس الكتاب المقدس ١/٢٦ - ٠  
Hastings. P. 41. Ency. Bibl. P. 249 ff. Ency. Brita. Vol. 2. 105 ff.



العلاقات العريقة في القدم التي كانت تربط سكان البحر المتوسط الشماليين بسكان شبه الجزيرة العربية<sup>(١)</sup> .

ومن أقدم من ذكر العرب من اليونانيين «أخيلس» (Ae'schylus) «٥٢٥-٤٥٦ قبل الميلاد» و «هيرودتس» «٤٨٠-٤٢٥ قبل الميلاد» ، وقد زار مصر ، وتبع أخبار الشرق بالمشاهدة والسماع ، ودون ما سمعه ، ووصف ما شاهده في كتاب تاريخي وهو أول أوربي ألف كتابا بأسلوب علمي في التاريخ لذلك لقبه «شيشرون» (Cicero) الشهير بلقب «أبي التاريخ» .

تناول هيرودتس تاريخ الصراع بين اليونان والفرس ، وان شئت فسمه النزاع «الأوربي الآسيوي» ، فألف عنه تاريخه . والظاهر أنه لم يتمكن من اتمامه ، ففيه فصول وضعت بعد وفاته . وهو أول كاتب يوناني اتخذ من الماضي موضوعا للحاضر ومادة للمناقشة ، بعد أن كان البحث في أخبار الأيام السالفة مقصورا على ذكر الأساطير والقصص الشعبية والدينية . وهو على حرصه على النقد والمحاكمة ، لم يتمكن أن يكون بنجوة من الأفكار الساذجة التي كانت تسود ذلك العالم الابتدائي في ذلك العهد<sup>(٢)</sup> .

ومنهم «تيوفراست» (Theophrastus) (حوالي ٣٧١-٢٨٧ قبل الميلاد) مؤلف كتاب «Historia Plantarum»<sup>(٣)</sup> وكتاب «De Causis Plantarum» وفي خلال حديثه عن النباتات تطرق الى ذكر البقاع العربية التي كانت تنمو بها مختلف الأشجار ، ولا سيما المناطق الجنوبية التي كانت تصدر المر واللبان والبخور والأفاويه . و «إراتوستينس» (Eratosthenes) «٢٧٦-١٩٤ قبل الميلاد» ، وقد استفاد الكتاب اليونانيون الذين جاؤوا من بعده من كتاباته ، ونجد في مواضع مختلفة من جغرافية سترابون أقوالا معزوة إليه<sup>(٤)</sup> .

Agatharchides, de Rubro mari, Opud Geograph. Vet Script minton I P. (١)  
59 ed. Oxon, 1698. Ch. Forster., The Historical Geography of Arabia in two Vols.  
Vol. 1, PP, XXXVI. Forster بـ Pliny nat. Hist. lib VI, P. 32 Tom,  
2 PF.718. ed Paris, 1828, 8 Vol.

٢) اعتمدت على ترجمة «George Rawlinson» الانكليزية .

The History of Herodotus, Translated by George Rawlinson, in 2 Vol. London, 1920.

Theophrastus, Historia Plantarum, ed. Hort. 1916. (٣)

Eratosthenes in Strabo, and H. Berger. Die Geogr. (٤)

Fragmente Des Eratosthenes. 1880.

ونضيف الى من تقدموا « ديودورس الصقلي » ( Diodorus Siculus ) « ٤٠ قبل الميلاد » . وقد ألف باللغة اليونانية كتابا سماه « المكتبة التاريخية » ( Bibliothek Historike ) وهو تاريخ عام تناول تاريخ العالم من عصر الأساطير حتى فتح « يوليوس قيصر » لاقليم « الغال » وهو في أربعين جزءا لم يبق منها سوى خمسة عشر جزءا تبحث عن الحقبة المهمة التي تبدى سنة ٤٨٠ ق م ، وتنتهى سنة ٣٢٣ ق م (١) .

ويعوز هذا المؤرخ النقد لأنه جمع في كتابه كل ما وجدته في الكتب القديمة من أخبار ولم يحصها ، وقد امتلا كتابه بالأساطير ، والعالم مع ذلك مدين له الى حد كبير في معرفة أخبار الماضين ولا سيما الأساطير الدينية القديمة .

ومن المؤلفين الكلاسيكيين « سترابون » « سترابو » ( Strabo ) ( Strabon ) « ٦٤ ق م - ١٩ للميلاد » ، وهو رحالة كتب كتابا مهما باللغة اليونانية في سبعة عشر جزءا سماه ( الجغرافية ) ( جغرافيا ) ( Geographica ) (٢) وقد وصف فيه الأحوال الجغرافية الطبيعية لمقاطعات الانبراطورية الرومانية الرئيسية ، وتأريخها ، وحالات سكانها ، وغريب عاداتهم وعقائدهم . وللكتاب شأن كبير ، اذ اشتمل على كثير من الأخبار التي لا تيسر في كتاب آخر . وقد اعتمد فيه على ما ذكره الكتاب السابقون .

وقد أفرد « سترابون » في جغرافيته فصلا خاصا ( من الكتاب السادس عشر ) ببلاد العرب ، ذكر فيه مدائن العرب وقبائلهم في عهده ، ووصف أحوالهم التجارية والاجتماعية والاقتصادية (٣) ، وحملة « أوليوس غالوس » ( أوليوس كالوس ) « Aelius Gallus » المعروفة لفتح بلاد العرب وما كان من اخفاقه . ولاخبار هذه الحملة التي دونها « سترابون » في جغرافيته أهمية خاصة ، اذ جاءت بمعلومات عن نواحي من تاريخ العرب نجهلها ، وقد شارك هو نفسه في الحملة ، وقد كان صديقا

(١) Diodorus Siculus, Bibliotheca historica: Vols. 1-3 edited by Friedrich (١)

Vogel, Vols, 4 and 5 edited by C. T. Fischer, in Bibliotheca Scriptorum Graecorum et romanorum teubneriana, Leipzig, 1888-1906.

(٢) وقيل « ٦٦ ق م - ٢٤ للميلاد » اعتمدت على ترجمة Hamilton The Geogography, of Strabo, translated by Hamilton, London, 1912. in 3 Vols, Strabo, Geographia edited by August meineke 3 Vols, Leipzig. 1907-1913.

(٣) Strabo, Bk. 16. Ch. 1. ( ed Hamilton ). Vol. 3. PP, 170. (٣)



لقائدها فوصفه وصف شاهد عيان<sup>(١)</sup> . وقد استهل وصف الحملة بهذه العبارة : « لقد علمتنا الحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب بقيادة « أوليوس غالوس » في أيامنا هذه أشياء كثيرة عن تلك البلاد »<sup>(٢)</sup> .

وممن تحدث في كتبه عن العرب « بلييني الأقدم » « Pliny The Elder »  
« Galus Plinius Secundus » المتوفى سنة ٧٩ للميلاد . ومن كتبه المهمة كتابه  
( Naturalis Historia ) في سبعة وثلاثين قسما وقد نقل في كتابه عن تقدمه ،  
ولا سيما معلوماته عن بلاد العرب والشرق وجمع ما أمكنه جمعه ، غير أنه أتى في أماكن  
متعددة من كتابه بأخبار لم يرد لها ذكر في كتب المؤلفين الآخرين .

وهناك مؤلف يوناني مجهول وضع كتابا سماه « الطواف حول بحر الأريتريا »  
« Periplus or De Mari Erythraeo »<sup>(٣)</sup> أتمه في نهاية القرن الأول للمسيح ،  
وقد وصف فيه تطوافه في البحر الأحمر وسواحل البلاد العربية الجنوبية ، والظاهر أنه  
كان ملما بأحوال الهند وشواطئ إفريقيا الشرقية ، ولعله كان تاجرا من التجار الذين  
كانوا يطوفون في هذه الأنحاء للتجارة ، ولم يعتن إلا بأحوال السواحل . أما الأقسام  
الداخلية من بلاد العرب ، فيظهر أنه لم يكن يعرف عنها شيئا<sup>(٤)</sup> .

وهناك طائفة من الكتاب الذين تركوا لنا آثارا وردت فيها اشارات الى العرب  
والبلاد العربية ، مثل « أبولودورس » « Apollodorus » ( المتوفى سنة ١٤٠

---

(١) Strabo, ( ed Hamilton ) Vol. 3 PP, 209 De Lacy O'leary Arabia Before

Muhammad. London. 1927 P, 75 O'leary ب

O'leary P 75. Strabo Bk. 16 Ch. 4, 22. (٢)

Pliny , Naturalis historia, edited by C. Mayhoff, Teubner Series, (٣)  
1882—1909 2nd edition, 6 Vols., Leipzig 1892-1909 D. Detlefsen, Die  
Geographischen Bücher (II,242-VI Schluss) der naturalis hirtoria des G. Plinius  
mit Vollständigen kritischen Appart. edited by W. Sieglin Vol, 9. Berlin, 1904

The Periplus of the Erythrean Sea. Transl. by W. H. Shoff. New york. 1904

أرى أن هذا الكتاب هو من مؤلفات « أغا ثرسيدس » المتوفى في القرن الثاني قبل  
المسيح (١٤٥ قبل الميلاد) . فلهذا الكاتب مؤلف يقال له Periplus or De Mari erythraeo

وقد نقل منه « فوتيوس » و « ديو دورس » .

O'leary P, 79 (٤)



بعد المسيح ) و « بطليموس القلوذى » « Claudius Ptolemaeus » الذى عاش فى الاسكندرية فى القرن الثانى للمسيح ، وهو صاحب مؤلفات فى الرياضيات منها « كتاب المجسطى » المعروف فى اللغة العربية . وله كتاب مهم فى الجغرافية سماه « Geographike Hyphegesis » (١) ويعرف باسم « جغرافية بطليموس » (٢) ، ولهذا الكتاب شهرة واسعة ، وقد درس فى أكثر مدارس العالم الى ما بعد انتهاء القرون الوسطى جمع فيه بطليموس ما عرفه العلماء اليونان من قبل وما سمعه هو بنفسه وما شاهده هو بعينه ، وقسم الأقاليم بحسب درجات الطول والعرض وقد تكلم فى كتابه على مدن البلاد العربية وقبائلها وأحوالها ، وزين الكتاب بالخرائط التى تصور وجهة نظر العلم الى العالم فى ذلك الوقت .

ومن الذين أوردوا شيئاً عن أحوال بلاد العرب ( أريان ) « Arrian » « Flavius Arrainus » (٩٥ - ١٧٥ م) ، وقد ألف كتباً عديدة منها كتابه « Anabasis of Alexander The Great » فى خمسة عشر قسماً ، وصف فى سبعة منها حملات الاسكندر الكبير ، وفى الثمانية الأخرى وصف الهند وأحوال الهنود ورحلة القائد « Nearehus » « أميرال » الاسكندر فى خليج فارس (٣) ومنهم « هيروديان » « Herodianus » (١٦٥ - ٢٥٠ بعد الميلاد) وهو مؤرخ سريانى ألف فى اليونانية كتاباً عن تأريخ قياصرة الرومان من وفاة القيصر « ماركوس أوريلوس » « Marcus Aurelius » الى سنة ٢٣٨ للميلاد (٤) .

(١) Geographia, edited by C. F. nobbe 3 Vols Leipzig. 1843-1845.

Vol, I. Part, I, Carolus Müllerus, Paris, 1884 Vol I. Part 2, by C. th Fischer Paris, 1901

(٢) « قال المسعودى : وقد ذكر بطليموس فى الكتاب المعروف بجغرافيا صفة الأرض ومدنها وجبالها وما فيها من البحار والجزائر والانهار والعيون ووصف المدن المسكونة والمواضع العامرة ، وان عددها أربعة آلاف وخمسمائة وثلاثون مدينة فى عصره ، وسماها مدينة مدينة فى اقليم اقليم ٠٠٠ » مروج الذهب ١/٧٣ .

(٢) Anabasis, Edited by, A. G. Ross, Leipzig. 1907 C Müller Paris, 1846

Historia Indica : edited by Carl Müller in his Geographi graeci minoris, Vol, I, Paris, 1861. PP, 306-369.

(٤) Herodianus, Ab excessu Divi marci libri octo, edited by L, Mendelssohn, (٤)

Leipzig 1883.

## الموارد النصرانية :

وللمصادر النصرانية أهمية كبيرة في تدوين تاريخ انتشار النصرانية في بلاد العرب ، وتاريخ القبائل العربية ، وعلاقات العرب باليونان و الفرس . وقد كتب أغلبها باليونانية والسريانية . ولها في نظرنا قيمة تاريخية مهمة ، لأنها عند عرضها للحوادث كانت تربطها بتاريخ ثابت معين . مثل المجامع الكنيسية ، أو تواريخ القديسين ، والحروب وأوقاتها في الغالب مضبوطة مثبتة . ومن أشهر الكتاب الذين تفيد تواريخهم في تدوين أخبار الجاهلية الكاتب « أوسيبوس Euse'bius » « ٢٦٥ - ٣٤٠ » للميلاد ، وكان قد ألف كتابا في التاريخ باللغة اليونانية حوى بالاضافة الى التاريخ العام تقاويم وجداول بالحوادث والوقائع التي حدثت في أيامه . وقد أفاد هذا الكتاب فائدة كبيرة في معرفة تاريخ اليونان والرومان حتى سنة ٣٢٥ للميلاد ، ولم يبق من أصله غير قطع صغيرة غير أن له ترجمة باللاتينية عملها « جيروم » « Jerome » وأخرى باللغة الأرمنية ، وقد سد « جوزيف سكالكر » ( Joseph Scaliger ) النقص الذي كان قد طرأ على النسخة الأصلية - وذلك باستفادته من هاتين الترجمتين . ولهذا الأسقف كتب أخرى ، منها كتاب « Ecclesiastical History » الذي ينتهي بسنة ٣١٤ بعد المسيح ، وكتاب في فلسفة اليونان وديانتهم ، وكتاب آخر في ترجمة حياة قسطنطين ، وكتاب طبوغرافية فلسطين<sup>(١)</sup> .

ومن هؤلاء المؤرخ « روفينوس تيرانوس » ( Rufinus Tyranius ) المتوفى سنة ٤١٠ للميلاد صاحب كتاب « Historiae Ecclesiasticae » ، وقد ضمنه أقساما من تاريخ « أوسيبوس » . والمؤرخ « سقراط » ( Socrates ) وهو من الفقهاء في الكنيسة وقد اعتمد في تواريخه على من كتب قبله من المؤرخين ، وقد وردت في ثناياها أخبار عن بلاد العرب<sup>(٢)</sup> ، والمؤرخ « سوزمينوس » « Sozomenus » (٤٠٠-٤٤٣م)<sup>(٣)</sup> و « ثيودور »

(١) Euse'bius I. Chroinorum : edited by Alfred Schoene, 2 Vols, Berlin (١)

1866-1875. Onomasticon: edited by Erich Klostermann Entitled Onomastikon der biblischen Ortsnamen, Vol. II Part. I Eusebius werke. Vol. 3, Part I, Leipzig. 1904.

Socrates, Eccles. Hist, Oxon., 1844 (٢)

Sozomenus. Ecclesiastica Historia, in: J. P., Migne Patrologiae 67. 1859 (٣)  
Cols, 843-1630.



«Theodoret» المتوفى سنة ٤٥٧ للميلاد . و « زوسيموس » Zosimus « ٤٩١ - ٥١٨ م » وهو مؤرخ يوناني ألف في تاريخ الانبراطورية الرومانية - اليونانية ، فأشار الى العرب وعلاقتهم بها<sup>(١)</sup> . و « شمعون الأرشامى » « Simeon of Bejt Arsham » ، وهو صاحب « رسائل الشهداء الحميريين »<sup>(٢)</sup> . التي تبحث فى تعذيب ذى نواس للنصارى فى نجران ، وقد جمع أخبارها ( على ما يدعيه ) من بلاط ملك الحيرة حينما كان قد ذهب هنالك بمهمة رسمية كلفه بها انبراطور الروم . و « بروكوبيوس » ( Procopius )<sup>(٣)</sup> من رجال القرن السادس للميلاد وكان سكرتيرا للقائد « بليزارىوس » ( Belisarius ) أعظم فواد « يوسطيانس »<sup>(٤)</sup> . وقد رافقه عدة سنين فى بلاد فارس وشمال أفريقيا وجزيرة صقلية ومن مؤلفاته مؤلف فى تاريخ زمانه ، ولا سيما حروب « يوسطيانس » وكتاب « D: Bello persico » وقد وردت فيه أخبار ذات بال بالنسبة لبلاد العرب . ومن هؤلاء « زكريا » « Zacharias » المتوفى حوالى سنة ٥٦٨ للميلاد<sup>(٥)</sup> . و « ملالا » « Malalas » المتوفى سنة ٥٧٨ للميلاد<sup>(٦)</sup> . و « ميندر » « Menander proteet r »

Zosimus, Historia nova: edited by. L. mendelssohn, Leipzig. 1887. (١)

Simeon of Bejt Arsham (524). Letter on the Himyarite martyrs: edition and Translation by Ign. Guidi entitled. la lettera di Semeone Vescova di Beth-Arshâm ( 524 ). Spora i martiri., Omeriti in: Reale Accademia dei Lincei Atti, anno cclXXVIII, 1880-1881, memorie dela classe di Sciennze morali, Storiche e filologiche, Vol, 7. Rome, 1881, PP, 471-515. z

J. Haury, Procopius, De Bello Persico. in Bibliotheca Scriptorum Graecarum et Romanorum, Leipzig. 1905. (٣)

(٢) « يوسطيانس » حمزة الأصفهاني فى كتابه تاريخ سنى ملوك الأرض والانبيا . ( طبع مطبعة كاويانى ببرلين ) ص ٤٧ « يوسطيانوس » مروج الذهب ٢٧٧/١ تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد .

Zacharias: Historia miscellanea: edited by J. P. N. Land, entitled Zacharia episcopi mytylenes aliorunquae scripta historica Graece Plerumque deperdita, Constituting J. P. N. Land, Anecdota Syriaca Vol, 3. Leiden, 1870. John malalas, Chronographia; in J. P. Migne Patrologiae Cursus Completus..., Series Graeca, Vol, 97, Paris, 1865, Cols. 65-716, also edited by Dindorf. Bonn, 1831.



المتوفى حوالى سنة ٥٨٢ للميلاد<sup>(١)</sup> . و « يوحنا الافسى » « John of Ephesus »  
وقد ولد فى حوالى ٥٠٥ للميلاد ، وتوفى سنة ٥٨٥ للميلاد تقريبا . وهو صاحب  
مؤلفات كثيرة منها كتابه « التاريخ الكنيسى » « Ecclesiastica Historia »<sup>(٢)</sup> وهو فى  
ثلاثة أقسام يتدى « أيام « يوليوس قيصر » وينتهى بسنة ٥٨٥ للميلاد ، وكتاب « تاريخ  
القدسين الشرقيين » وقد انتهى من تأليفه سنة ٥٦٩ للميلاد<sup>(٣)</sup> .

ومن هؤلاء « أسطفان البيزنطى » « Stephanus Byzantinus » المتوفى سنة ٦٠٠  
للميلاد<sup>(٤)</sup> ، و « ايواكربوس » « Evagrius » المعروف بـ « Scholasticus » أى  
« المدرسى » المتوفى سنة ٦٠٠ للميلاد . وهو صاحب كتاب « التاريخ الكنيسى »  
« Historiae Ecclesiasticae » فى ستة أقسام يتدى بذكر « المجمع الافسوى » المنعقد  
عام ٤٣١ للميلاد وينتهى بسنة ٥٩٣ للميلاد . وهو من الكتب المهمة لأن مؤلفه لم يكتب  
عن هوى ، شأن أكثر كتاب الكنيسة وقد استعان بالنصوص الاصلية وبالكتب المؤلفة  
سابقا<sup>(٥)</sup> .

ومن هؤلاء أيضا « ثيوفليكت » « Theophylactus Simocatta » المتوفى سنة ٦٤٠  
للميلاد<sup>(٦)</sup> و « ثيوفانس » « Theophanes The Confessor » المتوفى سنة ٨١٨ للميلاد<sup>(٧)</sup> .

---

Menander Protector. (582) De legationibus : in J. P. migne, Patrologiae (١)

Cursus Completus..., Series Graeca, Vol, 113 Paris, 1864. Cols 791-928.

John of Ephesus. Ecclesiastical History: Part, 3. edited by william (٢)

Cureton, Oxford. 1853.

Land, Anecdota Syriaca, 3 Vols, Leiden, 1862-1870, 2. 1-288. (٣)

Ethnica: edition, by August meineke, entitled Ethnorum quae (٤)

Supersunt, Vol, 1. Berlin. 1879.

Evagrius Scholasticus, Historia ecclesiasticae libri sex: in J. P. migne, (٥)

Petrologiae Cursus Completus..., Series graeca, Vol, 86, Part, 2. Paris, 1865.

Cols, 2405-2906. in Bury Bury's Byzant Texts. London. 1898.

Historiae, edited by, C. de Boar, Leipzig 1887. (٦)

Theophanes the Confessor, Chronographia, in., J. P, migne, Patrologiae (٧)

Classical Completus..., Series graeca, Vol, 108, Paris, 1863. Cols, 1-1010, also edited

by C.de Boor Leipzig. 1887.

و « ايليا النصيبى » « Elijah (El'as) of Nisibis » (١٠٠٨م) (١) . وميخائيل السورى (٢) .  
 وفى قائمة المخطوطات السريانية فى المتحف البريطانى ذكر لقسم من المخطوطات  
 ذات الفائدة فى هذا الباب (٣) ، وفى مجموعة الكتابات اليونانية واللاتينية (٤) ، وفى  
 المجموعات التى تبحث فى أعمال القديسين أو فى انتشار النصرانية اشارات مهمة الى  
 بلاد العرب . وهناك كتاب نشره المستشرق « مولر » « Carl Müller » مؤلف مجهول  
 اسمه « Glaucus » يبحث فى « آثار بلاد العرب » (٥) .

#### ٤ - الموارد العربية الاسلامية :

كان من المتوقع أن يوجد فى بلاد اليمن تأريخ مدون ؛ فقد كانت هذه البلاد مركز  
 حضارة ، ومقر مدينة نشأت قبل المسيح بمئات السنين ، واستمرت عهدا طويلا بعد  
 الميلاد . وقد جادت على العلماء ببضعة آلاف كتابة تعود الى عهود مختلفة . وكل ما وصل  
 الينا من تأريخ اليمن عن طريق التأليف العربية الاسلامية يحمل طابع التأريخ المنقول  
 بالسماع ، فهو لا يختلف فى جوهره وشكله عن تأريخ العرب الآخرين الذين عاشوا  
 فى الحجاز أو نجد أو العروض أى الذين يطلق عليهم المستشرقون اسم « العرب  
 الشماليين » (٦) . ونجد - على العكس - أن الروايات التى تتناول تأريخ عرب الحجاز أو نجد  
 أو العراق أو الشام أقرب الى الواقع من الروايات التى تناولت تأريخ اليمن وسائر البلاد

Elijah of nisibis, opus chronologicum edited and translated by, F. (١)

W. Brooks ( Part ١ ) and J. P. Chabot ( Part 2 ), in Corpus Scriptorum  
 Christianorum Orientalium, Ser. 3, Vols. 7. and 8, Paris, 1909-1911.

Michael the Syrian, Chronicle: edition and French translation. by J. B. (٢)

Chabot entitled Chronique de michel le Syriae, Patriarche Jacobite d'antioche  
 ( 1166-1199 ), 4 Vols., Paris, 1899-1906.

Wright, W. Catalogue of the Syriac manuscripts in the British museum (٣)

3 Vols, London, 1870-1872.

Corpus inscriptionum Latinarum, Consilio et auctoritate Academiae (٤)

Litterarum Regiae Borussicae edition, Berlin, 1862 ff. ( 15 Vols had Appeared  
 by 1926 ).

Glaucus, Archaeologia Arabica, edited by Carl müller in his Fragmenta (٥)

historicorum graecorum, Vol, 4. Paris, 1851, P, 409.

(٦) دائرة المعارف الاسلامية . الترجمة العربية ص ٤٨٣ مادة « تأريخ » .



العربية الجنوبية وقد تغلب فيها العنصر القصصى وظهر على العنصر التأريخي . وهو أمر غريب لما عرف عن اليمانيين من تعصب لتأريخهم ، والى كثرة عدد الأخباريين منهم بالقياس الى الأخباريين الممتين الى العدنانيين ، وهو ان دل على شىء فانما يدل على أن اليمانيين المسلمين كانوا قد نسوا تأريخ أجدادهم الذين عاشوا قبل الاسلام ، فلم يختلف أسلوبهم فى رواية تاريخ القحطانيين عن رواية تأريخ العدنانيين ، أى الاعتماد على المشافهة والسماع لا النصوص والكتابات .

وأريد أن أقسم التأريخ الجاهلى فيما يخص علاقته بالرواية العربية المنقولة بالسماع الى قسمين : الجاهلية البعيدة ، والجاهلية القريبة من الاسلام . أما أخبار الجاهلية الأولى فلا يمكن أخذها من المصادر العربية الاسلامية ، لأنها مجموعة أقاصيص وأساطير أخذت من منابع مختلفة ، حاول الرواة الباسها ثوبا قديما ، وارجاعها الى عصور قديمة جدا ، وهى لا تصلح أن تكون مادة تاريخية . فلتدوين هذا القسم لابد من الرجوع الى المصادر الأخرى ولا سيما النقوش . وأما أخبار الجاهلية القريبة من الاسلام التى وقعت منذ سنة خمسمائة بعد الميلاد الى البعثة ، فيمكن أخذها من المصادر العربية الاسلامية ، وقد وعت الذاكرة شيئا من تلك الحوادث ، وحافظت على صورتها الأصلية تقريبا حتى تناولتها أقلام المؤلفين فى العصر الأموى والعباسى الأول فدونوها فى الكتب ، ومنها هذا الذى نتحدث عنه فى الوقت الحاضر .

الحق ، اتنا اذا أردنا الوقوف على أحوال الحياة الجاهلية ، وعلى تفكير الجاهليين فى الحجاز وقوفا صحيحا لا ريب فيه ولا شبهة ، فلا بد لنا من الرجوع الى القرآن الكريم ، ولا بد من تقديمه على سائر المراجع العربية الاسلامية ، وهو فوقها بالطبع . ولا أريد أن أدخله فيها لأنه كتاب مقدس ، لم ينزل كتابا فى التأريخ أو اللغة أو ما شاكل ذلك ، ولكنه نزل كتابا عربيا ، لغته هى اللغة العربية التى كان يتكلم بها أهل الحجاز ، وقد خاطب قوما تتحدث عنهم فى هذا الكتاب ، فوصف حالتهم ، وتفكيرهم وعقائدهم ، ونصحهم وذكرهم بالأئم والشعوب العربية الحالية<sup>(١)</sup> ، وطلب منهم ترك ما هم عليه ، وتطرق الى

---

(١) سورة هود سورة ١١ آية ٩٥ ، سورة الحج سورة ٢٢ آية ٤٢ ، سورة الشعراء سورة ٢٦ آية ١٤١ ، سورة الحاقة سورة ٦٩ آية ٤ ، سورة ق سورة ٥٠ آية ١٤ ، سورة الدخان سورة ٤٤ آية ٣٧ ، سورة الفيل سورة ١٠٥ آية ١ ، سورة البروج سورة ٨٥ آية ٤ .



ذكر تجارتهم ، وسياساتهم وغير ذلك ، وقد مثلهم أناسا كانت لهم صلات بالعالم الخارجي ، واطلاع على أحوال من كان حولهم . وفيه تفنيد لكثير من الآراء المغلوطة التي نجدها في المصادر العربية الاسلامية . فهو مرآة صافية للعصر الجاهلي ، وهو كتاب صدق لا سبيل الى الشك في صحة نصه (١) .

صور القرآن الكريم الجاهلين تصويرا صادقا ، وصفهم كما كانوا ، ورسم النحو الذي كانوا عليه قبيل نزول الوحي ، فذكر آراءهم ومذاهبهم في الحياة ، وتعرض لحياتهم الدينية على قدر ما كان لهذه الحياة من علاقة بمعارضتهم للقرآن والاسلام ، وبين شدة تمسكهم بمثلهم وبعقائدهم تمسكا شديدا ، وتعرض لنواح من الحياة الاقتصادية والسياسية عندهم ، وذكر تجارتهم مع العالم الخارجي ، ووقفهم على تيارات السياسة العالمية ، وانقسام الدول الى معسكرين ، وتكلم على أشياء آخر ستعرض لها فيما بعد . وفي كل ذلك دليل على أن صورة الاخباريين التي رسموها للجاهلية ، لم تكن صورة صحيحة متقنة ، وأن ما زعموه من عزلة شبه جزيرة العرب ، وجهل العرب وهمجيتهم في الجاهلية الجهلاء ، كان زعما لا يؤيده القرآن الكريم الذي خالف كثيرا مما ذهبوا اليه (٢) .

وكتب الحديث وشروحها مورد غنى من الموارد التي لا بد منها لتدوين أخبار الجاهلية القريبة من الاسلام ، نجد فيها ما لا نجده في مورد آخر من موارد التأريخ الجاهلي ، ويمثل الحديث أقدم الروايات الشفوية التي وصلت الينا عن طريق التدوين وأقربها الى الصحة ، لحذر المحدثين في رواية الحديث ، وتشدهم في الاخذ وفي نقد الرجال . ولم يكن هدف أصحاب الحديث رواية أخبار الجاهلية ، وانما ذكرها لما كان حياة الرسول من صلة وثيقة بذلك العهد الذي ولد فيه ، والذي قضى الصحابة أمدا من عمرهم فيه .

ولما كانت هذه الأحاديث بعيدة ، في الغالب ، عن النواحي المؤثرة التي يكون للعاطفة والنزعات النفسية والميول الحزبية أثر عليها ؛ لذلك فهي من الموارد التي يمكن أن يرتاح اليها المؤرخ الناقد بالجملة ، ويمكن ألا يعمل فيها معوله عملا ماضيا في صقل

(١) في الأدب الجاهلي تأليف الدكتور طه حسين ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٣٣ ص ٦٨

وما يليها .

(٢) في الأدب الجاهلي ص ٧٠ وما بعدها .

بناء الرواية أو هدمها • وقد لاحظت قلة عناية من حاول تدوين التاريخ الجاهلي باستخدام الحديث موردا من موارد هذا التاريخ حتى بين المستشرقين ، وهو تقصير يجب أن يذكر ، وعلينا أن نشير الى وجوب الرجوع الى الحديث في تدوين أخبار هذه الجاهلية المتصلة بالاسلام •

والمصورة التي رسمتها كتب الحديث للجاهلية تختلف كذلك عن الصورة المتعارفة ، ففيها أن شبه جزيرة العرب كان لها اتصال بالعالم الخارجي قبل الاسلام ، وعلم بما كان يجري في السياسة العالمية ، وكان فيها أحزاب وشيع تحزب للروم وللفرس ، وكانت تعرف الأسواق العالمية ، وتسير قوافلها وتجارتها اليها ، وفيها أن الرسول كتب الى الملوك والأمراء يدعوهم الى رسالة الاسلام ، وأنه أمر المؤمنين بالهجرة الى الحبشة ، وأنه جادل اليهود والنصارى والوثنيين جدالا دل على علم هؤلاء بالديانات وعلى أن لهم منطلقا وفهما • وفيها أشياء أخرى ستحدث عنها كلها تفند تلك الصورة القائمة التي رسمت لنا عن العرب قبل الاسلام •

والتفسير مصدر آخر من المصادر المساعدة لمعرفة تاريخ ما قبل الاسلام ، وفي التفاسير ثروة تاريخية تفيد مؤرخ هذا الوقت ؛ تشرح له ما جاء مقتضا في كتاب الله ، وتبسط له ما كان عالقا بأذهان الناس عن الأيام التي سبقت الاسلام ، وتحكى له ما سمعوه عن القبائل العربية البائدة التي ورد لها ذكر مقتضب في السور ، وما ورد عندهم من أحكام وآراء ومعتقدات •

ثم « الشعر » والشعر ديوان العرب<sup>(١)</sup> ، تعرض لأيام العرب ، وحروبهم ،

(١) بلوغ الأرب : ٨٢/٣ ، السيوطي : المزهري ٤٧٠/٢ • الجمحي : طبقات الشعراء ص ١٠ ، اندينوري : الأخبار الطوال ٣٣٢ •

« وعن عكرمة قال : ما سمعت ابن عباس فسر آية من كتاب الله - عز وجل - الا نزع فيها بيتا من الشعر ، وكان يقول : اذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله ، فاطبوه في الشعر فانه ديوان العرب » • شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١-٣ • « قال ابن فارس : والشعر ديوان العرب ، وبه حذقت الانساب ، وعرفت المآثر ومنه تعلمت اللغة وهوججة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث صحابته والتابعين » المزهري ٤٧٠/٢ •

Lectures, P, 22. Charles Lyall, ancient Arab Poetry, P, XV.

« وأخرج أبو بكر الأنباري في كتاب انواق من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : اذا سألتكم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فان الشعر ديوان العرب » المزهري ٣٠٢/٢ •



وأنسابهم ، ومفاخر القبائل ، وعقائدهم ، وغير ذلك مما له صلة بالقوم قبل الإسلام . وقد عنى جماعة بجمع أشعار القدماء فجمعوا شعر الشعراء الجاهليين ، ورووا « المعلقات » وهى قصائد شهيرة قالوا انها كانت أبعد القصائد الجاهلية مدى فى الرواية ، وأزفرها حفلا من الحفظ والعناية . وقالوا لها « المذہبات » و « السموط » لزعمهم أن العرب اختارتها فكتبتها بماء الذهب على القباطى ثم علقنها على الكعبة اعجابا بها واشادة بذكرها ، وقد بقى بعضها الى يوم الفتح وذهب ببعضها الآخر حريق أصاب الكعبة قبل الإسلام (١) .

وقد أنكر جماعة من العلماء تعليق هذه المعلقات ، ومنهم : أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ للهجرة ، فعنده « أن حمادا هو الذى جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة (٢) » . ومن أنكر تعليقيها أيضا من المستشرقين المستشرق الألمانى « نولدكه » صاحب الأبحاث الشهيرة فى الشعر العربى (٣) .

ولشعر الشعراء المخضرمين وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام أهمية كبيرة فى تدوين تاريخ الجاهلية المتصلة بالإسلام . فقد تعرض هؤلاء لكثير من الأحداث التى وقعت فى الجاهلية ، كما تعرضوا لحياة الملوك والمشايخ الذين أدركوهم ، فورد فى شعرهم ما يتعلق بالفلسفة والمناذرة ، وبمشايخ القبائل ، وبأحوال قبائلهم فى مختلف أنحاء شبه الجزيرة (٤) .

ويعود الفضل فى الغالب الى الشعر فى بقاء كثير من الروايات ، وتناقلها بين الرواة وانتشارها ، حتى أن كثيرا من الروايات قد نسبت بسبب ذهاب الشعر الذى جاء فى تلك المناسبات ونسيانه ، فى حين ان أشعارا جديدة - كانت تنظم فى مآثر القبائل والأيام ، والأنساب ، وما الى ذلك - كانت تخلق قصصا جديدا وروايات جديدة . ولا تخلو أيام

(١) المزهر ٢/٤٨٠ « فإذئذ يقال مذهبة فلان اذا كانت أجود شعره » .  
Nöldeke, Beiträge. P, IX. Arnold, Septem moallakat, Leipzig 1850. L. Abel,  
Wörterverzeichnis zur altarabischen Poesie, Berlin, 1891. Dr Abel mu'alla.  
qatausgabe nachgeprüft, Studien in Arabischen Dichter 1, Berlin. 1893-4.

(٢) ياقوت : الارشاد ٤/١٤٠ .

(٣) Nöldeke, Beiträge. P, XVII f.

(٤) مثل شعر حسان بن ثابت الذى تعرض لكثير من الأحداث التى وقعت فى الجاهلية . ديوان حسان بن ثابت « طبعة سلسلة كب » تحقيقى هرشفلد لندن ١٩١٠ .



العرب من شعر تختلف نسبته بحسب نوع الرواية • وقد يكون الشعر ذا علاقة بعيدة أو عرضية بالرواية • وقد يكون هو السبب في ظهور الرواية حيث ترد شرحا له وتفسيرا<sup>(١)</sup> • ويلاحظ أن الرواة قد أكثروا من الشعر في الروايات اليمانية بمناسبة وبغير مناسبة ، وأكثره من النوع المنحول الذي قيل على ألسنة التبابعة لتأكيد أنهم كانوا يقولون الشعر وينظمون القصائد ، ويتكلمون بهذا اللسان لسان القرآن • ولعل الرواة تعمدوا ذلك لستر ضعف رواياتهم والركاكة البادية عليها ، وتغطية اختفاء العنصر التاريخي فيها بهذا الشعر •

ويجب أن نأخذ هذين الشعريين بحذر ، وخاصة الشعر الجاهلي فيه شيء غير قليل وضع على لسان الجاهليين ، وضعه أناس عرفوا بالمهارة والحذق في الصنعة والعلم بأساليب الشعر القديم ، وقد بحث في ذلك رجال الأدب ؛ من عرب ومستشرقين<sup>(٢)</sup> • وتعرضت كتب السير والمغازي لأخبار الجاهلية بقدر ما كان للجاهلية من صلة بتاريخ الرسول • كما تعرضت لها كتب التاريخ والأدب وكتب الأنساب والمثالب والبيوتات ومجامع الأمثال والكتب التي ألفت في أخبار المعمرين ، وفي الأيام ، والبلدان ، والمعجمات والجغرافية والسياحات وغير ذلك ، فورد في ثناياها أخبار قيمة عن هذه الجاهلية المتصلة بالاسلام • وهي موارد عظيمة الأهمية لمؤرخ هذه الحقبة ، كثيرة

(١) دائرة المعارف الاسلامية • الترجمة العربية ص ٤٨٤ •

(٢) Nöldeke, zur Geschichte und Kritik der altarabischen Poesie in Beitr. zu Kenntnis der Poesie der alten Araber. Hannover 1864. Ahlwardt, Bemerkungen über die Echtheit der alten Arabischen Gedichte. Greifswald 1872. Margoliouth, The origins of Arabic Poetry, JRAS 1925, P, 417-49.

راجع كتاب الدكتور طه حسين « في الشعر الجاهلي » • طبع القاهرة ١٩٢٦ وقد أثار هذا الكتاب حملة عنيفة عليه فآلف جماعة في تفنيده • ذكر أسماء بعضهم « بروكلمن »

Brockelmann, Erster Teil Suppl. p, 32.

« كان بالكوفة جماعة من رواة الشعر مثل حماد الراوية وغيره ، وكانوا يصنعون الشعر ، ويقتنون المصنوع منه وينسبونه الى غير أمه • وقد حدثني سعيد بن هريم البرجمي قال : حدثني من أتق به أنه كان عند حماد ، حتى جاء أعرابي فأنشده قصيدة لم تعرف ، ولم يدر إن هي ، فقال حماد : اكتبوها ، فلما كتبوها ، وقام الأعرابي ، قال : لمن ترون أن نجعلها ؟ فقالوا أقوالا ، فقال حماد : اجعلوها لطرفة • « المزهر ٤٠٦/٢ »

العدد ، هيأها عدد كبير من العلماء ، لا يمكن استقصاؤهم في هذه المقدمة ، والتحدث عن مؤلفاتهم ، وهو حديث يحتاج الى فصول . وسنكتفى بالتحدث عن بضعة أشخاص ، لنا لهم من علاقة متينة بهذا الموضوع ، على أن نتحدث عن الآخرين في المحال المناسبة من الكتاب .

### المؤرخون المسلمون :

لا يتجاوز ما ذكره المؤرخون والأخباريون ، ورجال الأدب عن العصر الجاهلي القرن الخامس للميلاد على أكثر تقدير<sup>(١)</sup> . وأما ما روى على أنه فوق ذلك ، فكله قصص شعبي ، أو قصص متأثر بالتوراة .

لقد تحدثوا في الأنساب ، وفي عاد وئمود وطسم وجديس وجرهم ، وتكلموا على المباني « العادية » ، فسبوا أكثرها الى جن سليمان ، وعمل سليمان ، ونسبوا الباقي الى « عاد » . ورووا شعرا ونثرا زعموا أنه مما حفظ عن التبابعة وهو لا يخلو اما أن يكون من القصص الشعبي ، أو من القصص المتأثر بالتوراة ، أو من نسج خيال الرواة والأخباريين الذين ادعوا العلم بأخبار الماضين . ويعد ذلك من قبيل الأساطير التي رواها اليونان والاسرائيليون والرومان وسائر الشعوب الأخر عن العصور التي سبقت عندهم عصور الكتابة والتدوين .

ونجد - بصورة عامة - أن أخبار القبائل والامارات العربية الشمالية ، مثل المناذرة والغساسنة وعرب تدمر ، أقرب الى التاريخ والواقع من أخبار عرب شبه الجزيرة بما في ذلك أخبار اليمن ، ويعود سبب ذلك في نظري الى عنايتهم بتدوين أخبارهم ، والى عناية المؤرخين الأعاجم بتدوين أخبارهم كذلك ، كالسريان واليونان والرومان والفرس ، ووقوف الرواة عليها ، ثم قرب عهدهم من الاسلام .

جاء أن أهل الحيرة كانوا يعنون بتدوين أخبارهم وأنسابهم وأنساب ملوكهم وأعمار من ملك منهم وكانوا يضعون ذلك في بيع الحيرة<sup>(٢)</sup> ، وورد أن النعمان ملك الحيرة أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج وهي الكراريس فكتبت له ثم دفنها في قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن أبي عبيد قيل له : ان تحت القصر كنزا ، فاحتفره فأخرج

(١) R. Nicholson. A Literary History of the Arabs, P, XXII.

(٢) الطبري ٣٧/٢ .



تلك الأشعار<sup>(١)</sup> وذكر ابن سلام الجمحي أنه كان عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته فصار ذلك الى بنى مروان أو ما صار منه<sup>(٢)</sup> . وهي روايات لا نستطيع أن نقف منها موثقا ايجابيا في الوقت الحاضر ، وستحدث عنها فيما بعد .

وذكروا أنه كان بين سكن الحيرة أناس يحسنون القراءة والكتابة واللغات الأعجمية كالفارسية والسريانية واليونانية ، وقد ظهر من بينهم من ألف مباحث في الكتاب المقدس وفي الموضوعات اللاهوتية ، والطبية ، واللغوية<sup>(٣)</sup> والنأريخية ؛ وكان بينهم من له وقوف على كتب التأريخ وأخبار الملوك ، ومنهم تعلم « النضر بن الحارث » أخبار العجم ، فلما رجع الى الحجاز قام يحدثهم عن رستم ، وعن اسفنديار ، وملوك فارس<sup>(٤)</sup> وقد نقل غيره ممن اتصلوا بالحيرة - وكانوا يتصدون ملوك المناذرة أو الفساسنة - مثل هذه الاخبار الى سائر أنحاء شبه الجزيرة ، وهذا مما ساعد على حفظ تواريخ عرب الشمال .

وقد وقف أهل الحيرة على مؤلفات فارسية وضعت في التأريخ ، وقد ترجم بعضها الى العربية قبل الاسلام ، ونقل قسم منها الى العربية في الاسلام ، مثل « كتاب سير العجم »<sup>(٥)</sup> أو « كتاب خدای نامه في السير »<sup>(٦)</sup> أو « كتاب سير الملوك » أو « سير ملوك العجم »<sup>(٧)</sup> ترجمة عبدالله بن المقفع ، و « كتاب التاج »<sup>(٨)</sup> للمترجم نفسه ، وكتب

(١) تاج العروس ٧٠/٢ . لسان العرب ١٤٢/٣ .

(٢) طبقات الشعراء ص ١٠ ، المزهرة ٤٧٤/٢ .

(٣) يوسف رزق الله غنيمية : الحيرة ص ٥٧ ( بغداد سنة ١٩٣٦ ) Nabia, PP. 5

(٤) سيرة ابن هشام « تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد » ٢٨١/١ .

Brockelmann, G.A.L. Vcl, I P. 31

(٥) ابن قتيبة : عيون الاخبار ١١٧/١ وسيكون رمزه « عيون » ( طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٥ ) .

(٦) ابن النديم : الفهرست ١٧٢ « خدای نامه وهو الكتاب الذي لما نقل من الفارسية الى العربية سمي كتاب تأريخ ملوك الفرس » حمزة ١٥ . « وهو في حكاية حمل ما في خدای نامه لم يحكمها ابن المقفع ولا ابن الجهم فجدت بها في آخر هذا الباب ٠٠٠ » حمزة ٤٣ « كتاب خدينامه في السير » .

(٧) عيون ١١٧/١ .

(٨) عيون ٥/١ « كتاب التاج في سيرة أنوشروان » الفهرست ١٧٢ .

أخرى كانت شائعة عند الفرس معروفة ، يحافظون عليها ، ورد فيها أخبار عرب العراق وعرب الشام في جملة ما ورد من أخبار ذات صلة بتاريخهم ، رجع إليها ابن الكلبي وجمهرة من المؤرخين في تدوين تاريخ الحيرة وعرب العراق (١) .

وعلى أخبار الرواة الاسلاميين الذين استقوا من هذا المعين الاثر الفارسي في الرواية ، والنزعة الى العجم . ولما كانت هذه المؤلفات أقدم ما وصل الى أيدي الاخباريين ذهب « كولدتهير » الى الاثر الفارسي في ظهور علم التأريخ عند العرب (٢) . وقد أيده في هذا الرأي « بروكلمن » (٣) وهو موضوع يحتاج الى بحث في الوقت الحاضر ، ما دام العلماء لم يقوموا حتى الآن بمقارنة الروايات العربية بالروايات الأخرى ، المبعثرة في نوايا كتب التاريخ . وعلى كل فليس في وسع أحد أن ينكر أثر التحيز الى الفرس في هذا المدون على أنه تأريخ للمناذرة ولعرب العراق .

ويكاد يكون أكثر ما دون عن « الفساسنة » في المؤلفات العربية الاسلامية مأخوذا من الروايات المتأثرة بالفارسية ، ومن الكتب الفارسية المترجمة الى العربية ، وتكاد ترجع في الغالب الى شخص واحد ، تخصص بأخبار الحيرة وملوك الفرس ؛ هو هشام بن محمد الكلبي ، وهو الذي روى هذه الأخبار اعتمادا على بحوثه الخاصة ، وعلى البحوث والدراسات التي قام بها والده من قبله . ويجب أن نجعل لهذه الملاحظة الاعتبار الأول في تدوين تاريخ الفساسنة . وقد وردت أخبارهم في الطبری مع أخبار ملوك الحيرة والفرس لهذا السبب ، وأما في سائر الأصول التاريخية الأخرى ، فهي مقتضبة وقد اكتفى بعضها بإيراد جريدة بأسماء الملوك ، وهو عمل ينبك بقله بضعة القوم في تاريخ عرب الشام . وعلى كل حال - فإنا نجد في كتب الأدب وفي دواوين الشعر عوننا لنا في تدوين تاريخ غسان ، وإن كان ذلك كله لا يكفي ، إذ لا بد من الاعتماد على الأصول اليونانية والسريانية التي كشفت لنا عن نواح مجهولة كما صححت شيئا كثيرا مما ورد في المصادر العربية من أغلاط (٤) .

(١) المسعودي : مروج ١٤٦/١ التنبيه والاشراف ٩٢ . « وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المنذر التيمي عن عمر لعمري في كتاب له في أخبار الفرس يصف فيه طبقات ملوكهم ممن سلف وحذف ٠٠٠ » مروج ١٦٩/١ .

(٢) *Journal of the Royal Asiatic Society*, Vol. I, P, 143.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) أمراء غسان لنولدكه ترجمة الدكتور قسطنطين زريق والدكتور بنسلي جوزي (بيروت سنة ١٩٣٣) ص ٢١ .



ولا تخلو روايات ابن الكلبي العراقي الكوفى من أثر التعصب لأبناء قومه  
المجاورين له على الفسائنة . ولذلك فقد تعارض رواياته وروايات من اعتمد على  
المراجع الفارسية - العراقية ، مع روايات علماء اللغة والأدب وأخبارهم التي وردت  
استطرادا عن أهل الحيرة أو الفسائنة ومرجعهم الروايات العربية الخالصة ، ويمكن  
ادراك اتجاهها وميولها بوضوح ، ولهذا تستحسن الموازنة بين الروايتين . أما روايات  
أهل المدينة فهي فى مصلحة الفسائنة فى الأكثر ، وقد كانوا أكثر اتصالا بهم من اتصالهم  
بآل لحم ، وقد كان شعراؤهم يفتخرون باتسابهم هم وآل غسان الى أصل واحد ودوحة  
واحدة هى الأزد . ولهذا يستحسن التفكير فى هذه النقطة بالنسبة لروايات أهل  
المدينة ، ولا سيما حسان بن ثابت الأنصارى ، عن آل غسان .

ومما يؤسف له أن المؤرخين المسلمين لم يعرفوا من المناهل اليونانية والسريانية  
لتدوين أخبار العرب قبل الاسلام ، مع أنها أضبط وأدق من الأصول الفارسية ، ومن  
الروايات التى تعتمد على المشافهة بالطبع . وقد كان من عادة اليونان الحاق عسدد من  
المخبرين والمسجلين الرسميين بالحمولات لتسجيل أخبارها . وقد وقف بعض المؤرخين  
على مؤلفات كانت قد ترجمت من الرومية ومن السريانية ، نقلها جماعة من النصارى  
ونقلوا منها أخبار المجامع الكنيسية وشيئا من عقائد النصارى ، وأخبار ملوك الروم ، كما  
فعل المسعودى<sup>(١)</sup> وحمزة الأصفهاني ، غير أن هذا النقل كان فى دائرة ضيقة ،  
ولا سيما بالنسبة لعلاقات اليونان والروم بالعرب وانتشار النصرانية فى شبه جزيرة  
العرب قبل الاسلام .

وإذا تعمقنا فى دراسة القصص والسمر والأيام ، وقارنا ذلك بالنتائج التى حصل  
عليها المستشرقون من دراسة الأصول اليونانية والرومانية والسريانية والكتابات ، فقد  
توصل الى نتائج طريفة ترينا كيف تحولت الحقائق التاريخية الى شئ من الاساطير . فقد  
وضعت الروايات العربية مثلا « زنوبيا » أو « زينب » فى المرتبة الثانية ، وأعطت الدور  
الأول لشخصية أخرى دعته « الزباء » قالت انها أخت « زنوبيا » وقد أخذ الأخباريون  
اسم « الزباء » من اسم قائد « زنوبيا » الشهير الذى ألقى الرعب فى نفوس القبائل والحدود

(١) مروج الذهب ، ١٨٧/١ ، ٢٠٣ التنبيه ١٣٢ . « وهذه التواريخ أخذتها عن رجل  
رومى . » وقال وكيع : نقلت هذه التواريخ من كتاب ملك من ملوك الروم تولى نقله الى  
العربية بعض المترجمة « حمزة : كتاب تاريخ سنن ملوك الأرض والأنبياء ص ٤٨ ، ٥٢ .

السورية وهو القائد « زبدای » • الذى ترك أثرا عميقا فى نفوس رجال البادية وقبائل الحدود ، رفعه الى الدرجة الأولى فى الرواية • فارتفع بذلك اسم « الزباء » وتقدم على « زنوبيا » وجعلت الروايات - أيضا - من الثغرة التى عملتها « زنوبيا » فى سور تدمر ( حينما أطبقت على المدينة جيوش « أورليان » ) للهرب منها ، نفقا يصل قصر الزباء بقصر أختها على ضفتى نهر الفرات ، كما أوجدت من قصة مقتل « أذينة » زوج « زنوبيا » بأيد غادرة فى اثناء ضيافة ، قصة مقتل « جذيمة » بتدبير « زنوبيا » ومؤامرتها فى ضيافتها<sup>(١)</sup> • وقد أطلقت بعض الروايات على أخت « الزباء » اسم « زبيبة »<sup>(٢)</sup> • فلهذه القصة اذن أصل كما رأيت ، وفى وسع المؤرخ الوصول الى مثل هذه النتائج اذا ما قام بتحليل تلك القصص وتيسرت له الموارد المساعدة •

وفى طليعة من اشتغل برواية أخبار ما قبل الاسلام عبيد بن شريفة ووهب بن منبه ومحمد بن السائب الكلبي وابنه أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي • فأما عبيد بن شريفة<sup>(٣)</sup> فقد كان من أهل صنعاء ( فى رواية ) أو من سكنة الرقة ( فى رواية أخرى ) وكان معروفا عند الناس بالقصص والأخبار ، فطلبه معاوية ، فصار يحدثه بأخبار الماضين<sup>(٤)</sup> • ومن الكتب المنسوبة اليه : كتاب الأمثال ، وكتاب الملوك وأخبار الماضين ، وقد طبع فى ذيل « كتاب التيجان فى ملوك حمير » المطبوع بحيدر آباد

(١) Brockelmann, G.A.L, I, P, 32. JRAS.XIX 583. 597. A. Müller. Der Islam, I, P. III.

ونجد فى قصة « سميراميس » ذكر نفق كهذا النفق المنسوب الى الزباء • ونجد مثل ذلك فى قصص شعوب أخرى •

(٢) « وكانت للزباء أخت يقال لها زبيبة » الطبرى ٣٢/٢ •

(٣) المفهرست ٣٢ ، السجستاني : كتاب المعمرين ٤٠ ، ياقوت : الارشاد ١٠/٥ وما بعدها • Brockelmann, Vol. I, P. 64. Suppl. Vol. I, P. 100 Von Kremer, •

Südarabische Sage. 16-32. Muh, Stud, Vol, I, P, 183.

(٤) ولتنسیر الأمثال العربية القديمة الواردة فى القصص : راجع Muh, Stud. I, P, 182. not, 5. الأغانى ٢١/١٩١ ، ٢٠٦ •

« فأمر به معاوية فأنزله فى قربه وأخدمه وأمر من يجرى وظيفته ووسع عليه والطفه - فاذا كان ذلك فى وقت السمير فهو سميره فى خاصته من أهل بيته وكان يقص عليه ليله ويذهب عنه همومه وأنسائه كل سمير كان قبله ولم يخطر على قلبه شئ قط الا وجد عنده شميما وفرحا ومرحا - فاذا كان يحدثه وقائع العرب وأشعارها وأخبارها ، أمر أهل ديوانه أن يوقعوه وبدونوه فى الكتب • • • » أخبار عبيد بن شريفة الجرهمي فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها ص ٣١٢-٣١٣ •



دكن بالهند<sup>(١)</sup> بعنوان « أخبار عبيد بن شريفة الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها » . وقد وضع الكتاب على الطريقة التي تروى بها أيام العرب وفيه أشعار كثيرة وضعت على لسان عاد وثمود ولقمان<sup>(٢)</sup> وطسم وجديس والتبابعة . وفيه قصص اسرائيل وشعبي يمثل في جملته السذاجة وضعف ملكة النقد ، ومبلغ علم الناس في ذلك الوقت بأخبار الأوائل<sup>(٣)</sup> .

وقد حصل « كتاب الملوك وأخبار الماضين » على شهرة بعيدة ، وطلب في كل مكان ، وكثرت نسخه ، ومع هذه الكثرة اختلفت نسخه ، حتى صعب العثور على نسختين متشابهتين منه<sup>(٤)</sup> . وقد نقل الهمداني ( المتوفى سنة ٣٣٤ للهجرة ) من هذه الكتب المنسوبة لعبيد<sup>(٥)</sup> . والطابع الظاهر على أخبار عبيد هو التصص الشعبي والقصص المتأثر بالاسرائيليات . وأما الشعر الكثير انذى رواه على أنه من نظم التبابعة وغيرهم - وفيه قصائد طويلة - فلا ندرى أم من نظمه أم من نظم أشخاص آخرين قالوها على لسان من زعموا أنهم نظموها أو أنها أضيفت فيما بعد الى الكتاب ونسبت الى عبيد ؟ وعلى كل فهي تستحق توجيه عناية الباحثين .

وأما وهب بن منبه فقد كان من أهل « ذمار » وكان قاصا أخباريا ، من الأبناء ، ويقال انه كان من أصل يهودي ، واليه ترجع أكثر الاسرائيليات المنتشرة في المؤلفات العربية . وقد زعم أنه كان ينقل من التوراء وكتب بنى اسرائيل وأنه كان يقول « قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتابا »<sup>(٦)</sup> ، وأنه كان يتقن اليونانية والسريانية ، والحميرية وأنه كان يحسن قراءة الكتابات القديمة الصعبة التي لا يقدر أحد على قراءتها . قال

(١) طبع سنة ١٣٤٧ هـ . ويرى المستشرق كرنكو أن الجامع له ابن هشام مؤلف

التيجان . راجع ملحوظة ١ ص ٣١٢ .

(٢) Muh. Stud. Vol, 2. P. 204.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية ص ٤٨٣ .

(٤) Muh. Stud. I. P. 182-183. Brockmann G.A.L. I. P. 64-65 wüstenfeld

Gesch. 5. Lidzbarski, De Prophetis qu. d. legendis arabicis. Leipzig. 1893. 1-2.

(٥) الاكليل ( طبعة الكرمل ) ٧١/٨ ، ١٨٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ومواضع

أخرى .

(٦) ارشاد الأريب ٧/٢٣٢ .

المسعودى : « وجد فى حائط المسجد <sup>(١)</sup> لوح من حجارة فيه كتابة باليونانية فعرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يمتدروا على قراءته ، فوجه به الى وهب بن منبه فقال : هذا مكتوب فى أيام سليمان بن داود عليهما السلام فقرأه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم لو عاينت ما بقى من يسير أجلك ، لزهدت فيما بقى من طول أملك ، وتصرت عن رغبتك وحيلك ، وانما تلقى قدمك ندمك اذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك ، وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ، ثم صرت تدعى فلا تجيب فلا أنت الى أهلك عائد ولا فى عملك زائد ، فأغتم الحياة قبل الموت ، والقوة قبل الفوت ، وقبل أن يؤخذ منك بالكظم ، ويحال بينك وبين العمل . وكتب زمن سليمان بن داود <sup>(٢)</sup> . وفى كتاب « التيجان فى ملوك حمير » رواية ابن هشام نماذج لقراءته ، وهى على هذا النسق .

والذى يهمنا بالطبع من أمر وهب أخباره عن عرب ما قبل الاسلام ، ولوهب أخبار عن اليمن والاقوام العربية البائدة ، أما عن عرب شمال شبه الجزيرة فالظاهر أنه لم يكن له علم بأخبارهم . ونجد رواية وهب عن نصارى نجران وتعذيب « ذى نواس » إياهم وتصة الراهب « فيميون » <sup>(٣)</sup> مطابقة للروايات النصرانية ولما جاء فى كتاب « شمعون الأرشامى » عن هذا الحادث . والظاهر أنه كان قد أخذها من المؤلفات النصرانية أو من الأشخاص الذين كانوا سمعوا بهذه الأنباء . وقد كان وهب يستمد أخباره من النصارى ، ففى رواياته أخبار لا بد أن يكون وهب قد أخذها منهم <sup>(٤)</sup> . كما كان يستعين بالكتب ، جاء فى الأخبار أن همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليماني أبا عقبة الصنعاني الأبنواوى ، وهو شقيق وهب بن منبه ، كان يشتري الكتب لأخيه <sup>(٥)</sup> .

(١) يعنى مسجد دمشق وذلك فى أيام الخليفة الوليد .

(٢) مروج ١٥٢/٢ ( طبعة المطبعة البهيمية سنة ١٣٤٦هـ ) .

(٣) راجع الطبرى ١٠٣/٢ ، أيضاً ما كتبه عنه فى الجزء الأول من مجلة المجمع

العلمى العراقى فى « موارد تاريخ الطبرى » سنة ١٩٥٠ .

(٤) Ency. Vol. 4. P. 1084. تفسير الطبرى ١٤٧/٣ ، ١٧٧ ، ( مولد المسيح

وحياته ) ٤٣/١٦ ( الحمل ) . المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن . تانين كولدتزهير

ترجمة على حسن عبدالقادر ص ٨٨ ، تاريخ الطبرى ١٠٢/١ ، تفسير الطبرى ٤٣/١٦ ،

مجلة المجمع ١٩٠/١ .

(٥) تهذيب التهذيب ٦٧/١١ .



ومن الكتب المنسوبة لوهب « كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم »<sup>(١)</sup> ، وقد تناول أخبار التبابعة ، والظاهر أن « كتاب التيجان في ملوك حمير » الذي طبع في الهند<sup>(٢)</sup> رواية ابن هشام أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ( المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ للهجرة ) قد استند إليه ، بعد أن أضاف إليه أخبارا أخذها من مؤلفات محمد بن السائب الكلبي<sup>(٣)</sup> وأبي مخنف لوط بن يحيى<sup>(٤)</sup> ، وزياد بن عبدالله بن الطفيل العامري أبي محمد الكوفي المعروف بالبكائي رواية ابن اسحاق<sup>(٥)</sup> . وهو خليط من الاسرائيليات والقصص الشعبي اليماني ومن مواد أخرى قد تكون من وضعه ، أو من صنعة آخرين ، صنعوها قبله فأخذها من ألسنة الناس ، مثل تلك القصائد والأشعار الكثيرة المنسوبة الى التبابعة وغيرهم . وقد أورد في الكتاب أسماء أخذت من التوراة ، ذكرها بنصها كما تلفظ في العبرانية<sup>(٦)</sup> ، وأما سائر الأخبار الواردة في الكتاب ، فالغالب عليها السذاجة ، والبساطة ، فلا نجد فيها عمقا ولا مادة تاريخية غزيرة كالمادة التي نجدها في مؤلفات ابن الكلبي ، وفي مؤلفات الهمداني الذي عاش بعده ولذلك فيمكن عد عبيد بن شربة ، ووهب بن منبه في طبقة « القصاص » .

(١) ياقوت : ارشاد الأريب ٢٣٢/٧ « كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك » . وعثر على مجمعة من الأوراق المخطوطة في خزانة كتب « هايدلبرك » بألمانية ، رأى « بيكر » أنها جزء من كتاب المغازي لوهب بن منبه .  
C. H. Becker, Papyri Schott-Reinhardt, t. 8. Fück, Muhammad Ibn Ishāq. P, 4  
Ency. Vol, 4, P, 1084-1085.

(٢) في حيدرآباد دكن سنة ١٣٤٧هـ . وبذيله « كتاب أخبار عبيد بن شربة الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها » ، وقد مر ذلك .

(٣) التيجان ص ١٣٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ومواضع أخرى .

(٤) التيجان ١٢٥ ، ١٨٠ ومواضع أخرى .

(٥) التيجان ٦٦ ، ٧٥ . ومواضع أخرى . راجع عن البكائي : لسان الميزان ٨٣٦/٦ . سيرة ابن هشام ( تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ) ١٦/١ ، كتاب الكني واللقاب ٨٢/٢ لعباس بن محمد رضا القمي ؛ طبع مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٥٨ هـ .

(٦) Ency. 4. P, 1084. راجع ما كتبه « كرنكو » عن الكتابين كتاب التيجان

وكتاب أخبار عبيد في مجلة « The Islamic Culture » المجلد الثاني بعنوان :

« The Two Oldest Books on Arabic Folklore » . دائرة . ص ٤٨٤ .

ولأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ للهجرة<sup>(١)</sup> فضل كبير على دراسات تأريخ العرب قبل الاسلام ؛ فأغلب معارفنا عن هذا العهد تعود اليه . وقد سلك مسلكا جعله فى طليعة الباحثين فى الدراسات الاثرية عند المسلمين ، برجوعه الى الاصول ، واعتماده على المراجع التاريخية متبعا سبيلا تختلف عن سبيل أهل اللغة ، وطريقة اللغويين فى البحث<sup>(٢)</sup> ، وهو - بطريقته هذه - قريب من طريقة المؤرخين فى تدوين التاريخ .

ولكنه لم يخل مع ذلك من مواطن الضعف التى تكون عادة فى الاخباريين ؛ مثل سرعة التصديق ، ورواية الخبر على علته دون نقد أو تمحيص . وقد اتهم بالوضع والكذب<sup>(٣)</sup> ، ولذلك تجنب جماعة من العلماء الرواية عنه ، وقالوا عن بعض أسانيدہ انها سلسلة الكذب<sup>(٤)</sup> . وذهب « بروكلمن » الى أن ما أتهم عليه ابن الكلبى لم يكن كله صحيحا ، وان البحوث العلمية التى قام بها المستشرقون دلتهم على أن الحق كان فى

(١) والده أبو النصر محمد بن السائب بن بشر الكلبى المتوفى سنة ١٤٦ للهجرة ، من علماء الكوفة بالتفسير والاخبار والانساب . الفهرست ١٣٩ ، الاغانى ١٦/٩ ، ٤٨/١١ ، ١٦١/١٨ ، ابن سعد : الطبقات ٦/٢٥٠ ، ابن خلكان : الوفيات ٣/١٣٤ وما بعدها ، ياقوت : ارشاد الأريب ٧/٢٥٠ ، تذكرة الحفاظ ١/٣١٣ تاريخ بغداد ١٤/٤٥ وما بعدها ، الأنبارى : نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ١١٦ ، تهذيب التهذيب ٩/١٧٨ كتاب الأصنام تحقيق أحمد زكى باشا .

Ency. Vol. 2. 689. Muh. Stud. I. 186. Nöldeke, Gesch. der Arab. Und Perser, P. XXVII. ZDMG. XLIII. 116. Brockelmann G.A.L. Vol. I. P. 211.

Brockelmann, G.A.L. Vol. I. P. 138. (٢)

(٣) لسان الميزان ٦/١٩٦-١٩٧ ، تذكرة الحفاظ ١/٣١٣ ، الاغانى ٩/١٩ ، ١٦١/١٨ ، الخطيب ، تاريخ بغداد ١٤/٤٥ ، ارشاد الأريب ٧/٢٥٠ ، ابن سعد : الطبقات ٦/٢٤٩ ، الأنبارى ١١٦ ، « وهذا من أكاذيب ابن الكلبى وانما ذكرته على ما فيه لئلا يسمتط من الكتاب شئ قد رواه الناس وتداولوه » . الاغانى ٩/١٩ . « وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبى ، والتولىد فيه بين ، وشعره شعر ركيك غث لا يشبه أشعار القوم . وانما ذكرته لئلا يخلو الكتاب من شئ قد روى » الاغانى ١٦١/١٨ .

(٤) مثل سنده عن أبى صالح عن ابن عباس . ووجد من دافع عنه : ارشاد الأريب ٢/١٥٨ .



جانبه فى كثير من المواضع التى اتهم عليها<sup>(١)</sup> . ولم يبق من تلك القائمة الطويلة التى ذكرها ابن النديم على أنها مؤلفات ابن الكلبي غير قليل<sup>(٢)</sup> . وهى فى المآثر والبيوتات والمنافرات والمؤودات وفى أخبار الأوائى ، وفيما قارب الاسلام من أمر الجاهلية ، وفى أخبار الشعر وأيام العرب ، وفى الأخبار والأسمار والأنساب<sup>(٣)</sup> .

وهناك بعض انشبه بين بحوث أبى عبيدة ( المتوفى سنة عشر ومائتين<sup>(٤)</sup> ) الذى كان له علم بالجاهلية ومصنفات وبحوث فى القبائل والأنساب<sup>(٥)</sup> وبين ابن الكلبي فى اتجاهه ومناحيه تتناول بحوث ابن الكلبي - فى الأغلب - الغرض الذى ترمى اليه بحوث أبى عبيدة . غير أن مرجع الفضل اليه ، فى عنايته بتدوين الأخبار التاريخية الخاصة بمدينة الحيرة ، وأسرتها المالكة مستندة الى المصادر والوثائق المكتوبة<sup>(٦)</sup> . وهناك عدد آخر من العلماء كالأصمعي وسائر من اشتغل بالأنساب واللغة والأدب كان لهم فضل كبير فى جمع أخبار الجاهلية القريبة من الاسلام ؛ وقد تولدت من شروحهم وأمالهم وكتبهم ثروة تاريخية قيمة لم ترد فى كتب التاريخ .

ونجد فى سيرة ابن اسحاق - التى لم يبق أصلها ( مع الأسف ) بل نجد شيئا مقتضا منها فى مثل سيرة ابن هشام وتاريخ الطبرى مادة تخص عرب ما قبل الاسلام . مثل تاريخ اليمن ، وقد أخذها ابن اسحاق من جماعة من الرواة الذين كانوا يعنون بهذا

Brockelmann G. A. L. 1-139. Nöldeke, übers, d. Tabari, XXVII. Ency. (١)

2-689.

دائرة ٤٧٣ ، مجلة الأبحاث : السنة ٣ ج ٢ حزيران ١٩٥٠ ص ١٨٩ - ١٩١ .

(٢) الفهرست ١٤٠ ، ارشاد الأريب ٢٥١/٧ ،

Brockelmann. I. G.A.L. I. P, 138 Suppl. I. P. 211 f

(٣) الفهرست ١٤٠ ، وفيات الأعيان ٢٥٨/٢ .

(٤) الفهرست ص ٧٩ « وقيل احدى عشرة وقال أبو سعيد سنة ثمان وقيل سنة

تسع . . » « أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي » ، « وقيل كان شعوبيا يطعن فى الأنساب »

ياقوت : ارشاد الأريب ١٦٥/٧ .

Ency. Vol, I. P. 112. Muh. Stud. Vol, I. P. 195. Flügel, Die (٥)

Grammatischen Schulen. PP. 68. Brockelmann, G. A. L. Vol, I. P. 103.

(٦) دائرة ٤٨٥ .

الأمر وبينهم ثلثة كانوا من أصل يهودى ؛ مثل وهب بن منبه<sup>(١)</sup> ، وأبى مالك بن ثعلبة ابن أبى مالك القرظى<sup>(٢)</sup> ، ومحمد بن كعب القرظى<sup>(٣)</sup> ، وأمثالهم . كما أخذ عن جماعة من أهل نجران<sup>(٤)</sup> ، والغالب أنهم كانوا من النصارى فى الأصل . وقد أخذ عن هؤلاء ، ما يخص أمر اليهودية والنصرانية فى اليمن ، وتعذيب « ذى نواس » لنصارى نجران . ولا أريد أن أطيل على القارىء ، فأعرض له جريدة أسماء من كتب فى الجاهلية القريبة من الاسلام ، فمكانها فى ختام الكتاب . ولهذا السبب رأيت تأجيل البحث فيها وبسط الكلام عليها ، وسأتعرض لها عندئذ بالنقد . ولكن لا بد لى من التعرض لتؤرخ حصىف من مؤرخى اليمن جاء بمعارف قيمة من تأريخ بلاده القديم ، أعنى الهمداني أبى محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف المتوفى سنة ٣٣٤ للهجرة<sup>(٥)</sup> ، فقد بذل هذا العالم مجهودا يقدر فى تأليف كتبه - التى تدل على اطلاع واسع على أماكن اليمن وقائلها وتاريخها - فجاء بمعلومات ساعدت كثيرا فى ضبط تأريخ اليمن القديم . وحاول - قدر طاقته - وصف الأماكن القديمة ، ومعرفتها ، وقراءة الكتابات التى شاهدها وتفسيرها . وهذه نقطة جديرة بالدرس والعناية ، لم تدرس دراسة علمية حتى الآن ، وهى : هل كان علماء اليمن يحسنون قراءة خط المسند وفهم معانى ما جاء فيه ، والى أية

(١) الطبرى ١٠٣/٢ .

(٢) الطبرى ٩٦/٢ ، ٩٠٤/١ ، ٩٠٥ ( طبعة دى غويه ) .

(٣) الطبرى ١٠٤/٢ . وقد وضعت أحاديث على لسان الرسول فى مدح بعض هؤلاء : أمثال كعب ، ووهب ، ومحمد بن كعب . زعم فيها أن النبى قال : يخرج من الكاهنين رجل يقرأ القرآن قراءة لا يقرأ أحد قراءته . قيل انه محمد بن كعب القرظى وكان من أولاد الكاهنين قريظة والنضير لسان العرب ٢٤٤/١٧ - ٢٤٥ ، ورد اسمه فى مواضع كثيرة من تاريخ الطبرى . راجع فهرسته عمل دى غويه صفحة ٥٢٧ . تهذيب التهذيب ٤٢٠/٩ ، عيون الأخبار ٢٠١/١ ، ٣٤٣/٢ ، ٤/٣ .

(٤) الطبرى ١٠٤/٢ .

(٥) راجع عن الهمداني : تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٢٠٤ ، ابن القفطى : تاريخ الحكماء « أخبار الحكماء » ( طبعة Lippert ) ١١٣ ، ياقوت : إرشاد الأريب ٩/٣ ، السيوطى : بغية الوعاة ٢١٧ ، مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق : الجزء الأول من المجلد الخامس والعشرين سنة ١٩٥٠ ص ٦٢ مقالة للسيد حمد الجاسر بعنوان « الجزء العاشر من الاكليل » .

Brockelmann, G. A. L. 1-229. Suppl. 1-409. Ency. 2-246. D. H. Müller, Südarab. Stud. 170.



درجة كانوا يحسنون ذلك ؟

استعمل الهمداني في كتبه بعض الجمل التي تدل على أنه كان يقرأ الخط المسند . مثل قوله « وقرأت في مسند في قصر ريده (١) » وقوله « ورأيت في مسند على حجر في غربي حائط مسجد ريده مما حمل من ناعط أو تلفم : نمران وعلمان وسوران آلهة همدان أي أرباب همدان (٢) » . وأمثلة أخرى تبيء أن الهمداني كان يقرأ المسند وكان له ولوع بقراءته . كما أورد أمثلة أخرى تشعر أن غيره من علماء اليمن كانوا يحسنون قراءة المسند كذلك . مثل قوله : وخبرني أحمد بن الاغر الشهابي من كندة قال : قرأت في مسند بناعط (٣) . أو ؛ وحدثني محمد بن أحمد الأوساني أنه قرأ في مسند بعمران من البون (٤) وقوله : وخبرني مسلمة بن يوسف بن مسلمة الخيواني قال قرأت مسندا على حجر في مسجد خيوان (٥) ، وغير ذلك . وتحتاج هذه الدعوى الى دراسة طويلة ليس موضعها هذا الكتاب ، والى بحث - لم يتها بعد - في المخطوطات الموجودة في اليمن وفي خزائن الكتب ، والى تفتيش عن الأجزاء الأخرى من كتاب الاكليل ، للوقوف على النصوص التي نقلها الهمداني وغيره من خط المسند ، والترجمات والتفسير التي وضعوها لها ، والبحوث التي قاموا بها في دراسة ذلك الخط ، ومقدار الماهم به . يظهر من كلام الهمداني أن جماعة من العلماء في أيامه كانت تقرأ المسند ، غير أن هؤلاء العلماء كانوا يختلفون بينهم في القراءة ، وكان سبب ذلك - على رأيه - اختلاف صور الحروف ، « لأنه ربما كان للحرف أربع صور وخمس ، ويكون الذي يقرأ لا يعرف الا صورة واحدة (٦) » وعرف الهمداني (٧) وغيره (٨) أن المسند كان

(١) الاكليل الجزء العاشر ص ٢١ . ولم تكن معرفة الهمداني بجغرافية الأقسام الشمالية من شبه جزيرة العرب مثل معرفته بجغرافية اليمن والأقسام الجنوبية من شبه الجزيرة . Moritz, P, 20

(٢) الاكليل ١١١/١٠ . (٣) الاكليل ١٥/١٠ .

(٤) الاكليل ١٦/١٠ . (٥) الاكليل ١٩/١٠ ، ٢٠ .

(٦) الاكليل ١٢٢/٨ « والمسند خط حمير مخالف لخطنا هذا ، كانوا يكتبونه أيام ملكهم فيما بينهم . قال أبو حاتم : هو في أيديهم الى اليوم باليمن . » لسان العرب ٢٠٦/٤ .

(٧) الاكليل ١٢٢/٨ .

(٨) الفهرست ٨ الجزء الأول من مجلة المجمع العلمي العراقي في « جمهرة النسب »

٣٤٥ سنة ١٩٥٠ .

يتألف من حروف • وقد عرف كذلك أنهم كانوا يفصلون بين كل كلمة وكلمة في السطر بخط قائم ، وذكر أنهم كانوا يفرزون كل سطر بخط<sup>(١)</sup> • غير أنه لم يذكر عدد الحروف • وصرح أنهم « كانوا يطرحون الألف إذا كانت بوسط الحرف مثل ألف همدان وألف رثام فيكتبون رثم وهمدن<sup>(٢)</sup> ويثبتون ضمة آخر الحروف وواو عليهم<sup>(٣)</sup> » •

وقد خصص الجزء التاسع من الأكليل<sup>(٤)</sup> لأمثال حمير وحكمها باللسان الحميري ، وحروف المسند • ولذلك فإن لهذا الجزء أهمية خاصة لنا لمعرفة مدى وقوف الهمداني على خط المسند ، وقواعد اللهجة الحميرية ، واللسان الحميري ، وعلى هذا الجزء يتوقف حكمنا على علم الهمداني بالحميرية • ولكن الذي تبينه من الملاحظات العابرة - التي سجلها المؤلف في ثانيا الجزئين المطبوعين ، وفي الباب الذي عقده بعنوان « باب حروف المسند » ، ومن الصور التي رسمها الكتاب والناسخون في الجزء الثامن من الأكليل على أنها صور حروف المسند<sup>(٥)</sup> ، ( وليس في مقدور أحد - بالطبع - ادعاء أنها تمثل الصور الأصلية للنماذج التي رسمها الهمداني نفسه لفقدان الأصل على وجه الاجمال ) أن الرجل كان قد أصاب في تشخيص كثير من الحروف على الرغم من جهل النساخ بالمسند واعتمادهم على النقش والتصوير حسب • ولربما كان حكمنا غير ذلك لو تهيأت لنا النسخة الأصلية التي كتبت بخط المؤلف ، وأنه أصاب كذلك في قوله أنهم كانوا يفصلون بين كلمة وكلمة في السطر بخط قائم ، وأنهم كانوا يطرحون الألف إذا كانت بوسط الحرف •

ومن الحروف التي نقشها النساخ في الجزء الثامن من الأكليل نقشا صحيحا التاء ، والتاء ، والسين ، والطاء<sup>(٦)</sup> ، وهي أقرب الى الأصل من الأشكال التي رسمت في

(١) الأكليل ٨/١٢٢ •

(٢) الأكليل ٨/١٢٢ ( طبعة نبيه ) ٨/١٤١ ( طبعة الكرملی ) • له ملاحظات

أخرى في كيفية الكتابة بالمسند ذكرها في الجزء العاشر ص ١٦ ، ١٧ •

(٣) المواضع نفسها •

(٤) للوقوف على الأجزاء الأخرى من كتاب الأكليل يستحسن مراجعة مقدمة طبعة

نبيه فارس « ح » فيما بعد Ency. Vol. 2, P. 246. Brockelmann, G.A.L. Vol. 1, P. 229.

(٥) الأكليل ٨/١٢٢ ، ١٢٣ ( نبيه ) •

(٦) ١٢٢ - ١٢٣ ( طبعة نبيه ) ١٤٢ ( الكرملی ) •



الفهرست لابن النديم على أنها مثال القلم الحميري<sup>(١)</sup> ، ونقش قسم منها نقشا بعيدا جدا عن الصور الأصلية التي نعهد لها للحروف .

وهناك مسألة أخرى من المسائل التي تدخل في صلب الموضوع ، وهي هل كان الهمداني وبقية العلماء الذين كانوا يدعون الوقوف على اللسان الحميري يحسنون ذلك اللسان ويحسنون تفسيره ؟ أما الذي وصل إليه اجتهادي حتى الآن ، بالاستناد الى المطبوع من مؤلفات الهمداني ، فهو أنه وان فرضنا أنه كان يحسن قراءة حروف المسند ، وهو على ما يظهر من ترجماته التي ذكرها فيها ، لم يكن ملما باللسان الحميري ، ولم يتمكن من ترجمة النصوص التي نقلها ترجمة صحيحة ، ولم يعرف على ما يتبين منها كذلك ما كان قد ورد فيها وما قصد منها ، فجعل « تالبا » وهو اسم اله من آلهة اليمن المشهورة ، اسم رجل من الأسرة المالكة لهمدان<sup>(٢)</sup> وجعل « رياما » وهو اسم مكان من الأمكنة المشهورة وكان به معبد للاله « تالب » ، ابنا من أبناء « نهقان » ، ومن أبناء تالب . ولم يبخل الهمداني عليه ، فوهب له أما قال لها « ترعة بنت بازل بن شرحيل بن سار بن أبي شرح يحضب بن الصوار<sup>(٣)</sup> » .

و يفهم من النماذج التي قدمها الهمداني على أنها قرآت وترجمات لنصوص حميرية ، قرأها غيره من العلماء ، أن حظ أولئك العلماء من الحميرية لم يكن أحسن من حظ الهمداني . خذ هذه العبارة التي ذكرها على أنها قراءة أحمد بن أبي الاغر الشهابي لمسند بناعط « علهان ونهقان ، ابنا بتع بن همدان لهم الملك قديما كان<sup>(٤)</sup> » . تجد أن الرجل قد عد « علهان نهقان » رجلين هما « علهان » و « نهقان » ، لكن كلمة « نهقان » هي لقب « علهان » الذي عرف به وهو من ملوك سبأ سيأتي ذكره ، وقد كان والده « يريم أيمن » بن « أو سلت رفشان » من همدان وكان له شقيق يقال له « بارج يهر كب » « برج يهر كب » كما ورد ذلك في كتابة عثر عليها في « ريام<sup>(٥)</sup> » . فلم يكن والده

(٢) الاكليل ١٧/١٠

(١) الفهرست ٩

(٤) الاكليل ١٦/١٠

(٣) الاكليل ١٧/١٠ ، ١٨

(٥) C. I. H. 315. المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة . تأليف

اغناطيوس غويدى . من نشرات الجامعة المصرية . القاهرة سنة ١٩٣٠ م ص ٢١

ورمزه فيما يأتي : غويدى .

(٣) ريام

إذا « بتع بن همدان » كما جاء في القراءة .

وأما « بتع » فقبيلة من قبائل همدان ، وأما جملة « لهم الملك قديما كان » فهي لا ريب من قول الشهابي ، وليست بعبارة حميرية . وليس التعبير - وان فرضنا أنها ترجمة للأصل - من التعابير المستعملة في الحميرية ، التي ترد في الكتابات . وحيث اننا لا نعرف المتن الأصلي للنص ، يصعب علينا الحكم فيما اذا كان قريبا من هذا المعنى أو كان شيئا آخر ، عرف منه الشهابي بضع كلمات ثم فسره بهذا التفسير .

ويظهر على كل حال أن قراءة المسند ( وقد قلت انهم كانوا يحسنون في أيام الهمداني قراءة عدد من حروف المسند وربما أحسنوا الحروف كلها ) لم يكونوا على اطلاع بقواعد الحميرية ، ولا باللسان الحميري . خذ مثلا على ذلك : « بن » وهي حرف جر ، وتعنى « من » و « عن » في لغتنا ، قد أوقعتهم هذه الكلمة في مشكلات خطيرة . فقد تصور القوم عند قراءتهم لها ، أنها تعنى « ابنا » على نحو ما يفهم من هذه الكلمة في لهجة مكة ، وفسروها بهذا التفسير . ففسروا « بن بتع » أو « بن همدان » وما شابه ذلك « ابن بتع » أو « ابن همدان » والمقصود من الجملتين هو : « من بتع » و « من همدان » وبذلك تغير المعنى تماما ، ومن هنا وقع القوم - على ما اعتقد - في أغلاط حين حسبوا أسماء القبائل وأسماء الأماكن ، أسماء أشخاص وأعيان ، وأدخلوها في مشجرات الأَساب . فاقصر علمهم على الأَبجدية وجهلهم باللغة أوقعهم في مشكلات كثيرة ، وسبب ظهور هذا الخلط (١) .

وجاء الهمداني بنصوص آخر ذكر أنها كانت مكتوبة بالحميرية ، مثل النص الذي زعم أن مسلمة بن يوسف بن مسلمة الحيواني قرأه على حجر في مسجد خيوان ، وهذا نصه : « شرح ما ، وأخوه ما ، وبنوه ما ، يقول شهران بنو هجر ، هم معنة بدار القلعة » (٢) . وأمثال ذلك من النصوص . ولا أعتقد أنك ستقول : ان هذا نص حميري ، ولا يسع أمرا له المام بالحميرية أن يوافق على وجود مثل هذه العائلة عائلة ما ، أو يسلم بأن هذه قراءة صحيحة لنص حميري . ولا أريد أن أتجاوز على رجل مضى الى ربه ، فلعله كان يحسن قراءة بعض الحروف ، ويتصور أنه أحسن قراءة النص

(١) Ditlef Nielsen, Der Sabäische Gott ilmukah. Leipzig. 1910. P. 2.

(٢) الاكليل ١٩/١٠ .



كله وفهمه ، فجاء بهذه العبارة • وعلى كل حال ، ان كل الذي جاء في النصوص التي وقفت عليها في كتب الهمداني لا يمكن أن يعطى غير هذا الانطباع ، ولعلنا سنغير رأينا في المستقبل اذا تهيأت لنا نصوص من شأنها أن تغيره •

وأفادت « القصيدة الحميرية » لصاحبها نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة ٥٧٣ هـ فائدة لا بأس بها في تدوين تاريخ اليمن<sup>(١)</sup> ولهذا المؤلف معجم سماه « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم »<sup>(٢)</sup> ضمنه ألفاظا خاصة بعرب الجنوب<sup>(٣)</sup> • وينطبق ما قلته على الهمداني على نشوان أيضا • فاذا قرأت كتبه تشعر أنه لم يكن يفهم النصوص الحميرية ولا غيرها ، وان كان يحسن قراءة المسند • وما ذكره في كتابه شمس العلوم - وان دل على حرص على جمع المعلومات ، وعلى تتبع يحمده عليه للبحث عن تاريخ اليمن ولغاتها القديمة - يدل على أنه لم يكن يفهم اللغات العربية الجنوبية ولا تاريخها ، وأنه لا يمتاز بشيء عن الهمداني أو سائر علماء اليمن الذين كانوا يدعون العلم بأخبار الماضين ، وأكثر الذي ذكره في كتابه على أنه من اللهجات الحميرية والعربية الجنوبية هو من مفردات معجمات اللغة ، ومن لهجات العربية الفصحى<sup>(٣)</sup> ، خلا ذلك الذي كان يستعمله أهل اليمن وهو قليل اذا قيس بسواه وقد فسر معانيه على نحو ما كان يقصده الناس في أيامه • ومع هذا فهذا النوع من الكلمات هو الذي نطمع فيه ، لأنه من بقايا اللهجات البائدة وتفيدنا فائدة عظيمة في تعيين معاني النصوص وشرحها وتفسيرها ، ولعله لم يكثر منها لأنها كانت من كلام العوام ، فأشفق على نفسه من البحث في لغة العوام •

(١) تجد ترجمته في : ارشاد الأريب ٧/٢٠٦ بغية الوعاة ٤٣٠ •

W. F. Prideaux, The lay of the Himyarites. Sehore, 1879 Von Kremer, Die Himjarische qaside. Leipzig. 1865, Brockelmann, G.A.L. 1-301. Suppl. 1-527 f. La qasidah himyarite de N. b. S. nouv. ed. Par R. Basset, Alger 1914.

(٢) الاكليل ٨/٨ وقيل « شمس العلوم وشفاء كلام العرب من الكلوم » نشر منتخبات منه عظيم الدين أحمد في سلسلة تذكارات « جب » ( Gibb Mem ) ليدن ، ١٩١٦ • « منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » • وسأشير اليه ب : منتخبات

Nicholson, A Literary. P. 13. D. H. Müller, in ZDMG. 29. P, 260. Südarabische Studien, P. 143.

(٣) راجع مثلا مادة هجر منتخبات ص ١٠٨ •

ولم يزد في شروحه لأسماء الأعيان والأجذام والقبائل والعمائر والامكنة على ما أورده الهمداني أو سائر علماء التاريخ وأهل الانساب ، فعد أسماء القبائل مثل همدان أسماء أشخاص لهم أنساب وأولاد وأقرباء ، وأخطأ في الاغلاط نفسها التي وقع فيها الهمداني<sup>(١)</sup> ، فذكر جملا مسجوعة على أنها من وصايا التبابعة وحكمهم<sup>(٢)</sup> ، وأورد مثل الهمداني أشعارا كثيرة على أنها من أشعار التبابعة ، وعبارات متكلفة على أنها قراءات لنصوص حميرية مكتوبة بالمسند .

وإذا كانت حروف المسند التي رسمها عظيم الدين أحمد ناشر « المختصر من شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم »<sup>(٣)</sup> وطبعها في الكتاب مطابقة لصور الحروف التي رسمها كاتبو هذا الكتاب المفيد ونسأخه من نسخة مؤلفه الأصلية فان لهذا النشر أهمية بالغة لأنها تدل على أن الحميري نشوان بن سعيد صاحب هذا الكتاب كان يحسن قراءة المسند ، وأنه عارف به معرفة تامة ، فلم يخطئ في رسم حرف واحد . وآسف لأن ناشر الكتاب لم ينشر صورة « فوتغرافية » لشكل الحروف كما جاءت في المخطوطات<sup>(٤)</sup> . اذ لنشر هذه الصورة أهمية بالغة في حكمنا على معرفة أهل اليمن . وجاء في المتن حين الكلام على المسند : « المسند خط حمير وهو موجود كثيرا في الحجارة والقصور ، وهذه صورته على حروف المعجم . . . وله صور كثيرة الا أن هذه الصورة أصحها . وأعلم أنهم يفصلون بين كل كلمتين بصفر لثلا يخلط الكلام . وصورة الصفر عندهم كصورة الألف في العربي . »<sup>(٥)</sup> وهي الملاحظات نفسها التي أبدأها الهمداني في الاكليل<sup>(٦)</sup> . أما الواقع - وكما يشاهد في النقوش اليمنية - فهو ان ما ذكره الهمداني ونشوان بن سعيد الحميري وقبلهما ابن النديم من وجود صور كثيرة للمسند ، لا يستند الى حقيقة ، نعم لقد وردت بعض الحروف بشكليين أو ثلاثة أشكال ولكنها ليست بعيدة بعدا كليا عن الأصل بحيث يصعب التمييز بينها والتفريق . أما

(١) منتخبات ص ٧٥ ومواضع أخرى .

(٢) منتخبات ص ٦٠ .

(٣) ص ٥٢ مادة . سند .

(٤) منتخبات ص ٥٢ .

(٦) وقد نقل نشوان بن سعيد من كتب الهمداني مجلة المجمع العلمي العربي

بدمشق الجزء الأول مجلد ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٥٠ ص ٦٤ .



غالبيتها فقد وردت في شكل واحد . ومبعث هذا القول - في نظري - هو عدم وقوف العلماء الاسلاميين على المسند وقوفاً تاماً وعدم رغبتهم في دراسته والتعمق فيه ، اكتفاء منهم بالمسموع وبما توارثوه عن أسلافهم من أشكال المسند التي تحرفت بأيدي الخطاطين وهم قلة بتكرار السنين .

وخلاصة ما يقال عن المؤرخين المسلمين الذين دونوا التاريخ الجاهلي ، أنهم بدلاً من أن ينصرفوا الى مراجعة الموارد القديمة ، وتتبع الكتابات ، وتدوين تاريخ عام للعرب مرتبط بالأجزاء ، انصرفوا الى رواية أنساب القبائل ، ووصلها بعدنان وقحطان حيناً وباسماعيل وأبناء نوح حيناً آخر ، وترديد ما ورد في التوراة في هذا الباب ، وتقسيم العرب الى طبقات في مقدمتها طبقة عاد ، وثمود ، وجرهم ، وأميم ، وعييل ، وغير ذلك من قبائل ورد اسم بعضها في القرآن الكريم ، ودعا المفسرين والخباريين الى جمع ما كان يتحدث الناس به عنهم ، واللجوء الى أهل الكتاب لاخذ ما ورد في كتبهم عن هذه الأقسام .

وقد لفتت المباني التي بنيت قبل الاسلام أنظار الاخباريين والمؤرخين وأنظار الجاهليين أيضاً اليها ، ولكنهم لم يحاولوا التعمق في تاريخها ، ولا البحث والتنقيب عنها ، ولا دراسة الكتابات التي كانوا يظفرون بها ، وبذل مجهود حلها ، وقراءتها قراءة صحيحة . وقد اكتفت الغالبية بنسبتها الى عمل داوود أو سليمان ، أو جن سليمان ، والى قوم عاد حيناً<sup>(١)</sup> وتظاهر نفر بالعلم والوقوف على قراءة تلك الكتابات ، وقد دلت قراءتهم المدونة في الكتب على أن عملهم في ذلك لا يزيد على جهل الجاهليين بها .

ان الطابع الظاهر على المدون في الكتب العربية على أنه تأريخ الجاهليين ، تغلب عليه الصبغة الأدبية ، لا الصبغة التاريخية التي تعتمد على النقد والتحليل والتفكير الى حد كبير ، لذلك يكثر فيه التسميق وتزويق الكلام ، والتأثير على طريقة القصص وحديث المجالس والسمر ، وتتغلب فيه الكيفية على النوعية ، والتأثير على الاقناع والنقد والتفكير ، وحديث هذا شأنه هو حديث أدب أكثر مما هو مادة تأريخ ، وشأنه شأن سائر المرويات التي رواها قدماء العبرانيين والاعريق والرومان والفرس ، على أنها تأريخ الأسلاف ، ثم نظر اليها العلم الحديث على أنها مرحلة بدائية ساذجة مزت بها سائر الأمم ، وهي

(١) « والعداى الشىء القديم نسب الى عاد » لسان ٣١٧/٤ .

الأساس الذى أُنشئ عليه صرح التواريخ •

وقد وصلت إلينا هذه المرويات بالواسطة ، أعنى أننا لم نحصل عليها من مواردها الأصلية ، وقد بليت مواردها الأولى ، بل ومواردها الثانية التى نقلت منها فى الغالب ، ولا نكاد نملك من الوثائق الأصلية التى يجب أن نضعها فى المرتبة الأولى فى تدوين التاريخ ، فحالتها مشابهة من هذه الناحية لحالة موارد تأريخ العبرانيين واليونان والرومان (١) •

لقد تجمعت هذه المادة من موارد متعددة ، جمعها العلماء فى القرنين الثانى والثالث للهجرة فما بعدهما ، أى بعد مرور أمد على الجاهلية المتصلة بالاسلام ، وهو أمد كاف لضياح جزء لا يستهان به من أخبار الجاهليين ، كان فيه من أدرك الجاهلية وعرف أخبارها ، وقصصها قد توسد الترى ، وغاب مع الجاهلية من الوجود • أما من أدركوا الجاهليين ، فلم تكن عندهم للأيام الجاهلية التى سبقت الاسلام حماسة من نشأ فيها ، وارتبطت ذكريات طفولته بها ، وحن إليها ، والانسان ، مهما اعتقد ، لا يستطيع أن يجرد نفسه من ذكريات الماضى ، الذكريات الحلوة والمرة على حد سواء •

فلما اتبه العلماء الى ضرورة تدوين تأريخ الجاهلية ، وجدوا مشقة فى جمعه ، كانت الحوادث قد سبقتهم فى طمس كثير من أخبار الجاهلية ، وكانت الأحوال غير مواتية لمساعدتهم فى جمع الأخبار ، فاضطر من عنى منهم بأخبار الجاهليين الى سد الثغر والفجوات الواسعة فى التأريخ الجاهلى بمسألة الأعراب ، والبحث عنه فى الشعر القديم ، ومراجعة السمار والقصاص والمعمرين واللغويين ، ورواة أيام القبائل الذين كانت تدفعهم عصيتهم للقبيلة الى حفظ أيامها وأخبارها ، وإضافة المفخر إليها ، والانتقاص من شأن القبائل المعادية لها ، والمنافسة لها جهد الامكان • ومن هذه المواد تجمعت مادة التأريخ الجاهلى ، يضاف إليها ما حصل عليه نفر من الأخباريين بتتبعهم الشخصى كمحمد بن السائب الكلبى وابنه هشام ووهب وأمثالهم ، من أخبار ، وهى قليلة ، من مراجعة الموارد المدونة عن تأريخ عرب العراق والشام واليمن •

ومع هذا فلم يصل إلينا أكثر ما دون من أخبار الجاهلية فى العصرين الساساني والثالث للهجرة ، إذ فقد بعضه بعد زمن التأليف بقليل وفقد بعض آخر بعد ذلك ،



وحفظت بعض المؤلفات مقتبسات ونصوصا من تلك الكتب البائدة ، ولا يزال بعضها ينتظر من يمن عليه بالخراج والنشر<sup>(١)</sup> ، وبعض المطبوع مما يعود الى القديم من التأليف روايات رواها أسياف عن أسياف . ومهما قيل فى هذه الطريقة من اطراء ، فانها غير قادرة على أن تأتينا بأدلة مقنعة تثبت أن تكرار الرواية لا يغير بمرور الزمن من المتن الأصيل للمؤلف شيئا من نحو زيادة عليه ، أو نقصان ، أو شرح من الرواة يدخل سهوا فى متن الرواية فى بعض الأحيان .

وتناول أكثر هذه الأخبار أخبار الوقائع والأيام والآنساب والأحساب ، وهى أمور لها صلة وثيقة بحياة البداوة . وقلما نجد للرواة والأخباريين عناية بأبناء أهل المدر ، الامكة والمدينة ، لما كان لهما من شأن فى تاريخ نشوء الاسلام ، والا ما جاء عن الحيرة . وقد تفرد بذلك الكلبيان ونفر ستتحدث عنهم فى تاريخ آل لحم ، وقد جاء ذلك متأخرا بالنسبة الى الأمور المتقدمة ، ومستندا الى مصادر أعجمية فى الغالب . ولم يختلف سلوك الأخباريين عندنا عنه عند العبرانيين ، أو اليونان ، أو غيرهم من الذين ظهروا فى مجتمع بدوى ، القبيلة فيه هى القومية ، لا ينظر الفرد الى قومية أخرى أوسع منها ، ولا يرى فى مثل هذا النظام وطنا غير وطن القبيلة ، وهو الأرض التى تضرب القبيلة خيامها عليها ، أو تشىء أكواخها فيها ، فاذا ارتحلت عنها الى أرض أخرى كانت الأرض الجديدة الوطن الجديد للمواطن القبلى . ولما كان هذا النظام هو النظام الغالب على شبه جزيرة العرب قبيل الاسلام ، فلا غرابة اذا وجدنا الأخباريين يتجهون هذه الوجهة ، ويذهبون هذا المذهب فى رواية الأخبار .

ولم يرو رواة أخبار القبائل جميعها ، بل اكتفوا بجمع أخبار القبائل الكبرى ، وقبائل الحجاز ونجد فى الغالب . أما قبائل اليمن وحضرموت وعمان والعروض ، فلم تحظ بالعناية اللازمة . وقد انصرفت همه الأخباريين فى الاسلام الى جمع أخبار قبائل العراق والشام كما يتبين ذلك من ثنايا الروايات وسلسلات الاسناد . ورواة أخبار القبائل هم رجال من القبيلة نفسها ، أو من قبائل لها صلة مودة بتلك القبيلة أو القبائل ، أو تقاطع وعداء ، أو من الموالى فى الاسلام . ومن العلماء الذين أخذوا يستقصون هذه الأخبار لمقاصد علمية ، كالعناية بتفسير كلام الله ، أو الشعر ، أو اللغة وما شابه ذلك .

ولهذه الطريقة أخطار ، لأنها تعبر عن وجهة نظر واحدة متأثرة بالعاطفة في الغالب ، فالراوي مهما كان متزنا محايدا لا يستطيع أن يتجرد من العاطفة القبلية أي من حسه القومي ، وإذا كان القرن العشرون بتقدمه العلمي ونضجه العقلي ، قد عز التجرّد فيه من العواطف والميول والأهواء والاتجاهات السياسية والتلفيق في الوثائق والأسانيد ، فهل يعقل تجرّد الرواة من عواطف الاطراء والاشادة بمكارم قبائلهم والغض من شأن القبائل المعادية لقبائلهم ، والتلفيق عليها؟

كانت القبائل تتباهى وتتفاخر وتتكاثر ، فلا مناص لها من اضافة المحامد اليها ، ومن الغض من فضائل خصومها ومحامدهم ، لهذا كانت تعد نبوغ شاعر فيها نعمة من نعم الله عليها ، جاء في المزهري : « ان القبيلة من العرب كانت اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك ، وصنعت الاطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس ، وتباشر الرجال والولدان ، لأنه حماية لأعراضهم ، وذبح عن أحسابهم ، وتخليد لما تروهم ، واشادة لذكورهم » (١) . قال ابن سلام : وقد نظرت قریش فاذا حظها من الشعر قليل في الجاهلية ، فاستكثر منه في الاسلام (٢) . ولا يقتصر هذا الاستنكار على الشعر بل تناول كل ما نعرفه من روايات .

لقد حددت هذه العقلية التي تأثر بها أكثر الرواة أفق الأخبار كثيرا ، ووجهتها توجيهها محدودا ، وسعت مجالها في الأمور التي كانت تتفق وطبيعة الحياة السائدة في ذلك الوقت ، وضيقت في الأمور التي لم تكن تلائم طبيعة تلك الحياة فأصبح معظمها في المفاخرة والحماسة والحروب وأخبار الشجعان والأبطال والأيام ، وفي الذم والهجاء ، وقد برع في هذا النوع الأخير الرواة الموالي للشعوبيون ، الذين كانوا يتعصبون على العرب ، فأضافوا اليه شيئا كثيرا ، وذكروا أشياء كثيرة في ذم القبائل بعضها لبعض زعموا أنها قالتها ، وتقصوا معانيها ، ووضعوا ذلك في مؤلفات (٣) ، لذلك يجب الانتباه الى هذه الملاحظة في تدوين التاريخ .

أما غير ذلك من أمور كالحياة الدينية والاجتماعية والشؤون الثقافية عامة ، فلم تل العناية اللازمة ، ولا يعقل أن تنال المكانة اللائقة في مثل تلك العصور والأحوال ، وفي

(٢) طبقات الشعراء ٦٢ .

(١) المزهري ٤٧٣/٢ .

(٣) مثل كتب المثالب .

Brockelmann, G.A.L. Vol. 2. P. 103, 140. Suppl. I, P. 162, 212, 213

الفهرست ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٥



مثل ذلك النوع من التفكير . فالرواة والأخباريون انما كانوا يفهمون تخليد الحوادث أو تدوين التاريخ على النحو الذى فهمه مجتمعهم فى ذلك الحين ، وعلى الشكل الذى كانت ترويه قبائل الحجاز ونجد . ولما لم تكن لديهم حكومة واحدة ولا تأريخ موحد ، أصبح التأريخ قليلا فرديا ، الفرد فيه مقدم على المجموع ، تبرز فيه الأسماء وتمجد الأبطال . وليس للجماعة فيه أثر ، حتى القبيلة لا يحاول الرواة اظهار أثرها الا فى معرض المقابلات بين القبائل ، كالتفاخر ورواية الأيام ، حينئذ يمجّد اسم القبائل وتروى مفاخرها وما أثرها ، غير أن هذه المآثر تقتصر فى الواقع بترديد مآثر الأفراد ، والاشادة بأعمالهم ، أى أننا نعود فنرى الرواة يطنون فى الحديث عن الأفراد ، والايجاز فى الحديث عن الجماعة . وهو شىء طبعى بالنسبة لمنطق الحوادث فى تلك الأيام .

ونحن نعتمد على القرآن الكريم والحديث فى فهم الفكرة الدينية فى الجاهلية المتصلة بالاسلام . أما شعر أمية بن أبى الصلت وأمثاله ممن روى لهم شعر غلب عليه الطابع الدينى ، فيجب أن ندرسه دراسة نقد ؟ اذ ثبت أن كثيرا منه منحول ، وضع عليهم وضعا فى الاسلام . وقد تحدث ابن الكلبى عن الأصنام ، ولكنه لم يتمكن من الاحاطة بأكثرها ، بل ذكر الأصنام المشهورة ، التى كانت تعبد لها قبائل الحجاز ونجد ، وقليلا من الأصنام المغمورة ، ولم يتطرق مثل سائر الرواة الى عبادة الكواكب عند الجاهليين ، وكانت - كما يتبين من النقوش والكتابات والكتب الكلاسيكية - العبادة الأساسية عند الجاهليين<sup>(١)</sup> .

ومع النقص الذى نلاحظه فى المعجمات اللغوية وفى كتب اللغة باغفالها ذكر أكثر اللهجات العربية وعدم الاشارة الى الكلمات المرادفة للكلمات التى سجلت فى المعجمات فى الغالب ، أو النص على أنها لهجة القبيلة الفلانية وتعيين المكان الذى كانت تستعمل فيه ، نرى أنها ثروة لا تقدر بثمن بالنسبة لمؤرخ الجاهلية ، ولا أبالغ اذا قلت أنها أهم الموارد العربية ، اذ تساعد على حل الكتابات القديمة ، وبيان معانيها . ولهذا أقيم للمعجمات التى ألفها رجال من اليمن أو من العربية الجنوبية والوسطى ، وتعرضوا فيها للهجات العربية ، أهمية كبيرة فى شرح الكتابات الجاهلية وتوضيحها . وقد ذكرت

أسماء أصنام وقبائل ، وأشياء غيرها لم تشر إليها الموارد الأخرى ، وهذا المورد في تدوين التاريخ الجاهلي لم يقدره قدره أكثر المؤرخين وفي جملتهم المستشرقون الذين عنوا بدراسة الكتابات العربية الجنوبية أو الصفوية أو الثمودية أو اللحيانية وسائر اللهجات العربية ، فاكفوا في الغالب بمقابلة الكلمات بما يشابهها في اللغات السامية ، ولا سيما العبرانية ، واستخراج معانيها على وفق ذلك ، أو من مقتضى الكلام الوارد في النص ، مع أن كتب اللغة قد تذكرها وتعين معانيها بالضبط . وهذا من الأمور التي تساعد على فهم معاني النصوص فهما صحيحا وتكوين فكرة تاريخية عنها .

لم يكن من الممكن اذن في أحوال كهذه الأحوال قيام المؤرخين بوضع تاريخ عام موحد لشبه جزيرة العرب يتناول تاريخ الحضارة والبداءة ، ولم تكن الأسباب متوافرة وميسورة لمثل هذا التدوين ، فتغلب تاريخ أهل الوبر على تاريخ أهل الحضرة ، وروى على نحو ما كانوا يروونه من رواية ، وكتب على وفق ذلك الروح ، على خلاف ما حدث في تدوين تاريخ الخلافة ، اذ راعى المؤرخون كون العالم الاسلامي كتلة واحدة يديره مركز واحد ، فوجهوا عنايتهم الى الحضارة ، وكتبوا تاريخها كما يفهمه الحضري ، وكيف لا يكتب بهذا المعنى ، وقد تغير العالم ، وتنكرت الحكومة للأعراب ، وانقلبت على البادية التي أصبحت تدار ، بعد أن كانت قبل الاسلام تدير سواها وتهاجم حدود الدول الكبرى ، والمدن والقرى الواقعة على مشارف البادية وفي متناول الأعراب غير أنها لم تكن دولة واحدة ، وانما دول قبائل تظهر وتختفي ، وتكبر وتضغر ، بحسب الظروف السياسية والمناسبات .

#### اهمال التاريخ الجاهلي :

من الأمور التي تثير الأسف ، تهاون المؤرخين في تدوين تاريخ شبه الجزيرة قبل الاسلام ، لقد وفق المؤرخون العرب في كتابة تاريخ الاسلام توفيقا كبيرا ، وفي طريقتهم في جمع الأخبار واستقصاء الروايات ، وفي رغبتهم في التجميع . أما التاريخ الجاهلي ، فلم يظهرهوا مقدرة في تدوينه ، بل قصروا فيه تقصيرا ظاهرا ، وهو أمر يدعو الى التساؤل عن الأسباب التي دعت الى حدوثه : هل كان الاسلام قد تعمد طمس أخبار الجاهلية ؟ أو أن العرب عند ظهور الاسلام لم تكن لديهم كتب مدونة في تاريخهم ولا علم بأحوال أسلافهم ، وكانت الأسباب قد تقطعت بينهم وبين من تقدمهم ، فلم يكن لديهم ما يقولونه عن ماضيهم غير هذا الذي وعوه فتحدثوا به الى الاسلاميين فوجد سبيله الى الكتب ؟ أو أن العرب في



الجاهلية كانوا فى جاهلية جهلاء ، ليس لهم علم ولا فن ولا فقه ولا أثر من حضارة وثقافة ، بل كانوا فى بدائة وغلظة وبساطة وفى معزل عن العالم ، وشعب هذا حاله لا يمكن أن يكون له بالطبع تأريخ !

أما القدماء فلم يشعروا بتقصير ما فى ذلك ، لهذا لم يتعمقوا فى البحث عن الجاهلية ، الا بقدر ، وذلك فيما له صلة بالاسلام ، وبالأُمور التى كان يحفل بها المجتمع فى ذلك العهد ، ولهذا لا تنتظر منهم جوابا شافيا مقنعا يرضى الباحث الحديث . ولو تعمقت معهم ، وتبعت كتبهم لوجدتهم يقولون : ليس هذا التقصير تقصيرنا ، ولسنا نجد فى الأُمور ما تجدونه أتم فى أنفسكم من تقصير ، لقد وجدنا الحال على هذا النوال فدونا ما وصل إلينا ، فلا لوم علينا ولا تثرىب !

وقد عزا بعض الباحثين هذا التقصير الى الاسلام ، فزعم أن رغبة الاسلام الرسمية كانت قد اتجهت الى استئصال كل ما يمت الى أيام الوثنية فى الجزيرة العربية بصلة ، مستدلا بحديث « الاسلام يهدم ما قبله »<sup>(١)</sup> ، فدعا ذلك الى تسيط هم العلماء عن متابعة الدراسات المتصلة بالجاهلية ، والى محو آثار كل شىء يتفرع عن النظام القديم ، لم يميزوا بين ما يتعلق منه بالوثنية والانصباب والاصنام ، وبين ما يتعلق بالحالة العامة كالثقافة والأدب والتأريخ . فعلوا ذلك كما فعل النصرارى فى أوربة فى أوائل القرن السادس للميلاد ، فكان من نتائج ذلك ذهاب أخبار الجاهلية ، ونسيانها ، وابتداء التأريخ لدى المسلمين بعام الفيل<sup>(٢)</sup> . ولهذا « كان المؤرخون أو الاخباريون ، الذين يترتب عليهم تدوين أخبار الماضى وحفظ مفاخره ، من الذين ينظر اليهم شزرا فى المجتمع الاسلامى ، وخاصة فى العهد الاسلامى الأول . أما مؤرخو العرب العظام ، فلم ينبغوا الا بعد تلك الفترة ، وحتى هؤلاء فانهم صرفوا عنايتهم الى التأريخ الاسلامى ولم

(١) مجلة الأبحاث ( ص ١٨٩ ) السنة الـ ٣ ، الجزء الـ ٢ ، حزيران ١٩٥٠ .  
الاكليل : مقدمة نبيه فارس ص ( ب ) .

(٢) مقدمة نبيه أمين فارس للجزء الثامن من كتاب الاكليل ص ( ب ) ، قال : « وقد يكون للحديث المنسوب الى النبى أثر فى ذلك . فقد جاء فى الحديث أن « الاسلام يهدم ما قبله » ولا بد أن عنى النبى فى قوله هذا الديانات الوثنية الشائعة فى الجزيرة قبيل ظهوره من عبادة الاصنام والانصباب وغيرها . أما أتباعه ، فدفعتهم غيرتهم على تثبيت دعائم الدين الحنيف الى عدم التمييز بين الغث والسمين فكادوا يقضون على جميع معالم الثقافة والأدب ... الخ » .

يدققوا فيما يخص الجاهلية • وبالإضافة الى ما سبق أصبح لكلمة مؤرخ ( اخبارى )  
معنى سىء ، بل أصبحت صفة تفيد نوعاً من الازدراء • وقد ألصقت هذه الصفة بابن  
الكلبي كما ألصقت بكل عالم تجرأ على البحث فى تأريخ العرب قبل عام الفيل • لكن لم  
يهاجم أحد من المؤرخين بعنف كما هوجم ابن الكلبي • والراجح أن السبب فى ذلك  
هو انصرافه لدراسة الأشياء التى قرر الاسلام طمسها ، أعنى بذلك الديانات والطقوس  
الوثنية فى بلاد العرب • (١) •

وتحتاج هذه الدعوى ( وهى صدى لما نادى به جماعة من المستشرقين ، راق نبيه فارس  
أن يرددها فى مقدمته للجزء الثامن من الاكليل ، وفى مجلة الأبحاث التى تصدرها الجامعة  
الأمريكية ببيروت ) الى أدلة وحجج علمية ، فليس بكاف الاستشهاد ، بجزء من حديث ،  
وتفسير ناقص لمدلول « الاخبارى » ، وتهمة وجهت الى أحد الأخباريين وهو ابن الكلبي ،  
أو لغيره ، وتأريخ القوم بعام الفيل لاصدار حكم فى موضوع خطير كهذا الموضوع • أما  
الكلمة التى استشهد بها نبيه أمين فارس وجعلها دليلاً على رغبة الاسلام فى القضاء على  
معالم الجاهلية ، وكانت فى نظره سبباً فى تسيط همم العلماء عن متابعة الدراسات المتصلة  
بجاهلية ، فقد استلها من حديث أطول ورد فى معنى آخر يخالف ما ذهب اليه تمام  
المخالفة لا علاقة له بهدم الجاهلية ، ورد فى صحيح مسلم فى « باب كون الاسلام يهدم  
ما قبله وكهذا الهجرة والحج » وبعد « باب هل يؤخذ بأعمال الجاهلية » وقد وردت  
هذه الأحاديث جواباً عن أسئلة الصحابة عن أعمال منافية للإسلام ارتكبوها فى الجاهلية ،  
هل يغفرها الله لهم أم تكتب عليهم سيئات يحاسبون عليها ؟ فقالوا : « يا رسول الله ،  
أنؤاخذ بما عملنا فى الجاهلية ؟ » (٢) وقد ورد فى صحيح مسلم بعد هذا الباب باب آخر  
بهذا المعنى هو « باب بيان حكم عمل الكافر اذا أسلم بعده » (٣) •

وما كان ينبغى لنبيه فارس اقتطاع هذا الحديث بهذه الصورة ، أو انتزاع الكلمة  
منه أو من عنوان الباب ، على وجه يغير مساقه ومعناه ، لهذا وجب اثبات الحديث على نحو  
ما جاء فى صحيح مسلم لترى كيف ابتعد به هذا الباحث عن حقيقته ومورده ، قال :  
« حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن ابن شماسه المهرى ، قال : حضرنا عمرو بن العاص ،

(١) الأبحاث ، الجزء المذكور ( ص ١٨٩ ) •

(٢) صحيح مسلم ٧٧/١ من باب الايمان • (٣) صحيح مسلم ٧٩/١ •



وهو في سبابة الموت بيكى طويلا ، وحول وجهه الى الجدار ، فجعل ابنه يقول : يا ابتاه !  
 أما بشرك رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) بكذا ؟ أما بشرك رسول الله ( صلى الله عليه  
 وسلم ) بكذا ؟ قال : فأقبل بوجهه ، فقال : ان أفضل ما نعد شهادة أن لا اله الا الله وأن  
 محمدا رسول الله . انى قد كنت على أطباق ثلاث ، لقد رأيتنى وما أحد أشد بغضا  
 لرسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) منى ، ولا أحب الى أن أكون قد استمكنت منه فقتلته ،  
 فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار . فلما جعل الله الاسلام فى قلبى ، أتيت النبى  
 ( صلى الله عليه وسلم ) فقلت : أبسط يمينك فلأباعدك ، فبسط يمينه . قال : فقبضت  
 يدى ، قال مالك يا عمرو ؟ قال : قلت : أردت أن أشرط . قال : تشرط بماذا ؟  
 قلت : أن يغفر لى . قال : أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم  
 ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ وما كان أحد أحب الى من رسول الله ( صلى الله  
 عليه وسلم ) ولا أجل فى عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملا عيني منه اجلالا له ، ولو  
 سئلت أن أصفه ما أطقت ؛ لاني لم أكن أملا عيني منه ، ولو مت على تلك الحال لرجوت  
 أن أكون من أهل الجنة ، ثم ولينا أشياء ما أدرى ما حالى فيها ، فاذا أنا مت فلا تصحبنى  
 نائحة ولا نار ، فاذا دفنتمونى فشنوا على التراب شننا ثم أقموا حول قبرى قدر ما تنجر  
 جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي » (١) . فآية  
 علاقة اذن بين هذا الحديث وبين ما زعمه نبيه فارس يا ترى ؟

وقد حرم الاسلام أشياء من الجاهلية ، وأقر أشياء أخرى ورد ذكرها فى الكتاب  
 والسنة (٢) ، ولم يرد فى الاسلام ما حرم أقلام الجاهلية ولا الشعر الجاهلى ولا النثر  
 الجاهلى ، ولم يصل الى علمنا أنه أمر بهدم المباني الجاهلية خلا الأصنام ، أو أنه أمر  
 باحراق كتابات الجاهليين ، أو الاعراض عنها ، أو أنه منع استعمال اللهجات الأخرى  
 التى كان يستعملها الجاهليون ، أو أن علماء الاسلام منعوا رواية أخبار الجاهلية ، بل كل  
 شيء من هذا كان فى الاسلام على خلاف ما زعمه المستشرقون والشعوبيون من أهل  
 زماننا ، وكان فى علماء الاسلام من برعوا فى الأنساب وفى رواية أيام الجاهلية وشعر  
 الجاهلية . وأما أنهم كانوا ينظرون الى « الأخبارى » نظرة سيئة ، فيها شيء من الأزدراء ،

(١) صحيح مسلم ٧٨/١ « باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكهذا الهجرة والحج » .

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ٣٩٣/١ .

على حد دعوى نبيه أمين فارس ، فما كان ذلك لروايته أخبار الجاهلية واشتغاله بجمع تاريخها والتحدث عنها ، وما كان يريدون بلفظة « أخبارى » راوى أخبار الجاهلية وحدها فى أى يوم من أيام التاريخ الاسلامى ، وانما كان ذلك لاغراب الأخباريين فى رواية الأخبار ومبايعتهم فيها وسردهم الاسرائيليات والنصرانيات والشعبيات وغير ذلك من القصص المدونة فى الكتب ، وكذب بعضهم كذبا يخالف أبسط قواعد المنطق ، وما روى الكلبى بالكذب أو نظر اليه أو الى ابنه نظرة ازدراء لكونهما من رواة أخبار الجاهلية ، بل وثقا فى هذه الناحية وانما ضعفا فى أمور أخرى لا علاقة لها بالجاهلية مدونة فى كتب التاريخ والرجال .

فى القرآن آيات تعرضت للجاهلية ، وأخبار عن أقوام عاشت قبل الاسلام ، وحوادث وقعت فى وقت غير بعيد عن الاسلام ، يظهر منها بجلاء أن ذاكرة القوم لم تكن تعيها كل الوعى ، وان الناس كانوا قد نسوها ، ونسبوا حدوثها الى عصور بعيدة . وقد ذكرهم القرآن بها ، وفى هذا التذكير اشارة واضحة الى أن الناس فى الجاهلية كانوا قد نسوا هذه الأخبار فلم يتذكروها منهم غير القليل .

كذلك تعرض القرآن لذكر الأصنام والأوثان التى كانت تقدها الوثنية ، وتتبع لها القبائل ، فذكر أسماء عدد منها ، وروت كتب السيرة والأخبار أوصافها وهيئاتها وأسماء أصنام أخرى لم يرد لها ذكر فى القرآن ، لم تجد فى ذكر أسمائها حرجا ، ولو كان الاسلام قد تمس الجاهلية والقضاء على معالمها ، لتحرج القرآن وتحرج المسلمون من الاشارة اليها ومن احياء أسمائها ، وبعثها فى ذاكرة الناشئين فى الاسلام .

ومما يجب ذكره هو أنه لا القرآن الكريم ولا كتب السيرة أو الأخبار تعرضت لذكر الأصنام والأوثان العربية الجنوبية ، التى كان لها شأن أى شأن عند المعينين والقنابيين والحضرميين والحميريين ، وكان يتقرب الناس اليها يومئذ بالتعبد بتقديم الذور لها ، يرجون معوتتها ونصرها فى السلم والحرب كعثر ، « عتار » و « عثيرة » و « عم » و « انبى » و « ذات صنتم » و « ذات ظهران » و « ذات رحبان » و « هوكم » و « هويس » و « شيوم » و « عزيز لات » و « ذات حمى » و « نكرح » و « سنين » وغيرها من الأصنام التى كان لها شأن عظيم ، عند عرب اليمن وجنوب شبه جزيرة العرب ، أهملتها هذه الكتب ولم تذكر عنها وعن عبادتها شيئا ، ولا بد أن يكون لهذا النسيان سبب .



وقد قلت فيما سلف ان الهمداني وغيره ممن عنوا بأخبار اليمن ذكروا أسماء بعض الأصنام العربية الجنوبية التي وعثها ذاكرة الأخباريين ولكنهم لم يعرفوا أنها أسماء أصنام ، بل ظنوا أنها أعيان أشخاص أو أسماء أبنية من أبنية الجن ، مثل « تالب » وكان صنما من أعظم أصنام « همدان » ، له مقام عظيم ، ومعبد كبير في مدينة « ريام » يقصده الناس للتبرك وقضاء الحاجات ، وقد نقش اسمه على جدران هيكله وتبرك الناس بذكر اسمه في كتاباتهم . ظن الهمداني أنه اسم ملك من ملوك همدان قال له « تالب ريم » . زعم أنه ابن « شهران »<sup>(١)</sup> و « المقه » اله سبأ الأكبر ، المقدم عند سبأ على جميع الأصنام ، زعم الهمداني أنه بناء من أبنية الجن ، بنى في عهد سليمان<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر ابن الكلبي وغيره أسماء بعض الأصنام التي كانت تعبد لها بعض القبائل اليمنية الأصول ، وهي أصنام لم نجد لها ذكرا في الكتابات اليمنية أو الحضرمية القديمة المكتوبة قبل بضعة قرون سبقت الاسلام ، مثل « يعوق » ، ذكر ابن الكلبي أن خيوان تعبدت له<sup>(٣)</sup> ، و « نسر » ذكر أن بعض قبائل حمير اتخذته<sup>(٤)</sup> و « مناة » وكانت الأوس والخزرج وهما من أصل يمانى على رأى النسابين تعبد له في جملة من كان تعبد له من العرب<sup>(٥)</sup> ، و « فلس » من أصنام طى<sup>(٦)</sup> . و طى من القبائل التي يرجع النسابون أصلها الى اليمن . وأسماء أصنام أخرى تعبد لها القحطانيون والعدنانيون ليس هذا موضع الكلام عليها .

وفي ظهور أسماء هذه الأصنام الجديدة التي لم يعرفها قدماء العرب الجنوبيين واسم تعرفها الكتابات العربية الجنوبية دليل على حدوث تطور في عبادة الأصنام في اليمن وفي سائر العربية الجنوبية وأن القبائل العربية الجنوبية كانت قد تنكرت لأصنامها القديمة أصنام آبائها وأجدادها ، واتخذت أصناما أخرى ، يظهر أنها وصلت إليها من الشمال . أو أن عبادتها كانت قد شاعت في هذا الوقت ، أى في الفترة التي بين المسيح والرسول

(١) الاكليل ١٧/١٠ .

(٢) Ditlef Nielsen, Der sab. Gott. Ilmukah Leipzig, P. 2. D.H. Müller, Burgen und Schlösser. Vol, 2, P. 972.

(٣) الأصنام ١٠ . (٤) الأصنام ١١ .

(٥) الأصنام ١٥ . (٦) الأصنام ١٥ .

في الحجاز واليمن ، وربما في نجد وسائر شبه الجزيرة أيضا ، فتزرع مركز الأضنام القديمة . فلما ظهر الاسلام ، لم يبق لها مكان في ذاكرة العرب الجنوبيين خلا أسماء عدد قليل منها ، وشيخ صنم أو صنمين . ولهذا اختفى ذكر « تالب » صنم همدان صاحب البيت العظيم في مدينة « ريام » « رثام » والمعبد المشهور الذي كان يرد اسمه كثيرا في الكتابات الهمدانية ، وخصص بهذه المدينة فكان يقال له « تالب رثام » ، فزالت ذكرى هذا الصنم من ذاكرة قومه مع تعصبهم له ، وبقي معبده معروفا عندهم يحجون اليه ، ويتسكون عنده (١) . وعرف عندهم برثام أو بيت رثام بعد أن نسوا « تالبا » صنم المدينة الذي لا تجله أقيم هذا البيت نسيانا تاما . وقد عرف ابن الكلبي (٢) البيت فقط وكذلك الهمداني الذي وصفه وذكر مكاتته عند الجاهليين ، وقد نسبته الى شخص زعم أنه رثام بن نهقان بن تبع بن زيد بن عمرو بن همدان (٣) ، ولم تبق في الذاكرة عن « المقه » اله سبأ وصنمها المقدم على الأضنام الا ما دون في الكتب وهو أنه كان بناء من أبنية سليمان ، أو أنه الزهرة في لغة حمير (٤) .

حدث تنكر اليمانيين لأضنامهم القديمة ، قبل الاسلام بقرون ، ولكنه بعد المسيح ما في ذلك شك ، وسيأتي الحديث عنه في القسم الخاص بالحياة الدينية عند عرب الجاهلية . وفي هذا الوقت كانت اليهودية قد وجدت سبيلها الى اليمن بعد اعتداء « طيطس » على القدس وتشتيت شمل اليهود ، فسلك اليهود الطريق التجارى القديم المعروف ، وسكن أناس منهم عند خيبر وفي مكة ، واستقرت طوائف منهم في اليمن ، وحاولوا بمرور السنين تهويد اليمانيين ، وأخذوا فعلا ينشرون تعاليمهم بينهم ويذيعون قصص التوراة عندهم ، حتى تمكنوا من اقناع بعض حكام اليمن بالتهود (٥) .

ووجدت النصرانية سبيلها الى اليمن كذلك من البحر والبر ، وسعت كاليهودية لتثيت أقدامها في بلاد العرب ، ووجدت من سمع دعوتها بين العرب ، فتصرت قبائل ، وشايعتها بعض المقاطعات والمدن ، فلاقت الوثنية مكافحة من اليهودية والنصرانية . وقد

(١) الاكليل ٦٦/٨ ، بلدان ٢٨٢/٤ .

(٢) الأضنام ١٢ . (٣) الاكليل ٦٦/٨ .

(٤) Ditlef Nielsen, Der Sab. Gott, P. 2, D.H. Müller : Burgen und Schlösser Vol, 2, P. 972.

Sab, 4 ; ; Ohal. 18. Hul. 49a. Yer. Taan. IV. 5, 69b. The Uni. Jew. Eney. (٥) Vol. 1, P. 939.



كان هذا الكفاح ، فى رأى ، من جملة العوامل التى أدت الى محو آثار الوثنية بين القبائل  
 المشهودة والمتنصرة ، والى قطع صلاتها بالماضى على مرور الأيام ونسيانه ، كما أدى الى  
 اضعاف الروابط التاريخية التى كانت تربط بين القبائل الوثنية من جهة ، وبين القبائل  
 التى تهودت وتنصرت من جهة أخرى ، والى حدوث تطور فى ديانة عبادة الأوثان عند  
 العرب أثر على صلات الوثنية الجديدة بالوثنية القديمة تأثيرا بينا .

ومما يؤيد هذا الرأى ما لاحظته المستشرقون من قلة الكتابات التى تعود الى هذه  
 الفترة ، وخفاء أسماء الأوثان القديمة منها خفاء تاما ، وبروز فكرة جديدة فيها ، هى  
 فكرة التوحيد ، كالذى يفهم من بعض الاصطلاحات الجديدة التى ظهرت فى هذا العهد  
 فى مثل عبادة « الرحمن » على أنه اله واحد عام <sup>(١)</sup> ، وعبادة « ذو سماوى » أى  
 « صاحب السماء » أو اله السماء ، وهى عبارة لم نعهدنا على ما وصل اليه علمنا حتى  
 الآن عند عرب قبل النصرانية وفى القرن الأول والثانى للمسيح . وما ذكره ابن الكلبي  
 من أنه « كان لحمير بيت يقال له « ريام » يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح . وكانوا فيما  
 يذكرون يكلمون منه . فلما انصرف تبع من مسيره الذى سار فيه الى العراق ، قدم معه  
 الحبران اللذان صحبا من المدينة ، فأمر بهدم رثام . قال : شأنكما به . فهدهما ، وتهود  
 تبع وأهل اليمن . فمن ثم لم أسمع بذكر رثام ولا نسر فى شىء من الأشعار ولا الأسماء  
 ولم تحفظ العرب من أشعارها الا ما كان قبيل الاسلام . قال هشام أبو المنذر : ولم  
 أسمع فى رثام وحده شعرا ، وقد سمعت فى البقية . <sup>(١)</sup> وفى رواية ابن الكلبي هذه ،  
 وروايات أخرى مماثلة دليل على أن محاولة القضاء على أخبار الوثنية وذكرياتها انما  
 ظهرت قبل الاسلام بقرون ، وأن الاسلام حين ظهر فى شبه الجزيرة كانت أكثر أخبار

BOASOR, 83 (1941) P. 22 « A Monotheistic Himjarite Inscription, » by. (١)  
 F. V. winnett Répertoire d' Epigraphie Sémitique = Res. NO. 343I, Glaser,  
 399, Winckler, « Zur Geschichte des Judentums in Jemen, » in Altorientalische  
 Forschungen, I. 336.

#### نصوص :

٨٣  
 CIH 6.45. 537. 538. 539. 541. 543. MM. Altsüd. 19. Res 4109. Bose. 13' Res  
 4069. Stamb. 7608. Res 3904. Asmare 1. C 537. Ry. 203. Le Muséon LII.  
 P. 51 ff.

الجاهلية القديمة قد طمست ، ولا سيما أخبار اليمن ، التي كانت تعتمد على التدوين ، مما لا يدع مجالاً للشك في أن دخول اليهودية والنصرانية إليها كان من أهم العوامل في ذلك ، وهو أمر طبيعي بالنسبة إلى الانقلابات السياسية والدينية والاجتماعية التي تحاول في الغالب ، ولا سيما إذا كانت موجهة إلى نظام قديم سابق ، إخفاء جميع معالم ذلك العهد وطمسه ، ولهذا وجدنا الأخباريين في الإسلام حينما حاولوا جمع شتات أخبار اليمن ، وخاصة أخباري اليمن الذين كانت تدفعهم عصيتهم اليمانية إلى ذلك دفعا ، لم يجحدوا لهم مادة تختلف عما وجدوه من أخبار العدنانيين ، من قصص شعبي ، وأساطير ، وأشباح من التاريخ مخلوطة بنسيج كثيف من الأوهام والمبالغات .

ثم انه لا يعقل طمس تاريخ الجاهلية ، وزهايه عن الذاكرة ذهابا تاما بمثل هذه السرعة ، لو كان للجاهلية تاريخ مدون مضبوط إلى ظهور الإسلام . فما كان في استطاعة المتحمسين لدينهم الذين كان يدفعهم حماسهم الديني لتثبيت أركان الدين الجديد إلى طمس معالم الجاهلية ، ليتمكنوا من محو آثار الجاهلية من ذاكرة الأخباريين ، وعلى الأخص أخباري اليمن المتعصبين ليمانيتهم تعصبا لا يقل عن تعصبهم للإسلام لو لم تكن ذاكرة الأخباريين نفسها ضعيفة في هذه المادة ، لم تع من أخبار ما قبل الإسلام أكثر من هذا الذي تمكنت طاقة الذاكرة من حفظه واستيعابه . ولهذا لم يتمكن معاوية بن أبي سفيان الذي عرف بنهمه في سماع أخبار الأوائل وأيام العرب من أن يجد عند الناس علما بأخبارهم أكثر من الذي وجد عند عبيد بن شريه ، وأكثره في أخبار اليمن . وقد وقفت على نوعية تلك الأخبار . ولم يكن بين معاوية والجاهلية عهد طويل ، وفترة كافية لمحو معالم تاريخ الجاهلية . وقد عرفت أن جماعة من العلماء ، في طليعتهم ابن عباس وهو رجل محترم الجانب ، معروف المكانة باجماع المسلمين ، كان يتحدث عن الجاهلية ، ويروي أيامها ، ويسرد ما وصل إلى علمه من أخبارها ، وأقواله مدونة ، وله أخبار عن الوثنية والأصنام . ولو كانت رغبة الإسلام الرسمية قد اتجهت إلى محو أخبار الوثنية ، لما تحدث ابن عباس عن هذه الأصنام .

ويظهر من مادة رواياته ومن نوع روايات غيره أن أخبار الجاهلية كانت قد طمست في أيام الجاهلية ، فلم يكن للناس عند ظهور الإسلام علم بما يزيد عن قرن أو قرن ونصف



قرن في أبعد تقدير . ولم يكن محصول علمهم يزيد أو يختلف عن هذا الذي وصل  
الياء ، وأغلبه محلي مستمد من المشاهدة والسماع ، وطبيعته مما يناسب طبائع الأيام  
والأنساب . ثم انه قد ثبت أن الرواة في الاسلام وفي عهد لم يكن بعيدا عن الجاهلية  
صاروا يضعون الأخبار والأشعار على الجاهليين ، ويدعون أنها أخبارهم وأشعارهم ،  
ويحاولون جمع ما يمكن جمعه من أيام القبائل والناس ، وقد ذهبوا الى الصحارى  
يلتمسون علم الأعراب في هذه الأمور ، ولو كان الاسلام قد نهى عن ذلك ، أو أراد  
طمس معالم الجاهلية ، لما ركب الرواة هذا المركب ، ولما جدوا هذا الجد في الطلب ، ولما  
أقبلوا ذلك الأقبال في محاولة جمع الشعر الجاهلي واحصائه ، وقد علمت أن أكثره كان  
قد ضاع قبل الاسلام ، حتى اضطر الرواة الى سد ذلك الفراغ بالوضع والصنعة . هذا  
ولم يكن ابن الكلبي وحده هو الذي اشتغل بأمر الجاهلية ، فقد ذكر ابن النديم وغيره  
أسماء عدد آخر ممن اشتغلوا بأمر هذا العهد ، وقد عاش بعضهم في الجاهلية فلم نجد في  
رواياتهم المدونة في الكتب ما يشير حتى الآن الى أنهم استمدوا علمهم من كتب كانت  
مدونة ، أو من مصادر كانت على علم غزير بأمر الجاهلية ، ولم تفصح أو تشر أو تلمح  
الى أن الاسلام كان قد نهى عن رواية أخبار تلك الأيام ، أو أمر باحراق ما كان مدونا  
فيها عن الجاهلية أو اتلافه ، فذهب لذلك مع الذاهبين .

هذا وما دام الأصل في الأحكام براءة الذمة ، فلا أرى أن من الصواب في أيامنا  
- وليس في أيدينا وثائق أو أدلة علمية مقنعة - اصدار حكم قطعي في موضوع خطير  
كهذا الموضوع ، ما لم تنهنا الأدلة الكافية والوثائق التي يركن اليها في تعيين  
أسباب اهمال التاريخ الجاهلي ، فلا بد من التريث والانتظار حتى تتوافر لدينا البراهين  
الكافية لاصدار مثل هذه الاحكام .

والذي تبين لنا من المؤلفات الاسلامية ، أن الأخباريين والمؤرخين كانوا قد اعتمدوا  
في تدوين تاريخ عرب العراق والشام على وثائق مدونة ، وكتب كانت موضوعة ، ولعلمهم  
فعلوا ذلك بالنسبة لتاريخ اليمن في الجاهلية القريبة للاسلام . وأما بالنسبة لتاريخ الحجاز  
ونجد والعروض ، فبالغالب أنهم أخذوا أخبارهم من طريق المشافهة والسماع ، ويمكن  
ادراك ذلك بمراجعة هذه الأخبار المدونة في بطون الكتب ، فسوف تجد فرقا واضحا في  
المادة وفي الأسلوب وفي البحث ، يشعرك بما أزعم ، ويشير الى أن ابن الكلبي

وغيره ممن بحثوا في تاريخ العراق أو الشام أو اليمن إنما استعانوا بمصادر مدونة ، وكتب كانت مؤلفة ، يظهر أنها كانت في الأصل أكثر سعة وتفصيلا من هذا القليل الباقي . ولا ندرى على كل حال كيف كانت تلك الموارد ، وما الذي حل بها ، ولكن الذي نستطيع أن نقوله هو أن عددا كبيرا منها كان مؤلفا بالآيرانية ، وقد استعان به ابن الكلبي في رواية أخبار الفرس والعراق والشام ، كما كان بينها مصادر نصرانية استفاد منها الرواة في رواية أخبار الحيرة والشام واليمن .

هذا ، ولسنا نستطيع أن نجيب عن سؤال نوجهه الى أنفسنا ، وهو : هل كانت الموارد التي اعتمد عليها الرواة والأخباريون بالنسبة لتاريخ العرب قبل الاسلام مختصرة على نحو ما نجده في الكتب الاسلامية ؟ أو أنها كانت أكثر شرحا وتفصيلا ، غير أن الرواة والأخباريين تعمدوا الاختصار والايجاز ، شأنهم في ذلك شأنهم في رواية تاريخ الفرس واليونان والرومان وسائر الشعوب الأخرى ، مع أنهم أطلوا وأظنوا في تاريخ الرسل والأنبياء وفي رواية الحرافات والأساطير والقصص الشعبي الذي لا يقبله العقل ؟! ثم ما الذي دفعهم الى هذا الاختصار والايجاز ان كانت الأصول التي اعتمدوا عليها حقا مطولة مفصلة ؟؟ وما الذي دفعهم الى المرور مر الكرام بتواريخ الأمم والملوك قبل الاسلام ، واكتفائهم برواية تاريخ الرسل والأنبياء ، بالاستناد الى كتب أهل الكتاب ؟؟ وما الذي جعلهم يؤثرون رواية الأساطير والقصص على رواية الأخبار التاريخية التي دونها الفرس أو الروم أو الرومان أو العرب عن تاريخهم قبل الاسلام ؟ هل كان الاسلام هو الذي دفعهم الى البحث في تاريخ الرسل والأنبياء وتفضيله على تواريخ الأمم والملوك باعتبار أن تاريخ الرسل والأنبياء مقدمة لتاريخ الرسالة ؟؟ قد يكون لتاريخ الرسل والأنبياء الأفضلية والأسبقية في نظر الأخباريين على تاريخ الأمم والملوك ، ولذلك يجب تقديمه على سائر فروع التواريخ الأخرى . ولكن هذا لا يمنع من التبحر في هذه الفروع ، ولا سيما ما يتعلق منها بسير الملوك ، وقد كان هذا النوع مما يطلبه معاوية وغيره ويرغب فيه . ثم اننا نرى أخبار التبابعة ، وقوم عاد وثمود ، والشعوب العربية البائدة من نوع القصص والأساطير مما يدل على أنها لم تكن مدونة ، وانما وردت حكاية ومشافهة . وقد اشتغل الأخباريون بهذا النوع من الحديث وبحديث قصص الرسل والأنبياء قبل اشتغالهم بتدوين أخبار الأمم والملوك . ولا يعقل منطقيا



تفصيل الأخباريين رواية هذا النوع من الحديث - الذي أنكروه فيما بعد وسفّفه أكثرهم - على رواية الأخبار التاريخية المستمدة من الكتب ، لو كانت لدى الأخباريين الأولين كتب متيسرة ينقلون منها الأخبار ، غير هذه البقية التي استعان بها ابن الكلبي وأضراجه في رواية أخبار العراق والشام واليمن . من الجائز أن يكون لدخول سكان شبه جزيرة العرب في الإسلام ، وللفتوحات الإسلامية ، ولهجرة الناس من بعض المدن الجاهلية العريقة الى المدن التي ظهرت في الإسلام وللانقلاب الفكري الذي حدث بقضاء الإسلام على الوثنية دخل في ضياع ما كان متبقيا من أخبار الجاهلية . ولقد علل علماء العربية ضياع أكثر الشعر الجاهلي بقولهم : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ؛ فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح ، واطمأن العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يثلوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ؛ وذهب عنهم كثير » (١) .

فلم يكن الإسلام نفسه هو سبب ذهاب أخبار الجاهلية ، وتخرج المؤمنين من روايتها ، ومع ذلك فاننا لا نستطيع الآن أن نجيب عن موضوع اهمال التأريخ الجاهلي اجابة علمية مفصلة ما لم تهياً لنا الموارد والوثائق والدلائل المقنعة ، ولما تهياً لنا .

#### تدوين التأريخ الجاهلي :

كان المستشرقون أول من نبه الى ضرورة تدوين تأريخ جديد للعرب قبل الإسلام ، فليس من المعقول الاستمرار على رواية هذا النوع البدائي من الأخبار ، على أنه تأريخ الجاهلية . وقد كتبوا فعلا شيئا جديدا لم تعرفه الكتب عن تأريخ شبه الجزيرة قبل ظهور الرسول ، وحلوا سر الخط المسند ، وقرأوا الكتابات قراءة صحيحة أوصلتهم الى نتائج قيمة لم تكن تخطر على بال ، ففندوا فكرة جهل الجاهليين ، وأظهروا أن العرب كانوا أصحاب حضارة وثقافة ، وسخروا من القائلين بعزلة شبه الجزيرة قبل الإسلام ، وأن العرب قبل الإسلام كانوا أمة معتزلة تعيش في صحرائها لا تعرف العالم الخارجي ، ولا يعرفها العالم الخارجي ، لم تتأثر بمؤثرات خارجية ، ولم تؤثر في العالم الخارجي ، وأنها لم تنزل الى العالم الا بنزول الوحي وظهور الإسلام ، ولم تساهم في الثقافة والحضارة ، الا بعد

وقد تمسك القدماء بنظريتهم هذه تمسكا غريبا ، وظلوا على رأيهم في عزلة شبه الجزيرة عن بقية العالم ، فلم يتمكنوا من حل كثير من مشكلات التاريخ الاسلامي ، ولم يستطيعوا الاجابة عن سبب وجود الكلمات الدخيلة في اللغة العربية قبل الاسلام ، ولن يستطيعوا الاجابة عن كيفية وصول الكتابات العربية الجنوبية الى اطراف جزر اليونان ، ومصر ، والبحرين والعراق ، مع وجود العزلة .

وقد فاتهم أن في القرآن شيئا يفند هذا الرأي ، وأن فيه ما يشير الى تعقب العرب للسياسة العالمية ووقوفهم على انقسام العالم الى معسكرين ، وعلى الحرب التي وقعت بين الفرس والروم : « الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء » (٢) . وفي القرآن وصف للرحلات التجارية التي كانت تقوم بها قريش تنقل بضائع المناطق الحارة الى الروم ، وتنقل بضائع أهل الشام والمناطق الخاضعة للروم الى اليمن والأسواق المتصلة بمكة : « لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف » (٣) . وفي كتب الحديث والسيرة رسائل بعث بها الرسول الى قيصر وكسرى والنجاشي حاثا اياهم على الاسلام ، أفكان الرسول يعرف هؤلاء لو كانت شبه الجزيرة في عزلة وانقطاع عن العالم الخارجي (٤) ؟

أظهر المستشرقون أن بلاد العرب كانت متصلة بالعالم اتصالها به في هذا اليوم ، وأن شعوبها قد شاركوا في الحياة البشرية كمشاركة الشعوب الأخرى ، وأن التبادل المادي والروحي كان مستمرا بين شبه الجزيرة وبين الشام والعراق (٥) وايران ومصر وحوض البحر الأبيض المتوسط والهند وافريقية . وفي ضوء هذه النتائج يجب أن يكتب تاريخ العرب قبل الاسلام .

(١) Eberhard Schrader, Die Keilinschriften und das Alte Testament Berlin 1903. P. 136-137.

(٢) سورة الروم ، سورة رقم ٣٠ آية ١ فما بعد .

(٣) سورة قريش ، سورة رقم ١٠٦ آية ١ فما بعد .

(٤) تجد في هذا الموضوع فصلا كتبه الدكتور طه حسين في كتابه « في الأدب

الجاهلي » ص ٧٢ فما بعد ( الطبعة الثالثة ) .

(٥) Schrader. P. 134.



أدى المستشرقون والسياح خدمات جليلة في تدوين التاريخ الجاهلي ، فهم أول من  
غربل الروايات ، وأظهر الشك في أكثرها ، ونادى بوجوب العناية بتاريخ العرب قبل  
الاسلام ، وبوجوب استخراجها من أنقاض الجاهلية وبقاياها ، ومن المباني العادية ، وبالتجوال  
في الصحارى والبوادي للحصول على ما يمكن الحصول عليه مما له صلة بتلك العهود  
المسحقة ، والبحث عن الكتابات لاستنطاقها بعد سكوت طويل ، واستدراجها للتحدث عن  
شعوب بادت لم يعرف عنها الجاهليون الذين أدركوا الاسلام شيئاً .

وقد جاءت عناية علماء الغرب بتاريخ الجاهلية متأخرة ، بالقياس الى عنايتهم بتاريخ  
الأماكن والشعوب التي كان لها اتصال بحوادث التوراة والانجيل ، كما كانت أكثر  
الاسفار التي قام بها روادهم أسفارا فردية قام بها أفراد من العلماء ومن الضباط والمغامرين .  
والأسفار الفردية ، مهما كانت ، لا تأتي بالنتائج التي تنجم عن دراسات البعثات  
المتخصصة بمختلف الشؤون ، لذلك فاننا نتطلع الى اليوم الذي تتمكن فيه البعثات العلمية  
الكبيرة من اختراق آفاق شبه الجزيرة ، وتقديم نتائج بحوثها الى العلماء لتدوين تاريخ  
مرتب لشبه الجزيرة قبل الاسلام ، ولا سيما الى البعثات العلمية العصرية التي تتألف من  
متخصصين من الناطقين بلغة هذه البلاد ؛ لأن هؤلاء أقدر من غيرهم على فهم اللهجات  
القديمة ومحتوياتها وروح ذلك التاريخ .

ونستطيع أن نعد العالم الدانماركي « كارستن نيوبور Carsten Niebuhr » الذي  
قام في سنة ١٧٦١ للميلاد بأمر ملك الدانمارك برحلة الى شبه جزيرة العرب ، أول  
رائد من رواد الغرب ظهر بعد « الكلاسيكيين » وصف بلاد العرب ، ولفت أنظار العلماء  
الى المسند والرقم العربية<sup>(١)</sup> . وقد أنارت رحلته هذه همم العلماء والسياح ، فرحل من  
بعده عدد منهم لا يتسع المقام لذكرهم جميعا رحلات الى مختلف أنحاء شبه الجزيرة عادت  
على التاريخ العربي بفوائد جزيلة .

فزار الدكتور « سيتزن Dr Sctzen » جنوبي بلاد العرب ، وتمكن من الظفر

(١) Carsten Niebuhr, Reisebeschreibung nach Arabien und andern umliegenden  
Ländern, Kopenhagen, 1772-1837, 2 Vols.

وهناك طبعة افرنسية وترجمة انكليزية .

Carsten Niebuhr, Description de l'Arabie, Copenhagen, 1773, Voyage en Arabie,  
Amsterdam, 1774-80.

بصور نصوص عربية جنوبية أرسلها الى أوربة عام ١٨١٠ للميلاد . وهذه النصوص على قصرها وغلطها ، أفادت (١) في تدوين تاريخ العرب قبل الاسلام افادة غير مباشرة ؛ لأنها لفتت أنظار المستشرقين اليها والى دراسة التاريخ العربي القديم حتى آل الأمر الى حل رموز تلك الكتابة ومعرفة حروفها .

وتمكن الرحالة السويسرى « ليدويك بركهاردت » Johann Ludwig Burckhardt من القيام برحلة الى الحجاز فتزيا بزى مسلم اسمه « ابراهيم بن عبدالله » يريد الحج وزيارة مسجد الرسول وقبره . وقد صحب الحجاج فى حجهم ، ووصف موسم الحج وصفا دقيقا ، وكتب عن مكة والمدينة كتابة علمية . وقد زار آثار الأنباط وعاصمتهم « البتراء » « الرقيم » (٢) .

وتمكن أحد الضباط الانكليز وهو الضابط « ولستيد James R. Wellsted » من زيارة الانحاء الجنوبية من شبه جزيرة العرب ، ومن الحصول على صور نصوص عربية قديمة قصيرة ، ومن استساخ كتابة حصن « غراب » التى يرجع تاريخها الى سنة ٦٤٠ من تاريخ أهل اليمن ، وتوافق سنة ٥٢٥ للميلاد . وبفضل هذا الضابط عرف المستشرقون هذا النص (٣) .

وأضاف الرحالة « هوتن T.G. Hutton » عددا آخر من الكتابات اليمنية القديمة

- 
- (١) Pfannmüller, S. 85. Seetzen, Travels in Yemen 1810. Hommel, explorations in Arabia, in Hilprecht, Explorations in Bible Land, P, 702. Seetzen, Fundgruben des Orients, Vienna, 1811, explorations وسأرمرز اليه بـ  
نشر مذكرات « Seetzen » التى أرسلها الى أوربة المستشرقون « Kruse » و « Fleischer »  
Reisen Durch Syrien, Palastina, Phönizien, فى أربع مجلدات .  
die Transjordan — Länder, Arabia Petraea und unter — Agypten.
- (٢) Johann Ludwig Burckhardt, Travels in Arabia, London 1829, Deutsch. weimar 1830. Bd. 1, 2. Burckhardt Travels in Syria and the holy land, London 1822, notes on the Bedouins and wahabis, 2 Vols. London 1830, in German, weimar 1831. S.M. Zwemer, Arabia the Cradle of Islam, London, Explorations, P, 703.
- (٣) Otto weber, Arabien Vor dem Islam. S, 10. Wellsted, ( Lieutenant ) — Travele in Arabia, London, 1838. in 2. Vols. Narrative of a Journey to the ruins of Nakeb el Hajar Journal Roy. Geogr. Soc. VII, 20. German Translation. By Rödiger. Halle, 1842.



سنة ١٨٣٥م الى ما كان قد عرف سابقا . وجاء « كروتندن Cruthenden » سنة ١٨٣٨م بنقوش أخرى جديدة . وكذلك « الدكتور مكل Dr. Mackell » الذي عاد بخمسة نصوص سبئية فتوسعت بذلك دوائر البحث قليلا ، وتمكن العلماء بفضل هذه النقوش من حل رموز الكتابة العربية الجنوبية (١) .

وقد قام أحد الصيادلة الافرنسيين ، وهو « توماس يوسف أرنو Thomas Joseph Arnaud » برحلة الى اليمن موفقة جدا ، اذ تمكن ، بفضل علمه بالعماقير ، من اكتساب صداقة المشايخ والزعماء . وبهذه الصداقة استطاع أن يتجول في بعض أنحاء اليمن ومدنها ، ولم يكن ذلك بأمر ميسور للأجانب ، فزار خرائب مأرب ، ومكث في مدينة « صنعاء » أمدا ، وزار « صرواح » المدينة الاثرية القديمة ، فتمكن بفضل هذه الاقامة والزيارة من استنساخ (٥٦) نصا كتابيا قديما (٢) .

وكتب التوفيق لسائح أوربي آخر ، هو الضابط الانكليزي « Coghlan » فحصل على عشرين لوحة برنزية سليمة عثر عليها في أنقاض مدينة « عمران » عام ١٨٦٠ الميلادي . وقد أرشدت هذه الألواح المعدنية المستشرقين الى ناحية مهمة من نواحي الفن العربي القديم (٣) .

وتوصل العلماء ، بعد جهود ، الى حل رموز هذه الكتابة العربية ، فعرفوا منها - وكان أغلبها قصيرا - أنها تبحث في موضوعات متشابهة ، وأنها مؤلفة من حروف أطلقوا عليها اسم « الكتابة الحميرية » ، أو « الحروف الحميرية » . وكان الرأي الشائد بادىء بدء أنها كذلك ، حتى تبين لهم أن هذه النصوص والنصوص التي جئ بها أخيرا لم تكن جميعها نصوصا حميرية ، بل كان بعضها من النصوص المعينية ، وهي أقدم الكتابات العربية الجنوبية على الاطلاق . وبعضها كتابات سبئية ترجع الى عهد دولة سبأ ، وهي تلى المعينية في الترتيب ، وتسبق الحميرية في القدم .

(١) Cruttenden C.J, Jour of an excursion to San'a the Capital of yemen. (١) Bombay, 1838. Journal of the Royal Geographical Society of London, Vol, III, 276-289, and in the Proceedings of the Bombay Geographical Society, 1838, PP, 39-55.

(٢) Otto Weber, S, 10, Pfannmüller, S, 85, Hitti, P, 51, explorations, P,704. (٢) Arnaud. « Rélation d'un Voyage a Mareb » in Journ. Asiat, 1845. 211, 309. 1874. 3.

(٣) Pfannmüller, S, 85. Weber, S, 10

عالج بعض العلماء ممن أولعوا بدراسة النقوش تلك النصوص ، وأعملوا رأيهم فيها حتى تمكن بعضهم من التوصل الى حل رموز بعضها ، مثل العالم « وليم كسينوس Wilhelm Gesinus » والعالم « رودكر E. Rödiger » والعالم « هاينرش ايواند Heinrich Ewald » والعالم « ف . فريسئل Fulgence Fresnel » الذى نشر النصوص التى جاء بها - وعددها ٥٦ نصا ، بحروف عربية وحميرية ، فى الجريدة الآسيوية « Journal Asiatique » (١) سنة ١٨٤٥ الميلادية ، الا أن نشره لم يكن متقنا اتقاناً تاماً . وجاء القسيس « أنست أوسيندر Ernst Osiander » قائم ما كان قد بدى به . ولم يتمكن العلماء الذين عالجوا مشكلة الكتابة العربية الجنوبية من معرفة الحروف كلها ، ولذلك لم يتمكنوا من قراءة أكثر النصوص التى جىء بها الى أوربة ومن فهم معناها . كما أن النصوص المقروءة لم تكن مضبوطة ضبطاً تاماً ، فاستطاع هذا العالم بجهوده العظيمة قراءة كل النصوص التى جاء بها السياح والعلماء وتعيين أشكال الحروف ووضع أسس متينة لدراسة عرفت بعد ذلك باسم ( الدراسة العربية الجنوبية ) . وقد استعان العلماء على فهم هذه الكتابات بالدراسات اللغوية وباللغة العربية الشمالية وباللهجة اليمنية وبالعلوم الجغرافية المدونة فى الكتب العربية ، وبأسماء الملوك والأشخاص الذين وردت أسماؤهم فى مؤلفات العرب (٢) .

وترسم المستشرق « ليفى M.A. Levy » أثر ( أوسيندر ) ، وتبع أسلوبه فى البحث ، وحاول استخراج مادة تاريخية من هذه النصوص التى ترجمت وعرفت . وقد تمكن من نشر ماتريكه ( أوسيندر ) من نصوص عاجلته المنية قبل أن يوفق لاجراجها الى الناس ، فتمكن ( ليفى ) من تسيقها وتهذيبها ، وطبعها وعرضها على العلماء (٣) .

وفاق « يوسف هاليفى Joseph Halevy » ، وهو يهودى افرنسى ، كل من تقدمه فى كثرة ما جاء به الى أوربة من نقوش ، وبسعة علمه فى تاريخ اليمن ودراسة النقوش العربية الجنوبية . دخل هذا الافرنسى فى اليمن بهيئة يهودى متسول من أهل القدس

Pfannmüller, S, 85. Fresnel in Journal Asiatique III, Series V . 521. (١)  
1838. Lettres Sur hist. des Arabes avant L'islamisme 1853. Fresnel, Recherches  
Sur Les Inscriptions Himyariques de San'a KH'ariba Marib in : Journ. Asiat  
IV, Serie to 6, P. 169-237. 1845.

Pfannmüller, S, 85. Otto Weber, S, 10. (٢)

Pfannmüller, S, 85. (٣)



ليجنب بذلك ما يتعرض له الأجانب وأهل البلاد المسلمون على السواء من أخطار رجال القبائل وقطاع الطرق الذين يأنفون من التعرض لأهل الذمة بسوء .

وقد استطاع بهذه الطريقة من التطواف في أرجاء اليمن حتى بلغ أعاليها مثل « نجران » وأعلى الجوف وهي المنطقة التي كان فيها المعينون<sup>(١)</sup> . ووصل في تطوافه الى حدود مأرب عاصمة سبأ والى « صرواح » وهو بهذا أول أوربي زار ( نجران )<sup>(٢)</sup> . ولما عاد الى أوربة أحضر معه (٦٨٦) نقوشا جمعها من مواضع مختلفة من اليمن .

وفي سنة ١٨٧٢-١٨٧٤م نشر هذا العالم في الجريدة الاسيوية «Journal Asiatique» ما كتبه عن رحلته الى بلاد اليمن ، وقد ضمن كتاباته وصفا للمكان التي حل بها والطرق التي اجتازها ، وترجمة لـ (٦٨٦) نصا وهي النصوص التي كان قد جاء بها أو استسخنها من أصولها ، ونشر بحثا علميا وانتقادا قيما للأبحاث اللغوية والتراجم والنصوص التي سبق أن نشرها العلماء من قبله<sup>(٣)</sup> .

وكان ممن ذهب الى اليمن شاب نمساوي اسمه « سيكفريد لنكر Siegfried

Langer » استطاع تصوير بعض النقوش واستساخ قسم من الكتابات في عام ١٨٨٢ غير أن القدر عاجله اذ قتل هناك ، ففقد البحث في تاريخ اليمن بوفاته عضوا نشيطا . غير أن رجلا نمساويا آخر عوض عن خسارة ذلك الشاب ، وهو العالم « ادورد كلاسر » Eduard Glaser » وقد قام بأربع رحلات الى اليمن ورجع بعدد كبير من النصوص والنقوش وبمادة غزيرة من المعلومات<sup>(٤)</sup> .

بدأ الرحلة الأولى ( في اكتوبر عام ١٨٨٢م ) وحثمها في شهر آذار ( مارس ) من سنة ١٨٨٤ ، وكانت الحالة السياسية في ذلك الوقت مضطربة والأوضاع غير مساعدة والفوضى عامة في بلاد اليمن ، ولم يكن للحكومة على القبائل من سلطان . ومع ذلك

Halévy, in Bulletin de la Société de Géographie, 1873, et. 1877. (Voyage). (١)  
Rapport sur une mission archeologique dans le Yemen, in Journal Asiatique. Series.  
6. Vol. XIX. Josph Halévy, in Journal asiatique 1874. Pfannmüller, S, 86. Hitti,  
P, 51. Explorations. P, 709.

Hitti, P, 51. (٢)

Pfannmüller, S, 85. (٣)

O'leary P, 221. Explorations, P. 722. Hitti, P, 51 Pfannmüller, P, 83. (٤)

Otto Weber, S. 11

تمكن من الحصول على (٢٥٠) نقشا رجع بها الى أوربة • أما الرحلة الثانية فكانت في نيسان سنة ١٨٨٥ ودامت حتى فبراير سنة ١٨٨٦ وقد زار في أثنائها المناطق الجنوبية الشرقية والمنطقة الجنوبية الممتدة من جنوب صنعاء حتى مدينة عدن • وقد تمكن من جمع معلومات مهمة عن طبغرافية البلاد وأماكنها الأثرية ، وعاد بنصوص معينة مهمة أصبحت من ممتلكات المتحف البريطاني (١) •

وقام بالرحلة الثالثة في سنة ١٨٨٧م ومكث في اليمن الى سنة ١٨٨٨ وكانت رحلته هذه موفقة جدا اذ حصل على آثار ونقوش كتابية كانت على جانب عظيم من الأهمية ، منها أربع مئة نص أخذها من مدينة مأرب عاصمة سبأ ، ومن هذه النصوص نصان عن تصدع سد مأرب يرجع عهدهما الى وقت قريب من ميلاد الرسول ونصوص أخرى من مدينة ( صرواح ) يرجع عهدهما الى العصر السبئي ، وهي ذات أهمية كبيرة في تدوين تاريخ بلاد العرب الجنوبية (٢) •

وكانت رحلته الرابعة ، وهي الأخيرة ، في سنة ١٨٩٢م ، وكانت موفقة جدا كذلك • اتبع فيها أسلوبا جديدا في الحصول على صور النصوص ، اذ استعان بالأعراب الذين فرقهم في مختلف الجهات التي لم يسبقه أحد من الأوربيين الى زيارتها ، بعد أن علمهم مختلف الطرق في الحصول على تلك النصوص بطريق الورق الذي يتأثر بالضوء وبطريقة القوالب الجبسية وبطرق أخرى • وقد تمكن بهذا الأسلوب الجديد من الظفر بصور مضبوطة بعض الضبط للكتابات القديمة التي لم يكن بوسعها الذهاب الى أماكنها واستساخها بنفسه ، وقد تمكن بهذه الطريقة أيضا من تصحيح الأغلط التي كانت في الصور التي أخذها ( هاليفي ) عن النقوش الأصلية ، وتمكن أيضا من الحصول على زهاء مئة نص قتباني أخذها من منطقة خرائب مأرب ، وفي متحف فينا قسم من الأحجار المكتوبة التي كان هذا العالم قد جلبها معه في المرة الأخيرة الى أوربة (٣) •

وقد زار المستشرق « جورج أغسطس والين George Augustus Wallin »

Otto Weber, S, II, (١)

Explorations, P, 721. Mittheilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, (٢)  
Berlin. Beilage der Allgemeinen Zeitung, 1888. nos, 293. and 294. Eduard Glaser's  
Reise nach Márib.

Otto webr, S. 12. Pfannmüller, S, 86. (٣)



سنة ١٨٤٥ للميلاد أراضى نجد وكتب عنها<sup>(١)</sup> . وزار الحجاز العالم الشهير « سنوك هرغرونية Snouk Hurgtonje » ، وهو مستشرق هولندي كتب عن أحوال مكة ووصف الحياة في الحجاز وموسم الحج . وكان قد ذهب اليه سنة ١٨٨٥-١٨٨٦م ، وهو من العلماء المدققين<sup>(٢)</sup> .

وقد زار الحجاز « السير ريشارد برتن Sir Richard Burton » متكررا بزى مسلم سمي نفسه « عبدالله » ، زار الحرمين وكتب سياحته هذه<sup>(٣)</sup> .

وتولت « آنه بلنت Anne Blunt » سنة ١٨٧٩ في شمال بلاد العرب حتى بلغت أرض نجد ، وكانت مولعة بدراسة أحوال الحيول العربية<sup>(٤)</sup> . واخترق الرحالة الانكليزي « جارلس دوتى » الصحارى العربية وشمال بلاد العرب ، ووضع كتابا مهما وصف فيه أسفاره في بلاد العرب الصحراوية<sup>(٥)</sup> . وقد اهتم خاصة بدراسة النواحي « الجيولوجية » والجغرافية للبلاد العربية ، ودون ملاحظاته عن الظواهر الجوية وتغيرات الطقس ، الا أنه لم يغفل عن دراسة طبائع البدو وحياتهم الاجتماعية وطرق تفكيرهم وعقائدهم . وقد طبع كتابه ، في سنة ١٨٨٨ ، وترجم الى بعض اللغات الاوربية لاهميته<sup>(٦)</sup> .

وبعد هذا الرحالة من المتعصبين على الاسلام ، وقد يكون لهذا التعصب سبب ، فقد لاقى من الأعراب وأهل المدن شيئا كثيرا أثر في نفسه ، فصار يتحامل على المسلمين ويقسو في حكمه على الرسول عليه الصلاة والسلام ، الا أنه لم يتمكن مع ذلك من الغض من قيمة المبادئ الأخلاقية التي يتحلى بها . ومما لاحظته على البدو ، عدم اهتمامهم بعباداتهم كالصلوات الخمس والصوم ، كما لاحظ من جهة أخرى أن الخوف من وجود اله يكاد يكون أعمق أثرا في نفوس هؤلاء من الخضر . ولاحظ أيضا أن جذور الوثنية

(١) Ency. Brit Vol, 2, P, 171. Explorations. P 705 Hitti, P, 7

(٢) Ency. Brit, Vol, 2, P, 170 Mekka, De Haag 1888. Explorations, P, 720.

(٣) Richard Burton. Personal Narrative, of a Pilgrimage to El—medina and Meccah. London, 1857. in two Vols.

(٤) Lady anne Blunt, A Pilgrimage to Nedj, 2 Vos, London, 1883.

(٥) The Bedouins of the Euphrates London, 1879.

(٦) Travels in Arabia Deserta Cambridge, 1888, 2 Vols.

(٦) Charlis M. Doughty, Die Offenbarung Arabiens Paul list Verlag Leipzig.

1937)

القديمة لا تزال راسخة حتى الآن في نفوس الأعراب وأكثر سكان القرى والمدن ، وقد أظهر هذا الرحالة ميلا عظيما لدراسة حياة البدو وطريقة معيشتهم ، وهو يشوق الى الصحراء ويحن اليها حين البدو ، ويتجلى ذلك العطف في رحلته (١) التي تعد من روائع الأدب الانكليزي .

ومن الذين تزياروا بزى المسلمين وذهبوا الى بيت الله الحرام ومدينة الرسول الرحالة الالماني « فون مالزن Heinrich Von Malzen » الذي تنكر وظهر بهيئة حاج مغربي ، وكان قد زار بلاد المغرب وتعلم لهجة سكانه وعاداتهم ، فتظاهر في الحجاز بأنه منهم ، وبعد عودته من الحج وضع رحلته (٢) .

ومن الجوابين العلماء « يوليوس اويتنك Julius Euting » ، وقد اهتم خاصة بدراسة أحوال البدو ، وكتب عن الوهابيين والحركة الوهابية (٣) . ومنهم الرحالة الجيكوسلوفاكى الاصل « الويس موسل Alois Musil » الذي زار « العربية الحجرية » وكتب عدة كتب عن شمال الحجاز وعن بادية الشام ومنطقة الفرات الأوسط وتدمر ونجد ، ووصف رحلته الى هذه الأماكن ، ووضع في نهاية كل كتاب من كتبه فصولا علمية قيمة فيها تحقيق تاريخي جليل (٤) . ولا بد من ذكر جوابين آخرين مثل « جوسن Antonine Jaussen » (٥) و « برونوف R. E. Brünnow » (٦) و « جارلس هوبر

Passages from Arabia Deserta, Selected By, Edward Garnett, London. (١)

1949. Pfannmüller, S, 54.

Von Malzen, Meine Wallfahrt nach Mekka. Leipzig. 1865. Bd 1. 2. (٢)

Bearbeitet Von F. Gansberg Braunschweig 1919. Ders. Reise in Arabien,

Braunschweig 1873. Bd, 1,2. Arabica, Parts 4 and 5, Leiden, 1896 and 1898.

Julius Euting, Tagebuch einer Reise in inner Arabien, Leiden 1896-1914. (٣)

Bd, 1.

The Northern Hegaz, New York, 1926. Arabia Deserta, New York, (٤)

1927. Palmyrena, New York 1928. Northern Negd. New York 1928. the Middle

Euphrates. New York 1927. in the Arabian Desert, New York 1930.

Antonine Jaussen, Coutumes des Arabes au Pays de moab. Paris 1908. (٥)

Pfannmüller P. 29 Hitti, P, 7.

R.E, Brünnow und A.V. Domaszewski, Die Provincia Arabia, Strassburg (٦)

1904-1909, Bd, 1-3.



Charles Huber<sup>(١)</sup> و « برترام توماس » الشاب الانكليزي المستشرق الذي استطاع في شباط سنة ١٩٣٩م أن يخترق لأول مرة « الربع الخالي » فكشف بذلك بقعة من أكبر البقاع المجهولة في بلاد العرب<sup>(٢)</sup> . ويضارعه في مخاطراته هذه « فلبى » الذي أطلق على نفسه اسم « الحاج عبدالله فلبى »<sup>(٣)</sup> . وقد ألف هذا الانكليزي المستعرب عدة كتب باللغة الانكليزية وصف فيها أسفاره في بلاد العرب ، وقد تهيأ له من الفرص ما لم يتهيأ لأوربي آخر ، اذ كان من الملازمين لجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود والمقربين اليه . وقد مكث الرحالة « راتجن C. Rathjens » بضعة سنين في اليمن وكتب عنها ، وجلب معه عدة كتابات يمانية قديمة الى المانيا وضعت في « متحف الشعوب في مدينة هامبرك »<sup>(٤)</sup> .

ومن مستشرفي الطائفة الثانية ( أى طائفة أساتذة الجامعات الذين استعانوا بالمصادر السابقة وبأبحاث السياح لدراسة مختلف النواحي من تاريخ العرب قبل الاسلام واستخرجوا أسماء الأضنام والأعلام العربية الواردة في المصادر الأجنبية محرقة وقابلوا بين معتقدات الشعوب السامية وما روى في الكتب العربية من معتقدات للعرب القدماء اضافة الى الكتب التي ألفها العلماء السابقون ) المستشرق « برجه Berger » مؤلف كتاب « جزيرة العرب قبل محمد في الآثار L'Arabie avant Mahomet d'apres les Inscriptions Paris 1885 » والمستشرق « كوسان دى برسفال » العلامة الافرنسي صاحب كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام Essai sur l'histoire des Arabes avant L'islamisme, Paris 1847-1848. Reprint. 1902 3 Vols. وهو من الكتب المفيدة وقد جاء صاحبه بنتائج مهمة وبآراء صائبة في بعض الموضوعات ، غير أن الكتاب أصبح قديماً ، وفيه نواقص كثيرة ، وهو لا يتفق اليوم مع أساليب البحث الحديثة . وقد اعتمد مؤلفه على المصادر العربية ولا سيما كتاب الأغانى وعلى مصادر أخرى كانت معروفة في

(١) Charles Huber, Voyage dans L'Arabie Centrale, Paris 1885. Ders. in Journal d'un Voyage en Arabie (1883—1884). Paris 1891.

(٢) Arabia Felix : Across the Empty Quarter of Arabia. New York, 1932.

(٣) منها : The Empty Quarter. 1988 the Background of Islam 1947. وكتب أخرى

(٤) C. Rathjens und H. Von Wissmann, Südarabien Reise. 3 Vols Hamburg. 1934. Rathjens und H. Von Wissmann, «Sanaa;Eine Südarabische Stadtlandschaft.» in : Zeit. der Ges. für Erd. Zu Berlin. Nos, 9-10, PP, 329-58.

ذلك الوقت ، غير أنه لم يتمكن من الوصول الى مصادر كثيرة مهمة ، لأنها لم تكن في متناول يده في ذلك العهد .

وللمستشرق الايطالى « كيتانى L. Caetani » بحث جيد عن تأريخ عرب ما قبل الاسلام جعله مقدمة لتأريخ الاسلام Principe di Teano; Annali dell' Islam. Milano 1905., Studi di Storia Orientale. Milano 1911

وممن كتب في حياة العرب قبل الاسلام المستشرق « أوليرى Delacy O'Leary » صاحب كتاب « البلاد العربية قبل محمد »<sup>(١)</sup> وقد تحدث فيه عن صلات العرب بالمصريين فالآشوريين الى زمن ظهور الاسلام ، وهو كتاب ( مع ما له من فائدة ) لا يخلو من هفوات . والمستشرق « جارلس فورستر Charles Forster » وله كتاب مفيد ( وان أصبح قديما جدا ) في تأريخ بلاد العرب القديمة وجغرافيتها ويستند في أكثر أبحاثه كأغلب معاصريه الى نظريات التوراة<sup>(٢)</sup> .

وقد كتب المستشرق الالماني « أوتو وير Otto Weber » رسالة صغيرة عن

حالة العرب قبل الاسلام « Arabien Vor dem Islam » 1904

وكتب المستشرقون الذين عنوا بالسيرة النبوية وبالتأريخ الاسلامى عامة فصولا تمهيدية عن حالة العرب قبل الاسلام ، تعرضوا فيها لمختلف النواحي التاريخية ، وهى مفيدة للاطلاع على أحوال الجاهلية .

وهناك من كتب فى موضوع خاص من التأريخ الجاهلى كالمستشرق « دسو » فقد وضع كتابا عن « العرب فى الشام قبل الهجرة Les Arabes avant l' Islam En Syrie والمستشرق الالماني « تيودور نولدكه » وله كتاب فى « تأريخ الفرس والعرب فى عهد الساسانيين » 1879. Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sassaniden. وكتاب آخر عن « أمراء غسان Die Ghassanidischen Fürsten aus dem Hause Cafna's Berlin 1887.

والمستشرق « روتشتاين Rothstein » مؤلف « تأريخ أسرة اللخمين فى الحيرة » Die Dynastie der lachmiden in al-Hira. Berlin 1899. وهو من الكتب المهمة فى تأريخ الحيرة . وقد استعان مؤلفه بالمصادر العربية والسريانية واليونانية ، ولا يخلو

O'leary, Arabia before Muhammad, London 1927. (١)

Charles Forster, The Historical Geography of Arabia, London (٢)

MDCCCXLIV, 2 Vols.



على كل حال من الضعف في بعض مواضعه .

ويضاف الى كل ذلك ما كتبه بعض المستشرقين عن الحالة الدينية عند العرب قبل الاسلام ، وأهم ما كتب في ذلك كتاب « بر كمن Bergmann » عن أديان العرب في الجاهلية « De Religione Arabum anteislamica » ، والفصل الجيد الذي كتبه المستشرق « ارنست أوسيندر Ernst Oslander » عن ديانة العرب قبل الاسلام في مجلة الجمعية الآسيوية الألمانية « Studien über die Vorislamische Religion der Araber in: Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft. 7 1853 » وقد بحث هذا المستشرق في ديانة العرب قبل الاسلام بحثا عميقا ، وهو أول مستشرق درس هذا الموضوع بعد « Poccoke » الذي كان أقدم من درس الوثنية عند العرب دراسة تفصيلية مستقلة في كتابه المسمى Specimen Historiae arabum. Oxford 1649 . وقد تطرق « أوسيندر » الى البحث في عبادة النجوم عند العرب وعبادة الأصنام والأماكن المقدسة في جنوبي بلاد العرب وعبادة الأصنام في الحجاز ونجد ، وتوصل الى أن العرب عبدوا النجوم في بادئ الأمر ، ثم تطورت الفكرة الدينية عندهم . وعلى الرغم من ذلك ظلت عقيدة عبادة النجوم راسخة في أدمغتهم .

رأتم دراسة « أوسيندر » المستشرق « لودولف كرييل Ludolf Krehl » فأحيا هذه الدراسة مرة ثانية ، وتطرق الى موضوعات لم يتمكن من سبقه من البحث فيها . وقد ذهب هذا المستشرق الى أن العرب القدماء كانوا من الموحدين في الأصل ، غير أنهم تركوا التوحيد بعدئذ ، وعمدوا الى عبادة النجوم ثم الأصنام فالأحجار والأشجار ، وبذلك انحطت الحالة الدينية عندهم ، وفي القرن السادس تأثروا بالديانة اليهودية والمسيحية في الأماكن التي حدث فيها اتصال بهاتين الديانتين . وعنوان كتابه « بحث عن ديانة العرب قبل الاسلام »  
araber. Leipzig. 1863

وأهم كتاب عن عقائد العرب الوثنيين قبل الاسلام هو الكتاب الذي ألفه المستشرق الألماني « ولهوزن » عن « بقايا الوثنية عند قدماء العرب »  
Reste arabischen Heidentums. Berlin 1887. 1929. 2th ausgabe

(١) للاطلاع على المؤلفات التي تعرضت لاسفار السياح في شبه جزيرة العرب ، يستحسن الرجوع الى الكتب التي ألفت في هذا الموضوع في اللغات الاوربية . ومنها كتاب Explorations in Bible Land During the 19 th Century. by Hilprecht. Edinburgh, 1903. Ecy, Brit, Vol, 2, P, 169 ff.

وقد بحث في كتابه هذا في نواح مختلفة من نواحي الحياة الدينية عند غرب  
الجاهلية وفي الأضنام ، فجمع ما لم يتمكن أحد من قبله من المستشرقين جمعه في هذا  
الباب ، واتبع أسلوب المقابلة والتقد في البحث .

هذا ولا بد من الإشارة الى مجهود عدد من العلماء الذين تخصصوا بالعربيات  
وعالجوا نواحي عديدة من دراسات الجاهلية ، وأولهم « هومل Fritz Homme »  
صاحب المؤلفات والبحوث الكثيرة ، والدراسات القيمة في تاريخ اليمن والعرب الجنوبيين  
وفي ترجمة الكتابات المعينية والسبئية والحضرموتية ، والقبتانية والحيمرية ، وفي  
الدراسات اللغوية . وهو في مقدمة من وضع أسس الدراسات العربية الجنوبية ومهد  
الجادة لمن جاء بعده من المستشرقين . و « رودو كنانكس Nikolaus Rhodokanakis » (١)  
وهو صاحب جملة مؤلفات في شرح وحل النصوص العربية الجنوبية ، و « دتلف نيلسن  
Ditlef Nielsen » الدانماركي من الباحثين في الكتابات العربية الجنوبية وفي الحضارة  
العربية ، والتأريخ العربي قبل الاسلام (٢) .

كذلك خصص « مورتمن J.H. Mordtmann » و « داوود هاينرش ميلر D.H. Muller »  
و « ميتوخ Eugen Mittwoch » و « فون فيزمن Von Wissman » و « بيستون C.F.L. Beeston »  
و « كوتتي روسيني C. Conti Rossini » و « ونت F.V. Winnett » و « ركمنس  
C. Ryckmanns » و « كرومن A. Grohmann » و « ملاكر K. Mlaker » و « أغناطيوس  
غويدى » و « هوبرت كريمة Hubert Grimme » و « أنولتسن » وغيرهم قسطا من بحوثهم  
في العربيات الجنوبية ، فساعدوا بذلك على تقديم مادة غنية للمؤرخين والباحثين ، وعلى  
تحسين معارفنا في اللهجات العربية الجنوبية وقواعدها وفي تأريخ الجاهلية .

لقد قام المستشرقون بنصيهم في كتابة تأريخ الجاهلية ، وعلى الحكومات العربية  
واجب اتمام العمل ، وتيسير الوسائل التي توصل الباحثين الى الأماكن التي يقصدها  
العلماء وحمايتهم ورعايتهم ، وواجب اعداد طائفة من المنقبين العرب للقيام بهذه المهمة  
والانفاق عليهم بسخاء ، وانشاء متاحف تحفظ فيها العاديات ، ومنع الناس من التجاوز  
والتطاول على الأماكن الأثرية ، ومن أحق بالمحافظة على تراث البلاد من أبنائها ؟

Nikolaus Rhodokanakis, Katabanische Texte Zur Bodenwirtschaft, 2 Hefte. (١)

Studien Zur Lexikographie und Grammatik des Altsüdarabischen, Der Grundsatz  
der Öffentlichkeit in den Südarabischen Urkunden 1914.

Handbuch der Altarabischen Altertumskunde Vol, 1, 1927. Hamburg. (٢)



## الفصل الثاني

# شبه جزيرة العرب

ليس بين أشباه الجزر واحدة تنيف على شبه جزيرة العرب فى المساحة ، فهى أكبر شبه جزيرة فى العالم <sup>(١)</sup> ، ويطلق العلماء العرب عليها تجوزا اسم « جزيرة العرب » <sup>(٢)</sup> . تحيط بها البحار من أطرافها الثلاثة ، ومع ذلك فإن الجو البحرى لم يستطع أن يخفف من حدة الحرارة فيها ، ويتغلب على جفافها ، والأبخرة المتصاعدة من البحر لا تتمكن أن تصل الى أواسط بلاد العرب ، لانزال رحمتها عليها . فإن الرياح السائم ، وهى ذات الحر الشديد النافذ فى المسام ، تلقى الرطوبة التى تبعث من البحار بوجه كالح ، عبوس ومقاومة تسلبها قوتها ، وتتنزع الرطوبة منها ، وتمنعها فى الغالب من الوصول الى أواسط شبه الجزيرة <sup>(٣)</sup> .

وحدها الشمالى خط وهمى يمتد من خليج العقبة حتى مصب شط العرب فى خليج فارس ، فيكون النفود الشمالى من الحدود التى تفصل الهلال الخصب عن شبه الجزيرة . أما من الناحية « الجيولوجية » فإن باطن الهلال وحدة لا يستطاع فصلها عن شبه الجزيرة ، وجزء لا يختلف من حيث طبيعته الصحراوية وخواصه عن سائر أنحاء بلاد العرب <sup>(٤)</sup> .

وإذا نظرنا نظرة عامة الى « خريطتها » رأينا أنها أرضون واسعة تمتد من الغرب نحو الشرق ، وهى مرتفعة فى الغرب تسيطر على السواحل الضيقة ، وأن هنالك سلاسل

(١) حتى : ١٩ ، حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ١ وسيكون رمزه : وهبه .

(٢) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ٤٧ وسيكون رمزه صفة ، الالوسى : بلوغ الأرب ١٨٧/١ ، معجم البلدان ١٠٠/٣ وسأرمز اليه بـ البلدان . L. D. Stamp, Asia an Economic and Regional Geography, P, 133. Stamp : وسيكون رمزه

(٣) حتى ١٩ . (٤) حتى ١٦ .

من المرتفعات متصل بعضها ببعض ، تمتد من سورية وفلسطين الى اليمن ، ويقال لهذه المرتفعات جبال « السراة »<sup>(١)</sup> وهي توازي ساحل البحر الأحمر وتقترب منه في مواضع عديدة . ويبلغ متوسط ارتفاعها زهاء خمسة آلاف قدم . أما أقصى ارتفاع لها فيبلغ زهاء ١٢٣٣٦ قدم وهو في اليمن<sup>(٢)</sup> .

وأما الأرضون المحصورة بين هذه السلسلة وساحل البحر ، فإنها ضيقة تسيطر عليها هذه المرتفعات ، وتحدرد إليها انحدارا شديدا قصيرا . وسواحلها المهيمنة على البحر صخرية في أغلب الأحيان يصعب رسو السفن فيها<sup>(٣)</sup> .

أما الانحدار الى البحر العربي ، وخليج فارس ، فانه يكون تدريجيا طويلا ، ولذلك تكون الأقسام الغربية من بلاد العرب أعلى من الأقسام الشرقية . وتتألف الأرضون الوسطى من هضبة تدعى « نجدا » يبلغ متوسط ارتفاعها زهاء ٢٥٠٠ قدم . وتمتد في الأقسام الجنوبية من شبه الجزيرة سلاسل من الجبال يتفاوت ارتفاعها ، تسيطر على المنخفضات الساحلية ، وعلى ما يليها من أرضين من جهة البر ، وتتصل هذه بسلسلة جبال اليمن ، وتكثر فيها الأودية التي تفصل بين السلاسل وتأخذ مختلف الاتجاهات من الشمال الشرقي أو من الشمال الغربي الى سواحل البحر حيث تمثل اتجاهات المياه والسيول<sup>(٤)</sup> ، ويكون أعلى ارتفاع لسلسلة الجبال الجنوبية في أقصى الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة ، أي في عمان ، حيث يبلغ ارتفاع الجبل الأخضر زهاء عشرة آلاف قدم<sup>(٥)</sup> .

وتكون أغلب الأرضين في شبه جزيرة العرب من صحارى وسهول تغلبت عليها الطبيعة الصحراوية لكن قسما كبيرا منها يمكن اصلاحه اذا ما تعهدتها يد الانسان واستخدمت في اصلاحها الوسائل العلمية الحديثة ، ومن أرضين صالحة للزراعة تستخدم في الزراعة فعلا لوجود المياه فيها .

- 
- (١) السراة : أعلى كل شئ، وهناك مواضع عديدة يقال لها سراة مضافة الى القبائل .  
تاج العروس ١٧٤/١٠ البلدان ٥٩/٥ .  
(٢) حتى : ١٦ . Ency. Brit. Vol, 2, P, 169.  
(٣) Hitti, P, 14.  
(٤) Ency. Brit. Vol, 2, P, 169  
(٥) Ency. Brit., Vol, 2, P, 169. Hitti, P, 14.



أما الأَرْضون التي تعد اليوم من المجموعة الصحراوية ، فهي :

١ - الحَرار أو الأَرْضون البركانية : ويظهر أنها تكونت بفعل البراكين ، ويشاهد منها نوعان : نوع يتألف من فجوات البراكين نفسها ، ونوع تكون من حممها « اللابة » « Lava » التي كانت تقذفها ، فسيل الى الأَطراف ، ثم تبرد وتفتت بفعل التقلبات الجوية ، فتكون ركاما من الحجارة البركانية يغطي الأرض بطبقات ، قد تكون سميكة وقد تكون رقيقة ، تبصر فيظهر من خلال فجواتها وجه الأرض الأصلية .  
ويصعب السير في مثل هذه الأَرْضين لانتشار الحجارة ذات الرؤوس الحادة فيها ، وتقل الاستفادة منها فتحول شيئا فشيئا الى مناطق صحراوية والسائر اليوم في منطقة « اللجاة » في جنوب شرقي دمشق يلاحظ الطريق الذي سلكته الحمم المقدوفة<sup>(١)</sup> .  
ويقال للأَرْض البركانية الحرة ، وجمعها الحَرار<sup>(٢)</sup> ويقال لها اللابة واللوبة<sup>(٣)</sup> ، وقد وصفها العلماء فقالوا : الحرة أرض ذات حجارة سود نخرة ، كأنها أحرقت بالنار ، ويكون ما تحتها أرضا غليظة ، من قاع ليس بأسود ، وانما سودها كثرة حجارتها ، وتدانيها . وتكون الحرة مستديرة ، فاذا كان فيها شيء مستطيل ليس بواسع فذلك الكراع ، واللابة<sup>(٤)</sup> واللوبة ما اشتد سواده وغلظ وانقاد على وجه الأرض<sup>(٥)</sup> . فيظهر

(١) Moritz, Arabien, Studien zur Physikalischen und Historischen Geographie des Landes Hannover 1923, S. 12. وسيكون رمزه :

قال ياقوت : « اللجاة اسم للحرة السوداء التي بأرض صلخد من نواحي الشام ، فيها قرى ومزارع وعمارة واسعة » البلدان ٣٢٣/٧ .

(٢) البلدان ٣/٢٥٦ ، تاج العروس ٣/١٣٥ ، ويقال للحرة المنعزلة في الرمال

« بسقة » الطبرى ٣/٢٢١ ، وللنهر النى يسيل من الحَرار « شرج » و « شراج » وأحيانا

« سواقي » البلاذرى : الفتوح ١٢ ، المراصد ٢/١٧٥ . المفضليات ص ٢٤٥ ، ٤١٥ .

(٣) لسان العرب ٢/٢٤٢ « لوآبة » « لابة ولوبة » ، المفضليات ص ٢٤٥ ، ٤١٥ .

(٤) البلدان ٣/٢٥٧ ، ويقال « حرة سوداء » راجع الطبرى ٢/٩٥٩ ( طبعة أوربة ) .

وجاء أيضا « حرة رجلاء » صفة ص ٢٠٥ . وقد علل الهمداني ذلك بقوله « سميت الحرة

الرجلاء لأنها ترجل سالكها ولا يقدر فيها على الركوب » صفة ص ٢٠٥ . راجع كذلك

معلقة الحارث بيت ٣٨ . وجاء « حرة سوداء » Moritz, S, II . وجاء كذلك « حامية »

والظاهر أنها من ألفاظ العوام .

وقد كتب العلماء عن « الحَرار » كتباً ، مثل « كتاب الحرة » المنسوب لأبى عبدالله

محمد الغلابي ( الفهرست ص ١٠٨ ) و « كتاب الحرات » لأبى عبيدة ( الفهرست ص

٥٩ ) طبعة أوربة ( ٨٠ ) طبعة المطبعة الرحمانية ، راجع :

Moritz, S, 12. anm. I, Loth in ZDMG, 22, 365-382

(٥) لسان العرب ٢/٢٤٢ ، وورد أيضاً « لابة سوداء » لوابة ولوبة ، ابن سعد :

الطبقات ٢/٢٥ ، ٢٥ .

من هذا أن « الحرار » هي أفواه البراكين ، ولذلك تكون مستديرة • وأما اللابة أو اللوبة فانها المناطق التي غطتها حمم البراكين ، وسالت فوقها ثم جفت وأما الكراع فانها أعناق الحرار (١) •

وتكثر الحرار في الأقسام الغربية من شبه جزيرة العرب ، وتمتد حتى تتصل بالحرار التي في بلاد الشام ، في منطقة حوران ، ولا سيما في الصفاة (٢) ، وتوجد في المناطق الوسطى ، وفي المناطق الشرقية الجنوبية من نجد حيث تتجه نحو الشرق • وفي المناطق الجنوبية ، والجنوبية الغربية ، حيث تلاحظ الحجارة البركانية على مقربة من باب المنذب وعند عدن (٣) • وقد ذكر علماء العرب أسماء عدد منها (٤) ، كما أضاف إليها السياح أسماء عدد آخر عثروا عليها في مناطق نائية (٥) • ويدرس علماء « الجيولوجيا » توزيعها في شبه جزيرة العرب بعناية ، وكذلك دراسة أنواع الحجارة التي يكثر وجودها مثل الحجارة الكلسية والگرانيتية والرملية ، وتوزعها ، وبعض الينابيع الحارة في الأحساء (٦) ، لما في هذه الدراسات من أهمية بالنسبة الى الشركات الغربية الغربية ، التي تنوى استثمار الموارد الغنية الكامنة في الأرض •

وقد اشتهرت بعض مناطق الحرار بالخصب والنماء وبكثرة المياه فيها ، ولا سيما حرار المدينة التي استغلت استغلالا جيدا ومنها « خير » فكثرت قراها ، وكثر سكانها ، حتى ميزت على سائر القرى فقل عنها انها « خير قرى عربية » (٧) ، غير أن ظهور العيون فيها بكثرة ، جعلها موطنًا من مواطن الحمى ، اشتهر أمرها في الحجاز حتى قيل « حمى

(١) لسان العرب ٢/٢٤٢ ، ١٠/١٨٢ ، القاموس ٣/٧٨ •

(٢) حتى ١٩ ، صفة ٢٥٩ ، Moritz P, 12. Chr. Phelps Grant, the Syrian Desert.

London 1937. P, 122. 297. Alois Musil, in the Arabian Desert, New York. 1930. PP, 3. 21.

Ency. Brit. 2-174. (٣)

(٤) حتى ١٩ ، البلدان ٢/٢٥٩ ( مطبعة السعادة ١٩٠٦ ) •

(٥) Doughty . Arabia Deserta. 2-618-619.

Ency. Brit. 2-174. (٦)

(٧) ابن سعد : الطبقات ١/٥٠ ( قسم ٢ ) ( خير قرى عربية خير )

Zwemer, Arabia P, 23. Moritz. P, 12.



خير « و « خيرية »<sup>(١)</sup> . واستفاد الجاهليون من الحرار باستخراج الأحجار - كأحجار الرحي - والمعادن منها ، فكانت موطناً من مواطن التعدين القديمة<sup>(٢)</sup> .

وقد ورد في مواضع من التوراة ما يدل على أن الكلمة العربية « الحرة » قد وردت في الكتاب المقدس<sup>(٣)</sup> ، وأن اليهود قد عرفوا وجودها<sup>(٤)</sup> . وورد في الشعر الجاهلي ما يشير إليها كذلك . وكانت إحدى الحرار وهي حرة النار في عهد الخليفة عمر لا تزال نائرة تخرج النار منها<sup>(٥)</sup> . وقد ذكر أن سحب الدخان كانت تخرج في عهد الخليفة عثمان من بعض الجبال القريبة من المدينة<sup>(٦)</sup> . وهذا يدل على أن فعل البراكين في شبه جزيرة العرب لم يكن قد انقطع انقطاعاً تاماً .

وكان آخر حدث بركاني في الحجاز في سنة ٦٥٤ للهجرة (١٢٥٦م) حيث ثارت إحدى الحرات في شرقي المدينة ، واستمر هيجانها بضعة أسابيع ، وقد وصل ما سأل من حممها إلى مسافة بضعة كيلومترات فقط من المدينة التي كان نجاتها من الإعاجيب<sup>(٧)</sup> . وكان أواخر القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر الميلاديين عهد زلازل وثوران براكين في مناطق آسية الغربية<sup>(٨)</sup> . ومنذ القرن الثالث عشر الميلادي ، لم يبق أثر لفعل البراكين في مختلف أنحاء بلاد العرب<sup>(٩)</sup> . ويظهر من كثرة الحرار وانتشارها انتشاراً واسعاً أنها أثرت في تكوين شبه الجزيرة الطبيعي ، وكانت جزءاً من تلك التغيرات التي طرأت عليها حتى آل الأمر إلى حدوث هذا الوضع .

(١) كان به - اذ جنثه - خيرية - يعود عليه وردها وملالها

قلت لحمي خبير : استعدى هاك عيال فاجهدى وجدى

وباكرى بصالب وورد أعانك الله على ذا الجند

البلدان ٤٩٧/٣ ، الحماسة ( طبعة فرايتاك ) ٦٤ ، صفة ١١٨ ، نقائض جرير ٦٢٠ .

(٢) مثل حرة سليم ، وحررة الرفاع على ساحل البحر الأحمر شمال غربي ينبع ،

البلدان : ٢٥٨/٣ ، ٥٢٦/٨ . تاج العروس ١٣٥/٣ ، Moritz, P, 12. .

(٣) Moritz, S, 13. أرميا اصحاح ١٧ آية ٦ .

(٤) Moritz, S, 13. .

(٥) البلدان ٢٦١/٣ ، Moritz, S, 13. .

(٦) الطبرى ٢٩٨٢/١ ( الطبعة الأوربية ) .

(٧) Moritz, P, 13. حتى ١٩ .

(٨) Moritz, P, 14. .

(٩) Moritz, S, 13. .

وقد تركزت الأصوات المزعجة و « الصيحات » المرعبة والنيان التي كانت ترى من مسافات بعيدة ، وسحب الدخان التي كانت ترتفع من أجواف الأرض و « البريق » الذي كان يظهر من الحرار التي كان عرق الحياة لا يزال ينبض فيها الى أيام الاسلام ( مثل « حرة القوس » التي قيل عنها : انها كانت ترى كأنها حريق مشعل<sup>(١)</sup> و « حرة لين » التي كان يخرج منها ما يشبه البرق ويسمع منها أصوات كأنها صياح<sup>(٢)</sup> ) ، صورة مرعبة في نفوس الناس ظهر أثرها في القرآن الكريم في مواضع عدة منه على سبيل العظة والتذكير .

## ٢ - الدهناء :

وهي مساحات من الأرضين تعلوها رمال حمر في الغالب ، تمتد من النفود في الشمال الى حضرموت ومهرة في الجنوب ، واليمن في الغرب ، وعمان في الشرق<sup>(٣)</sup> . وفيها سلاسل من التلال الرملية ذات ارتفاعات مختلفة ، تنقل في الغالب مع الرياح وتغطي مساحة واسعة من الأرض<sup>(٤)</sup> . ويمكن العثور على المياه في قيعانها اذا حفرت فيها الآبار<sup>(٥)</sup> .

وقد تصل الأمطار الموسمية الى بعض أجزاء « الدهناء » فتنبت فيها الأعشاب ، وتبقى عادة زهاء ثلاثة أشهر في السنة ثم تجف . وقد هجر الناس السكنى في أكثر أقسام الدهناء لجفاف أكثر أقسام هذه المنطقة الصحراوية الواسعة ، وخلوها من الماء والمراعى ، وكثرة وجود العواصف الرملية فيها ، ولشدة حرارتها التي يصعب احتمالها في أثناء النهار ، وأقاموا في الأماكن المرتفعة منها ، التي تتوافر فيها المياه وتتساقط عليها الأمطار فتنبت الأعشاب ويتجمعها الأعراب . أما الأقسام الجنوبية من الدهناء ، فقد عرفت عند الجغرافيين المحدثين باسم « الربع الخالى » « The Empty quarter »<sup>(٦)</sup>

(١) البلدان ٢٥٩/٣ قال عرعره التميرى :

بحرة القوس وجنبي محفل بين ذراه كالحريق المشعل

(٢) البلدان ٢٦٠/٣ « لبن » بضم اللام وتسكين الباء الموحدة . قال الشاعر :

بحرة لبن يبرق جانبها ركود ما تهد من الصياح

(٣) Hitti, P, 15 « الدهناء » بفتح أوله وسكون ثانيه ونون وألف تمد وتقصر ،

معجم البلدان ١١٥/٤ ، ١١٦ .

(٤) Ency. Vol, 1, P, 893. Hitti, P, 15. Ency. Bri, Vol, 2, P, 173. (٤)

Handbook of Arabia, Vol, 1, P, 11 (٥)

« Terra Incognita » Hitti, P, 15. Ency Vol, 1, P, 893 Philby, the Empty (٦)

Quarter, London 1933. Bertram Thomas, Arabia Felix P, XXIII. 180 ff. Philby in the Geographical Journal, « The Empty Quarter » . . 81 (1933) 1-26.



لحلوها من الناس ، وكانت تعرف بمفازة صيهد<sup>(١)</sup> .

وقد تمكن السائح الانكليزي « برترام توماس Bertram Thomas » من اجتيازها في (٥٨) يوما ، وهو عمل مجهد شاق ، فكان أول أوربي جرز على اجتياز هذه الارض<sup>(٢)</sup> .

ويطلق على القسم الغربي من الدهناء اسم « الأحقاف » وهي منطقة واسعة من الرمال بها كئبان اقترن اسمها بقوم عاد « واذكر أخوا عاد اذ انذر قومه بالأحقاف »<sup>(٣)</sup> . وكشف برترام توماس في الربع الخالي بحيرة من المياه المملحة ، وبقايا حيوانات بحرية مبعثرة . وتبين لدى العلماء أن هذه البحيرة كانت من متفرعات خليج فارس<sup>(٤)</sup> ، وأن من المحتمل أن هذه الارضين التي تكثر فيها رواسب قيعان البحر قد كانت في عهد ما من المناطق البحرية التي تغمرها مياه المحيط ، كما عثر فيه على آثار قديمة ترجع الى ما قبل الاسلام لم يعرف من أمرها شيء حتى الآن<sup>(٥)</sup> يظهر أنها لأقوام كانت تستوطن هذه المناطق أيام كانت غزيرة المياه صالحة للانبات والحُصْب . ولا زالت تعد حتى اليوم أرضا مجهولة ، وستأتي الاكتشافات الجديدة لها بمعارف قيمة عن تاريخ العرب قبل الاسلام من غير شك .

وتكون « وبار » قسما من الدهناء ، وكانت من الارضين المشهورة بالحُصْب والنماء ، وهي اليوم من المناطق الصحراوية ، وبها آثار القرى القديمة التي كانت كثيرة قبل الاسلام . والظاهر أنها كانت موطن الوباريين<sup>(٦)</sup> ، وهم الذين دعاهم بطليموس

(١) Moritz, P, 15. anm. 3 Ency. I-370 صفة ٢١٤ ، البلدان ٤١٩/٥

(٢) Ency. Vol, I, P, 183. A Handbook of Arabia, Vol, I, P, 11. Hitti, P, 15.

Bertram Thomas, Arabia Felix Across the empty Quarter of Arabia. London.

1932. the Geographical Journal, 77. (1931) 1-37 'A Journey into Rub' al Khali

W. Thesiger, in the Geogr. Jour. Across the Empty Quarter » III. (1948) 1-21.

also « A Further Journey Across the Empty Quarter. » CXIII. (1949) 12-45.

(٣) القرآن الكريم ، سورة الأحقاف ، السورة ٤٦ آية ٢١ .

(٤) حتى ١٧ .

(٥) راجع وصف الربع الخالي في كتاب « برترام توماس » Arabia Felix, PP, 180.

Ency. Brit. Vol, 2, P, 173.

(٦) البلدان ٣٩٢/٨ ، Philby, the Empty Quarter, PP, 157. Ency. I-370.

« Jobaritai »<sup>(١)</sup> الذين سنتحدث عنهم • وفي الجهة الشمالية الشرقية من وبار  
رمال «بيرين» • وكانت من المناطق المأهولة كذلك ، ثم دخلها الحراب<sup>(٢)</sup> •

### ٣ - النفود :

أما النفود ، فهي صحراء رملية واسعة ذات رمال بيض أو حمير ، تدرؤها الرياح  
فتكون كثباناً مرتفعة ، وسلاسل رملية متموجة<sup>(٣)</sup> • وكانت تعرف قديماً باسم « الدهناء »  
و «رملة عالج» ، ثم تغلب عليها اسم « النفود » وصارت تعرف به<sup>(٤)</sup> • وتشغل صحراء  
النفود مساحة واسعة تبديء من واحة تيماء ، وتمتد الى مسافة ٤٥٠ كيلومتر تقريباً نحو  
الشرق ، ويبلغ امتدادها من واحة الجوف الى جبل شمر زهاء ٢٥٠ كيلومتر تقريباً<sup>(٥)</sup> •  
وتعد صحراء النفود من الأماكن المائلة أو المنحدرة ، ويظهر من القياسات ( وان  
كانت قليلة جداً ) أن المنطقة الشرقية من النفود أوطأ من مستوى المنطقة الغربية - عند  
خط طول (٢٧) درجة و (٣٠) دقيقة بما يزيد على ١٥٠ متر أي أن هذه الصحراء  
مرتفعة في الغرب آخذة في الانخفاض والميل في الشرق<sup>(٦)</sup> •

وقد تتج عن هذا الميل والانحدار المتوالي ، أن الرمال التي كانت الرياح الشمالية  
أو الشمالية الغربية تحملها ، تراكمت في المنخفض وتجمعت فيه ، فأصبحت الحدود  
الغربية والشرقية لهذه المنطقة مرتفعة بالنسبة إليها ، بحيث صار « الحماد » يشرف عليها  
اشرافاً تاماً<sup>(٧)</sup> •

ويغطي سطح صحراء « النفود » كثبان من الرمال متموجة يبلغ ارتفاع بعضها زهاء  
(١٥٠) متراً ، ولذلك لا يعد وجه هذه الصحراء مستويًا منبسطة • وتأخذ هذه المرتفعات  
مختلف الأشكال ، فتأخذ في أغلب الأحيان شكل حذاء الفرس ويكون اتجاهها من  
الغرب نحو الشرق ، وتكون أبعادها وأعماقها مختلفة ، وتسمى « القعور » • وقد تركزت

(١) Ency. 4-1073.

(٢) البلدان ٩٩/٦ Ency. I-370 • صفة ٥١ ، ٨٤ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٦٥ •

(٣) Moritz, S, 15. A Handbook of Arabia, Vol, I, P, 11

(٤) Moritz, S, 15 • « رمل عالج » باللام المكسورة والجيم ، راجع البلدان ٩٩/٦ •

(٥) Ency. Brit. Vol, 2, P, 173. Moritz, S, 15

(٦) Alois Musil, in the Arabian Desert, PP, 124, 126 Moritz, S, 15

(٧) Moritz, S, 15.



أثرا عميقا في مخيلة المسافرين ورجال القوافل (١) .

وبعد الاشتهية الممطرة تتحول هذه المنطقة الرملية الموحشة الى جنة حقيقية ، فتظهر الرمال وكأنها قد فرشت بسط خضر يزيناها الزهر والشقائق ومختلف الأعشاب الصحراوية ، وبتجمعها الأعراب للرعى . وقد تنمو فيها النباتات المرتفعة ذات السيقان القوية كبعض أنواع « الغضى » فتكون أدغالا يحتطب منها البدو ، وقد يحرقونها لاستخراج الفحم منها (٢) . وهذه الأعشاب والنباتات لا تظهر الا في المنطقة ذات الرمال الحمر « نفود سمرا » أما صحراء النفود البيضاء المؤلفة من رمال نشأت من تفتت أحجار « الكوارتز » ، فانها غير منبثة في أكثر الأماكن (٣) .

وهذا المنظر الجميل لا يدوم سوى بضعة أسابيع ، ثم يحل الجفاف ، وتهب السمامت فتقضى على كل ما نبت في هذه الصحراء ، وتهب في شهر نيسان رياح حارة من الشرق والجنوب ، فتسبب جفاف الأعشاب والنباتات في أيام قليلة ، فتعدو النفود قطعة من الجحيم في أيام الصيف لا يجتازها الأعراب الا مضطرين (٤) .

والرأى السائد أن هذه الصحارى تكونت بتفتت الأحجار الرملية بتأثير الرياح والجفاف عليها (٥) . ويؤيد وجود مثل هذه الأحجار في الشمال الغربي من بلاد العرب هذا الرأى كثيرا ، ويظهر أنه رأى علمى ينطبق على بعض الصحارى انطباقا كبيرا ، غير أنه لا يحل مشكلة مصدر الرمل الأحمر المتكون من أحجار غير رملية والذي يغطي مساحات واسعة من صحراء النفود ، بينما الرمل الناشئ من الأحجار الرملية لا يغطي سوى مساحات ضيقة بالنسبة الى المناطق الأخرى . وهذا يدل دلالة صريحة على أن رمال صحراء « النفود » لم تتكون بفعل تفتت الأحجار الرملية حسب ، بل بعوامل أخرى مثل عامل التقلبات الجوية وتأثيرها في قشرة الأرض (٦) .

Euting, in Zeitschr. d. Geo. für Erdkunde zu Berlin., no.5 Tagebuch (١)

I, 144.

Moritz, S, 16. (٢)

Moritz, S, 16 f. A. Blunt, Pilgrimage to Nejd, 2. 55. (٣)

A Handbook of Arabia. Vol. 1, P, 12. Moritz, S, 17. (٤)

Moritz, S, 17 (٥)

المصدر نفسه . (٦)

يكون ظاهر التربة الأجرد معرضا لحرارة الشمس والتغيرات الجوية مباشرة ،  
 إذ لا أشجار تحميه ، ولا أعشاب تحافظ على تماسك ذراته وحفظها من تلك التغيرات .  
 فإذا انقطعت الأمطار ، جفت التربة ففتت تدريجيا ، وتستطيع الرياح أن تعبت فيها بكل  
 سهولة ، وتمكن الرياح التي سرعتها ١٨ كيلومترا في الساعة من إثارة الطبقات الرملية  
 الخفيفة والأتربة المتبقية المبعثرة على سطح الأرض .

وإذا هبت الرياح بسرعة ٣٣ كيلومترا في الساعة امتلاء الجو بالغبار . فإذا ازدادت  
 السرعة استحالت الى عواصف ، أثرت تأثيرا كبيرا في سطح الأرض ، فحملت ما عليه  
 من أتربة ، وعرضت الطبقات السفلى التي كانت تحت هذه التربة لفعل الجو المباشر ،  
 ليحدث لها ما حدث بالطبقة التي كانت فوقها ؛ وهكذا تتحول هذه المناطق الى صحارى  
 وتتكون الرمال حينئذ من التربة المنفتحة لا من تهشم الأحجار الرملية أو الكلسية  
 وحدها (١) .

وتهب مثل هذه الرياح في الشمال الغربي من شبه جزيرة العرب من نهاية شهر (آذار)  
 مارس حتى نهاية شهر ( أيار ) مايس ، وتهب في أغلب الأحيان هبوبا فجائيا ، وتستمر  
 يومين أو ثلاثة أيام ، وتنتهي في بعض الاوقات برعد وبرق . وعند حدوث هذه الزوابع  
 يغبر الافق ويكفهر وجه السماء ، ثم تهب بعد لحظات عواصف شديدة وأعاصير ، تكسب  
 الجو لونا قاتما ، وأحيانا مائلا الى الصفرة أو الحمرة بحسب لون الرمال التي تحملها  
 الرياح ، وتخفى الشمس ، وتؤثر هذه « العجاجة » في النباتات والأشجار تأثيرا كبيرا ،  
 وإذا ما استمرت مدة طويلة فانها تسبب تلف قسم كبير من المزروعات (٢) .

وقد أشار الكتاب اليونان والرومان الى هذه الصحراء (٣) ، كما عرفها العبرانيون .  
 ولكلمة « حويلة » « ffavilah » ومن معانيها الأرض الرملية (٤) أى تخم بنى  
 اسماعيل (٥) - وأولادهم وهم البدو - علاقة كبيرة بمدلول صحراء . وقد ذهب بعض علماء

(١) Moritz. P, 17 راجع أيضا بحث « دوتى » عن النفود فى كتابه :

Arabia Deserta. Vol. 2. P, 656

Moritz. S, 17 (٢)

Mortiz. P, 17. Diodor, 2. 54. Strabo, XVI. 3. (٣)

(٤) التكوين ، الاصحاح الثانى ، آية ١١ ، الاصحاح العاشر آية ٧ ، الاصحاح ٢٥

آية ١٨ ، Hastings, P, 333. Ency. Bibl, P, 1973. (٥)

(٥) التكوين ، اصحاح ٢٥ ، آية ١٨ .



التوراة الى أنها تعنى المنطقة الصحراوية التي تشمل النفود في الوقت الحاضر (١) .  
وتفصل بين الشام والعراق صحراء واسعة يقال لها « البادية » أو « بادية الشام »  
أو خساف ، ويقال للقسم الجنوبي منها - وهو القسم الذي بين الكوفة والسماعة من جهة  
وبينها وبين الشام من جهة أخرى - « بادية السماوة (٢) » ، ويسميتها العامة « الحماد »  
أو « حماد » (٣) .

### المدارات :

وفي بلاد العرب « الدارات » ، والدارة : كل جوبة بين جبال في حزن كان ذلك  
أو سهل أو رمل مستدير في وسطه فجوة ، وهي الدورة ، وتجمع الدارة دارات (٤) .  
فهي أرضون سهلة لينة بيض في أكثر الأحيان ، وتنت فيها الأعشاب والصلبان  
والنباتات الصحراوية (٥) ، ويبلغ عددها زهاء عشر دارات ومئة في شبه جزيرة  
العرب (٦) .

ولبعض هذه الدارات شهرة ، إذ وردت أسماؤها في الشعر الجاهلي والاسلامي ،  
مثل « دارة جلجل » التي ورد ذكرها في شعر امرئ القيس الكندي (٧) ، و « دارة  
الآرام » وكانت مملوءة من شقائق النعمان كما جاء ذلك في شعر برج بن خنزير المازني  
الذي كلفه الحجاج بن يوسف حرب الخوارج :

(١) قاموس الكتاب المقدس ١/٣٩٨، Glaser, 1974. Ency. Bibl. P, 333. Hastings,  
Skizze, 2. P. 323 ff E. Meyer, Geschichte des Alterthums, Vol, 1, P, 224. Delitzsch,  
Friedrich, wo lag des Paradies ? P, 12, 57.  
Ency. 1-371.

(٢) البلدان ٥/١٢٠ ، البلدان ٣/٤٣٦ ، Friedrich, wo lag des

(٣) Hitti, P, 15. A Handbook of Arabia. P, 12 Ency. Brit. Vol, 2, P, 173

(٤) البلدان ٤/١٤ ، القاموس المحيط ٢/٢١ . راجع « كتاب الدارات » للأصمعي  
بعناية أوغست هفتر « في مجلة المشرق ، السنة الأولى ، الجزء الأول سنة ١٨٩٨ ص  
٢٤ وما بعدها .

(٥) البلدان ٤/١٤ .

(٦) القاموس المحيط ٢/٢١ ، البلدان ٤/١٤ .

(٧) البلدان ٤/١٦ ، الدارات ، في مجلة المشرق العدد المذكور ص ٢٦ .

فأبرق وأرعد لى اذا العيس خلفت بنا دارة الآرام ذات الشقائق<sup>(١)</sup>

### الأنهار والأودية :

وتعد بلاد العرب فى الوقت الحاضر فى جملة البلاد التى تقل فيها الأنهار والبحيرات ، ويندر سقوط الأمطار ، ولذلك أصبحت أكثر بقاعها صحراوية قليلة السكان ، غير أنها كثيرة الأودية ، تسيل فى بعضها المياه عند سقوط الأمطار . وهى فى الغالب طويلة ، تسير فى اتجاه ميل الأرض . أما الأودية التى تصب فى البحر الأحمر أو فى البحر العربى فإنها قصيرة بعض الشيء ، وذات مجرى أعماق وانحدار شديد ، والمياه تسيل فيها بسرعة فتجرف ما يعترضها من عوائق ، وتنحدر هذه السيول الى البحر فتضيع فيه ، ومن الممكن الاستفادة منها فى الأغراض الزراعية والصناعية . وقد تكون السيول خطرا يهدد القوافل والمدن والأماكن ، ويأتى على الناس بأفدح الخسائر<sup>(٢)</sup> .

وتدل البحوث والدراسات التى قام بها السياح والعلماء عن بلاد العرب على أن تغيرا كبيرا طرأ على جوها ، وأن هذا الجفاف الذى يكتنف هذه البلاد فى أزمانا لم يكن على النحو الذى نعرفه فى العصور التى سبقت الاسلام ، وأن ذلك الجفاف أثر تأثيرا كبيرا فى طبيعة شبه الجزيرة ، وفى حالة سكانها ، وقسا عليها ، فقاوم نشوء المجتمعات الكبرى ، وجعل أكثر بقاعها صحارى جردا ، وأثر تأثيرا خطيرا فى تأريخ الأمة العربية وفى حدوث الهجرات .

وليس فى شبه جزيرة العرب نهر واحد بالمعنى المعروف من الأنهار ، وما فيها من جداول لا تصلح للملاحة<sup>(٣)</sup> . فهى اما قصيرة سريعة الجريان ، منحدره انحدارا شديدا ، واما ضحلة تجف مياهها فى بعض المواسم .

ويظهر من اتجاهات الأودية ومن وجود العاديات والحرائب ، وآثار السكنى على أطرافها ، والترسبات التى تمثل قيعان الأنهر ، أن هذه الأودية كانت فى الحقيقة أنهارا فى يوم من الأيام ينبض فيها عرق الحياة ، وأنها كانت تضيف عددا كبيرا من الأحياء<sup>(٤)</sup> ،

(١) البلدان ١٥/٤ مجلة المشرق ، العدد المذكور ص ٢٦ .

(٢) حتى ٢٠ ، فتوح البلدان للبلاذرى . الفصل الذى خصصه لأخبار السيول .  
الطبرى ، والأزرقى فى أخبار السيول .

(٣) حتى ٢١ .

(٤) Bertram Thomas, the Arabs, P, 350 (٤)



ويؤيد هذا الاستنتاج ما ورد في كتب اليونان والرومان من وجود أنهار طويلة في بلاد العرب ، كالذي ذكره « هيرودوتس » من أمر نهر دعاه « كورس » قال عنه انه من الأنهر العظيمة ، وانه كان يصب في بحر « الاريتريا<sup>(١)</sup> » ويقصد به البحر الأحمر « وقد زعم أن العرب تقول : ان ملكهم كان قد عمل على جلب المياه من هذا النهر العظيم بثلاثة أنابيب من جلود الثيران وغيرها من الحيوانات تمتد الى الصحراء على مسيرة اثني عشر يوما من النهر ، فتصب في مواضع منقورة تستعمل لحزن المياه<sup>(٢)</sup> » .

وهناك موضع على مقربة من ساحل البحر الأحمر اسمه « قرح<sup>(٣)</sup> » على مسافة ٤٣ كيلومترا من « الحجر » في مكان يمر به الخط الحديد الحجازي في منطقة صحراوية ، وكان في الأزمنة السابقة من المحلات المزروعة ، وبه بسايتين عدة تعرف « بسايتين قرح » ، وعلى مقربة منها « سقيا يزيد » أو « قصر عنتر » كما تعرف به في الوقت الحاضر على بعد ٩٨ كيلومترا من المدينة . والى شماله « وادي الحمض » الذي يرى بعض العلماء أنه المكان الذي قصده « هيرودتس<sup>(٤)</sup> » .

وذكر « بطليموس » اسم نهر عظيم سماه « Lar » زعم أنه ينبع من منطقة « نجران » أى من الجانب الشرقى من السلسلة الجبلية ، ثم يسير نحو الجهة الشمالية الشرقية مخترقا بلاد العرب حيث يصب في الخليج الفارسي<sup>(٥)</sup> . ولا يعرف من أمر هذا النهر شيء في الوقت الحاضر ، ولعله كان واديا من الأودية التي كانت تسيل فيها المياه ، في بعض المواسم ، أو كان بقايا نهر عظيم ثم أثرت في مياهه عوامل الجفاف . ويرى « موريتس » أن هذا النهر الذي أشار اليه بطليموس هو وادي الدواسر ، الذي يمر حافة الربع الخالي عند نقطة تبعد نحو خمسين ميلا من جنوب

(١) Herodotus, Vol. I, P, 214.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) Moritz, S, 21 . البكري ٧٨٧ ، المقدسى ٨٣ ، ٩٨ ، ١١٢ « قرح » بالضم

ثم السكون ، البلدان ٤٨/٧ . وكانت من أسواق العرب في الجاهلية ، وزعم بعضهم أن بها كان هلاك عاد قوم هود ، مما يدل على أنها من المواضع القديمة في بلاد العرب .

(٤) Moritz, S, 21 « اصطبيل عنتر » وهبه ٢٠ . والظاهر أنها كانت تعرف

بـ « سقيا » وهى من المواضع الجاهلية القديمة ، راجع البلدان ٩٤/٥ .

(٥) Moritz, S, 21

شرقى السليل ، وتمده بعض الأودية المتجهة من سلاسل جبال اليمن بمياه السيول (١) ، وتفيض مياهه في الرمال في مواضع عديدة ، فتكون بعض الواحات التي يستقى منها ، ويزرع عليها . ويلاحظ وجود مياه غزيرة في واديه في مواضع لا تبعد كثيرا عن القشرة ، وهذا ما يحمل على الاعتقاد بوجود مجار أرضية تحت سطح الوادى ، وأنه كان في يوم ما نهرا من الأنهار ، غير أننا لا نستطيع أن نتكهن في أمر هذا الوادى أكان نهرا جاريا في وقت بطليموس كما أشار الى ذلك ، أو كان واديا رطب القيعان لم تكن عوامل الجفاف قد أثرت فيه أثرها في الوقت الحاضر . لذلك كانت تمكث فيه السيول والأمطار المتساقطة على السفوح الشرقية لجبال اليمن مدة أطول مما هي عليه الآن (٢) . وينطبق هذا الاحتمال على الأودية الأخرى ، وهي كما قلت كثيرة ومنها : وادى الرمة ووادى الحمض ، ويعد هذان الواديان من الأودية الجافة ، الا في مواسم الأمطار الشديدة حيث تصب السيول فيهما ، غير أن لهما مجارى أرضية ، تشير الى تلك الحقيقة ، ويمكن الحصول على المياه فيهما بحفر الآبار على أعماق ليست بعيدة عن السطح . وقد تظهر المياه على سطح الأرض في بعض المحلات ، وربما كانا قبل آلاف السنين ، ولعلها - الى العصور التاريخية - من الأنهر التي تغدق على البقاع الخير والبركات (٣) .

يتكون « وادى الرمة » عند « حرة خبير » أو « حرة فدك (٤) » من التقاء بضعة أودية ممتدة من الشمال على ارتفاع ستة آلاف قدم ، ثم تتجه بعد ذلك نحو الشرق ، ثم تأخذ اتجاهها جنوبا شرقيا حيث تتصل « بالجرير » أو « الجريب » كما كان يعرف سابقا (٥) وهو من أوسع فروع وادى الرمة . ويتجه الوادى نحو الشرق حيث يصل الى « بريدة » ، ثم يعطف نحو الشمال الشرقي فالشرق الى « القصيم » حيث يسمى بعد ذلك « الباطن (٦) » ، ثم يتفرع الى فرعين يخترقان منطقة صحراوية ، ويسير أحدهما فى « النفود » حيث يتصل بالدهناء الى أن يصل موضعا قرب البصرة . ويبلغ طول هذا الوادى

(١) وهبه ٥٤ .

(٢) Moritz, P. 21

(٣) Moritz, P. 21. Philby. in the Geogr. Jour. CXIII. (1949). 86.

(٤) Moritz, S. 22 ويقال له « بطن الرمة » بضم الراء وتشديد الميم ، وقد

يقال بالتحفيف . معجم البلدان ٢/٢١٩ .

(٥) « الجريب » بالفتح ثم الكسر . البلدان ٣/٩١ . Moritz, S. 23.

(٦) « البطن » « بطن الرمة » . البلدان ٢/٢١٩ . صفة ١٤٤ .



نحو من ٩٥٠ كيلومتر أو أكثر (١) .

وأما مبدأ وادى الحمض أو وادى اضم كما كان يسمى قديماً ، فمن جنوب حرة خيبر ، ثم يتجه نحو الجنوب الغربى الى أن يصل الى يثرب حيث تتصل به أودية فرعية أخرى منها « وادى العتيق » ، ويتصل به كذلك « وادى القرى » ، ويستمد مياهه من السيول التى تتحدر اليه من الجبال ومن العيون التى عند خيبر حيث يصب فى البحر الأحمر فى جنوب قرية الوجه . وعند هذا المصب بقايا قرية يونانية قديمة وبقايا معبد يعرف عند الأهلىين باسم « كصر كريم » (٢) ، وهو من بقايا المستعمرات اليونانية القديمة التى كان الملاحون والتجار اليونانيون قد أقاموها عند ساحل البحر الأحمر لحماية سفنهم من القرصان ، وللاتجار مع الأعراب ، ولتموين رجال القوافل البحرية بما يحتاجون اليه من ماء وزاد . ويعتقد « موريتس » أن هذا الموضع هو محل مدينة « لويكة كومة Leuke Kome » المشهورة التى وصل اليها « أوليوس كالوس » لما هم بفتح اليمن (٣) ، على حين يرى آخرون أن هذه المدينة هى فى المحل المعروف باسم « الحوراء » . ويبلغ طول وادى الحمض زهاء ( ٩٠٠ كيلومتر (٤) ) .

وهناك « وادى حنيفة » ، وهو من الأودية المهمة كذلك ، يتسدىء من غرب « جبل طويق » ثم يتجه نحو الشرق نحو خليج فارس . وهو مهم ، ويمكن الحصول على المياه فيه بطريقة حفر الآبار ؛ لأن الماء غير بعيد عن قاع هذا الوادى . وأما عند هطول

(١) Moritz, S, 23. A Handbook of Arabia, Vol. I P, 10 وعبه ص ٢ . « القصيم »

بافتح ثم الكسر على « فعيل » قال الأصمعى : « وأسافل الرمة تنتهى الى القصيم » .  
البلدان ١١٦/٧ . « بطن » الحماسة ( فرايتناك ) ٦٠٨ ، صفة ١٤٤ ، الدينورى :  
الأخبار ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ويرى موريتس احتمال كون نهر « بيشون » « Pischon »  
الذى هو أحد أنهار الجنة الأربعة فى التوراة هو وادى الرمة .

(٢) Moritz, S. 23 « اضم » بالكسر ثم الفتح وميم « قال ابن السكيت اضم واد  
يشق الحجاز حتى يفرغ فى البحر . البلدان ٢٨١/١ . وادى « الحمض » البلدان  
٣٤٢/٢ .

Moritz, S, 24 Pauly — Wissowa, Art, Leuke. Kome (٤)

(٣) Moritz, S, 21 « الحوراء » بالفتح والمد كانت بها آثار خرائب قديمة حتى  
أيام ياقوت الحموى وكانت قد هجرت فى أيامه وكانت ميناء المصريين الى المدينة .  
البلدان ٣٥٩/٣ .

الأمطار ، فإن المياه تجرى اليه من السفوح فتسيل فيه (١) .

وأثر الجفاف المستمر على وجود الواحات والعيون . وقد كانت الأقسام الغربية التي تسيطر عليها السلسلة الجبلية ، سلسلة السراة ، غنية بالواحات التي اكتسبت شهرة بعيدة وبالينابيع المتدفقة ، ثم ظهر الشح فيها فجف ماؤها ، ودرست أكثر الواحات فيها . أما نجد ، فقليلة الواحات في الوقت الحاضر (٢) ، لذلك عمد الناس فيها الى حفر الآبار ولارتفاع سطح الأرض أصبحت بعض الآبار عميقة ، يبلغ عمقها ١٧٠ متراً أحياناً (٣) . وهناك آبار قديمة اشتهر أمرها قبل الاسلام ، ولقد منها نسبوها الى الجن وعاد والعمالقة (٤) ، وأطلقوا على مواضع المياه القديمة بعض مصطلحات تشير الى قدمها ، كقولهم : جفار جاهلية ، وبئر جاهلية وماء قديم جاهلي وآبار عادية وقلب عادية ، كما نالوا للحجارة والصخور حجر عادى وصخرة عادية (٥) .

وتدل آثار السدود والنواظم التي ترجع الى ما قبل الاسلام على أن العرب كان لهم علم واسع بتنظيم أمور الارواء والاستفادة من مياه الأمطار والسيول والانهيار ، وتدل كثرة المصطلحات في اللهجات العربية الشمالية والجنوبية على معرفة القوم بأنواع الآبار والسدود والمسالك والنحايث (٦) ، وغير ذلك من الوسائل التي استخدمت للحصول على الماء (٧) . وقد عثر رجال شركة النفط العربية السعودية الأمريكية حديثاً على صهاريج أرضية متصلة بعضها ببعض بأنفاق وعليها فتحات في مواضع متعددة لاستقاء

(١) A Handbook of Arabia, Vol, 1, P, 10.

(٢) Moritz, P, 24.

(٣) Moritz, P, 24. Nolde, Reise Nach Inner Arabien. P, 26.

(٤) Moritz, P, 25. « والجفر : البئر الواسعة التي لم تطو ، وقيل : هو التي

طوى بعضها ولم يطو بعض ، والجمع جفار ، ومنه جفر الهباءة وهو مستنقع ببلاد غطفان » لسان ٢١٣/٥ ، القاموس ٣٩٢/١ « والقليب : البئر ، أو العادية القديمة منها ويؤنث » القاموس ١١٩/١ .

(٥) Moritz, P, 25. النقائص ٢٨٩ ، ٤٠٢ .

(٦) المرصد ٢٠٥/٣ Moritz, P, 27. Doughty. Vol, 2, P, 387. « وبئر سك وسك

ضيقة الحرق وقيل الضيقة المحفر من أولها الى آخرها » لسان ٣٢٤-٣٢٥ . « والمسك والمسك الموضع الذي يمسك الماء » . اللسان ٣٧٨/١٢ .

(٧) Moritz, P, 24. Doughty. Vol, 2, P, 301



الماء منها ، عثروا عليها في القطيف وفي الأحساء وفي الفلج ، وأواسط نجد وأماكن أخرى تعد اليوم من المناطق الصحراوية ، كما وجدوا على مقربة منها آثار قرى كانت عامرة ومزارع واسعة ، ولم يكن يعرف العلماء سابقا ان أواسط شبه جزيرة العرب والاقسام الشرقية منها كانت تستخدم هذا النوع من نظم الارواء ، بل كان المعروف أن الصهاريج المربوطة بأنفاق انما كانت تستخدم في الشام وفي فلسطين وايران والاقسام الشمالية من العراق . وقد اتخذ أصحاب النظرية القائلة بأثر الجفاف في شبه جزيرة العرب من وجود هذه القنوات للارواء في مناطق صحراوية دليلا على تأييد نظريتهم في جفاف جو شبه جزيرة العرب (١) .

وتدل البحوث « الجيولوجية » على امكانية العثور على مياه غزيرة عذبة في أعماق ليست بعيدة عن قشرة الأرض ، يمكن الاستفادة منها في تحويل مساحات واسعة من صحارى شبه جزيرة العرب الى أرضين خصبة منتبة ، ولا سيما الأودية ، فقد ثبت أن هنالك مجارى تتجه من غرب بلاد العرب حيث الجبال والنجاد الى سواحل الخليج ، أى في اتجاه انحدار السطح ، فبعد أن تغوص سيول الأمطار في الأودية في المناطق الرملية ، تسرب في التراب سالكة في مجار تكون عند السواحل وفي الأماكن المنخفضة قريبة من أديم الأرض ، وقد تظهر كما في الأحساء ، وتتفجر عيونا فوارة في قيعان الخليج على مقربة من البحرين يصل اليها الغواصون بجرارهم ، فيستخرجون منها مياه عذبة صالحة للشرب (٢) . وقد كونت هذه المياه قصصا في مخيلة الناس عن وجود أنفاق في الأرض طويلة تتصل بالبحر (٣) .

ان البحوث والدراسات الأولية التي قام بها المتخصصون وعلماء شركات الزيوت تبشر بخير ، وتشير الى امكان تغيير معالم شبه جزيرة العرب في المستقبل ، وتحقيق ما رددته التوراة عن جنة عدن ، وما ورد في النصوص القديمة عن وجود الاخشاب الضخمة في شبه جزيرة العرب . ومن كان يتصور بناء مدن حديثة ومعامل ضخمة ،

Boasor, Supplementary Studies, Nos. 7-9 « The Early Arabian Necropolis (١) of Ain Jawan. » (1950), P. 35. ff. 41. K.S. Twitchell, Saudi Arabia, (1947). PP, 44. 51.

Major Chesman, in Unknown Arabia, London, 1926. P, 9. (٢)

Gerald De Gauary, Arabia Phoenix. PP. 67. (٣)

واستخراج الزيوت من مناطق رملية لا يسلكها الا نفر من الأعراب ؟

## الجبال :

تكون سلسلة جبال السراة العمود الفقري لشبه جزيرة العرب ، وتتصل فقراته بسلسلة جبال الشام المهيمنة على البادية ، المتحكمة فيها تحكم الجنود فى القلاع . وبعض قمم هذه السلسلة مرتفعة ، وقد تساقط الثلوج عليها كجبل دباغ الذى يرتفع (٢٢٠٠) متر عن مستوى سطح البحر<sup>(١)</sup> ، وجبل وثر ، وجبل شيان . وتخفض هذه السلسلة عند دنوها من مكة فتكون القمم فى أوطأ ارتفاع ، ثم تعود بعد ذلك الى العلو حيث تصل الى مستوى عال فى اليمن حيث تساقط الثلوج على قمم بعض الجبال<sup>(٢)</sup> .

وتمتد فى محاذة السواحل سلاسل جبلية تنفرع من جبال اليمن ثم تتجه نحو الشرق الى أرض عمان ، حيث ترتفع قمم الجبل الأخضر ارتفاعا يتراوح من تسعة آلاف قدم الى عشرة آلاف قدم<sup>(٣)</sup> . وتتخلل هذه السلاسل الجنوبية أودية تمثل اتجاه مسابيل الأمطار الى البحر .

وتفصل بين البحر والسلاسل الجبلية سهول ساحلية ضيقة ، فى الغالب ربما لا تتجاوز خمسة عشر ميلا عن سواحل البحر الأحمر<sup>(٤)</sup> . وتكون هذه السواحل حارة رطبة فى الغالب يتضايق منها الانسان ، وتكون غير صحية فى بعض الأماكن . وكذلك شأن أكثر التهام ، ويطلق على بعض أقسام التهام « الغور » و « السافلة » لانخفاض بقاعها . وقد ذهب بعض العلماء الى اطلاق تهامة على طول الأغوار الساحلية الممتدة من شبه جزيرة سيناء وبحر القلزم الى الجنوب<sup>(٥)</sup> .

وتكون هذه السلاسل مانعا - للأبخرة المتصاعدة من البحر الأحمر والبحر العربى - من وقوع الأمطار فى أواسط بلاد العرب وفيما وراء السفوح الشرقية للسراة والسفوح الشمالية للسلاسل الجبلية الجنوبية ، لذلك كثرت الأودية القصيرة التى تسيل فيها المياه فى هذه المناطق وزادت فيها امكانيات الحُصْب والزراعة عن البقاع التى وراء

(٦) Moritz. 5-6.

(٢) حتى ٢١ ، الواسعى تاريخ اليمن ص ٨٠ .

(٣) Ency. Brit. Vol. 2. P. 169.

(٤) Ency. Brit. Vol. 2. P. 169.

(٥) البلدان ٤٣٦/٢ ، ٣١١/٦ ، صفة ٥٤ ، ١١٩-١٢١ ، بلوغ الأرب ١/١٨٨ .



السراة حتى الخليج • وتكثر العيون والمياه القريبة من سطح القشرة في الأحساء ، وفي القطيف ، وفي كلمة الأحساء دلالة على كثرة الماء • ويظهر أنه من تأثير اتجاه خطوط المياه الآتية من الغرب<sup>(١)</sup> .

وفي نجد ، وهي هضبة يبلغ ارتفاعها زهاء ٢٥٠٠ قدم ، منطقة جبلية تتكون من « الغرانت » يقال لها جبل شمر ، وهي من مواضع طيء التي اشتهر أمرها قبل الاسلام اشتهارا كبيرا ، وقد عرفت قديما بجبلي طيء ، وتتألف من سلسلتين يقال لاحدهما أجا وللأخرى سلمى<sup>(٢)</sup> . وهناك منابع عديدة للمياه في شعاب هذه السلسلة وفي السهل الكبير المنبسط بينهما • ويمكن الحصول على المياه فيها بوفرة تحت طبقات الرمال والصخور<sup>(٣)</sup> . وأما جبل « طويق » فهو مرتفعات تقع في الوسط الشرقي من نجد وفي جنوب شرقي الرياض ، وتتألف من الحجارة الرملية ، وتحيط بها الصخور والحجارة الكلسية ، وتدل البحوث على أن من الصخور والمواد البركانية ما قذفته البراكين الى هذه الجهات<sup>(٤)</sup> .

#### ظهور الجفاف :

يرى العلماء أن جو بلاد العرب لم يكن على النحو الذي نعهده الآن ، وأنه قد تغير تغيرا بينا ، وأن الرياح الغربية المشبعة بالرطوبة والبرودة كانت تصل الى أرض الجزيرة وتنزل الغيث عليها ، وأن هذه البقاع الصحراوية كانت في شطر من العصر الجليدي خضرا عامرة آهلة بالسكان<sup>(٥)</sup> ، وأن المحيط الهندي أو فرعه - وهو الخليج الفارسي - كان متصلا بالربع الخالي ، كما أن البراكين كانت حرة طليقة تعيث في الأقسام التي ذكرناها كيف تشاء • وآية ذلك هذه الترسبات التي شاهدها السياح في الربع الخالي ، التي تمثل قيعان البحار ، وهذه الخرائب العادية المبعثرة في مناطق صحراوية ، لا يذهب اليها الناس الا اضطرارا ، والا للبحث والكشف ، وتلك الكتب والمدونات التي تتحدث عن عمار أرضين تعد اليوم من صميم الصحراء • فلا بد أن يكون هذا التبدل المستمر قد وقع بفعل العوامل الطبيعية ، ومنها انجساص المطر ، وهبوب العواصف والرياح كريح السموم ، وهياج الحرات ، وتهدم السدود بعامل من العوامل الطبيعية ، وتبدل طعم المياه ،

(١) وهبه ٦٨ • Ency. Brit. 2. P. 174.

(٢) حتى ١٦ • Moritz, 6. Handbook, 1-13.

(٣) وهبه ٦٣ •

(٤) Moritz, P. 6.

(٥) Boasor, Suppl, Studies, Nos 7-9, P. 39. (1950) .

أوتير مجاريها، وجفاف الآبار والواحات وينابيع الأنهار بفعل تبدل جيولوجى يطرأ فى باطن الأرض، وما شاكل ذلك من أسباب • فكل هذه تؤثر فى القشرة الأرضية، وفى حالة الساكنين فوقها، وتجبر الأحياء على التنقل منها الى مواضع تتوافر فيها شروط الحياة • وتعد المنطقة الواقعة بين العلا و « معون » أو معان، من المناطق الصحراوية فى الوقت الحاضر • وقد كانت من مناطق الغابات المكتنزة بالأشجار، وكانت مملوءة من الحيوانات المفترسة<sup>(١)</sup> • وكانت جبال الطائف تمون مكة بالأخشاب الصالحة للبناء والوقود، وكذلك المنطقة الواقعة بين مكة وعرفة كانت حتى القرن السادس عشر للميلاد مغطاة بالأشجار والعوسج والسلم، حتى ان اللصوص كانوا يتخذونها مخابى • يهاجمون منها القوافل • وقد عرف وادى القرى - الذى لا بد أن يكون قد سمي بذلك لكثرة القرى فيه - بكثرة بساينه ومياهه وقراه • وهو طريق عالمى قديم، تسلكه القوافل القادمة من الشام الى اليمن وبالعكس • أما اليوم، فقد فقد أكثر قراه، وجفت أكثر ينابيعه، واضطرت غالبية سكانه الى الهجرة، والتنقل من مكان الى مكان، والعيش عيشة الأعراب<sup>(٢)</sup> • وهناك أمثلة تاريخية كثيرة ذكرت عن أقوام هلكت، كعاد وئمود وأصحاب الأيكة، ومدن ذكرها الكتبة اليونانيون والرومان لم يبق لها أثر، وكتابات عثر عليها السياح فى مواضع صحراوية مهجورة: كل هذه تتحدث عن هذا التغير الذى طرأ على جو بلاد العرب، فأدى الى مقاومة الحضارة، وتحويل الأرضين فيها الى بقاع صحراوية<sup>(٣)</sup> •

ويميل كثير من السياح وعلماء طبقات الأرض ممن جابوا أنحاء شبه الجزيرة الى تأييد القائلين بظهور الجفاف فى الألف الثانى قبل الميلاد، أو قبل الألف الثانى، ورأى « تويجل Twitchell » أن مستوى سطح الماء قد هبط فى شبه جزيرة العرب زهاء « ٢٧ » قدما فى خلال ألفى عام، وانه كان لهذا الهبوط أثر فعال فى سطح الأرض<sup>(٤)</sup>، وفى تاريخ العرب، غير أن دعوى هبوط مستوى سطح الماء بهذا المقدار من الأقدام

Moritz, P, 35. (١)

ZDMG. 16. 695. Moritz, 31 (٢)

Huber, 342. Doughty, 1, 389. 405 . 440 Moritz. Sinaikult in Heidnischer (٣)

Zeit. 57. Moritz, P, 31 ff.

Twitchell, 44, 51. Boasor. Supplementary Studies, Nos 7-9. (1950). P, 41. (٤)



تحتاج الى أدلة وبراهين<sup>(١)</sup> .

### طبيعة أرض شبه الجزيرة ومعادنها :

يتألف ثلثا الأقسام الشرقية من أرض المملكة العربية السعودية ، من طبقات رسوبية يقال لها في علم طبقات الأرض « Sedimentary Formation » تكون نوعا من الصخور يتأثر ببعض المؤثرات الأرضية ، فتكون من أحسن الأماكن الملائمة للبتروول والفحم . وتتألف هذه الطبقات الرسوبية في الدرجة الأولى من الأحجار الكلسية . وتتكون أرض منطقة آبار البتروول عند « الظهران » والمناطق الأخرى التي أصابت شركة البتروول العربية السعودية الأمريكية فيها البتروول من هذا النوع من الصخور<sup>(٢)</sup> . وتوجد آثار طبقات رسوبية في المناطق الغربية من شبه الجزيرة المطللة على البحر الأحمر عند جزر فرسان<sup>(٣)</sup> وجيزان<sup>(٤)</sup> وصيبا<sup>(٥)</sup> وأمليج<sup>(٦)</sup> والمويلح<sup>(٧)</sup> الواقع على مقربة من رأس خليج العقبة ، وضبا<sup>(٨)</sup> . وحجارة رملية في العلا في القسم الشمالي الغربي من شبه الجزيرة بكميات واسعة ، وحجارة بركانية ولا سيما في مناطق الحرار ، وصخور تكونت بفعل الترسبات المتأثرة بالضغط والحرارة ، وهي التي يقال لها « Metamorphic Formations » وتساعد على تكوين المعادن . وقد وجدت خامات المعادن في هذه المنطقة<sup>(٩)</sup> ولكنها لم

Boasor, Suppl. Stud. Nos. 7-9, P. 41. (1950). (١)

Twitchell Saudi Arabia, P. 8 (٢)

(٣) وهبه ص ٤٠ ، البلدان ٣٥٩/٦ ، صفة ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٩٨ .

Saudi, P. 8, 63.

(٤) « ميناء صغير على بعد ٢٠٠ ميل من جنوب الجنوب الشرقي للقنفذة ، وهي واقعة امام مجموعة جزائر فرسان ويحيط بها من جهة الداخل جبل جيزان » . وهبه ص ٤٠ .

(٥) البلدان ٣٣٧/٥ ، صفة ٥٤ ، ٧٣ ، ١٢٠ « صيبا على بعد عشرين ميلا في

الداخل ، وهي الى الجنوب الشرقي من جيزان ، وكانت عاصمة الادراسة » . وهبة ٤٠ .

(٦) « أمليج : قرية بها نحو مائة منزل ، بها قلعة صغيرة ، وأمامها تقع جزيرة حسان

التي من رملها يصنع الزجاج ، بها مزارع ونخيل ، ومنها تمتد طريق في الداخل الى

اصطبل عنتر ، احدى محطات سكة حديد الحجاز » . وهبة ١٥ ، ٢٠ .

(٧) قرية وقلعة على بعد ١٥٠ ميلا الى الجنوب من العقبة . وهبة ١٩ .

(٨) الى جنوب المويلح ، المحل الرئيسي لقبيلة الحويطات اتخذها الاتراك مركز دفاع

عن الشاطي . وهبة (١٩) .

Saudi, P. 8. (٩)

تستغل حتى الآن استغلالا تجاريا ، كما أن هذه الحامات والأرضين لم تفحص فحوصا  
فنيا لمعرفة النسب المعدنية فيها .

وتوجد الصخور الرملية في عسير وفي وادي الدواسر ، وتشاهد في منطقة هذا  
الوادي تلال تتجه من الشمال الى الجنوب تقع الى جنوب « الحماسين » وعلى ارتفاع  
« ٢٢٠٠ » قدم ، يظهر أنها تكونت من الصخور الرملية « الايولية » « Acolian Sandstone »  
ومن أحجار « الكوارتز » الضخمة ، وقد تضمنت مقادارا من « أكاسيد الحديد » أعطت  
هذه السلسلة لونا أحمر غامقا . ويتكون هشيم هذه الحجارة على هيئة ألواح صلبة ،  
وعند قطعها يلاحظ أنها تتكون من طبقات ، ويمكن فصلها على أشكال ألواح ، وقد تكونت  
على حافات هذه السلسلة وجوانبها أشكال طبيعية مدهشة بتأثير فعل الرياح والرمال  
عليها .

وتتكون أرض « قرية » من صخور كلسية ، وهناك آبار قديمة تبلغ أعماقها « ٩٠ »  
قدما حفرت في طبقات أرضية مؤلفة من حجارة الكلس ، تتخللها طبقات من الحجارة  
الرملية ، غير أنها ليست سميكة<sup>(١)</sup> . أما أرض « بئر حما » التي يبلغ ارتفاعها زهاء  
أربعة آلاف قدم فوق سطح البحر ، وتقع على الحافات الغربية للربع الخالي ، فإنها مؤلفة  
من الحجارة الرملية الايولية الحمراء ، وعلى مسافة « ٣٥ » ميلا الى الجنوب الغربي من  
« حما » موضع يقال له « بئر الحسينية » فيه « بئر » يبلغ عمقها « ١٢٩ » قدما ، وقد  
حفرت في أرض فيها طبقات سميكة من « الغرايت » . وتتألف أكثر الأرضين التي تمتد  
من هذا الموضع الى نجران من حجارة « غرايتية » . وتظهر الحجارة الرملية في القسم  
الجنوبي والغربي من هذه المنطقة التي ترتفع زهاء « ١٥٠٠ » قدم عن مستوى سطح الوادي  
الموصل الى نجران والذي يرتفع هو نفسه زهاء أربعة آلاف قدم عن سطح البحر . وتتألف  
مناطق واسعة من اليمن من حجارة رملية ومن الطبقات المترسبة ، أي « Sediments »<sup>(٢)</sup> .

قلت : ان هنالك مناطق في الحجاز مكونة من طبقات مترسبة تعد من أحسن  
الصخور والطبقات الأرضية ملائمة للنفط والفحم ، وان هنالك مناطق توجد فيها  
صخور بركانية ونازية ، وقد تكون أكثرها بعد تغيرات كبيرة وعمليات طويلة من جراء  
ضغط هذه السلسلة الجبلية الطويلة التي تكون العمود الفقري لشبه جزيرة العرب

Saudi, P. 9. (٢)

Saudi, P. 9. (١)



وترتفع زهاء (٩٠٠٠ - ١١٠٠٠) قدم عن مستوى سطح البحر في اليمن على ما تحتها من طبقات • وتوجد مناطق واسعة من « اللابات » مبشرة على طول هذه السلسلة • منها ما هو حديث التكوين ، ويشاهد في الوقت الحاضر لسان بارز من « اللابة » في شرقي « أبي عريش »<sup>(١)</sup> يمتد حتى يتأخم حدود اليمن ، كما تشاهد مناطق أخرى مؤلفة من هذه الحجارة في مواضع عديدة بين شقيق<sup>(٢)</sup> وخور البرك<sup>(٣)</sup> مثلا حيث تصل « اللابة » الى البحر الأحمر فتدخل فيه ، وكذلك في شمال شقيق عند « جهمة » حيث يوجد بقايا بركان يكون جزيرة في البحر مقابل هذا الموضع<sup>(٤)</sup> .

وعلى مسافة اثني عشر ميلا من مكة جبل يقال له جبل النورة حيث تحرق حجارة الكلس لاستخراج النورة واستعمالها في البناء<sup>(٥)</sup> وهذه الحجارة الكلسية هي من الطبقات المترسبة المتحولة • وهناك أماكن أخرى تكونت من هذه الحجارة يشاهدها المار من جدة الى موضع « مهد الذهب » الذي تستغل الآن مناجمه لاستخراج الذهب ، وتتكون تلال مهد الذهب من الحجارة المترسبة التي تعرضت لتغيرات طبيعية عديدة ، عليها طبقات من حجارة « البازلت » « Basalt » وفي حجارة المناجم خامات معادن متعددة وفيها حجارة الكوارتز « Quartz »<sup>(٦)</sup> • وتوجد في منطقة الطائف صخور « الغرانيت » وفي نهاية هذه السلسلة الجبلية الطويلة التي تنتهي في اليمن تشاهد لابات الحرار<sup>(٧)</sup> وبقايا الحرار التي كانت تزعج اليمانيين ، وتقذف بحمها عليهم في يوم من الايام فتسومهم سوء العذاب •

وفي أرض اليمن عدد كبير من الحرار ذكر السياح بعضها مثل حرة أرحب ، وتقع شمال « صنعاء » ، ولها لابة استخراج الناس منها حجارة سودا لبناء البيوت<sup>(٨)</sup> • وعلى مقربة من « ذمار » حيث تكون الارض بركانية<sup>(٩)</sup> • وفي القسم الشمالي من

(١) أبو عريش في تهامة على بعد ٧٠ ميلا شمالي اللحية وهبة ٤٠ •

(٢) في تهامة وهبة ٣٨ • (٣) البرك وهبة ٣٨ •

(٤) Saudi, P, 10. (٥)

(٦) Saudi, P, 10. (٧)

(٨) Hugh Scott, in the High Yemen, London 1947, P, 8, 114 ، وسيكون رمزه :

Scott

(٩) Scott, P, 113

« وادي أبرد »<sup>(١)</sup> وفي الوادي بين « صرواح » و « مأرب »<sup>(٢)</sup> . وقد حمل بعض المستشرقين وجود الحرار في اليمن بهذه الكثرة وعلى مقربة من المدن القديمة ، على تفسير هلاك بعض المدن كخراب مأرب<sup>(٣)</sup> و « حقة »<sup>(٤)</sup> و « شبوة »<sup>(٥)</sup> بتأثير هياج البراكين . كذلك توجد مناطق الحرار في العربية الجنوبية في عدن<sup>(٦)</sup> وحضرموت وعمان<sup>(٧)</sup> ، وفي الربع الخالي ، وقد استعمل القدماء حجارة البراكين في البناء ، ولا يزال الناس يستخدمونها في البناء حتى اليوم ، وقد وجد بين الحجارة المكتوبة عدد من صخور البراكين . وقد استغل الجاهليون بعض الحرار لاستخراج الكبريت منها ، وذكر « نيبور » أن أهل اليمن كانوا يستخرجون الكبريت من جبل يقع في شرقي ذمار ويظهر أن هذا الجبل هو بركان قديم<sup>(٨)</sup> .

وتتكون بعض هضاب اليمن من الصخور المتبلورة التي مرت في أدوار طويلة . ويرى العلماء أنها كانت في الأصل تحت سطح البحر ، ثم ترسبت عليها طبقات سميكة من المواد الرسوبية حتى تبلورت وتصخرت<sup>(٩)</sup> . وقد استعملها الجاهليون ولا تزال تستعمل في النوافذ ، لتقوم مقام الزجاج . وهناك طبقات طباشيرية وطبقات من صخور رملية غدت المناطق المنخفضة ، وهي تهائم اليمن ، بالرمال . وكذلك المنطقة التي يقال لها الرمل<sup>(١٠)</sup> ، وتتكون التربة في تهامة وفي سهل صنعاء من المواد الصلصالية التي تعود الى الأدوار « الجيولوجية » المتأخرة ومن المتكونات « الأيولية » التي حصلت بتأثير فعل الرياح في الصخور الرملية<sup>(١١)</sup> ، ويكثر وجود الصخور المتبلورة في الحجاز

(١) Philby Sheba's . P, 389.

(٢) Sheba's. P, 392.

(٣) Sheba's. P, 389.

(٤) Scott, P, 195.

(٥) Philby, Geogr. Journal, 92. PP, 127-8. August, 1938. Sheba's. P, 103.

(٦) Stamp, P, 140.

(٧) D.G. Hogarth, The Nearer East. P, 97.

(٨) Scott. P, 114, 237. Niebuhr, Reisebeschreibung. P, 324.

(٩) Scott, P, 6-7.

(١٠) Handbook Vol, I. P, 145-146.

(١١) Scott, P, 8.



وفي العربية الجنوبية كذلك<sup>(١)</sup> ، وتوجد الصخور والطبقات الرسوبية في اليمن وفي حضرموت وعمان ، وقد وجدت في هذه المناطق علائم وجود البترول .  
وفي هذه الحجارة والصخور التي تتكون منها تربة شبه الجزيرة خامات معادن ، ومن الممكن استغلال بعضها استغلالا اقتصاديا ، ومن هذه المعادن الذهب . وقد ذكر الجغرافيون العرب أسماء مواضع عرفت بوجود خام الذهب بها ، مثل موضع « بيشة » أو « بيش » ، وقد كان الناس يجمعون التبر منه ويستخلصون منه الذهب<sup>(٢)</sup> .  
و « ضنكان » ، وكان به معدن غزير من التبر<sup>(٣)</sup> والمنطقة التي بين القنفذة و « مرسى حليج »<sup>(٤)</sup> ويظهر من المؤلفات اليونانية ومن الكتب العربية أن المنطقة التي بين القنفذة وعتود كانت معروفة بوجود التبر فيها ، فكان الناس يشتغلون هناك باستخلاص الذهب منه ، ولهذا رأى « موريس » أن هذه المنطقة هي منطقة « أوفير » التي ورد ذكرها في التوراة على أنها كانت تصدر الذهب<sup>(٥)</sup> .

ويشاهد في وادي تليلث على مقربة من « حمضة » وعلى مسافة ١٨٣ ميلا من نجران آثار التبر ، ويظهر انه كان من المواضع التي استغلت قديما لاستخراج الذهب منها<sup>(٦)</sup> . وقد اشتهرت ديار سليم بوجود المعادن فيها<sup>(٧)</sup> ، وفي جملتها معدن الذهب ، ويستغل اليوم الموضع الذي يقال له « مهد الذهب » ، ويقع الى الشمال من المدينة باستخراج الذهب منه ، وتقوم بذلك شركة تستخدم الوسائل الحديثة<sup>(٨)</sup> ، ومنطقة

(١) راجع عن صخور شبه الجزيرة كتاب : in Unknown Arabia, PP, 421

Stamp, P, 109

(٢) Moritz, P, 105. البلدان ٢/٣٣٣-٣٣٤ الصفة ١٢٧ ، ٢٥٧ .

(٣) الصفة ص ١٢٠ .

(٤) Moritz, P, 110. Glaser Skizze, S, 29.

(٥) Hommel, Grundriss Vol, 1, P, 13 Moritz P, 110.

(٦) The Middle East ( Roy. Insti. of inter. Aff. ). P, 91 (1950). Saudi, P, 77.

(٧) الصفة ١١٣ . ذكر الهمداني معادن اليمامة وأماكن أخرى من شبه جزيرة

العرب . الصفة ١٥٣ ، ومواضع أخرى .

(٨) « Saudi Arabian Mining Syndicate, Ltd » « شركة التعدين العربية السعودية »

ويشمل امتيازها كل أراضي الحجاز ، وتقوم بالبحث عن جميع المعادن وقد بحثت في

منطقة الطائف ، غير انها لم توسع أعمالها كثيرا . تأسست سنة ١٩٣٤ م .

Saudi, P, 146, 157. Sheba's, P, 15, The Middle East, (1948) P, 248.

« مهد الذهب » من المناطق التي كانت تستغل قديما في استخراج الذهب .  
وتوجد خامات معادن أخرى في الحجاز منها الكبريت والنحاس والقصدير  
والحديد<sup>(١)</sup> ، وتستخرج الأملاح من الصخور الملحية التي في الحجاز وفي عسير عند  
جيزان ، ويستخرج الأهلون منها مسحوقا لاستخدامه في عمل المفرعات<sup>(٢)</sup> ، كما  
أن هنالك مثل هذه الصخور الملحية في السلف من اليمن . وكانت اليمن تصدر كميات  
كبيرة منه الى الهند ، ويمكن الاستفادة من هذه الأملاح فائدة كبيرة من الوجهة  
الاقتصادية حيث يدخل في كثير من الصناعات .

وفي منطقة رابع توجد رواسب « الباريت » « Barite » ، وتدل البحوث  
الأولية على أنه من الممكن استخراج عشرة آلاف طن من « الباريت » في كل عام<sup>(٣)</sup> .  
وتدل الدلائل على ان هنالك منجم قديما في منطقة رابع كان يستغل لاستخراج  
« الكالينه Galena » غير أن النماذج التي فحصت فحوصا أوليا دلت على أن  
هذه المادة قليلة فيها . ويظهر أن هنالك كميات كبيرة من تراب الحديد في « العقيق »  
على مقربة من مهد الذهب ، كما شوهدت خامات المعادن في موضع « برم » جنوب  
الطائف<sup>(٤)</sup> وفي موضع « نفى »<sup>(٥)</sup> ، ولا يستبعد العثور على البترول في الحجاز في  
المواقع المتكونة من الطبقات المترسبة « Sedimentary Formations » وتوجد في الحجاز  
الرمال التي تصلح لصنع الزجاج<sup>(٦)</sup> .

وتستغل أرض الأحساء في استخراج البترول<sup>(٧)</sup> ويكثر وجود البترول في  
العروض حيث حفرت الآبار في الكويت والبحرين ، وتدل الدلائل على وجوده في  
« القطر » وعمان ، كذلك دلت التحريات على وجوده في حضرموت في منطقة « شبوة »<sup>(٨)</sup>  
وفي المناطق وراء شبوة الى داخل شبه الجزيرة حيث يحتمل العثور على مناجم للذهب

(١) Saudi, P, 162

(٢) Saudi, P, 163.

(٣) Saudi, P, 164.

(٤) المصدر نفسه ص ١٦٤ ، « معدن البرم » البلدان ٨/٩٤ .

(٥) « نفى » البلدان ٨/٣٠٨ . Saudi, P, 164.

(٦) وهبة (٢٠) .

(٧) The Middle East ( Royal Institute of International Affairs 1950 ) P. 90.

(٨) Sheba's, P, 103.



كذلك<sup>(١)</sup> . وتجري تحريات عن البترول في محمية عدن وفي اليمن .

ودلت التقارير الأولية على وجود الفحم في حضرموت في منطقة شبوة ، وتوجد الصخور الملحية مترسبة في بطن طبقات الأرض يقطعها الأهليون ، وتستغل في الأعمال التجارية ، كذلك توجد هذه الصخور الملحية في اليمن ، وقد تكونت بفعل العوامل « الجيولوجية » والضغط المتواصل فتحجرت بمرور آلاف السنين عليها . وتكمن جائزة تحت سطح الأرض في بعض الأماكن حيث تحفر جوانب التلال للوصول إلى قلب مناجم الملح المتحجرة ، وقد يهشم باستعمال المواد المتفجرة « الديناميت »<sup>(٢)</sup> ، وتستخرج سخوره من بعض المناجم صافية بيضاء كأنها البلور<sup>(٣)</sup> . وإلى وجود هذه الصخور الملحية في كثير من أنحاء شبه الجزيرة يجب أن يعزى ظهور قصص بناء القصور من الملح المنتشرة في كتب التاريخ والأدب .

ولما كانت أرض اليمن وأكثر الأنحاء الأخرى من شبه الجزيرة ، لم تفحص حتى الآن فحفا فنيا ، ولم تطأها أقدام الخبراء ؛ لذلك فإن من الصعب التجرد عن مواطن المعادن فيها وعن أنواع التربة ، وأثرها في الحضارة الجاهلية . وقد وجدت مصنوعات حديدية في اليمن ، كما اشتهرت اليمن بسيوفها في الجاهلية والإسلام ، غير أننا لا نعرف الآن المواطن التي كانت تستغل لاستخراج الحديد منها ، وقد ذكر الرحالة « نيور » أنه كان هناك منجم في منطقة « صعدة » يستخرج منه الحديد ، وأن هناك أماكن أخرى كانت تستغل لإنتاج هذه المادة<sup>(٤)</sup> . وذكر أنه سمع بوجود الكبريت في حرة تقع شرقي ذمار<sup>(٥)</sup> ، وفي اليمن أماكن غنية بالصخور الملحية ، وهي مشهورة مثل المناجم التي في « السلف » على مسافة « ٤٠ » ميلا إلى الشمال من الحديدية ، وتوجد في جزيرة « قمران » المقابلة لهذا الموضع مناجم ملحية ، وكذلك في « اللحية »<sup>(٦)</sup> وجبل الملح بمأرب وملحه صاف كالبلور<sup>(٧)</sup> ، واشتهر اليمن بعقيقها الذي يقال له أيضا

(١) Sheba's, P, 198.

(٢) Sheba's, P, 99, 114.

(٣) Sheba's, P, 114, 127.

(٤) Scott, P, 114, 237.

(٥) Scott, P, 237.

(٦) Scott, P, 114, 237.

(٧) الصفة ٢٠١ .

« حجر يعانى » و « بالجزع » Onyx « (١) .

وذكر الهمداني من معادن اليمن الذهب والفضة ، وقال انه كان يستخرج من « الرضراض » ولا نظير لفضته والحديد ، وكان يستخرج من « نغم » و « غمدان » و « فصوص البقران » ، وتستخرج من جبل أنس و « فصوص السعوانية » ، وتستخرج من وادى سعوان جنب صنعاء ، وهو فص أسود فيه عرق أبيض ومعدنه بشهارة وعيشان من بلد حاشد الى جنب هنوم وظليمة والجمش من شرف همدان ، وحجر « العشارى » وهو الحجر العشارى من عشار بالقرب من صنعاء ، والبلور ، والمسنى الذى يعمل منه نصب السكاكين والعقيق الأحمر والعقيق الأصفر من الهان والجزع الموشى والمسير ، والشزب يعمل منه ألواح وصفائح وقوائم سيوف ونصب سكاكين ومداهن وقحفة وغير ذلك (٢) .

لقد اشتهرت شبه جزيرة العرب قبل الاسلام بكثرة معادنها ، وتصدير الحجارة والأخشاب ، حتى خلقت قصصا فى الأدب العبرانى عن ثروتها وغناها فى الذهب ، تتجلى فى قصص داوود وسليمان وبلقيس ، وفى مواضع متعددة من الحكايات الواردة فى أسفار التوراة . ومن المواضع التى ذكرها « العهد العتيق » على أنها كانت تنتج الذهب « أوفير » (٣) . و « شبا Sheba » (٤) و « ذو ذهب Dizahab » (٥) و « حويلة Havilah » (٦) ويكثر فيها الذهب والمقل وحجر الجزع ذكرت على أنها تخم بنى اسماعيل (٧) ،

(١) Scott, P, 237.

(٢) صفة ٢٠٢-٢٠٣ .

(٣) الملوك الأول اصحاح ٩ آية ٢٨ ، اصحاح ١٠ آية ١١ . أيوب اصحاح ٢٨ آية ١٦ . Hommel, Grundriss. Vol. 1. P, 13. Glaser, Skizze. 2. PP. 353-387. Hastings, P, 669 Keane, the Gold of Ophir, P, 112 f.

(٤) حزقيال اصحاح ٢٧ آية ٢٢ ، المزامير المزمور الثانى والسبعون آية ١٥ . Kittel, Die Bücher der Könige, P, 89. Glaser, Skizze. 2. P, 357. Sprenger, ZDMG. 1890 PP, 501.

(٥) التثنية اصحاح ١ آية ١ . قاموس الكتاب المقدس ٤٦١/١ يرى ( بركهارد ) أنه موضع « مينا الذهب » بين رأس محمد والعقبة . راجع : Hastings. P, 193. Ency. Bibl. P, 1121

(٦) التكوين اصحاح ٢ آية ١١-١٢ . قاموس الكتاب المقدس ٣٩٨/١ . Hastings. P, 333, 619. Ency. Bibl. P, 1750, 1973.

(٧) التكوين اصحاح ٢٥ آية ١٨ ، قاموس الكتاب المقدس ٣٩٨/١ .



وكل هذه المواضع فى شبه جزيرة العرب على رأى أكثر علماء التوراة •  
 واشتهرت أرض « مدين » بكثرة الذهب فيها والظاهر أنها كانت تستخرجه من  
 مناجمها<sup>(١)</sup> ، وهى فى شبه جزيرة العرب كما هو معروف • وورد فى التوراة أن  
 الاسماعيليين كانوا يستعملون أقراط الذهب<sup>(٢)</sup> • كذلك وردت آيات تشير الى الفضة<sup>(٣)</sup>  
 والى معادن أخرى فى شبه الجزيرة •

### نباتات وحيوانات شبه الجزيرة :

أثر الجفاف على نباتات وحيوانات شبه الجزيرة أثرا كبيرا ، وقد تحولت أكثر  
 المناطق الى بقاع صحراوية ، ونعرف اليوم معرفة جيدة أنها كانت خصبة ذات مياه غزيرة  
 ويرى العلماء الذين قاموا بدراسات التطورات الجوية و « الجيولوجية » التى طرأت على  
 شبه جزيرة العرب ، أن هذه البلاد كانت فى عصر « البلايستوسين Pleistocene »  
 خصبة جدا كثيرة المياه ، تتساقط عليها الأمطار بغزارة ، ذات غابات كبيرة وأشجار  
 ضخمة ، كالأشجار التى نجدها ، فى الوقت الحاضر فى الهند ، وافريقية •

ويرى العلماء أن الأمطار كانت تتساقط فى جميع فصول السنة على شبه الجزيرة ،  
 وأن المناطق الصحراوية الحالية كانت تنال نصيبها من هذه الأمطار ، وأن جوها كان  
 خيرا من جو أوربة فى العصور الجليدية التى كانت تغطى الثلوج معظم اراضى تلك  
 القارة • ولهذا كانت أواسط شبه الجزيرة وأطرافها مزدهرة مأهولة • ثم أخذ الجو  
 يتغير فى العالم ، فذابت الثلوج بالتدريج ، فتغير جو بلاد العرب بالطبع ، حدث هذا  
 التغير فى عصر الـ « Neolithic » أو فى عصر الـ « Chalcolithic »<sup>(٤)</sup> ولم يكن  
 هذا التغير بالطبع فى مصلحة شبه الجزيرة ، لأنه صار يقلل من الرطوبة ويزيد فى  
 الجفاف ، ويحول رطوبة التربة الى يوسة فيميت الزرع بالتدريج • ويهيج سطح القشرة  
 فيحولها الى رمال وتراب ثم صحارى لا تصلح للنبات ولا لحياة الاحياء •  
 فاضطر سكان شبه الجزيرة الذين كانوا من الصيادين الى أن يكتفوا أنفسهم بحسب

(١) Hastings, P, 619. Ency. Bibl. P. 1751.

(٢) « ثم قال لهم جدعون ، اطلب منكم طلبه أن تعطونى كل واحد أقراط غنيمته •

لأنه كان لهم أقراط ذهب لأنهم اسماعيليون » قضاة اصحاح ٨ آية ٢٤ •

(٣) أخبار الأيام الثانى اصحاح ٩ آية ١٤ • Hastings, P, 619.

(٤) Boasor, Suppl. Nos. 7-9. P, 41 (1950)

الوضع الجديد ، فأخذ ناس منهم يهاجرون الى مناطق ملائمة توائم حياتهم ومزاجهم ، وأخذ ناس آخرون يعتمدون على الزرع وتدجين الحيوانات ، والاكتفاء بصيد ما يروونه من حيوانات تحملت الجو الجديد متقلبين من مكان الى مكان حيث الكلال والماء . وهكذا تعرضت حياة الاجسام الحية من نبات وحيوان الى تغيرات تدريجية مستمرة فرضها عليها تغير الجو .

وقد أدى انحباس المطر ، وازدياد الجفاف ، وببوسة الجو الى انخفاض الرطوبة من سطح الأرض ، وهبوط مستوى الماء بالتدريج عن قشرة الأرض وظهور الأملاح في الآبار ، وجفاف بعض الآبار ، فأدى ذلك الى ترك الناس هذه الأماكن ، اذ صعب عليهم استغلالها بالزراعة ، واصلاحها بحفر آبار لا تساعد مياهها الملحة على نمو النبات ، ومعيشة الحيوان . حدث ذلك حتى في العصور الاسلامية حيث نسمع شكاوى مريرة من هذه العوارض الطبيعية<sup>(١)</sup> ، وقد تحدث « فلبى » عن هبوط مستوى مياه بعض الآبار التي زارها عام ١٩١٧ م في الحرج<sup>(٢)</sup> ، كما تحدث غيره من السياح عن حوادث مشابهة حدثت في تهامة والحجاز وأماكن أخرى<sup>(٣)</sup> .

ويعزو علماء طبقات الأرض انخفاض مستوى سطح الماء في بلاد العرب الى عوامل أخرى اضافة الى الجفاف مثل هبوط درجات الضغط على قشرة الأرض . وقد ذكرت أن « Twitchell » رأى أن الماء قد انخفض زهاء « ٢٧ » قدما عن مستواه الذي كان عليه قبل ألفى عام<sup>(٤)</sup> . ومن العلماء من يرى أن مستوى سطح الماء في البحر الأحمر وفي خليج فارس قد انخفض كذلك ، فذهب بعض علماء دراسات التوراة الى ان مستوى سطح الماء في خليج السويس قد انخفض « ٢٥ » قدما عما كان عليه في « أيام الخروج » « Exodus »<sup>(٥)</sup> وذهبت جماعة منهم الى أن هذا الهبوط

(١) تجد أمثلة كثيرة وبحثا قيما في هذا الموضوع كتبه « موريتس » « B. Moritz »  
Arabien. Studien Zur Physikalischen und Historischen Geographie  
des Landes.

(٢) Philby, the Heart of Arabia. P, 37, 38. BOASOR, Suppl. Nos. 7-9. P, 41  
(1950).

(٣) راجع كتاب « موريتس » المذكور .

(٤) Twitchell, Saudi Arabia, P, 44, 51.

(٥) Boasor, Suppl. Stu. Nos. 7-9 P, 42.



لم يكن كبيرا وإنما بلغ زهاء ست أقدام أو أقل من ذلك في خلال ثلاثة آلاف سنة<sup>(١)</sup> أما مستوى سطح خليج فارس ، فقد هبط على رأى بعضهم زهاء ١٠-٥ أقدام خلال ألفى عام وأن ماء البحر قد تراجع في هذه المدة ، ويستدلون على ذلك بوجود السبخ في الأحساء والقطيف ، وهى على رأيهم من بقايا أثر البحر على الأرض ، وبما ذهب اليه بعضهم من أن الربع الخالى ، وقد عثر فيه على بقايا بحر واسع فى السهل المنخفض الذى يقال له أبو بحر ، كان متصلا بالبحر العربى<sup>(٢)</sup> . ومهما يكن من شىء فإن هبوط مستوى سطح الماء مهما كان مقداره قد أثر فى سطح الأرض .

وقد وجد السياح محاررا من النوع الذى يكون فى المياه العذبة وأدوات من الصوان ترجع الى ما قبل التاريخ والعصور الحجرية<sup>(٣)</sup> وبقايا عظام ترجع الى هذه الدهور فى مناطق صحراوية ويدل وجودها فيها على أنها كانت مأهولة وأنها لم تهمل الا لعوارض طبيعية قاهرة لم يكن من الممكن التغلب عليها ، حولت تلك المناطق الخصبة فى ألوف السنين الى مناطق لا تتوافر فيها شروط الحياة فهجرت .

كما نجد فى الكتب العربية ذكر أشجار ضخمة كانت تنمو فى مناطق لا تنبت أى شىء فى الوقت الحاضر ، وذكر مناطق كانت تحمى يقال لها « الحمى » تخصص بالشيخ فلا يرهاها غيره وغير أصحابه ، مثل حمى « الربذة » وحمى « فيد » وحمى « النير » وحمى « ذى الشرى » وحمى « النقيع » و « حمى ضرية » وهو حمى كليب بن وائل وكان فى ناحية منه قبر يقال انه قبر كليب بن وائل<sup>(٤)</sup> . فهلاك هذه النباتات لا يمكن أن يعزى الى سوء الأوضاع السياسية وهجرة القبائل والمزارعين الى أماكن أخرى لفساد الادارة فى الأماكن البعيدة حسب ، بل لابد وأن يكون للطبيعة يد فى هذا التحول ونصيب .

ان هذا التغير الذى حدث فى جو شبه الجزيرة فساعد على ازدياد الجفاف وانحباس الأمطار ، قد أباد النباتات ، وقاوم نمو المزروعات ، وعفى على الأشجار الضخمة التى

(١) المصدر نفسه .

(٢) Philby, The Heart of Arabia, P, 31 Dougherty, the Sealand, P, 160.

(٣) المراجع نفسها . مجلة سومر ١٩٤٩ المجلد الخامس ٢/١٢٧-١٢٨ .

(٤) البلدان ٣/٣٤٦ ، ٥/٤٣١ ، صفة ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦٩ ، Ency. 3-895.

كانت تعيش من امتصاص جذورها العميقة للرطوبة من أعماق الأرض (١) ، كما أثر في حياة الحيوان كالأسد الذي قل وجوده في شبه الجزيرة ، وقد كان على ما يظهر كثير الوجود ، ويدل على وجوده هذه الأسماء الكثيرة التي وضعت له وحفظت في كتب اللغة (٢) ، وحمار الوحش وقد كان من الحيوانات التي يخرج الناس لصيدها في الحجاز وفي نجد (٣) ، والنعام (٤) والرثم أو بقر الوحش ، والفهد ، والغزلان والنمر (٥) .

وليست لدينا الآن دراسات عن ثروة شبه الجزيرة الحيوانية قبل الاسلام ، كما أن العظام التي عثر عليها في بعض الأماكن من شبه الجزيرة ليست كافية لاعطاء العلماء حكما صحيحا عن الحيوانات التي كانت تعيش في هذه البلاد قبل الميلاد وفي العصور البرنزية والحديدية والحجرية ، ويمكن معرفة بعض أنواع النباتات والحيوانات التي كان سكان شبه الجزيرة يعنون بزراعتها وبتربيتها ، أو الوحشية منها قبل ألفي سنة قبل الميلاد الى ما بعد الميلاد بمراجعة النصوص القديمة ودراسة الأشكال والتصاوير التي رسمها القدماء في ألواحهم الكتابية وعلى الجدران للزخرفة والزينة .

#### أقسام بلاد العرب :

قسم اليونان والرومان بلاد العرب الى أقسام ثلاثة :

(١) العربية السعيدة Arabia Felix

(٢) العربية الصحيرية أي الحجرية Arabia Petraea

(٣) العربية الصحراوية Arabia Deserta

وهو تقسيم يتفق مع الناحية السياسية التي كانت عليها البلاد العربية في القرن الأول للميلاد . فالقسم الأول مستقل ، والقسم الثاني قريب من الرومان ثم أصبح

(١) Moritz, P, 35 ff.

(٢) Moritz P, 40-41, Nöldeke in ZDMG. 49, 713-714.

ابن سيده : المخصص ٨ ، ٥٩ - ٦٤ . وقد اشتهرت بعض الاماكن بأسودها مثل « عثر » ، قال الهمداني : « والى حارة عثر تنسب الأسود التي يقال لها أسود عثر وأسود عتود وهي قرية من بواديهما وقد ذكرها ابن مقبل :

جلوسا بها الشم العجاف كأنهم  
أسود بترج أو أسود بعنودا »  
صفحة ٥٤ .

(٣) Moritz, P, 42, Wellhausen, Lieder der Hudhailiteu, No. 175. 176.

(٤) Euting I, 230, Moritz, P, 42.

(٥) صفحة ص ٢٠٢ .



تحت نفوذهم ، وأما القسم الثالث فهو البادية الى نهر الفرات (١) .  
 ولا نستطيع التكهن عن الوقت الذي اصطلح فيه « الكلاسيكيون » على هذا التقسيم  
 فلم يرد ذكره عند « هيرودوتس » . وقد عرفه « سترابون » (٢) ، والظاهر أنه ظهر في  
 الفترة التي انصرفت بين أيام الكاتبين ، ولم يعرفه العرب (٣) ، مع أنهم عرفوا جغرافية  
 بطليموس .

### العربية السعيدة : ARABIA FELIX

أما العربية السعيدة ويقال لها ايضا « Arabia Beata » و « Arabia Eudaimon »  
 في اليونانية فهي أكبر الأقسام الثلاثة رقعة ، وتشمل كل المناطق التي يقال  
 لها شبه جزيرة العرب في الكتب العربية ، وليست لها حدود شمالية ثابتة ؛  
 لأنها كانت تبدل وتغير على حسب الأوضاع السياسية . ويمكن القول انها  
 تبدأ على رأى أكثر الكتاب اليونان والرومان من مدينة « Heroopolis »  
 على مقربة من مدينة السويس الحالية ، ثم تسير حدود العربية الحجرية الجنوبية ، ثم  
 تخترق الصحراء حتى تصل بمناطق الأهوار « أهوار كلديا » وقد أدخل بعض الكتاب  
 هذه الأهوار في جملة العربية السعيدة ، وجعلها بعضهم خارجة عنها بحيث يمر خط  
 الحدود في جنوبها حيث تصل بمصب شط العرب في الخليج (٤) . وعرفت الصحراء  
 الواسعة التي هي جزء من النفود والتي تمر بها حدود العربية السعيدة الشمالية باسم  
 « Eremos » عند اليونان ، وهي امتداد للصحراء المتصلة ببادية الشام ، والتي يتكون من  
 مجموعها « العربية الصحراوية » في نظر الكلاسيكيين (٥) .

ولم يذكر « الكلاسيكيون » الأسماء التي نعرفها الان ، أو التي تعارفنا على قراءتها

(١) حتى ٥٦ . زيدان ٣٠ .

Christina Phelps Grant, the Syrian Desert. London, 1937 P, 10 Ch. Forster  
 the Historical Geography of Arabia, in 2 Vols. Vol, 2, P, 109.

Forster, وسيكون رمزه :

(٢) راجع جغرافية « سترابون » Strabo, Vol, 3, P. 309.

(٣) Forster, 2-109, Edward Gibbon, The Decline and fall of the Roman

Empire Vol, 5 P, 209 ( Everyman's Library Ed, 1931 ).

Ptolemy., VI, 7 : 2, 27, Strabo XVI, 4 : 2. Musil, Arabia Deserta, P, 498. (٤)

Musil, Arabia Deserta, P, 499. (٥)

في الكتب العربية لأقسام شبه جزيرة العرب ، فلا نجد اسم الحجاز مثلا في الكتب اليونانية أو الرومانية<sup>(١)</sup> وكذلك لم يذكروا نجدا أو العروض أو اليمامة أو البحرين ، مع انهم ذكروا أسماء مواضع عديدة لا تعد شيئا بالنسبة الى هذه الأقسام ، وحيث اننا لا نجد أسماء هذه الأماكن في الكتابات العربية الجاهلية التي عثر عليها حتى الان ، خلا اسم « اليمن » الذي ورد في الكتابات العربية الجنوبية المتأخرة باسم « يمانات » « يمنت » ، فان من الجائز أن تكون هذه الأسماء الخمسة الواردة في التقسيم العربي لشبه جزيرة العرب قد ظهرت بعد الميلاد ، أو في الجاهلية القريبة من الاسلام أو في الاسلام .

ولما كان أكثر معارف اليونان والرومان عن شبه الجزيرة العربية قد وصلت اليهم عن طريق التجار والبحارة الذين كانوا يجوسون البحار للتجار مع الموانئ ، فاننا نجد أكثر ما جاء في الكتب الكلاسيكية عن العربية السعيدة يتناول السواحل والمواضع الواقعة على الطرق ، أو القبائل التي كانت تمارس التجارة أو التي تمر الطرق التجارية في أراضيها ، ولهذه الكتب فضل كبير علينا ؛ لانهما ذكرت في الجملة أسماء مواضع كثيرة ، وتحدثت عن قبائل وشعوب عاشت في العربية السعيدة ذهبت مع الذهبين ولم يعرف من أمر كثير منها في أقدم الكتب العربية الاسلامية حتى الأسماء .

ومن الشعوب التي ذكرها الكلاسيكيون في العربية السعيدة : المعينيون والسبثيون والقتبانين والحضرميون والحميريون والثموديون وهي من الشعوب المعروفة التي تركت عددا وافرا من الكتابات ، وشعوب أخرى لا نعرف الآن من أمرها شيئا كثيرا مثل « Suelleni » و « Taveni » و « Hemnatae » و « Arreni » و « Araceni » و « larendae » و « Alilae » و « Garindae » و « Avalitaei » و « Thimani » و « Maranitae » وغيرهم ممن سنتحدث عنهم في القسم الخاص بهم<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكروا كذلك أسماء عدد من القرى والمدن والمشيخات مثل « Aramae »<sup>(٣)</sup> ويظهر أنه جبل آرام أو « ارم » من جبال حسمى من ديار جذام<sup>(٤)</sup> و « Thapua »

(١) Musil, Hegaz P, 309

(٢) Glaser, Skizze, 2. P, 27 « Garendani » Forster, Vol, 1, P, 130. 132.

(٣) Musil, Hegaz, P, 312. Forster, Vol, 1, P, 75. Moritz, « Auszüge in der

Arabia Petraea », MFOB, III, P, 395. BOASOR, Nr, 73, February, 1939, P, 14.

(٤) البلدان ١٩٦/١



و « Thabaucha » أو « Thapaucha » الذى يشير الى « تبوك »<sup>(١)</sup> و « Makna » وهو موضع « مقنا » قرب « أيلة » الذى صالح النبى أهله فى غزوة تبوك على ربع ما يصطادونه وعلى ربع ثمارهم<sup>(٢)</sup> . و « Onne » ، والظاهر أنه موضع « أنا » وهو يقع بين « العلا » و « مدين » يطؤه حجاج مصر<sup>(٣)</sup> و « Badeas » وهو موضع « بدا » قرب أيلة<sup>(٤)</sup> . ومواقع أخرى كثيرة تقع فى بقية أنحاء الحجاز وتهامة واليمن والعربية الجنوبية والعروض . وقد بحث فى تعيين مواقعها وتشخيصها جماعة من المستشرقين<sup>(٥)</sup> ، وسأحدث عنها فى المكان المناسب .

### العربية الحجرية :

وأما العربية الحجرية ، فتشمل الأرضين التى كان يسكن فيها الأنباط ، وخضعت لنفوذ الرومان والبيزنطيين . ويطلق ذلك الاسم - أى العربية الحجرية - على شبه جزيرة سيناء ، وعلى المملكة النبطية وعاصمتها « بطرا » « البتراء »<sup>(٦)</sup> . وكانت هذه المنطقة

(١) Musil, Hegaz, P, 312.

(٢) البلدان ١٢٨/٨ ، البلاذرى فتوح ( طبعة دى غوية ) ص ٦٠ ،

Musil, Hegaz, P, 114. 312.

(٣) البلدان ١/٣٤٠ . P, 527. Periplus ( ed. Müller ).

(٤) البلدان ٢/٨٧ . Stephan of Byzantium, Ethnica ( ed. Meineke ).

Vol, 1, P. 155. Musil, Hegaz P, 135. Ptolemy, VI, 7,30.

(٥) راجع مؤلفات « الويس موسل » ، ففيها تحقیقات مهمة فى هذا الموضوع

كذلك كتاب : The Historical Geography of Arabia تأليف « Charles Forster »

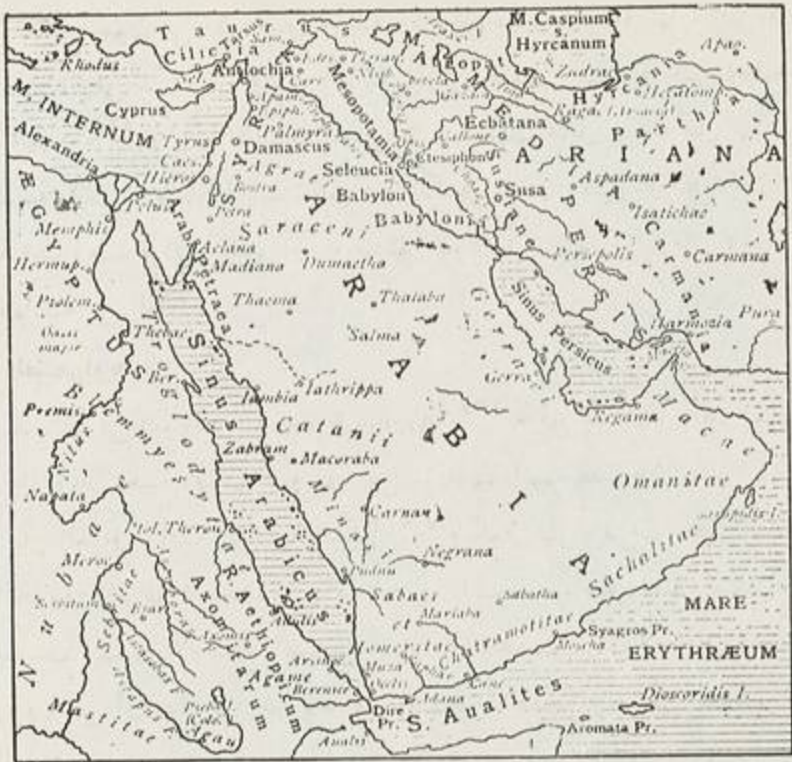
فى مجلدين ، وقد ذكر فيه أكثر الكتب « الكلاسيكية » وحاول تعيين الأماكن ، وذكر الشعوب والقبائل العربية التى وردت فيها . ولما كانت الموارد التى اعتمد عليها المؤلف محدودة فى أيام تأليف الكتاب ، وقد عثر على كتابات جديدة ، وتوسع مجال البحث فى هذا الباب ، فقد أصبح الكتاب قديما ، ووقع فى بعض الموضوعات التى ذكرت فيه الغلط وحرقت بعض القراءات للإعلام الواردة فى اليونانية والرومانية وأصلح قراءتها العلماء حديثا ، فيجب الانتباه لهذه الأمور عند الاعتماد على الكتاب ، ومن الكتب التى تدخل فى هذا الباب كتاب « كلاسر » وعنوانه :

« Skizze der Geschichte Und Geographie Arabiens »

وقد تعرض لما ورد فى الكتب « الكلاسيكية » بشئ من التفصيل ، ولكنه أصبح من

الكتب القديمة التى تحتاج الى تصحيح .

Hitti, P, 44 (٦)



مواضع شبه الجزيرة وقبائلها كما وردت في كتب الكلاسيكيين

توسع وتقلص بحسب الظروف السياسية وبحسب مقدرة العرب ، ففي عهد الحارث الرابع ملك الأنباط « من سنة ٩ قبل الميلاد الى سنة ٤٠ بعد الميلاد » اتسعت حدودها حتى بلغت نهايتها الشمالية حدود دمشق<sup>(١)</sup> . ولما ضعف أمر الأنباط ، استولى الانباطور « تراجان » عام « ١٠٦ للميلاد » على هذه المقاطعة وضمها الى المقاطعة التي كونها الرومان ، وأطلقوا عليها اسم « المقاطعة العربية » « Provincia Arabia » أو « المقاطعة الرومانية »<sup>(٢)</sup> . ويظهر من وصف « ديودورس »<sup>(٣)</sup> لهذه المنطقة أنها في شرق مصر

(١) Hitti, P, 68.

(٢) Hitti, P, 74. Ammianus, P, 29. Gibbon, V-214 Not. 5.

(٣) Diodorus, II, 48. Musil, Hegaz, P, 309



وفى جنوب البحر الميت ، وجنوبه الغربى وفى شمال « العربية السعيدة » وغربها (١) .  
 وأن الأنباط يقيمون فى الأرضين الجبلية وفى المرتفعات المتصلة بها ، التى فى شرقى  
 البحر الميت ، وفى شرقى وادى العربية ، وفى جنوب اليهودية حتى الخليج العربى  
 « خليج العقبة » (٢) . وأما الأقسام الباقية فكانت تسكنها قبائل عربية قيل لها « سبئية » ،  
 وهى تسمية كانت - فيما أظن - تطلق عند الكتبة اليونان والرومان على أكثر القبائل  
 المجهولة اسمائها ، التى تقطن وراء مناطق نفوذ الأنباط والرومان ، ويعنون بذلك  
 قبائل جنوبية فى الغالب .

### العربية الصحراوية :

ويقال لها فى اليونانية « Arabia Eremos » (٣) . أما حدودها ، فلم يعينها الكتاب  
 اليونان والرومان تعيينا دقيقا . ويفهم من مؤلفاتهم أنهم يقصدون بها البادية الواسعة  
 الفاصلة بين العراق والشام : بادية الشام (٤) ؛ ويكون نهر الفرات الحد الشرقية لها الى  
 ملتقى الحدود بالعربية السعيدة . وأما الحدود الشمالية ، فغير ثابتة كذلك ، بل كانت  
 تتبدل بحسب تبدل الأوضاع السياسية . وأما الحدود الغربية ، فكانت تتبدل وتتغير  
 كذلك ، ويمكن أن يقال ان حدودها هى المناطق الصحراوية التى تصاقب الأرضين  
 الزراعية لبلاد الشام . فما كان بعيدا عن امكانيات الرومان واليونان ومتناول جيوشهم ،  
 عد من العربية الصحراوية (٥) .

وفهم من « العربية الصحراوية » أحيانا « بادية السماوة » (٦) ، وقد يتوسعون  
 أحيانا أخرى فيطلقونها على جميع البادية كما قلت ، وقد يجعلون حدودها الجنوبية  
 على مقربة من بحيرة النجف أى فى حدود الحيرة القديمة حيث تبدأ بطائح كلدية التى  
 كانت تشغل مساحة واسعة من جنوب العراق . وعرفت عند بطليموس باسم  
 « Amardocaea » ، وهى تمتد حتى تتصل بطائح « Maisanios Kolpos » أو « خليج

(١) Musil, Hegaz, P, 309.

(٢) Musil, Hegaz. P. 309. Deserta. P, 499.

(٣) Musil, Deserta, P, 497. 511.

(٤) Hitti, P, 44.

(٥) Forster, Vol, 2, P, 110 ff

(٦) Alois Musil, Arabia Deserta P, 235.

ميسينوس » • الذى يكون امتداد خليج فارس « Persikos Kolpos » • فكل ما وقع جنوب ذلك الخط الوهمى عد فى العربية السعيدة (١) •

وقد فهم « ديودورس » من « العربية الصحراوية » المناطق الصحراوية التى تسكنها القبائل المتبدية ، وتقع فى شمالها وفى شمالها الشرقى أرض مملكة « تدمر » • وأما حدها الشمالى الغربى والغربى حتى ملتقاها بالعربية الحجرية ، فتدخل فى جملة أراض الشام ، وكان يسكن فيها الارميون والانباط (٢) فعنى بذلك اذن الارضون الصحراوية البحتة والمناطق القليلة العمران التى يكون الاعراب غالبية السكان فيها • وتقع فى شمال غربى اقليم بابل وغرب الفرات وفى شمال العربية الصحراوية المتاخمة لكلدية ، الارضون التى سماها بطليموس « Aurantiae » (٣) أو « Aurana » (٤) ويذكرنا هذا الاسم بحوران • والظاهر أنها المناطق المتصلة بوادى حوران (٥) • وتتاخم العربية الصحراوية منطقة سماها « سترابون » ( Maecena ) ويظهر أنها « Maisena » نفسها كما كتبها بعض اليونان (٦) • وتقع العربية الصحراوية فى الجهة الشمالية الغربية منها ، والبطائح فى الجنوب الشرقى ، وهى من المناطق المأهولة بالعرب ، تتصل بالخليج وبملتقى دجلة والفرات ، وتدخل فى العربية السعيدة على رأى بعض « الكلاسيكين » (٧) •

وتقابل العربية الصحراوية ما يقال له « أربى » عند الآشوريين ، و « ماتو أربى » عند البابليين ، و « أربابة » (عرباية) ، عند السريان والفرس • كانت العربية الصحراوية مأهولة بالقبائل العربية ، والظاهر أن اقامتها بهذه المنطقة

(١) Musil, Deserta, P, 500. 503. Stephen of Byzantium, Ethnica, P, 237. ( ed. Meineke ).

(٢) Musil, Deserta, P, 499. Diodorus, Bibl. hist II, 54.

(٣) Musil, Deserta, P, 500. Ptolemy, V, 14 : 13, 15, 16, 18, 19., Musil, Palmyrena, P, 229.

(٤) Forster, 1-189, 311.

(٥) Deserta, P. 500.

(٦) Deserta, P, 500. « Maesene » « Maecene » Strabo. Vol, 3, P, 189 ( Hamilton ed. Bohn's Classical Library ). « Massica » Pliny. V. 21.

(٧) Deserta, P. 500.



قديمة جدا ، وليست لدينا ، يا للأسف ، نصوص كتابية قديمة أقدم من النصوص الآشورية التي كانت أول نصوص أشارت الى العرب في هذه المنطقة ، وذكرت أنه كانت لديهم حكومات يحكمها ملوك . وأقدم هذه النصوص عهدا هو النص الذي يعود تأريخه الى سنة ٨٥٤ قبل الميلاد<sup>(١)</sup> . وقد ورد فيه اسم العرب في جملة من كان يعارض السياسة الآشورية ، وحيث ان هذا النص يشير الى وجود مشيخة أو مملكة عربية ، يحكمها ملك ، فلا يعقل أن يكون العرب قد نزلوا في هذا العهد في هذه البادية ، بل تشير كل الدلائل الى أن وجودهم فيها كان قبل هذا العهد ، وربما كان قبل الألف الثاني قبل الميلاد . وقد كانت هذه القبائل تهاجم أرض ما بين النهرين والشام ، وتكون مصدر رعب للحكومات المسيطرة على الهلال الخصيب وكانت تنتقل في هذه البادية الواسعة ، لا تعترف بفواصل ولا بحدود ، فتقيم حيث الكلال والماء والمحل المناسب الذي يلائم طبعها<sup>(٢)</sup> .

أما الروايات العربية ، وهي لا تستند الى وثائق أو نصوص جاهلية ، فقد رجعت وجود العرب في هذه المنطقة الى ما بعد الميلاد ، ولم يتجاوز بعضها أيام « بخت نصر » ، وهو بالطبع حديث مغلوط فيه .

وذكر الكتاب اليونان والرومان أسماء عدد من القبائل التي كانت تقيم في العربية الصحراوية منها : « Cauchabeni » و « Batanaei » و « Scenitae » و « Attala » و « Ausitae » و « Masani » و « Agubeni » و « Raabeni » و قبائل أخرى .  
فأما « Scenitae » « Skenitae » فيقصد بها عند اليونان والرومان الأعراب ( سكان الخيام ) ، وكانوا أصحاب ابل يتنقلون في البادية<sup>(٣)</sup> .  
وتعنى كلمة « Skene » في اليونانية خيمة<sup>(٤)</sup> ، ولا يقصد باللفظة جماعة معينة ،

D.D Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol, I, § 6II. (١)

Forster. Vol, I, P, 347 (٢)

Deserta, P, 498. Strabo, 3-204. (٣) الجزء الثامن من السنة الثامنة ،

آب سنة ١٩٣٠ ، ص ٥٨٤ .

Webster's, New International Dictionary of the English Language, Vol, (٤)

وانما تعنى معنى عامما هو أهل البادية الذين يتنقلون بخيامهم من مكان الى مكان ،  
 فيدخلون العراق ، ويذهبون الى الشام ، وقد يستقرون فى مكان فيكونون مشيخة •  
 وكانوا يعتنون بتربية الابل<sup>(١)</sup> ، ويقومون بحماية الطرق التجارية الصحراوية ،  
 ويأخذون الأتاوة من القوافل : كل فى منطقة نفوذه ، ويقومون أيضا بوظيفة حماية  
 الحدود الدولية • ولما كانت هذه القبائل كثيرة العدد متفرقة ، ينافس مشايخها بعضهم  
 بعضا ، استغلت الدول الكبرى هذا النقص فى خدمة مصالحها ، فكانت تضرب بعضهم  
 بعض ، وتحارب بهم حدود أعدائها فتستفيد •

ولعل هنالك صلة بين كلمة « Scenitae » « Skenitae » وبين اسم آخر  
 معروف بين أسماء القبائل العربية هو « السكون » ، وهم قبيلة عربية ، يقول النسابون  
 انهم من نسل السكون بن أشرس بن كندة ، منهم الأكيدر بن عبدالمك صاحب دومة  
 الجندل<sup>(٢)</sup> ، وكان له شقيق يقال له بشر بن عبدالمك تعلم الخط بالحيرة ثم أتى  
 مكة<sup>(٣)</sup> • والظاهر أنهم من بقايا القبائل العربية القديمة ، فلعلهم من نسل من تحدثنا  
 عنهم • كما ورد اسم حى من العرب يقال له « سكين » فى شعر النابغة الذبياني<sup>(٤)</sup> لعل له  
 علاقة بهذه القبيلة •

وأما « Attala » ، فلا نعرف من أمرها غير ما ذكره « بلينيوس » من أنها كانت  
 تقطن على مقربة من مدينة « Charax » من المدن الواقعة على مقربة من خليج فارس على  
 الحدود التى تبدأ منها أرض العربية السعيدة • ويقطن فى الشمال الغربى من  
 أرضها أعراب « Scenitae »<sup>(٥)</sup> • أما « Cauchabeni » « Chauchabeni » ، فكانوا  
 يقطنون فى العربية الصحراوية القريبة من الفرات ، ويرى « موصل » ان لهذا الاسم  
 علاقة باسم « بنى كوكب » أو « النكواكية » من القبائل البدوية القديمة ، ولها عدة فروع  
 يعيش بعضها مع قبائل عنيزة النازلة على الفرات ، ويعيش بعض آخر مع عنيزة النازلة  
 فى وادى السرحان<sup>(٦)</sup> •

(١) Strabo, Vol, 3, P. 158-159.

(٢) ابن خلدون ٢/٢٥٧ •

(٣) جهمرة ابن حزم ص ٤٠٣ فما بعدها •

(٤) لسان العرب ١٧/٨٢ •

(٥) Deserta, P. 502. Pliny, VI, 125, 142.

(٦) Deserta, P. 504. Forster, Vol, 2, P. 239, Ptolemy, Geography, Vol, 1, P. 1012. (ed. Müller ),



ويرى « موسل » أن قبيلة « Batanaei » هي من القبائل الرحالة التي كانت تقضي فصول الصيف في بلاد الشام . وأما سائر أيام السنة ، فتقضيها في « النقرة » (١) .  
وذهب آخرون الى أنهم « Katanaioi » أي « قحطان » وانهم كانوا يتنقلون فيصلون الى بلاد الشام ، وهم - على هذا - أسلاف القحطانيين (٢) .

وعلى مقربة من العربية السعيدة ، قطنت قبيلة « Agubeni » أي « Agabeni » (٣) .  
وقد ذهب « فورستر » الى أنها قد تعنى « بنى أيوب » وهناك موضع على نهر الفرات يقال له « بنى أيوب » (٤) . ورأى « موسل » أنها تقطن في موضع « الجوبة » (٥) .

وقطن الى الشرق من « Agubeni » رجال قبيلة « Raabeni » ، وذهب موسل الى أنها قبيلة « Rambaei » التي ورد ذكرها في جغرافية « سترابون » (٦) . ولعل بين هذا الاسم وبين اسم موضع « الرجبة » صلة (٧) . وقد ذكر « سترابون » أن « Rambaei » قبيلة بدوية كان عليها ملك صديق للرومان ، ثم انقلب عليهم ، وكان يقطن على مقربة من الجانب الغربي للفرات (٨) .

ونزلت قبيلة « Ausitae » ( Aiscitae ) في البادية غرب إقليم بابل على ما يفهم من جغرافية بطليموس ، وذهب بعض العلماء الى أن لهذا الاسم علاقة بعوص الذين كان منهم أيوب ، وجعل بعض العلماء مواضعهم في أرض « أدوم » (٩) . وعلى هذا يكون « Ausitae » بمعنى أرض « عوص » .

وعرف البحر الأحمر عند « الكلاسيكيين » باسم « Sinus Arabicus » (١٠) ، أي

Deserta, P. 504. (١)

Deserta, P. 504. Forster, Vol. 1, P. 189. Vol. 2 P. 238-239. (٢)

Deserta, P. 504. (٣)

Forster, Vol. 2, P. 239. (٤)

Deserta, P. 504. (٥)

Strabo, XVI, 2 : 10. Vol. 3, P. 166 ( Hamilton ). Deserta, P. 504. (٦)

Deserta, P. 504. (٧)

Strabo, Vol. 3, P. 166. (٨)

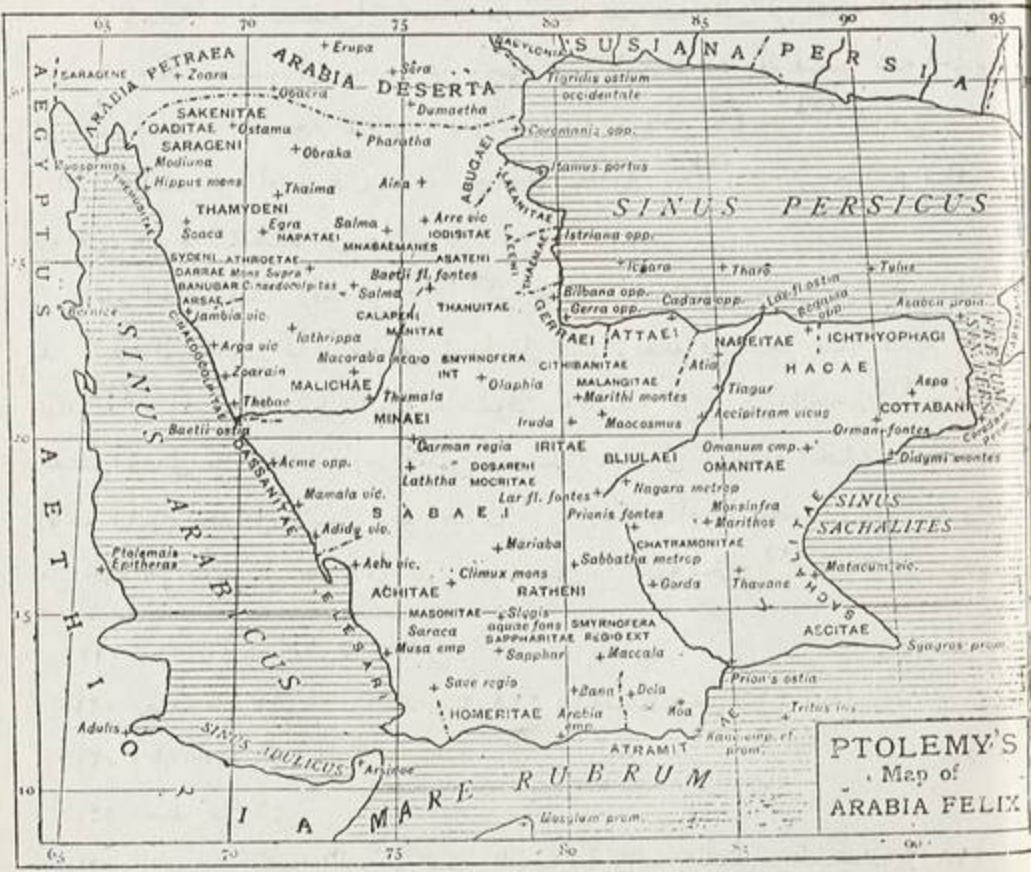
Forster, Vol. 2, P. 63. (٩)

Ptolemy, VI, 7. Pliny, VI, 32. Strabo Vol, 1, P. 47. 50, 55, 56. (١٠)

« الخليج العربي » أو البحر العربي <sup>(١)</sup> . وأما خليج العقبة ، فقد قيل له « خليج أيلة » <sup>(٢)</sup> ( Aclanitic Gulf ) <sup>(٣)</sup> .

التقسيم العربي :

هذا التقسيم هو تقسيم الكتاب الكلاسيكين للعربية ، وخير من كتب منهم في هذا الموضوع هو « بطليموس » ، وكان من عادته أنه يبدأ بوصف السواحل أو الأرضين القريبة من البيزنطيين أو الفرس ، ثم يصف ما بعدها فيذكر قراها ومدنها وقبائلها ،



العربية السعيدة كما رسمها بطليموس

- (١) Forster. Vol. 2, P. 470. Strabo. Vol. 3, P. 176, 191.
- (٢) البلدان ١٤٥/٧ .
- (٣) Deserta, P. 499. Strabo, Vol. 3, P. 176, 191, 201, 254.



الى أن ينتهى الى البادية حيث تقل معارفه عنها<sup>(١)</sup> . وقد ذكرت أننا لا نستطيع أن نتحدث عن الوقت الذى ظهر فيه هذا التقسيم بالضبط ، وقلت ان أقدم من ذكره هو « سترابون » ، وان هذا التقسيم يستند الى اعتبارات سياسية ، ولا يقوم على أسس جغرافية ، والا فان العربية الصحراوية هى امتداد طبيعى للصحراء التى تكون المناطق الشمالية من العربية السعيدة ، وان العربية الحجرية هى جزء من الهضاب والسلسلة الجبلية التى تصل فلسطين بالحجاز .

وؤسفنا أننا لا نستطيع أن نتحدث عن وجهة نظر الجاهليين فى أقسام شبه الجزيرة العربية ، ولكننا نستطيع أن نتحدث عن وجهة نظر الاسلاميين ، وقد قسموا شبه الجزيرة الى خمسة أقسام : الحجاز ، وتهامة ، واليمن ، والعروض ، ونجد<sup>(٢)</sup> ، وهى تقابل « العربية السعيدة » أو ما يقال له « Arabia Proper »<sup>(٣)</sup> . ويرجع الرواة أقدم رواياتهم فى هذا التقسيم الى عبدالله بن عباس<sup>(٤)</sup> .

أما الحجاز فتمتد رقعة فى رأى أكثر علماء الجغرافية المسلمين من تخوم الشام عند العقبة الى « الليث »<sup>(٥)</sup> ، وهو واد بأسفل السراة يدفع فى البحر فتبدأ عندئذ أرض تهامة<sup>(٦)</sup> . وقد عد قسم من العلماء « تبوك » وفلسطين من أرض الحجاز<sup>(٧)</sup> . ويقال للقسم الشمالى من الحجاز أرض مدين وحسمى نسبة الى السلسلة الجبلية المسماة بهذا الاسم ، التى تتجه من الشمال نحو الجنوب<sup>(٨)</sup> ، وتتخللها أودية محصورة بين التيه وأيلة من جهة ، وأرض بنى عذرة من ظهر حرة نهيل من جهة أخرى<sup>(٩)</sup> . وكانت تسكنها

(١) Forster, Vol. 2, P. 113.

(٢) صفة ص ٤٧-٤٨ ، البلدان ٢١٨/٣ ، المفضليات ص ٤١٦ .

(٣) Forster, Vol. 2, P. 112-113.

(٤) صفة ص ٤٦ .

(٥) الليث « بكسر اللام ثم الياء الساكنة والياء المثناة - البلدان ٢١٨/٣ ،

البلدان ٣٤٦/٧ .

(٦) البلدان ٢١٨/٣ .

(٧) البلدان ٢١٨/٣ .

(٨) Ency. I-368. A Handbook of Arabia. Vol. I. 96. • البلدان ٤١٧/٧ .

(٩) البلدان ٢٧٦/٣ ، لسان العرب ٢٤/١٥ .

في الجاهلية قبائل جذام<sup>(١)</sup> . وسكنها في الزمن الحاضر عرب الحويطات ، ويعتقد المستشرقون أنهم من بقايا الأنباط<sup>(٢)</sup> .

وتعد « حسمى » من المناطق الجبلية ، وأرضوها خصبة كثيرة المياه ، وكانت من المناطق المعمورة ، وبها آثار كثيرة ، ومن جبالها جبل يعرف بـ « ارم »<sup>(٣)</sup> ، ويرى بعض المستشرقين أن لهذا الجبل علاقة بموضع « ارم » الوارد ذكره في القرآن الكريم وفي كتب فصوص الانبياء والتواريخ<sup>(٤)</sup> . ويرى « موريتس » أنه موضع « Aramaua » الذي ذكره « بطلميوس »<sup>(٥)</sup> على أنه أول موضع من مواضع العربية السعيدة ، وأنه لا يبعد كثيرا عن البحر ، والذي يقال له « رم » في الزمن الحاضر<sup>(٦)</sup> .

وتتخلل الحجاز أودية عديدة ، منها وادي اضم الذي ورد ذكره في أشعار الجاهلية وفي أخبار سرايا الرسول<sup>(٧)</sup> ، ووادي نخال ويصب في الصفراء بين مكة والمدينة<sup>(٨)</sup> ، والصفراء واد من ناحية المدينة كثير النخل والزرع في طريق الحاج سلكه الرسول غير مرة وعليه قرية الصفراء وماؤها عيون تجرى الى ينبع ، وهي لجبهينه والانصار ولبنى فهر ونهد ورضوى<sup>(٩)</sup> . ووادي « بدا »<sup>(١٠)</sup> قرب أيلة يتصل بوادي القرى . ووادي القرى : واد مهم يقع بين العلا والمدينة<sup>(١١)</sup> ويمر به طريق القوافل القديم الذي كان شريانا من شرايين الحركة التجارية في العالم القديم ويقال له « وادي الديدبان »<sup>(١٢)</sup> . ويصب فيه واديان هما وادي جزل من الشمال ووادي الحمض

(١) Ency. Vol, 1 P. 368. Daughy. Vol, 2 P, 624.

(٢) Ency, Vol, 2. P, 349.

(٣) البلدان ٣/٢٧٧ .

(٤) Mr. Horsfield, in Revue Biblique, XLI (1932). PP, 581-597.; XLII

(1933). PP, 405-422. XLIII (1934) P, 572-579. XLIV (1935). PP, 45-78.

(٥) Ptolemy, VI, 7 : 27. B. Moritz in MFOB, III, P. 395 « Ausflüge in der

Arabia Petraea » .

(٦) Musil, Hegaz. P, 273.

(٧) البلدان ١/٢٨١ ، صفة ١٧١ .

(٨) البلدان ٥/٣٦٧ .

(٩) البلدان ٨/٢٧٢ .

(١٠) Ency. 4-1077.

(١١) البلدان ٢/٨٧ .

(١٢) Doughty. Travels in Arabia Deserta ( New edition ), London 1936. Vol, 1 (١٢) P, 187.



من الجنوب ، ويلتقى به واد آخر هو وادى التبعج أى وادى السلسلة<sup>(١)</sup> . وكان عامرا جدا تكثر فيه المياه ، وتشاهد فيه اليوم آثار المدن والقرى<sup>(٢)</sup> ، وقد عثر فيه على كتابات كثيرة لحياينة ومعينية وسبئية وغيرها سنتحدث عنها .

ومن أهم مواضع وادى القرى العلا ، وقد نزله الرسول فى طريقه الى تبوك<sup>(٣)</sup> . ويقع فى موضع « ديدان » القديم . وبه واحة ونهر صغير<sup>(٤)</sup> . ومدينة « قرح » وكانت من أسواق العرب فى الجاهلية ، وقد زعم أنها القرية التى كان بها هلاك عاد<sup>(٥)</sup> . وتبعد عن خرائب « ديدان » بمسافة ثلاثة كيلومترات ، وقد سكنتها قبائل « بلى » من القبائل العربية القديمة<sup>(٦)</sup> . وهى ملتقى طريق مصر القديم بطريق الشام . ويرى « موسل » أنها هى « العلا » دعيت بهذا الاسم فيما بعد<sup>(٧)</sup> . ولما سأل « دوتى » الأعراب القاطنين فى هذه الأماكن عن « قرح » ، لم يعرفوا من أمرها شيئا<sup>(٨)</sup> .

ووجد « دوتى » فى قرى وادى القرى وخرائبه عددا كبيرا من الحجارة المكتوبة بحروف المسند ، وقد اتخذها السكان أحجارا من أحجار البناء<sup>(٩)</sup> . وعثر فى الخريبة على كتابات بهذا القلم ، وعلى آثار أبنية ومواطن حضارة وعلى ألواح من الحجر كان يستعملها الصيارفة لصف نقودهم عليها ، أو لذبح القرابين<sup>(١٠)</sup> . كما شاهد موضعا يقال له « اصطبل عتر »<sup>(١١)</sup> على قمة جبل شاهق يرنو الى الوادى ولعله معبد أحد الأصنام التى كانت تعبد هناك .

ويتصل طريق الحاج والتجار بمدينة « البترا » « Petra » ، ومنها تتفرع طرق

(١) Ency. Vol, 4, P. 1077.

(٢) « وكان بين سبأ والشام قرى متصلة فكانوا لا يحتاجون من وادى سبأ الى الشام الى زاد » . لسان العرب ٣٨/١٩ .

(٣) البلدان ٢٠٧/٦ .

(٤) وهبه ٢٠ .

(٥) البلدان ٤٩/٧ .

(٦) Musil, Hegaz. P, 295. Doughty 1-203.

(٧) Musil, Hegaz. P. 295.

(٨) Doughty. 1-87.

(٩) Doughty 1-203-204.

(١٠) Doughty, 1-202.

(١١) Doughty 1-204. Musil, Hegaz. P, 30 f.

تتجه الى مصر أو الشام أو العراق . وذكر « سترابون » أن التجار وأصحاب الأعمال المصريين أو القادمين من حوض البحر المتوسط عن طريق مصر كانوا يسلكون طريق ( Heroopolis ) الموصل الى « البتراء » ، وكان يسكن جنوب هذه الطريق الفرعية الأنباط والخولانيون ( Chaulothaci ) و « الأكريون » (١) . والظاهر أن الطريق العراقية التي تصل الى « البتراء » كانت تمر ببتوك وأكرا وتيماء ، ثم تخترق طريقا صحراويا تمر بالحماد حتى تصل الى بابل (٢) . وهناك اشارات وردت في الكتب القديمة تشير الى اجتياز هذه المناطق الصحراوية الفاصلة بين العراق والشام . فقد ذكر أن فرعون مصر هرب في عام ٣٦٢ قبل الميلاد من مصر لتفوق منافسه « نكتيس Nektanebos » عليه ، فاخترق الصحراء والتجأ الى بلاط ملك الفرس (٣) ، وأن « بطلميوس بن لوغوس » ( Ptolemy Lagus ) أرسل مساعدة عسكرية الى « نقتور » السلوقي ( Nikator ) في عام ٣١١ قبل الميلاد ، فاجتازت الصحراء وبلغت إقليم بابل في ثمانية أيام على ابل سريعة الحركة كانت تحمل معها قرب الماء (٤) . ويزعم « أريانوس » صاحب هذا الخبر أنها سلكت الطريق المحصورة بين رأسى الخليج الفارسي والبحر الاحمر (٥) .

وكان الرومان قد فتحوا طرقا عديدة توصل بين الشام و « الكورة العربية » ( Provincia Arabia ) (٦) تنفرع بعضها فتتجه نحو خليج أيلة « العقبة » . ومن هذه الطرق السكة الرومانية التي أنشأها « طرايانوس قيصر » من « مادبا » الى « وادي موسى » ، وقد جعل لها أعلاما كتب عليها : فتحت هذه الطريق لتوصل بين حدود

(١) Glaser, Skizze. 2. P, 11. « Chaulotaei » Strabo, Vol, 3. P, 189 ( Hamilton )

« Agraci ». Strabo. 3. P, 189 Strabo, XVI, 4.

Moritz. P, 31. anm . 1. « Nektanebos » . (٢)

Moritz. P, 31. Diod. 15. 92. (٣)

Arrian, Indica, 43. The Greek Historians, Vol, 2. P, 764. Moritz, P, 31 (٤)

٧٠٣ ، ٧٠٢ / ١ الطبرى « بطلميوس بن لوغوس » Greek Historians, 2-764. (٥)

( الطبعة الاوربية ) « بطلميوس بن لعوس » حمزة ص ٤٥ .

(٦) للوقوف على أحوال هذه الكورة يستحسن الرجوع الى :

Die Provincia Arabia, Beschrieben Von Rudolf Ernst Brünnow Und Alfred Von Domaszewski; die Römerstrasse Von Madeba über Petra Und Odruh, bis el-'Akaba Unter Mitwirkung Von Julius Euting, Strassburg, 1904.



سورية وسواحل البحر الأحمر<sup>(١)</sup> . وتتصل هذه السكك بالطرق الطويلة التجارية التي تخترق الحجاز وتهامة فتصل الى اليمن .

ويصب وادي الحمض جنوبى الوجه ، والوجه قرية صغيرة فى الوقت الحاضر<sup>(٢)</sup> ، يرى بعض المستشرقين أنها كانت ميناء « الحجر » « مدائن صالح » والى جنوبها مدينة الحوراء موضع « لويكة كومة » ( Leuke kome ) القديم ، وهو مستعمرة أنشأها اليونان على ساحل البحر الأحمر لحماية السفن<sup>(٣)</sup> . وكانت مرفأ سفن مصر الى المدينة ثم أفل نجمها وهجرت . وفى سنة ٦٢٦ للهجرة كانت مهجورة وكانت آثار قصورها باقية<sup>(٤)</sup> . وفى هذا المكان تنتهى أرض قبائل بلى ، وتبدأ أماكن قبائل جهينه ، وكانت المنطقة التى بين وادى القرى والحجر موضع قبيلة بنى عذرة . وقبائل بلى من القبائل اليمانية على رأى علماء الأنساب . وقد سكنت قرب تيماء بين أرض جهينه وجذام فى المنطقة التى كانت تسكنها قبائل ثمود<sup>(٥)</sup> .

وتقع يثرب فى أرض بركانية بين حرتين ، وقد اشتهرت بالخصب والنماء ، وفى شمالها جبل أحد ، ومن الأماكن التابعة لها « قبا » وهى من القرى المعروفة فى الجاهلية<sup>(٦)</sup> ، و « العقيق » وهو من أودية المدينة وفيه قصور ومنازل وقرى<sup>(٧)</sup> و « بطحان » من أودية يثرب كذلك سكنه بنو النضير وتصب فيه مياه عذبة . و « قناة » ثالث أودية يثرب تصل اليه مياه غزيرة عذبة من الحرات<sup>(٨)</sup> .

### تهامة :

وتبدأ حدود تهامة على رأى بعض الجغرافيين من بحر القلزم<sup>(٩)</sup> فتكون المنطقة الساحلية الضيقة الموازية لامتداد البحر الاحمر<sup>(١٠)</sup> ، ويقال لتهامة الواقعة فى اليمن

- (١) المشرق : السنة الثامنة العدد ١٠ أيار ١٩٠٥ ، ص ٤٥٧ فما بعدها ، بقلم الأب لويس جلابرت اليسوعى .  
(٢) وهبة ص ١٩ .  
(٣) Ency. Vol, I, P, 368. Hegaz, P, 60.  
(٤) البلدان ٣/٣٥٩ .  
(٥) Ency. Vol, I, P, 618.  
(٦) البلدان ١/١٣٣ ، ٢٠/٧ ، صفة ١٢٤ .  
(٧) البلدان ٦/١٩٨ .  
(٨) البلدان ٢/٢١٦ ، البكرى معجم (طبعة السقا) ١/٢٥٨ البلدان ٧/١٦٦ .  
(٩) القلزم بالضم ثم السكون ثم زاي مضمومة وميم . البلدان ٧/١٤٥ .  
(١٠) راجع حدود تهامة فى : البلدان ٦/٣١١ ، صفة ٥٤ ، ١١٩ ، ١٢١ ، بلوغ الأرب ١/١٨٨ .

« تهامة اليمن » ، ويختلف عرضها باختلاف قرب السلاسل الجبلية من البحر وبعدها عنه ، وقد يبلغ عرضها خمسين ميلا في بعض الأماكن . وترتفع أرض تهامة الجنوبية الواقعة على البحر العربي ما اتجهت نحو الشرق ، وتتكون فيها سلاسل من التلال المؤلفة من حجارة كلسية ترجع الى العهود الجيولوجية الحديثة أو من حجارة بركانية<sup>(١)</sup> .  
ولانخفاض أرض تهامة قبل لها « الغور » و « السافلة »<sup>(٢)</sup> . وقد ورد اسم « تهامة » في النصوص الجنوبية<sup>(٣)</sup> . ويظهر أن لهذه الكلمة علاقة بكلمة « Tiamtu » التي تعنى البحر في البابلية ، وبكلمة (Tehom) العبرانية<sup>(٤)</sup> . غير أنه لم يثبت حتى الآن أن كلمة « تهوم » وجمعها « تهوموت » « Tehomot » كانت تعنى هذا المعنى الذى أرادته علماء المسلمين نفسه من تخصيصها بهذه السواحل التى تحدثت عنها<sup>(٥)</sup> . وعندى أن هذه الكلمة ترجع الى أصل سامى قديم له علاقة بالبحر<sup>(٦)</sup> ، منه أخذت الكلمة البابلية والعبرانية والعربية وأطلقت فى بادىء الأمر على البحر ثم خصصت بالسواحل كما يفهم ذلك من النصوص العربية الجنوبية ، ثم خصصت فى العربية بمنطقة واحدة هى المنطقة التى تحدثت عنها الآن .

وفى تهامة « مكة » ، وفرضتها « جدة » ، وهى مدينة قديمة قال لها بطليموس « Macoraba »<sup>(٧)</sup> « مكربة » ، وفى هذا الاسم ما فيه من الدلالة على التقريب « مقربة » للأصنام قبل الاسلام ، ويذكرنا بكلمة « مكرب » أو « مقرب » التى كانت تطلق على حكام سبأ قبل أن يتبوأوا عرش سبأ ، أى أيام كانوا كهانا ، فكانوا فى نظر المؤمنين مقربين الى الأصنام ووسطاء بين الآلهة والناس . ولا بد أن يكون لهذه المدينة وجود قبل أيام بطليموس<sup>(٨)</sup> .

(١) Ency. Vol. 4, P. 769.

(٢) البلدان ٣١١/٦ ، ٤٣٧/٢ .

(٣) Glaser. 554. 618. Ency. 4-764.

(٤) Schrader, Die Keilinschriften Und das Alte Testament. Neu bearbeitet Von

Zimmern Und Winckler. Berlin 1903. P. 492. K. A. T. وسأشير اليه برمز

K.A.T. P. 492. anm. 2. (٥)

P. Jensen, Keilinschr. Bibl. VI / I. P. 559, Ency. 4-764. (٦)

(٧) Ptolemy, Geographie. ( ed. Nobbe ). VI, Ch. 7. §. 32. Handwörterbuch des Islam. P. 471. (٧)

(٨) Ency. 3-437. (٨)



وتعد الطائف مصيف مكة ، وتقع على بعد خمسة وسبعين ميلا الى الجنوب الشرقي من مكة على ارتفاع خمسة آلاف قدم من سطح البحر<sup>(١)</sup> على ظهر جبل غزوان<sup>(٢)</sup> . وهي من المدن الجاهلية القديمة . وقد زعم الجغرافيون أنها كانت تعرف قديما بوج ، وقالوا : ان وجا هو رجل من العماليق ، وهو شقيق أجا صاحب جبل أجا أحد جبال طي<sup>(٣)</sup> . ويقصدون بذلك قدم هذه المدينة . والحق أنها قديمة ، وقد عثر في أراضيها على كتابات ثمودية ، وكذلك في قرية الوجه<sup>(٤)</sup> . ولهذه الكتابات - على قلتها - أهمية كبيرة ، لأنها تدل على وجود قوم ثمود في هذه الأماكن . وتجعل لقول من قال من النسابين ان ثقيفا هم من أصل ثمودي شيئا من القيمة في نظر العلم .

وتحف بالطائف أودية كثيرة تسيل فيها المياه في موسم الأمطار ، وحولها عيون ومياه ، وبها آبار كثيرة . ويظهر أن جبالها كانت مكسوة بالأشجار ، وكانت ذات زروع كثيرة ، وكانت تصدر الأخشاب ، وأن سكانها كانوا على جانب كبير من النشاط ، وكان أكثرهم عند ظهور الاسلام من ثقيف ، ولا يزالون يحتفظون بأماكنهم . أما الجبال التي جنوب مكة ، فقد كانت من بلاد هذيل ، سكنتها قبل الاسلام . وقد أقامت قبائل هذيل في سرات هذيل بين مكة والمدينة ، وجاورت سليما وكنانة ، وكانت تتعبد لسواع ومناة<sup>(٥)</sup> .

### اليمن :

ولم تعين النصوص العربية الجنوبية مدلول كلمة « يمنات »<sup>(٦)</sup> والأرض التي هي مصداقها . والذي يظهر من كتابة تعود الى أيام الملك « شمر يرعش »<sup>(٧)</sup> أنه كان يقصد

(١) وهبة : (٣٥) .

(٢) البلدان ٢٨٩/٦ .

(٣) البلدان ١١/٦ ، صفة ١٢٠ .

(٤) Grimme, Die Lösung. P, 22.

(٥) Ency. 2-329. Burchhardt, Travels in Arabia. I. 63-66. 130. Wellhausen,

Lieder der Hudhailiten. P. 105 ff.

(٦) « يمنات » (يمنت) C I 628, C I 353. 407, 430, 431. 438.

(٧) في الكتب الاسلامية : « شمر يرعش » . الاكليل ٢٠٨/٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،

٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ( نبيه ) . التيجان ص ٢٢٢ فما بعدها . أخبار عبيد

ص ٤٢٨ ، تاريخ الطبري ١/٥٤٧ ، ٧٩٣-٧٩٥ طبعة « أوربة » .

بها منطقة هي أصغر من أرض اليمن الحالية بكثير كما يظهر ذلك من لقبه « ملك سبأ و ذو ريدان و حضرموت و يمنات » . ولما كان الملك شمر يهرعش قد عاش في القرن الثالث للميلاد ، يكون هذا النص اذن أقدم نص وصل الينا حتى الآن ورد فيه اسم « يمنات » ، و آخر نص مدون ورد فيه اسم « يمنات » هو النص المكتوب بقلم المسند ، الذي كتبه « أبرهة » نائب النجاشي على اليمن ، كتبه نيابة عن النجاشي ، وقد تلقب فيه بلقب « ملك سبأ و ذو ريدان و حضرموت و يمنات و أعرابها » (١) . و يعود تاريخ هذا النص الى سنة ٦٥٨ من التقويم الحميري وهي توافق سنة ٥٤٣ للميلاد . و يظهر منه أنه قصد المكان نفسه الذي قصده نص شمر يهرعش .

فاليمن المقصودة في النصوص العربية الجنوبية اذن منطقة صغيرة بالقياس الى رقعة اليمن الحالية . و أما اليمن عند علماء الجغرافية المسلمين ، فهي منطقة واسعة جدا ، تمتد حدودها من تهامة الى العروض (٢) . و يظهر أن هذا الرأي قد تكون عندهم من الوضع السياسي الذي كانت عليه العربية الجنوبية عند ظهور النبوة حيث كان الفرس يسيطرون على الأرض الجنوبية من شبه الجزيرة ، فكانت في شبه وحدة سياسية ، وفي صدر الاسلام قسمت أعمال اليمن على ثلاث ولايات : و ال على الجند و مخاليفها ، و وال على صنعاء

(١) Glaser, Zwei Inschriften über den Dammbbruch Von Marib. Mith. (١)

Vord. AS. Ges. 1887.

(٢) « قال الاصمعي : اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان الى نجران ، ثم يلتوى على بحر العرب الى عدن الى الشحر حتى يجتاز عمان ، فينقطع من بينونة ، و بينونة بين عمان و البحرين ، و ليست بينونة من اليمن . و قيل : حد اليمن من وراء تثليث و ما سامتها الى صنعاء و ما قاربها الى حضرموت و الشحر و عمان الى عدن أبين و ما يلي ذلك من التهانم و النجود و اليمن تجمع ذلك كله . . . قال الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني : سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها و اثمارها و زروعها و البحر مطيف بها من المشرق الى الجنوب فراجعا الى المغرب ، يفصل بينها و بين باقى جزيرة العرب خط يأخذ من حدود عمان و يبرين الى ما بين اليمن و اليمامة فالى حدود الهجيرة و تثليث و كثة و جرش و منحدر الى سراة الى شعف عنز و شعف الجبل أعلاه الى تهامة الى أم جحدم الى البحر الى جبل يقال له كرميل بالقرب من حمضة ، و ذلك حد ما بين كنانة و اليمن من بطن تهامة . . . قلت : هذا الخط من البحر الهندي الى البحر اليمنى عرضا فى البرية من الشرق الى جهة الغرب . . . » البلدان ٨١/٥ ، ٥٢٢-٥٢٣/٨ ، صفة ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٧٥ ، ١٨٨ ، البكرى : معجم ما استعجم ١٦/١ ، ابن خرداذبه ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٨٩ ، Ency. 4-II55.



ومخالفها ، ووال على حضرموت ومخالفها<sup>(١)</sup> .

ولا يزال عدد كبير من مواضع اليمن يحتفظ بأسمائه القديمة التي كان يعرف بها قبل الاسلام ، ويعود قسم منها الى ما قبل المسيح . وستحدث عنها في أثناء بحثنا في الفصول الآتية ، كما يحتفظ عدد كبير من القبائل بأسمائه القديمة التي تساعدنا في ضبط الأعلام التي نعر عليها في الكتابات . وتحدث بعض القبائل بلهجات ترجع الى الألسنة العربية الجنوبية القديمة ، فبعض لغة التهام قل أن يفهم منها أحد كلاما الا بعد اعدته مرارا . ولكل قبيلة لهجة<sup>(٢)</sup> . وتكلم ثقيف بشمال اليمن في عسير باللغة العربية الأصلية<sup>(٣)</sup> . ولهذا الاختلاف أهمية في دراسة تطور اللهجات .

وتخترق « السراة » اليمن من الشمال الى الجنوب حتى البحر ، وتخللها الأودية التي تساب فيها مياه الأمطار ، وتمتد بين الهضاب والشعاب فلاة تتفرع من الدهناء من ناحية اليمامة والفليح يقال لها « الغاطط » ، وتظهر في أواسطها « الصيهد » ، وتقع بين مأرب وحضرموت<sup>(٤)</sup> .

وفي شمال منطقة عدن صحراء تتصل بالربع الخالي ، ويخترق الهضاب المهيمنة على عدن عدد من الأودية الجافة يظهر أنها كانت مسابيل مياه ، وأنها من بقايا أنهار جفت ، وتسيل في بعضها المياه عند سقوط الأمطار ، ومنها وادي تبين<sup>(٥)</sup> وهو من بقايا نهر طويل ، له فروع عديدة وتمر به الطريق الرئيسية المؤدية الى اليمن<sup>(٦)</sup> . ويخترق حضرموت واد يوازي الساحل يبلغ طوله بضع مئات من الأميال ، ويتألف سطحه من أرضين متموجة تتخللها أودية عميقة تكثر فيها المياه ، تحت الارض ، وبعض تلاله مخضبة<sup>(٧)</sup> .

وفي حضرموت حجارة بركانية ومناطق واسعة يظهر أنها كانت تحت تأثير

(١) البلدان ٥٢٣/٨ .

(٢) فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، تأليف الشيخ عبدالواسع

ابن يحيى الواسعي ، القاهرة ١٩٤٧ ص ٢٠ .

(٣) المصدر المذكور ص ٢١ .

(٤) صفة ٨٤ ، البلدان ٤١٩/٥ .

(٥) Hugh Scott, in the High Yemen, P, 25. 26.

(٦) Handbook of Arabia, Vol, I, P, 179 f.

(٧) Adolf Von Wrede S, 290. Ency. I-369.

وادي عدم : الهلال ، الجزء السادس عشر ، السنة السادسة ، نيسان ١٨٩٨ ص ٦٠٣ .

البراكين • والظاهر أن دورها لم ينته الا منذ عهد ليس بعيد<sup>(١)</sup> • ويزرع الناس في هذه الأودية حيث يحفرون آبارا في قيعانها ، فتظهر فيها المياه على أبعاد متفاوتة وهناك نهر يقال نهر حجر<sup>(٢)</sup> •

ومن شرق سيحوت تبندى سواحل « مهرة » ، وتعرف عند الجغرافيين باسم « الشحر » • ومعنى كلمة « مهرة » في العربية الجنوبية القديمة « ساحل »<sup>(٣)</sup> • ويطلق اليوم اسم الشحر على الميناء الغربي فقط • وفي « قارة »<sup>(٤)</sup> مدينة « ظفار » ، وهي غير ظفار اليمن<sup>(٥)</sup> • وعند خليج ظفار كان موضع « Syagro » المشهور عند اليونان والرومان<sup>(٦)</sup> •

ويمتد إقليم ظفار من سيحوت الى حدود عمان ، وهو هضبة يبلغ ارتفاعها ثلاثة آلاف قدم ، تهب عليها الرياح الموسمية ، وفوق جبالها تنمو أشجار الكندر التي اشتهرت بها بلاد العرب قبل الاسلام • وتشققها طولاً وعرضاً أودية تكسوها الأعشاب وتتخللها الأشجار • وبها جبال « قرا »<sup>(٧)</sup> ، ومنحدراتها أرجوانية ، وقد تفتت الصخور الحمر فيها فأكسبت الأودية والسهول لونا أحمر ، وتوجد بها النهرات والعيون ، ويمكن الحصول على المياه بحفر الآبار • ولا يزال السكان يحتفظون بعاداتهم القديمة التي ترجع الى ما قبل الاسلام<sup>(٨)</sup> •

ويظهر أن هذه المنطقة كانت أماكن « القرين » من الشعوب العربية الجنوبية

(١) Ency. I-369, Reise, 287-288.

(٢) تاريخ حضرموت السياسي تأليف صلاح البكري ٣/١ ( القاهرة ١٣٥٤ ) • « نهر ميفع » الهلال ، العدد المذكور ص ٦٠٤ ، وقد تحدث صاحب المقال عن الآثار التي رآها في وادي عدم •

(٣) البكري ١٤١/٢ فما بعدها • Ency. I-369

(٤) وتنمو في « قارة » نباتات الطيب والأفاويه •

in the High Yemen, PP, 147, 148.

Reise, P. 39. (٥)

Reise, P. 33, Forster, Vol 2. P, 161, 166, 224, 234. (٦)

in the High Yemen, P, 147. (٧)

(٨) اليافعى ٢٠١/٢ فما بعدها •



القديمة ، وهناك قبيلة لا تزال حتى اليوم يقال لها « بنو قرا »<sup>(١)</sup> لعل لها صلة بالقريين • ويتكلم أهل « مهرة » بلهجة خاصة يقال لها « المهرية » أو « الأمهريّة » ، وهي متأثرة بالجزرية<sup>(٢)</sup> • كما يتكلم أهل قارة « قرا » بلهجة يقال لها « أحكيكية » ، ويفن أنها من اللهجات العربية القديمة •

وتتألف أرض عمان من أماكن جبلية ، وهضاب متسوجة ، وسهول ساحلية • وأكثر حجارتها كلسية وجرانيتية ، وفيها أيضا حجارة بركانية • والظاهر أنها كانت من مناطق البراكين<sup>(٣)</sup> • وفي مناطق التلال وفي « جعلان » عيون ومجاري مياه معدنية أكثرها ذات درجات حرارة مرتفعة • وتوجد آبار في « الباطنة » وفي المناطق المجاورة للصحراء وفي الأقسام الشرقية من عمان<sup>(٤)</sup> •

وتتخلل هضاب عمان وجبالها أودية معظمها جاف ، وتكون طرق المواصلات بين الساحل والأرضين الباطنة ، وجوها حار استوائي ، وتتجه الجبال من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وأعلى قمة فيها هي قمة الجبل الأخضر ، وبلغ ارتفاعها تسعة آلاف قدم • والأرضون المحيطة بهذا الجبل خصبة وقابلة للاستثمار<sup>(٥)</sup> •

وفي عمان مدن قديمة منها « صحار » و « دبا » أو « دما » وكانت من المدن المهمة في أيام الرسول وهي عاصمة عمان الشمالية ، كما كانت سوقا من أسواق الجاهلية ، وسكانها من الأزد ونزوة<sup>(٦)</sup> • والعمانيون من الشعوب البحرية المحبة لركوب البحار ، ولهم صلات وروابط بسواحل افريقية والهند •

ونجد بين العمانيين عددا كبيرا من الزنوج والهنود والبلوج<sup>(٧)</sup> • وقد ذكر « بطليموس » اسم موضع سماه « Omanum Emporium » على أنه من الأماكن التابعة لشعب « Omanitae »<sup>(٨)</sup> ، وقد ذكر اسم هذا الشعب بين اسمي شعبين آخرين هما

(١) اليافعي ٢٠٦/٢ فما بعدها •

(٢) Reise, P. 33. Leo Hirsch, Reisen in Süd — Arabien, Mahra Land Und Hadramut. Leiden 1897. P. 19, 34, 51, 52, 53.

(٣) Handbook, Vol. 1, P. 238, Ency. Brit. Vol. 16, P. 785.

(٤) Handbook, Vol. 1, P. 238. Leo Hirsch, Reisen, P. 183.

(٥) S. H. Steinberg, The Statesman's Yearbook, London, 1948 P, 689.

(٦) البلدان ٣٠/٤ ، ٣٣٩/٥ ، ٢٨١/٨ •

(٧) Steinberg, P. 690. O'Shen R. The Sand Kings of Oman, London, 1947.

(٨) Forster, Vol. 2, P. 180.

«Bliualae» و «Kottabanic»<sup>(١)</sup> ، وقال عنه انه كان يسكن في الداخل ويقصد بطلميوس - ولا شك - بهذا الاسم اسم « عمان » .

### العروض :

وأما العروض ، فيشمل اليمامة والبحرين وما والاها<sup>(٢)</sup> . وأغلب الأرضين فيه صحارى وسهول ساحلية ، ترتفع في الجهات الغربية عن ساحل البحر . ويمتد مرتفع الصمان الصخري موازيا لساحل الخليج ، متوسطا بين الأحساء والدهناء . ومن أودية الأحساء وادي فروق في الجنوب الغربي ، وهو قسم من وادي المياه<sup>(٣)</sup> .

ومن أقسام العروض شبه جزيرة « قطر » التي تمتد من عمان الى حدود الأحساء<sup>(٤)</sup> . يشتغل سكانها بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ ، والظاهر أنها هي ( Cataraci ) الذي ذكره « بلينيوس »<sup>(٥)</sup> ومعظم أرضها صحارى ، وتوجد بها واحات قليلة ، ويزرع السكان في بعض الأماكن على مياه الآبار<sup>(٦)</sup> . وقد عرفت قديما بأنواع من الثياب والمنسوجات القطرية كانت تصدرها الى الخارج ، كما عرفت بتصدير النجائب والنعام<sup>(٧)</sup> . والظاهر أن شهرتها هذه ورثتها من الجاهلية ، وأن سوقها كانت من الأسواق المعروفة .

ويلى شبه جزيرة « قطر » الأحساء ، وكان يقال لهذه المنطقة قديما هجر والبحرين<sup>(٨)</sup> . والقسم الأكبر من الأحساء سهل صحراوي يرتفع في الجهة الغربية عن ساحل البحر . ويتخلله كثير من التلال ، يتجه بعضها باتجاه وادي المياه وجبل

(١) Glaser, Skizze, 2. P, 256.

(٢) البلدان ١٠١/٣ ، ١٦٠/٦ .

(٣) وهبة (٦٨) . « الصمان » بالفتح ثم التشديد وآخره نون . البلدان ٣٨٣/٥ .

(٤) البلدان ١٢٣/٧ . Steinberg, P, 692.

(٥) Ency. Vol, 2, P. 817. Sprenger, Geogr. Arab. P, 116. Glaser, Skizze, Vol, 2.

P, 75. Pliny, Natura. Hist., VI, 28 § 147.

(٦) Ency. Vol, 2, P. 817. F. Stuhlmann, Der Kampf Um Arabien. P, 177.

Palgrave. Travels in Arabia, London 1865. Vol, 2. PP. 232.

(٧) البلدان ١٢٣/٧ .

(٨) وهبة (٦٨) .



الطف<sup>(١)</sup> . والمنطقة الساحلية سبخة في الغالب ، وتكثر فيها الآبار التي لا تبعد مياها كثيرا عن سطح الأرض . وأغنى مناطق الأحساء منطقة الأحساء والقطيف في الجنوب حيث تكثر المياه من آبار وعيون<sup>(٢)</sup> . وبحذاء هجر في الجنوب الغربي من مدينة القطيف تقع « العقير » ، وهي الآن ميناء صغير<sup>(٣)</sup> ، وعلى مقربة منها خرائب عادية يعتقد العلماء أنها موضع « Gerrhaei » المدينة التجارية العظيمة التي اشتهر أمرها وبلغت شهرتها الى اليونان والرومان<sup>(٤)</sup> . وكانت محطة من المحطات التجارية العالمية ، وملتقى طرق القوافل التي كانت ترد من جنوب بلاد العرب قاصدة العراق . وأغرقت الطامعين فطمعوا في الاستيلاء عليها ، وأوحت الى الكتبة « الكلاسيكيين » فكتبوا فيها قصصا من نسيج الخيال<sup>(٥)</sup> ، وتقع على خليج سما « الكلاسيكيون » « Sinus Gerraicus »<sup>(٦)</sup> أي خليج جرها .

وتقع القطيف على خليج يشمل جزيرة تاروت . وتعد المدينة البحرية الرئيسية في الأحساء ، يرتفع سطحها بضع أقدام عن سطح البحر ويكثر بها مياه العيون<sup>(٧)</sup> . وتشاهد عندها خرائب عادية يستدل منها على أن هذه المدينة كانت ذات تاريخ قديم ربما يعود الى آخر عهد من عهود العصر النحاسي .

وفي هذه المنطقة يجب أن يكون موقع مدينة « بلبانا » ( Bilaena ) ( Bilbana ) ( Bilana ) احدى مدن « الجرهابيين » ( Gerraeci )<sup>(٨)</sup> ومواطن قبيلتي « Gaulopes » و « Chateni » على سواحل خليج سما « بلينيوس » ( Sinus Capeus ) « خليج كيبوس » . ويرى « شبرنكر » أنه « خليج القطيف »<sup>(٩)</sup> ، ويذكرنا اسم قبيلة Chateni

(١) « الطف » بالفتح والفاء مشددة . البلدان ٥١/٦ . وهبة ٦٨ .

(٢) وهبة (٦٨) : Handbook, Vol. 1, P. 298

(٣) وهبة ٧٢-٧٣ ، البلدان ١٩٨/٦/٣ ، Handbook, Vol. 1, P. 308, Chesman PP. 27.

وكانت هجر قصبه بلاد البحرين البلدان ٤٤٦/٨ .

(٤) « الجرعا » . Strabo, Vol. 3, P. 186, 187. Forster, Vol. 2, P. 217 « Gerraeci » Glaser. Skizze. 2. Vol. 75.

(٥) Forster, Vol. 2, P. 217. (٦) Strabo, Vol. 3, P. 186, 187.

(٧) Forster, Vol. 1., P. 196, 197, 291. Vol. 2, P. 220 (٧) مقالة « كورنوال »

( Cornwall ) في مجلة : National Geographical Magazine, April 1948.

(٨) Forster, Vol. 2, P. 216 Glaser. Skizze. 2, P. 74.

(٩) Ency. Vol. 2, P. 821.

باسم « الحُط » ، ويطلق في العربية على سيف البحرين كله <sup>(١)</sup> ، وربما كان « كيبوس » الذي سمي الخليج به هو تحريف « Cateus كيبوس » الذي يشير بكل وضوح الى اسم « القظيف » <sup>(٢)</sup> .

وأما جزيرة « تاروت » الصغيرة التي في هذا الخليج ، فالظاهر أنها جزيرة « Thar » أو « Taro » أو « Ithar » في جغرافية بطليموس <sup>(٣)</sup> . وفيها مدينة دارين ، ويظهر أنها أقيمت على أنقاض أبنية قديمة ، ولعلها كانت معبدا للاله « عشتاروت » اشتهرت به ثم حذف المقطع الأول من اسم الاله اختصارا وصارت تعرف بالمقطعين الأخيرين ، وهما « تاروت » .

والقسم الأكبر من أرض الكويت منبسطة ، وأكثر السواحل رملي ، عدا بعض الهضاب أو التلال البارزة . وفي المحلات التي تيسر فيها المياه تتوافر الزراعة ، وأكثر ما يزرع هناك النخيل . وليس في الكويت من الأنهار الجارية غير مجرى واحد أو نهر يقال له « المقطع » يصب في البحر . ومشكلة ماء الشرب من أهم المشكلات في هذه الامارة ، لأن ماء أغلب الآبار ملح أجاج ، ولذلك يضطر الأغنياء الى جلب المياه من شط العرب <sup>(٤)</sup> . ومن أشهر مدن هذه الامارة مدينة « الكويت » وهي العاصمة ، وهي على ساحل الخليج ، و « جهرة » وهي في منطقة زراعية خصبة ، ذات آبار على مقربة من خليج الكويت <sup>(٥)</sup> . ويظن أن الحندق الذي أمر بحفره « سابور ذو الاكتاف » ليحمي السواد من غزو الأعراب كان ينتهي في البحر عند « خليج كاظمة » في شمال الامارة <sup>(٦)</sup> .

وأرض الكويت مثل سائر أرض العروص كانت موطن شعوب قديمة ، فيظهر أن « Bukäe » أو « Abucaei » أو « Abukae » ، وعاصمتهم مدينة « Coromanis » هم أسلاف بني عبد القيس ، وأن « Coromanis » المصدر اللغوي الذي اشتق منه

(١) البلدان ٤٤٩/٣ ، المفضليات ص ٢٤٥ .

(٢) Forster, Vol. 2, P. 216.

(٣) Forster, Vol. 1, P. 298, 301. Vol. 2, P. 216, 217, 220. Glaser, Skizze 2, P. 76.

(٤) وهبة ص ٧٦ . Handbook, Vol. 1, P. 285. Ency. Vol. 2, P. 1173.

(٥) Handbook, Vol. 1, P. 296. « الجهرة » وهبة ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ، ومواضع

أخرى .

(٦) Ency, Vol. 2, P. 1173.



« القرين » الاسم القديم للكويت (١) .

ولعل « Idicare » هي « قارة » من مواضع الكويت (٢) وأن « Jucara » هي « الجهرة » من أخصب مناطق الكويت في الوقت الحاضر ومن المواضع المأهولة قبل الاسلام (٣) .

### اليمامة :

وأما اليمامة فكانت تعرف بجو أيضا (٤) ، وقد عدها ياقوت من نجد (٥) وقاعدتها « حجر » تقع في وسط بلاد العرب . وقد اشتهرت في الكتب العربية بأنها موطن طسم وجديس ، وكانت عامرة ذات قرى ومدن عند ظهور الاسلام . منها قرية « منقوحة » ، وبها قبر كان ينسب للشاعر الأعمى (٦) . وسدوس من المدن القديمة وبها الآن آثار كثيرة ، وقد عثر فيها على تمثال يبلغ قطره ثلاث أقدام ، وارتفاعه ٢٢ قدما (٧) . والقرية (٨) وعلى مقربة منها بئر ، قال الهمداني - وهو يتحدث عنها - : « فان تيامنت شربت ماءا عاديا يسمى قرية ، الى جنبه آبار عادية وكنيسة منحوتة في الصخر ، ثم ترد ثجر » (٩) . والظاهر أن هذا الموضع كان من المواضع الكبيرة المعروفة ذكر ياقوت وغيره أن اليمامة « كانت تسمى جوا والقرية » (١٠) ولا يعقل تسمية اليمامة بالقرية لو لم يكن لهذا الموضع شهرة .

وقد نشر « فلبى » وبعض رجال شركة النفط العربية السعودية الأمريكية صورة فوتوغرافية لكتابات ونقوش عثروا عليها في موضع يقال له « قرية الفأو » على الطريق

(١) Forster. Vol, 2. 213. تاريخ الكويت ٢٣/١ لعبدالعزیز الرشید (بغداد ١٩٢٦)

(٢) Forster. Vol, 2. P, 214. وهبة ص ٧٩

(٣) Forster. Vol, 2. P, 214.

(٤) صفة ١٦١ ، البلدان ٥١٦/٨ ، « واليمامة القرية التي قصبتهها حجر كان

اسمها فيما خلا جوا . وفي الصحاح كان اسمها الجو » . لسان العرب ١٣٥/١٥ .

(٥) البلدان ٥١٦/٨ . (٦) البلدان ١٨٢/٨ ، صفة ١٦٢ .

(٧) وهبة ص ٥١ . راجع وصف « فلبى » لسدوس في كتابه :

Arabia of the Wahabis, P. 77.

(٨) البلدان ٧٦/٧ ، ٧٧ . (٩) صفة ص ١٥٢ .

(١٠) البلدان ٥١٦/٨ . وقد نزل بها بنو سدوس بن شيبان بن ذهل ، ولذلك قيل

لها « قرية بني سدوس » . قال ياقوت : « قرية بني سدوس بن شيبان بن ذهل وفيها منبر وقصر يقال ان سليمان بن داود عليه السلام بناه من حجر واحد من أوله الى آخره ، وهي أخصب قرى اليمامة لها زمان موصوف ، وربما قيل لها القرية » . البلدان ٧٦/٧ ، كذلك ٤٦/٥ .



Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is very faint and difficult to decipher, but appears to be a single line or two of cursive script.





صورة أخرى من الصور التي أخذت لآثار قرية الفاو في المملكة العربية  
السعودية • وقد أهداها لي صديقي « الدكتور جورج ماثيوس » صورت  
في كانون الثاني سنة ١٩٤٨ •

الموصلة الى نجران • ويقع على مسافة (٧٠) كيلومترا من جنوب ملتقى وادى الدواسر بجبل طويق ، وعلى مسافة (١٢٠) كيلومترا من شرقي « نجران »<sup>(١)</sup> . وعلى ثلاثين ميلا من جنوب غربي « السليل » فى وادى الدواسر<sup>(٢)</sup> ، كما وجدوا آثار أبنية ضخمة يظهر أنها بقايا قصور كبيرة ، ووجدوا كهفا منحوتا فى الصخر مزدانا بالكتابات والتصاوير واسعا يقول له الناس هناك « سردبا » أو « سردابا » • وعند هذا الموضع عين ماء وآبار ماء قديمة ، وقد كتب اسم الصنم « ود » بحروف بارزة كما يظهر فى الصورة المنشورة فى هذا المكان • وتدلل كل الدلائل على أن الموضع الذى تتغلب عليه الطبيعة الصحراوية فى الوقت الحاضر كان مدينة ذات شأن<sup>(٣)</sup> •

ولم أعر - ويا للأسف - حتى الآن على تحقيق علمى لاسم هذا المكان ، ولعل « فلبى » أو غيره قد كتب عنه ، وذكر اسمه القديم ، ولم يصل خبره الى حتى الآن ، غير انى أرى أن هذا المكان الذى يقال له « قرية الفاو » أو « القرية » فى الوقت الحاضر ، هو الموضع الذى تحدثت عنه أى « القرية » أو « قرية بنى سدوس بن ذهل بن ثعلبة » كما سميت فى الكتب العربية<sup>(٤)</sup> • وكان لأهميته يطلق اسمه وهو « القرية » على اليمامة بأسرها ، فالاسم والأوصاف الواردة فى هذه الكتب تنطبق على هذا المكان ، فهو على قرن

The Geographical Journal, Vol, CXIII, June 1949, PP. 86-92. Le (١)

Muséon, LXII (1949), 1-2, PP, 87.

Sheba's Daughters, P, 430. The Empty Quarter, P. 17-177.

راجع أيضا ما كتبه « فلبى » فى بعض مؤلفاته عن هذا الموضع •

(٢) كتاب من الدكتور « جورج ماثيوس » تاريخه ٣٠ أغسطس ١٩٥٠م فى تعيين وضع المكان • « قرية موضع فى جنوب نجد ، فى الطريق بينه وبين نجران ، ويبعد عن نجران ٣٤٣ كم وعن الأفلاج الواقعة فى جنوب نجد « ٢٨٢ » كم [ الأفلاج تبعد عن الرياض ٢٧٣ كم ] ويقع بينها وبين الأفلاج العقيق - الموقع الذى ذكره الهمداني فى صفة الجزيرة ، وأشار الى وجود جالية أجنبية فيه فى العهد القديم تشتغل بالتعدين ، وأشار الى معبد منحوت فى الصخر فى تلك الجهة • وبلغنى أن فى الجبال القريبة من « قرية » هذه - كتابات ونقوشا وصورا كثيرة • وقد مر بها المستر فلبى ، وتبعد عن العقيق ٩٤ كم فى جنوبه • ويبعد العقيق عن الأفلاج ٢٨٠ كم تقريبا • كتاب من السيد حمد الجاسر تاريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ • العقيق مدينة فيها مائتا يهودى ونخل كثير وسيوح وآبار • صفة ١٥٢ • البلدان ١٩٨/٦ •

The Geographical Journal, CXIII, June 1949, P, 90. Philby, Sheba's (٣) Daughters, P, 430.

(٤) صفة ١٤١ ، ١٥٢ ، ١٦٢ • البلدان ٤٦/٥ ، ٧٦/٧ ، ٥١٦/٨ •



جبل ، وفيه قصر مبنى بصخر منحوت ، وعلى مقربة منه آبار وعين ماء ، وهو على الطريق  
التي تصل العروض ونجدا بمنطقة نجران .

وقد ورد في الكتب العربية اسم « الفأو » ويقال له الآن « فأو » بتخفيف الهمزة ،  
و « فو » ، أي باسقاط الهمزة . قال ياقوت : « فأو بعد الفاء همزة ساكنة ثم واو  
صحيحة . . قال أبو عبيد : الفأو ما بين الجبلين . . قال ذو الرمة :

حتى انفا الفأو عن أعناقها سحرا

انفا - انكشف . . . قال الأزهري : الفأو في بيت ذي الرمة طريق بين قازتين  
بناحية الدو بينهما فيج واسع يقال له فأو الريان ، وقد مررت به <sup>(١)</sup> . وأما « السليل »  
فيقع الى الجنوب الشرقي من وادي الدواسر ومنخفضات المقرن والى جنوبه فيما وراء  
المرتفعات تمتد أطراف الصحراء <sup>(٢)</sup> .

والكتابات التي عثر عليها في « القرية » ذات أهمية ، لأنها أول كتابة بالهجات  
العربية الجنوبية عثر عليها في هذه المواضع ، وتعود الى ما قبل الميلاد . وعثر فيها على  
مقابر ، وأدوات وقطع فخارية ظهر من فحصها أنها تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد <sup>(٣)</sup> .  
ويرى من فحص هذه الآثار أنها تعود الى السبئيين . والظاهر أن هذا الموضع هو بقايا  
مدينة قديمة كانت تتحكم في الطريق التجارية التي تخترقها القوافل التي تقصد الخليج  
الفارسي والعراق من اليمن عن طريق نجران . وفي هذه المنطقة بصورة عامة بقايا مدن  
تخربت قبل الاسلام . وقد ذكر الهمداني أسماء كثيرة قال عنها انها من طسم وجديس ،  
أو من عاد ، أو من أعمال سليمان بن داوود ، أو من عمل جن سليمان <sup>(٤)</sup> .

ورأى « برترام توماس » أن آبار « العويفرة » القريبة من القرية هي موضع  
« أوفير » « Ophir » الوارد ذكره في التوراة والذي اشتهر بالذهب ، والطواويس ؛  
وأن الاسم العربي القديم هو « عفر » ، وقد تحرف بالنقل الى العبرانية واليونانية فأصبح  
Ofar « أو » « Ophir » ، وهذا الموضع قريب من مناجم الذهب <sup>(٥)</sup> . وعلى كل حال

(١) البلدان ٦/٣٣٦ .

(٢) وهبة ص ٥٤ .

(٣) The Geogr. Journ. Vol. CXIII. June 1944. P. 92.

(٤) صفة ص ٤٠ وما بعدها .

(٥) The Empty Quarter, P. 177. Bertram Thomas, Arabia Felix. P. 163.

فان هذه الأراضين ويبرين ووبار وغيرها هي من المناطق التي يستحق الالتفات إليها وتجريد البعثات العلمية للتقيب فيها ودراسة أحوالها والتطورات الطبيعية التي طرأت عليها .

والظاهر أن عامل الجفاف قد أثر كثيرا في اليمامة وفي أواسط شبه الجزيرة ، فحول أكثر أرضيها الى مناطق صحراوية ، على حين أننا نجد في الكتب أنها كانت غزيرة المياه ، ذات عيون وآبار ومرامح . ومن أوديتها « العرض » الذي يخترق اليمامة من اعلاها الى أسفلها ، ولما كان من الأودية الخصبة ، كثرت فيه القرى والزرع (١) . وهو واد طويل لعله من بقايا نهر قديم . و « الفقى » في طرف عارض اليمامة ، تحيط به قرى عامرة تسمى « الوشم » (٢) و « وادي حنيفة » و « عرض شمام » (٣) ، وفي اليمامة مرتفعات مثل « جبل شهوان » تخرج منه عيون ومياه (٤) ، و « عارض اليمامة » ويبلغ طوله مسيرة أيام وتكون عند سفوحه الآبار (٥) . وتعد « الافلاج » من المناطق التي تكثر فيها المياه وتصب فيها أودية العارض وفيها السيوح الجارية والجداول التي تمدها العيون . وقد ذكر الهمداني من سيوحه « الرقادي » و « الأطلس » و « نهر محلم » ، قال : ويقال انه في أرض العرب بمنزلة نهر بلخ في أرض العجم (٦) . وطبيعي أن يكثر فيها وجود الخرائب العادية التي تعود الى ما قبل الاسلام . وقد وصف الهمداني بعض التحصينات القوية فقال عنها : انها من عاديات طسم وجديس ، مثل « حصن مرغم » و « القصر العادي » بالأمل (٧) ، ويرجع فلبى الخراب الذي حل باليمامة الى العوامل الطبيعية ، ومنها فيضان وادي حنيفة (٨) .

نجد :

نجد في الكتب العربية « اسم للأرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن ،

- (١) البلدان ١٤٦/٦-١٤٧ ، ١٨٢/٨ . صفة : ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٧ .
- (٢) « الوشم » بالفتح ثم السكون البلدان ٤٢٤/٨ ، صفة ١٦٣ .
- (٣) البلدان ١٤٧/٦ .
- (٤) البلدان ٣٨٦/٧ .
- (٥) البلدان ٣٨٩/٦ ، « عارض » « عارض اليمامة » البلدان ٩٣/٦ « العارض » وهبة ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥١ ومواضع أخرى صفة ص ١٦٣ .
- (٦) صفة ص ١٦٠ .
- (٧) صفة ص ١٦٠ .
- (٨) Ency. Vol. 4, P, 1155. Philby, The Heart of Arabia, Vol, 2, P, 31-34. (٨)



وأسفلها ، العراق والشام» (١) . وحد نجد ذات عرق من ناحية الحجاز ، وما ارتفع عن بطن الرمة فهو نجد الى أطراف العراق وبادية السماوة (٢) . وليست لنجد في هذه الكتب حدود واضحة دقيقة ، وهي بصورة عامة الهضبة التي تكون قلب الجزيرة ، وقد قيل لها في الانكليزية « The Heart of Arabia » (٣) . وتتخلل هذه الهضبة أودية وتلال ترتفع عن سطح هذه الهضبة بضع مئات من الأقدام ، وتتألف حجارتها في الغالب من صخور كلسية ومن صخور رملية ومن صخور غرانيتية في بعض المواضع . وأعلى أرضها هي أرضو نجد الغربية المحاذية للحجاز ، ثم تأخذ في الانحدار كلما اتجهت نحو الشرق حتى تتصل بالعروض .

وتتألف نجد من الوجهة الطبيعية من مناطق ثلاثة :

( ١ ) منطقة وادي الرمة ، تتألف أرضها من طبقات طباشيرية في الشمال وحجارة رملية في الجنوب ، وتغطي وجه الأرض في بعض أقسامها طبقات مختلفة السمك من الرمال . وتتخللها أرضون خصبة تتوافر فيها المياه على أعماق مختلفة ، ولكنها ليست بعيدة في الجملة عن سطح الأرض ، وتسرب إليها المياه من المرتفعات التي تشرف عليها وخاصة من جبل شمر (٤) ، ومن الحرار الغربية التي تجود على الوادي بالمياه . ويختلف عرض وادي الرمة فيبلغ زهاء ميلين في بعض المحلات ، وقد يضيق فيبلغ عرضه زهاء (٥٠٠) ياردة ، وتصل مياه السيول الى ارتفاع تسعة أقدام في بعض الاوقات (٥) .

(٢) المنطقة الوسطى ؛ وهي هضبة تتألف من تربة طباشيرية ، متموجة ، تتخللها أودية تتجه من الشمال الى الجنوب . وبها « جبل طويق » ، والأرض عنده مؤلفة من حجارة كلسية ، وحجارة رملية ، ويرتفع زهاء (٦٠٠) قدم عن مستوى سطح الهضبة . وتتفرع من جبل طويق عدة أودية تسيل فيها المياه في مواسم الأمطار ، فتصل الى الربع الخالي ؛ حيث تغور في الرمال . ويمكن اصلاح قسم كبير من هذه المنطقة ، ولا سيما الأقسام

(١) البلدان ٢٥٨/٨ فما بعدها .

(٢) صفة ص ٤٨ .

(٣) K. S. Twitchell, Saudi Arabia, P, 6 Stamp, P. 137.

(٤) وهبة ص ٦٠ .

(٥) Handbook, Vol, I, P, 349.

الواقعة عند حافات وادي حنيفة<sup>(١)</sup> .

( ٣ ) المنطقة الجنوبية وتتكون من المنحدرات الممتدة بالتدرج من جبل طويق ومرتفعات المنطقة الوسطى الى الصحارى فى اتجاه الجنوب . وفيها مناطق معشبة ذات عيون وآبار ، مثل « الحريق » و « الخرج » ، ويرى الخبراء أن مصدر مياه هذه المنطقة من جبل طويق ومن وادي حنيفة . ومن مناطقها المشهورة « الأفلج » و « السليل » و « الدواسر » ، وفى جنوب هذه المنطقة تقل المياه ، وتظهر الرمال حيث تتصل عندئذ بالأحفاف .

ويقسم علماء العرب نجدا الى قسمين : نجد العالية ، ونجد السافلة . أما العالية فما ولى الحجاز وتهامة<sup>(٢)</sup> . وأما السافلة فما ولى العراق . وكانت نجد حتى القرن السادس للميلاد ذات أشجار وغابات لا سيما فى « الشربة » جنوب « وادي الرمة » وفى « وجرة »<sup>(٣)</sup> .

(١) Ency. Vol. 3, P. 894. Handbook, Vol. 1, P. 349.

(٢) البلدان ٤٠١/٨ ، تاريخ نجد ص ٨ .

(٣) Ency. Vol. 3, 895. Philby, The Heart of Arabia, 1, 115.



## الفصل الثالث

# صِلاتُ العربِ بالسَّاميين

الساميون :

لاحظ المعينون بلغات الشرق الأدنى وجود أوجه شبه ظاهرة بين البابلية والآشورية والكنعانية والعبرانية والفينيقية والآرامية والعربية واللهجات العربية الجنوبية والحبشية والنبطية وأمثالها ، فهي تشترك أو تتقارب في جذور الأفعال ، وفي تصاريف الأفعال ، وفي زمني الفعل الرئيسين ، وهما : التام والناقص ، أو الماضي والمستقبل ، وفي أصول المفردات والضمائر والأسماء الدالة على القرابة الدموية والأعداد وبعض أسماء أعضاء الجسم<sup>(١)</sup> ، وفي تغير الحركات في وسط الكلمات الذي يحدث تغيرا في المعنى ، وفي التعابير التي تدل على منظمات الدولة والمجتمع والدين<sup>(٢)</sup> ، فقالوا بوجود وحدة مشتركة كانت تجمع شمل هذه الأقوام ، وأطلقوا على ذلك الأصل أو الوحدة « الجنس السامي » « Semites » « Shemites » و « Semitic Race »<sup>(٣)</sup> ، وعلى اللغات التي تكلمت وتكلم بها هذه الشعوب « اللغات السامية » « Semitic Languages »<sup>(٤)</sup> .

(١) حتى ص ١٠ James Hastings, Encyclopaedia of Religion and Ethics. Vol. II. PP. 378 (1934). Zimmern, Vergleichende Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin, 1898. P, 82 ff.

(٢) Ency. Brit. 20. PP, 315-317.

(٣) Leland W. Parr, An Introduction To The Anthropology of the Near East. Amsterdam 1934. P, 43.

(٤) Hommel, Grundriss, Vol, 1 P, 17. Ency. Brit. Vol, 20 PP, 314. Eichhorns Geschichte der Neueren Sprachenkunde, 1 abt, Gött, 1807.

و « سامي » نسبة الى سام بن نوح الوارد ذكره في التوراة<sup>(١)</sup> ، دخلت الى الأوربيين بالترجمة اللاتينية للتوراة<sup>(٢)</sup> ، وأطلقها العالم النمساوي « Schlozer » ،<sup>(٣)</sup> لأول مرة على تلك الشعوب التي زعم أنها تنحدر من صلب « سام Shem » ، أطلقها عام ١٧٨١ للميلاد فشاعت منذ ذلك الحين ، وأصبحت عند العلماء علما لهذه المجموعة من الشعوب<sup>(٤)</sup> .

وقد أخذ « آيشهورن Joh. Gotter Eichhorn » هذه التسمية فأطلقها اصطلاحا على الشعوب الآسيوية الغربية المقيمة في الهلال الخصيب وفي شبه جزيرة العرب ، وسعى لتعميم استعمالها بين العلماء<sup>(٥)</sup> . وقد أطلقت في أيامه على الارمين والكنعانيين والعرب<sup>(٦)</sup> . وفي عام ١٨٦٩ للميلاد قسم العلماء اللغات السامية الى مجموعتين : المجموعة السامية الشمالية ، والمجموعة السامية الجنوبية<sup>(٧)</sup> . وتألف المجموعة الشمالية من العبرانية والفينيقية والارمية والاشورية والبابلية والكنعانية . وأما المجموعة الجنوبية ، فتألف من العربية والحبشية<sup>(٨)</sup> . وعم استعمال هذا الاصطلاح بينهم وأصبح موضوع « الساميات » من الدراسات الخاصة عند المستشرقين تقوم على مقارنات وفحوص « أتولوجية » و « بيولوجية » فضلا عن الدراسات التاريخية واللغوية والدينية<sup>(٩)</sup> . ولا يستند التقسيم الوارد في التكوين للبشر ، الى أسس علمية أو عنصرية

(١) التكوين ، الاصحاح العاشر ، آية ١ ، ٢١ ، قاموس الكتاب المقدس ١/٥٢١ .

(٢) حتى ص ٩ .

(٣) « August Ludwig Schlozer » راجع : Hommel, Grundriss, I, P, 76

(٤) Ency. Brit. 20, PP, 314. The Universal Jewish Encyclopedia Vol, 4.

P, 473. Hastings, P, 845.

(٥) Eichhorn, Geschichte der Neueren Sprachenkunde I abt, Göttingen, 1807.

Sprachen der Semiten in Westasien, S, 403-672.

(٦) Hommel, Grundriss, I, P, 76 Eichhorn, P, 405.

(٧) Hommel, Grundriss, I P, 76. Eberhard Schrader, in De Wette, Lehrb.

der Hist, Krit einl, ins A.T. 8 aufl. Berlin 1852, S, 76.

(٨) Theodor Benfey, Geschichte der Sprachwissenschaft München 1869. P, 693.

Stade, Lehrbuch der Hebräischen Grammatik, Leipzig. 1879. S, 2.

(٩) S.H. Hooke, The Origins of Early Semitic Ritual, London. 1938. Hommel,

Grundriss, I, PP, 84.



صحيحة ، بل بنى ذلك على اعتبارات سياسية<sup>(١)</sup> فحشر في السامية شعوبا لا يعدها العلم الحديث من جماعة الساميين مثل العيلاميين « Elam » و « لود »<sup>(٢)</sup> « Lud » « Ludim » ، وأقصى منها جماعة كان من الواجب ادخالها في هذه الزمرة مثل الفينيقيين والكنعانيين<sup>(٣)</sup> . ويرى « بروكلمن » أن العبرانيين كانوا قد تعمدوا أقصاء الكنعانيين من جدول أنساب سام لأَسباب سياسية ودينية<sup>(٤)</sup> ، مع أنهم كانوا يعلمون حق العلم ما بينهم وبين الكنعانيين من الصلات العنصرية واللغوية<sup>(٥)</sup> .

وقد قسم علماء الساميات اللغات السامية الى مجموعات جعلها قسم منهم أربعا هي المجموعة السامية الشرقية ومنها البابلية والآشورية والمجموعة الشمالية ، ومنها الآمورية والآرامية ؛ والمجموعة الغربية ، ومنها الكنعانية والعبرانية والموابية والفينيقية ؛ والمجموعة الجنوبية ، ومنها المعينية والسبئية والآيوية والعربية والأمهرية<sup>(٦)</sup> . ويلاحظ أن واضعها لم يراعوا في وضعها التطورات التاريخية التي مرت بها هذه اللغات مراعاة تامة .

وقد اندفع العلماء بعد اعترافهم بنظرية الجنس السامى يبحثون عن المهد الأصيل للساميين<sup>(٧)</sup> . وقد ذهبوا في ذلك مذاهب ، فرأى نفر منهم أن أرض بابل كانت المهد الأول للساميين ، ورأى آخرون أن جزيرة العرب هي المهد الأول لأبناء سام ، وذهب فريق ثالث الى أن افريقية هي وطن الساميين الاقدم لما لاحظوه من وجود صلة بين اللغات السامية والحامية ، وذهبت جماعة أخرى الى أن ذلك الوطن هو في أرض « الأموريين » بينما نظر آخرون الى أرض أرمينية على أنها وطن الساميين الأول . وهكذا تعددت

(١) George Aaron Barton, Semitic and Hamitic Origins, London 1934. P. 1.

وسأشير اليه بـ Barton

(٢) التكوين ، الاصحاح العاشر ، آية ١ فما بعدها . Hastings. P, 845. Ency. of

Relig. and Ethi. Vol, 11 PP, 378.

(٣) Barton, P, 1. Hastings. P, 845.

(٤) السامية ٢ Brockelmann, Sprachwissenschaft, P, 15.

(٥) السامية ٢ .

(٦) Ency. Brit. 20-316. Gesenius, Geschichte der Hebräischen Sprache Und

Schrift, Gobineau, Graf Arthur, ( Germ. tran ). Die Ungleichheit der

Menschenrassen, Berlin, P, 180.

(٧) Hommel, Grundriss, 1. P, 80.

أراؤهم ، ولكل فريق حجة وبرهان .

أما القائلون بأن الموطن الأصلي للشعوب السامية هو أرض بابل أو مكان آخر في العراق ، فانهم من المتأثرين برواية العهد القديم ، القائلة بأن أقدم ناحية عمرها بنو نوح هي أرض بابل<sup>(١)</sup> . ومن أشهر القائلين بها أو المدافعين عنها « فون كريمر » و « كويدى » ، وقد كتب كل واحد منهم في بيان وجهة نظره وفي الطريقة التي توصل بها الى هذا الرأي<sup>(٢)</sup> . فتوصل « فون كريمر » الى رأيه هذا من دراسة الكلمات المألوفة في جميع اللغات السامية ، وقد زعم في الأخير أنه رأى أن اسم « الجمل » هو اسم تشترك فيه جميع اللغات السامية . أما النخيل وأسماء التمور أو النعام ، فانها ليست مشتركة بين هذه اللغات . ولما كان الموطن القديم للجمل هو الهضبة المركزية التي فسي آسية على مقربة من نهر سيحون ونهر جيحون ، فقد عدت هذه المنطقة الموطن الأصلي للساميين الذين اضطروا بعد ذلك الى تركها واجتياز ايران والمناطق المأهولة بالشعوب « الهندو أوروبية » ، والالتجاء الى بابل التي أصبحت أقدم وطن لهم<sup>(٣)</sup> .

وسار « كويدى » على هذه الطريقة التي سار عليها « فون كريمر » في دراسة الكلمات المألوفة في جميع اللغات السامية عن العمران والحيوان والنبات ، ولكن بصورة مستقلة عنه ، فتوصل الى هذه النتيجة : وهي أن اقليم بابل هو الموطن الأول للساميين ، وان قدماء الساميين وأجدادهم الأوائل كانوا يسكنون في الأرضين الواقعة في جنوب بحر قزوين وفي جنوب شرقيه قبل مجيئهم الى أرض بابل<sup>(٤)</sup> .

ونشر « هومل » في عام ١٨٧٩ للميلاد رأيه في الموطن الأصلي للساميين ، فذكر أن اقليم بابل هو الموطن الأصلي للجنس السامي ، ثم بين بعد ذلك أن هذا الموطن هو في

(١) السادية ٤ حتى ١٠ ، راجع رأى جرجى زيدان في مجلة الهلال الجزء الثالث عشر من السنة العاشرة ، نيسان ١٩٠٢ ص ٣١٦-٣١٧ .

(٢) Barton, PP, 2. Ency. of Relig. and Ethi Vol, II P, 379.

(٣) Von Kremer, Semitische Culturen Entlehnungen aus Pflanzen Und

Thierreiche. in Das Ausland, Vol, IV, Note 1. Und. 2.

Guidi, Della Sede Primitiva dei Popoli Semitici. Roma 1879 Wright, (٤)

Comparative Grammer of the Semitic Languages. P, 5. Barton. P, 3. Hommel, Grundriss, 1. P, 80.



شمال العراق ، ثم رجع مرة أخرى الى رأيه الأول<sup>(١)</sup> . وعنده أن قدماء المصريين كانوا من أصل سامي تفرع من هذه الشجرة ، وان المصريين أخذوا حضارتهم من البابليين الذين استوطنوا مصر واستعمروها<sup>(٢)</sup> .

وعارض « نولدكه » هذه النظرية التي تعتمد على المقابلات والموازنات اللغوية معارضة شديدة مينا أن من الخطأ الاعتماد في اثبات حقائق علمية كهذه على جملة كلمات لم يثبت ثبوتها قطعيا أن جميع الساميين أخذوها من العراق ، وأورد جملة أمثلة اختلف فيها الساميون مع أنها أجدر المعاني بأن يكون لها لفظ مشترك في جميع اللغات السامية<sup>(٣)</sup> . وأما القائلون بأن الموطن الأصلي لجميع الساميين هو جزيرة العرب ، فكان من أولهم « شبرنكر » عام ١٨٦١م . فقد رأى أن أواسط بلاد العرب ، ولا سيما منطقة نجد ، هو المكان الذي يجب أن يكون موطن الساميين ، وهو الذي جهز الهلال الحبيب بالسكان وطبعه بهذا الطابع السامي . من هذا المخزن خرجت طبقات من البشر بعضها فوق بعض ، وسكنت في هذه الأرضين التي اتسمت بالسمة السامية ، ولا تزال تحتفظ بسمتها هذه حتى اليوم<sup>(٤)</sup> .

وأيد هذه النظرية « سايس » الذي قال : ان جميع الروايات والآثار السامية تشير الى أن جزيرة العرب هي الوطن الأول الذي ظهر فيه الساميون<sup>(٥)</sup> . وأيدها آخرون من العلماء أمثال « أبرهرد شرادر »<sup>(٦)</sup> و « دي كوية »<sup>(٧)</sup> و « هوبرت كرمه »<sup>(٨)</sup>

Barton, P, 3. Hommel, Die Namen des Säugthiere bei den Südsemitischen Völkern, Leipzig, 1879. P, 406. Die Semitischen Völkern Und Sprachen, 1881. Vol, 1, P, 20. 63.

Barton, P, 3. Hommel, Grundriss, 1, P, 10-11. (٢)

Nöldeke, Semitischen Sprachen, Leipzig, 1887, P, 3 ff. 2 ed. 1899. Ency. Brit, 9 th. ed. Article. Semitic Languages. (٣)

Barton, P, 4. A. Sprenger, Das Leben Und Lehre des Mohammad, Berlin, 1861 Vol, 1, PP, 241. Alte Geographie Arabiens, 1875, PP, 293. (٤)

Sayce, Assyrian Grammer, 1872, P, 13. Barton, P, 4. (٥)

Eberhard Schrader, in ZDMG. XXVII, (1873). 397-424. « Die Abstammung der Chaldaeer Und die Ursitz der Semiten. » (٦)

De Goeje, Het Vaderland der Semitische Volken. Barton, P, 5. Wright, Comparative, Grammer of the Semitic Languages, P, 8. (٧)

Barton, P, 5. Hubert Grimme, Mohammed, Weltgeschichte in Charakterbildern., 1904, PP, 6-8. (٨)

و « كارل بروكلمن » (١) و « كينك » (٢) و « جون . ل . ماير » (٣) و « كوك » (٤) .  
و مال الى ترجيحها « دتلف نلسن » من الباحثين فى التاريخ العربى قبل الاسلام (٥) .  
ويمكن تلخيص البيانات التى استند اليها هؤلاء العلماء لاثبات نظريتهم هذه فى  
الأمور الآتية (٦) :

( ١ ) لا يعقل أن ينتقل سكنة الجبال والزراعون من حياة الحضارة والاستقرار الى  
البداءة ، بل يحدث العكس . ولما كانت الشعوب السامية قد قضت فى أطوارها الأولى  
حياة بدوية ، فلا بد أن يكون وطنها الأول وطنا صحراويا ، وجزيرة العرب تصلح أن  
تكون ذلك الوطن أكثر من أى مكان آخر .

( ٢ ) وثبت أن معظم المدن والقرى التى تكونت فى العراق أو الشام انما كونها  
عناصر بدوية استقرت فى مواضعها ، واشتغلت فى اصلاح أرضيها وعمرانها ، واشتغلت  
بالتجارة ، فنشأت من ذلك تلك المدن والقرى . ولما كانت أكثر هذه العناصر البدوية قد  
جاءت من جزيرة العرب ، فنكون الجزيرة قياسا على ذلك الموطن الذى غذى الشرق  
الأدنى بالساميين ، وأرسل عليها موجات متوالية منها .

( ٣ ) ثم ان هنالك أدلة دينية ولغوية ، وتاريخية وجغرافية ، وكل هذه تشير  
بوضوح الى أن جزيرة العرب هى مهد السامية ووطن الساميين (٧) .

ولم يوافق على هذه النظرية طائفة من علماء الساميات ، وعندهم أن هذا كله لا يدل  
يقينا على أن الجزيرة العربية كانت هى المهد الأصيل للأمم السامية ، وأنه من المحتمل  
أن يكون موطن السامية الأول فى مكان آخر ، وهذا المكان قد يكون افريقية أو

(١) Carl Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprache, Berlin, 1908, I, 2.

(٢) L.W. King, History of Sumer and Akkad, London, 1915, P. 119.

(٣) John L. Meyers, in Cambridge Ancient History, Cambridge, 1923, I, 38.  
Barton, P. 6.

(٤) S.A. Cook, in Cambridge Ancient History, I, 192 f.

(٥) Ditlef Nielsen, Handbuch der Altarabischen Altertumskunde, I, (٥)

Kopenhagen, Paris, Leipzig, 1927, P. 47. 55.

(٦) من القائلين بأن جزيرة العرب هى مهد الساميين « روبرتسن سميث »  
Kinship and Marriage in Early Arabia, P, 178.

الهلل نيسان ١٩٠٦ > ٧ سنة ١٤ ص ٣٩٩ .

(٧) Barton, P, 5.



أرمنية • ومن هؤلاء الذين قالوا ان أفريقية هي الوطن الأول للساميين « بلكريف » ،  
وقد بنى نظريته هذه على وجود تشابه في الملامح ، وفي الخصائص الجنسية ، وصلات  
لغوية بين الأحباش والبربر والعرب دفعته الى القول بأن الوطن الأصلي للساميين هو  
أفريقية<sup>(١)</sup> .

وذهب الى هذا الرأي نفسه « جيرلند Gerland » مستندا الى الدراسات  
« الفيزيولوجية » ، مثل تكوين الجماجم ، والبحوث اللغوية • وقد زعم أن شمال أفريقية  
هو الموطن الأصلي للساميين ، وادعى ان الساميين والحاميين من سلالة واحدة ودوحة  
تفرعت منها جملة فروع ، منها هذا الفرع السامي الذي اختار الشرق الأدنى  
موطن له<sup>(٢)</sup> .

وهناك نفر آخر من العلماء أيدوا هذه النظرية ودافعوا عنها أو استحسوها مثل  
« برتن »<sup>(٣)</sup> و « نولدكه »<sup>(٤)</sup> و « موريس جسترو »<sup>(٥)</sup> و « كين » و « ريلي »<sup>(٦)</sup>  
وغيرهم • ولكنهم اختلفوا في تعيين المكان الذي نبت فيه الساميون أول مرة في القارة  
الأفريقية ، واختلفوا كذلك في الطريق الذي أوصل الساميين الى شبه جزيرة العرب<sup>(٧)</sup> .  
فاختار « برتن » شمال غربي أفريقية ، ولا سيما منطقة جبال « الأطلس » فجعلها الموطن  
الأصلي للساميين<sup>(٨)</sup> .

(١) Ency. Brit. 9 the ed. Article « Arabia » Barton, P. 6. Ency. of Relig. and Ethi. Vol. II, P. 380

(٢) Ency. of Reli. and Ethi. Vol, II P, 380. Barton P, 6. Iconographic Ency. Art. « Ethnography ».

(٣) Bertin, Journal of the Antropological Institute, XI, 431 ff. (1882) Barton, P, 6.

(٤) Nöldeke, Die Semit, Sprache, P, 9. Ency. Brit. 9 the ed. and II the ed. 1911. Article. « Semitic Languages ». Ency. of Relig. and Ethic. Vol. II, P, 380.

(٥) Barton, P. 7. Brinton, The Cradle of the Semites, Philadelphia. 1890. and his Races and Peoples, New York. 1890, P, 132.

(٦) Barton, P, 7. A Sketch of Semitic Origins, Social and Religious, ch. 1. New York. 1901.

(٧) Barton, P, 6-7. C.U. Ariens Kapper and Leland W. Parr. An Introduction to the Anthropology of the Near East, Amsterdam. 1934. P. 47.

(٨) Barton, P, 7. Brinton, Cradle of the Semites, Philadelphia, 1890. Races and Peoples, New York, 1890, P. 132. Ency. of Relig and Ethi. Vol. II P, 380.

واختار آخرون أفريقية الشرقية موطناً أولاً للساميين للعلاقات « الأثنولوجية »  
الظاهرة التي تلاحظ على سكان هذه المنطقة والساميين<sup>(١)</sup> ، وزعموا أن الساميين سلكوا  
في عبورهم إلى آسية أحد طريقين : أما طريق سيناء حيث هبطوا في العربية الحجرية  
وأناخوا فيها مدة ثم انتشروا منها<sup>(٢)</sup> ، وأما طريق المنذب حيث دخلوا العربية  
السعيدة من مواضع مختلفة من الحبشة ومن أرض ( Punt )<sup>(٣)</sup> وهي « الصومال  
الحديثة »<sup>(٤)</sup> . وقد أكسبتهم إقامتهم في بلاد العرب خصائص جديدة ، ووسمتهم بسمات  
اقتضتها طبيعة الوطن الثاني ، ولكنها لم تتمكن من القضاء على الخصائص الأولى التي  
تشير إلى الوطن الأول قضاء تاماً<sup>(٥)</sup> ، ولا على الصلة بين اللغات الحامية والسامية . التي  
تشير إلى الأصل المشترك كذلك .

وهذه النظرية لا تخلو - على الرغم من دفاع بعض كبار علماء اللغات والأجناس  
عنها - من ضعف ، ومن مواطن ضعفها أنها غضت الطرف عن الاعتبارات التاريخية ،  
واستسلمت لدراسات لم يكتب لها النضج بعد ، فمن الممكن مثلاً إرجاع ما لاحظته علماء  
اللغات من وجود صلات لغوية بين اللغات السامية واللغة المصرية القديمة إلى عوامل  
الهجرات السامية من شبه جزيرة العرب وعن طريق سيناء إلى أفريقية ، مثل هجرة  
الهكسوس ، وهم من أصل سامي جاؤوا إلى مصر من بلاد العرب . وقد ثبت أيضاً من

(١) حتى ص ١٠ .

(٢) Barton, P, 6. Journal of the Anthro. Insti, XI, 431.

(٣) قياساً على طريقة تعريب الأسماء الأعجمية إلى العربية يجب تعريب « Punt »  
« بفنط » ، وقد عربها بعضهم بكلمة « فوط » وتقابل كلمة « فوط » كلمة « Put »  
أو « Phut » الواردة في التوراة على أنها مسكن ابن حام الثالث ، غير أن علماء التوراة  
لم يتفقوا حتى الآن على تعيين موضع « فوط » ، فذهب بعضهم إلى أنها في نواحي  
طرابلس الغرب « ليبيا » ، ورأى آخرون أنها بين مصر و « كوش » ، أي السودان  
أو الحبشة ، وربما كانت نوبيا الجنوبية ، وهناك آراء أخرى ، فلا أرى من الصحيح  
تسمية « Punt » بفوط نظراً إلى هذا الاختلاف . راجع عن « فوط » أرميا ، اصحاح ، ٤٦  
آية ٩ وحزقيال اصحاح ، ٢٧ آية ١٠ و ٣٠ آية ٥ و ٣٨ آية ٥ ، ناحوم اصحاح ٣ آية  
٩ . قاموس الكتاب المقدس ١٨٨/٢ . Hastings, P, 777. Ency. Bibl. P, 3984.

عربت في ترجمة « تاريخ العرب » للدكتور حتى « بفوط » ص ٤٢ .

(٤) حتى ص ٤٢ .

(٥) Barton, P, 8 .



تحقيقات العلماء أن كثيرا من الأسماء المصرية القديمة التي كانت تطلق على الأقسام الشرقية من الديار المصرية هي أسماء سامية . وإذا سوغ علماء النظرية الأفريقية لأنفسهم الاستدلال على أفريقية الساميين من وجود القرابة اللغوية بين اللغة المصرية مثلا واللغات السامية ، فإن من الممكن ارجاع هذه القرابة الى اثر تلك الهجرات السامية في اللغة المصرية .

وأما تقارب الحبشية من اللهجات العربية الجنوبية وكتابة الأحباش حتى اليوم بقلم شبيه بالمسند ، فلا يكون دليلا على هجرة الساميين من أفريقية عن طريق الحبشة الى جزيرة العرب ؛ اذ يجوز العكس ، وقديما هاجر الساميون من العربية الجنوبية الى الحبشة . والساميون هم الذين كونوا دولة « أكسوم » التي كانت تتكلم باللغة « الجعزية » وهي لغة سامية ، كما أن قلمها الذي يشبه القلم المسند هو وليد القلم العربي الجنوبي . وكتابات « بها » المكتوبة بالمسند ، في حد ذاتها دليل على أثر العرب الجنوبيين في الأفريقيين « الكوشيين » ، وهذه الكتابات حديثة عهد بالنسبة الى كتابات السبئين<sup>(١)</sup> ، كما يمكن اعتبار تشابه أسماء بعض الأماكن القديمة في الحبشة مع نظائر لها في اليمن ووجود معبد في الحبشة خصص للصنم « المقه » اله سبأ العظيم<sup>(٢)</sup> ، وأمور أخرى دينية ولغوية وأثرية ، واعتراف الأحباش بأنهم من نسل ملكة سبأ « بلقيس » « ماقدة »<sup>(٣)</sup> من « سليمان الحكيم » ، وأن « حبشت » التي أخذ الأحباش منها اسمهم في اللغة العربية هي مقاطعة تقع في العربية الجنوبية على رأى أكثر العلماء<sup>(٤)</sup> ، وأن « الأجاز » أصحاب اللغة الجعزية أقدم من هاجر من اليمن الى الحبشة . ووجود صلات قديمة بين الساحلين الأفريقي والعربي ، اذا نظرنا الى كل هذه الأمور نظرة علمية دقيقة ، نجد أنها تجعل أمام القائلين بأن أصل الساميين من أفريقية صعوبات ليس من السهل التغلب عليها ، ولا سيما اذا أضفنا اليها الاثر الذي تركه اليهودية والنصرانية في الأحباش وفي الشعوب الكوشية

(١) Müller, Epigraphische Denkmäler aus Abessinien. Glaser, Die Abessiner in Arabien Und Africa, München, 1895.

(٢) Ditlef NIELSEN, Der Sabäische Gott Ilmukah, P. 1. D.H. Müller. Epigraphische Denkm. S, 57.

(٣) Ency. Vol. 1, P, 720. E. LITTMANN, The Legend of the Queen of Sheba in Tradition of Axum, in Bibliotheca Abessinica.

(٤) Ency. Vol. 1, P, 119. Conti Rossini, Note Sugli Habashat. Roma, 1905.

الأخرى ، فقرب ثقافتها من الثقافة السامية وأثر في لغتها ، وهو أثر يجب أن يقام له وزن عند بحث هذا الموضوع .

ومن القائلين ان المهد الأصلي للساميين هو أرض ارمينية ، « جون بيترس »<sup>(١)</sup> ، وحجته في ذلك أن هذا المحل هو أنسب مكان يتفق مع رواية التوراة في الطوفان ، وهو المحل الأصلي للأمم السامية والآرية<sup>(٢)</sup> . ثم ان الأنف الحثي يشبه كل الشبه الأنف العبراني ، وفي هذه السمة دلالة على المكان ، وقد نسي أن العرب - وهم من الساميين - لم يرزقوا هذا الأنف<sup>(٣)</sup> .

وذهب « كلى » الى أن الوطن الأصلي للساميين هو أرض « أمورو » Amurru « الأموريون » ، وتشمل هذه الأرض ، في رأيه ، الشام ومنطقة الفرات<sup>(٤)</sup> . من هذه المنطقة هاجر الساميون ، وقد توصل الى نظريته هذه من الدراسات اللغوية<sup>(٥)</sup> . ولكنها لا تستند في الواقع الى أدلة قوية . والأموريون هم من الشعوب السامية القديمة التي سكنت في فلسطين والشام واقليم بابل<sup>(٦)</sup> .

ظهر الساميون على مسرح الوجود في الألف الثالثة قبل الميلاد<sup>(٧)</sup> ، وقد استقروا في هذه الأرضين التي اصطفت بالصبغة السامية ، وهي الهلال الخصيب وشبه جزيرة سيناء وشبه جزيرة العرب ، حيث تعد اليوم المواطن الرئيسية للعناصر السامية .

### الموجات السامية :

تصور العلماء الذين قالوا ان الجزيرة العربية هي مهد الجنس السامي ، بلاد العرب كخزان هائل يفيض في حقب متعاقبة تبلغ الواحدة منها زهاء ألف عام ، بما يزيد عن

Journal of the American Oriental Society, XXXIX, 243-260. Barton, P, 8. (١)

(٢) السامية ٤ .

Barton, P, 8. (٣)

Barton, P, 8. A.T. Clay, Amurru, the Home of the Northern Semites, (٤)

Philadelphia, 1909. The Empire of the Amorites, New Haven, 1919. Ency. of Relig. and Ethi. 11-380.

Barton, P, 9. (٥)

Hastings. P, 27. Ency. Bibl, P, 146. Meissner, Altbab. Privatrecht, Nr. 42. (٦)

Schrader, K.A.T. P, 178 ff.

Simon Dubnow, Weltgeschichte des Jüdischen Volkes, Bd, 1, P, 3. (٧)



طاقته من البشر الى الخارج ، يقذف بهم على صورة موجات قالوا لها الموجات السامية<sup>(١)</sup> .  
وقد علل القائلون بنظرية الهجرات السامية من بلاد العرب سبب هذه الهجرات  
بعدم استطاعة شبه الجزيرة قبول عدد كبير من السكان يزيد على طاقتها ، فلا يبقى أمامهم  
غير سلوك طريق الهجرات الى الأماكن الخصيبة في الشمال . وقد كانت الطرق  
الساحلية من أهم الطرق التي أوصلت المهاجرين الى أهدافهم .

رأى « كيتاني » أن الجفاف الذي حل ببلاد العرب فحول أكثر أرضيها الى صحارى  
جرد كان العامل الأول في هذه الهجرات . رأى أن جو بلاد العرب قبل ألفى سنة ،  
أو ثلاثة آلاف سنة ، أو أكثر من ذلك ، لم يكن على الشكل الذي نلاحظه الآن ، وأن  
تغيرات وتطورات طبيعية طرأت على الجزيرة كانت نتيجتها ظهور هذا الجفاف ، وهي  
تطورات استغرقت أمدا طويلا<sup>(٢)</sup> . وقد أيد هذا الرأي ودافع عنه السير توماس  
أرنولد<sup>(٣)</sup> .

ورأت « المس النر كرنر Miss Elinor Gardiner » التي قامت بأبحاث  
« جيولوجية » في حضرموت في عامي ١٩٣٧ - ١٩٣٨ أنه لم تحدث في الأقسام  
الجنوبية من شبه جزيرة العرب تغيرات « طبوغرافية » و « جيولوجية » و « جوية » كبيرة منذ  
عصر الـ « Palaeolithic » ( وينتهي حوالي سنة ١٠٠٠٠ قبل الميلاد ) حيث كان الجو  
مشبعاً بالرطوبة<sup>(٤)</sup> .

لقد لفت كيتاني أنظار العلماء الى هذه الظاهرة المهمة : ظاهرة التغير الذي طرأ على  
جو بلاد العرب ، والجفاف الذي حل بها في أواخر الدورة الجليدية الأخيرة<sup>(٥)</sup> . ففي

(١) حتى ص ١٣ .

(٢) المقتطف : جزء يوليو ١٩٤٤ ص ١٢٣ ، الجزء الثاني من المجلد الخامس بعد المئة  
« جو جزيرة العرب وأثره في الهجرات السامية » للدكتور رفيق التميمي ، وساشير اليه  
بـ المقتطف

Musil, Negd, P. 304. Caetani, l'Arabia Preistorica e l'essi Camento della  
Terra, and l'Arabia e gli Arabi dei Tempi Storici, Constituting, Chapter, 2,  
PP, 51-288.

The Caliphate, PP. 23 [ 1924 ] (٣) :

Background, P. 9. (٤)

Nabih Amin Faris, The Arab Haritage, P, 28-29, (٥)

الوقت الذي كانت فيه معظم النواحي الأوربية وشمالى آسية تغطي أرضها الثلوج ، كانت جزيرة العرب ذات جو معتدل وأمطار غزيرة ، وأشجار وزروع . وكانت هضبة ايران تغطيها الثلوج التي تحول دون تكوين مواطن صالحة للأحياء ، ثم أخذ الجو يتغير فى بلاد العرب ، ففقد الجو فيها رطوبته وسارت بصورة مستمرة وبطيئة نحو الجفاف منذ أكثر من أربعة عشر ألف سنة ، فآثر ذلك بالطبع فى حياة سكانها وفى حياة حيواناتها ونباتاتها ، فأفترض ما لم يتمكن من تكييف نفسه مع المحيط ، وظهرت الحاجة الى الهجرات ، فكانت الهجرات التي نتحدث عنها الآن (١) .

أما الأنهار التي كانت مملوءة بالمياه الغزيرة التي تنساب اليها من المرتفعات والجبال ، فقد قلت مياهها ثم غاضت وجفت قيعانها وتركت لنا آثارها ، وهي الأودية (٢) ، مثل وادى الحمض ووادى السرحان ووادى الرمة ووادى الدواسر وغير ذلك من الأودية التي كانت أنهارا ، وكان بعضها عظيما فى وقت من الأوقات (٣) .

تصور كيتانى بلاد العرب فى الدورة الجليدية الأخيرة جنة ، بقيت محافظة على بهجتها ونضارتها مدة طويلة ، وكانت سببا فى رسم تلك الصورة البديعة فى مخيلة كتاب التوراة عن « جنة عدن » . وجنة عدن المذكورة فى العهد القديم هي هذه الجنة التي كانت فى نظر كيتانى فى داخل بلاد العرب (٤) ، غير أن الطبيعة قست عليها فأبدلتها صحارى ورمالا ، حتى اضطر أصحابها الى تركها والارتحال عنها الى أماكن تتوافر فيها ضروريات الحياة على الأقل ، فكانت الهجرات السامية الى العراق والشام ومصر والمواطن السامية الأخرى . وكانت هذه الهجرات قوية وغنيمة بين سنة ٢٥٠٠ وسنة ١٥٠٠ قبل الميلاد ، فدخل الهكسوس أرض مصر ، وهاجر العبرانيون الى فلسطين (٥) ، ثم أعقب ذلك عدد من الهجرات .

(١) المقتطف ص ١٢٦-١٢٧ . راجع مقال السيد طه باقر فى مجلة سومر : الجزء الثانى ، المجلد الخامس ١٩٤٩ ص ١٢٣ فما بعدها بعنوان « علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب » .

(٢) Bertram Thomas. The Arabs, P, 350.

(٣) Musil, Negd, P. 305. Caetani, Studi die Storia Orientale., Vol. I, P. 64-66

80, 243, Vol. 2. PP, 53. 65.

(٤) Caetani, Studi, PP. 129-131.

(٥) Musil, Negd, P, 311. Caetani, Studi 185, 186, 188, 192, 277..



كذلك سبب ظهور « الجفاف » هجرة الحيوانات من بلاد العرب أو موتها ، وتلف النباتات والأشجار ، ويعتقد « كيتاني » أن الفيلة والحيوانات الضخمة التي يندر وجودها اليوم في بلاد العرب كانت موجودة فيها بكثرة ولا سيما في أرض « مدين » ، وكان الصيادون يخرجون لاصطيادها وأكل لحومها<sup>(١)</sup> . وقد جاء بأمثلة لتأييد رأيه من كتب الكلاسيكيين<sup>(٢)</sup> . وقد قسم « كيتاني » بلاد العرب الى قسمين : غربي ، وشرقي . أما القسم الغربي ، فهو الذي على ساحل البحر الأحمر الشرقي ، وفيه سلاسل جبلية ومرتفعات . وأما القسم الشرقي ، فالأرضون التي تأخذ في الانحدار والميل ، وهي عند السفوح الشرقية للجبال ، وتمتد الى نهر الفرات وخليج فارس . وقد كان سكان المناطق الغربية في مستوى راق من المدنية ، وكان لهم نفوذ كبير في المناطق الشرقية ، وسلطة على سكانها الذين كان يغلب عليهم الفقر . وقد كان فعل الجفاف أشد وأسرع في الأرضين الشرقية منه في الأقسام الغربية ، لذلك بدأت الهجرات من هذه المناطق قبل المناطق الغربية ، وظهرت فيها البداوة بصورة أوضح من ظهورها في الأرضين على ساحل البحر الأحمر والمتصلة باليمن وبلاد الشام . ولما توسعت منطقة الجفاف وأخذت الرطوبة تقل في جو بلاد العرب الغربي ، ظهرت أعراض الصحراوية في تلك الأرضين كذلك ، واضطر السكان الى الهجرة منها الى مناطق أخرى<sup>(٣)</sup> .

كانت نجد هي المنبع الذي فاض منه معين السامية على رأى جماعة من العلماء . وقد خصص بعضهم أرضا معينة من نجد زعم أنها كانت المحل الذي نبت فيه الساميون ، وذهب آخرون الى أن العروض ولا سيما البحرين والسواحل المقابلة لها هي الموطن السامي القديم . ويستشهدون على ذلك ببعض الروايات والدراسات التي قام بها العلماء فكشفت عن هجرة بعض الاقوام كالفينيقين وغيرهم من هذه الأماكن .

وذهب « فلبى » في دراساته المسهبة لأحوال جزيرة العرب الى أن الاقسام الجنوبية من شبه الجزيرة هي الموطن الاصلى للساميين . في هذه الأرضين نبتت السامية ، ومنها

(١) Musil, Negd, P, 308.

(٢) Strabo, Geography, XVI, 4, 18. Periplus, [ Müller Edit ] PP, 177-179.

Diodorus, Bibliotheca Historica, III, 43 f.

(٣) Musil, Negd, P, 311. Caetani, Studi, P, 210.

هاجرت ، بعد اضطرابها الى ترك مواطنها القديمة لحلول الجفاف بها الذي ظهرت بوادره منذ عصر « الباليوليتيك Palaeolithic »<sup>(١)</sup> .

أرسلت العربية الجنوبية فى رأيه موجات متعاقبة من البشر سلكت الطرق البرية والبحرية حتى وصلت الى المناطق التى استقرت فيها . هاجرت وقد حملت معها كل ما تملكه من أشياء ثمينة ، حملت معها آلهتها وأولها الاله « القمر » وحملت معها ثقافتها وخطها الذى اشتقت منه سائر الأقلام ، ومنه القلم الفينيقى ، وطبعت تلك الأرضين الواسعة التى حلت بها بهذا الطابع السامى الذى ما زال باقيا حتى اليوم<sup>(٢)</sup> . وقد أخذ فلبى رأيه هذا من الدراسات التى قام بها العلماء الأوربيون لآحوال جزيرة العرب ومن الحوادث التاريخية التى تشير الى هجرات القبائل من اليمن نحو الشمال .

وقد لاقت نظرية « كيتانى » هذه رواجا بين عدد كبير من المستشرقين ، واعتدها « السير توماس أرنولد » من أهم النظريات التى اكتشفها المؤرخون الحديثون بالنسبة للتاريخ العربى<sup>(٣)</sup> ، غير أن المستشرق « الويس موسل » يرى أنها لا تستند الى أسس تاريخية ولا الى أدلة علمية ، وأن القائلين بها قد بالغوا فيها مبالغة كبيرة ، ويرى أنه ما دامت البحوث « الجيولوجية » التى قام بها العلماء فى مراحلها الأولى ، وقد جرت فى مناطق محدودة ، حتى أن أكثر مناطق شبه الجزيرة لم تفحص فحفا علميا فنيا ، حتى الآن ، فلا يصح الاعتماد على فرضيات وبناء آراء ثابتة عليها . ولهذا فهو يرى أن الأدلة الجيولوجية التى استشهد بها « كيتانى » ضعيفة وغير كافية ، فهى لا تستحق مناقشة ، واكتفى بمناقشة الأدلة التاريخية<sup>(٤)</sup> .

يرجع « موسل » سبب الهجرات ، وتحول الأرضين الحصبة الى صحارى ، الى عاملين هما : ضعف الحكومات ، وتحول الطرق التجارية<sup>(٥)</sup> . فضعف الحكومات ينشأ عنه تزعم الشيوخ ، وانشقاقهم على الحكومات المركزية ، ونشوب الفتن والاضطرابات ونشوب الحروب ، وانصراف الحكومة والشعب عن الأعمال العمرانية ، وتلف المزارع والمدن ، وتوقف الأعمال التجارية وحصول الكساد ، وانتشار الأمراض والمجاعة ،

(١) Philby, The Background of Islam. Alexandria, 1949. P, 9.

وسأشير اليه بـ Background.

(٢) Background. P, 9-12.

(٣) Alois Musil, Negd. P, 304. The Caliphate. [ 1924 ] PP. 23.

(٥) Musil, Negd, P, 317. 319.

(٤) Musil, Negd, P, 304.



والهجرة الى مواطن أخرى يأمن فيها الانسان على نفسه وأهله وماله . فخراب سد « مأرب » مثلا لا يعود الى فعل الجفاف الذي أثر على السد كما تصور ذلك « كيتاني »<sup>(١)</sup> ، بل يعود الى عامل آخر لا صلة له بالجفاف ، هو ضعف الحكومة في اليمن ، وتزعيم « الاقيال » و « الأذواء » فيها ، وتدخل الحكومات الأخرى في شؤون العربية الجنوبية كالحبشة والفرس ، مما أدى الى اضطراب الأمن في اليمن وظهور ثورات داخلية وحروب كالذي يظهر من الكتابات التي تعود الى النصف الثاني من القرن السادس للميلاد<sup>(٢)</sup> ، فألهى ذلك الحكومة عن القيام باصلاح السد ، فتصدعت جوانبه ، فحدث الانفجار ، فحسرت منطقة واسعة من أرض اليمن مورد عيشها الأول ، وهو الماء ، وبست المزارع التي كانت ترتوى منه ، واضطرت القبائل وأهل القرى والمدن الواقعة فيها الى الهجرة الى مواطن جديدة . وتصدع السد بسبب ضغط الماء على جوانبه<sup>(٣)</sup> ، دليل في حد ذاته على فساد نظرية الجفاف<sup>(٤)</sup> .

ويرى « موسل » أن التقدم الذي حدث في البلاد العربية بعد القرن التاسع عشر دليل آخر على فساد نظرية « كيتاني » ، فقد ظهرت مدن حديثة ، وعمرت قرى ، وشقت ترع ، وحفرت آبار ، وعاش الانسان والحيوان والنبات في مناطق من العراق وسورية ولبنان وفلسطين والمملكة الأردنية كانت تعد من الأراضين الصحراوية<sup>(٥)</sup> . فلم يكن « الجفاف » هو المانع من عمارة هذه المناطق ، والسبب في تكون هذه الصحارى ، بل السبب شيء آخر هو ضعف الحكومات وانصرافها عن العمارة وعن المحافظة على الثروة الطبيعية وضبط الأمن ، ووقوفها موقف المتفرج تجاه قطع الناس للأشجار واستئصالها لاستخراج الفحم منها ، أو لاستعمال أخشابها في أغراض أخرى<sup>(٦)</sup> ، وتقاتل القبائل بعضها مع بعض ، هذا وان من الممكن إعادة قسم كبير من الأراضين الجرد الى ما كانت عليه ، اذا ما تهيات لها حكومة قوية رشيدة ، تنصرف الى حفر الآبار ، واقامة السدود ، وغرس الجبال ، وانشاء الغابات ، والاستفادة من مياه العيون .

Musil, Negd, P, 309. Caetani, Studi, 267. 296. (١)

Corpus Inscriptionum Semiticarum. [ 1911 ]. Part 4. Vol, 2. Nos. (٢)

384. 540. 541.

Musil, Negd, P, 310. Corpus. Inscr. Semi No. 540, II, 54-64. (٣)

Musil, Negd. P. 310. (٥)

Musil, Negd, P. 310. (٤)

Musil, Negd. P. 318. (٦)

ويرى « موسل » أيضا أن ما ذكره « كيتاني » عن الأثني عشر في شبه جزيرة العرب مسألة لا يمكن البت فيها الآن ، لقلة الدراسات العلمية<sup>(١)</sup> . كما أن ما ذكره عن انعدام أجناس من الحيوانات من شبه جزيرة العرب<sup>(٢)</sup> ، ليس مرده الى الجفاف وعدم احتمال تلك الحيوانات الجو الجديد ، فهلكت ، أو هاجرت الى مواطن جديدة ، بل مرده في نظره الى اعتداء الانسان عليها ، وقتله اياها . ودليله على ذلك أن الحيوانات التي ورد ذكرها في كتب « الكلاسيكيين » لا تزال تعيش في المناطق التي عينها أولئك الكتاب ، ولكنها بقلّة . كذلك نجد الهمداني وغيره يذكر وجود الأسد<sup>(٣)</sup> وحيوانات أخرى في مواضع قل فيها وجودها الآن ، وهذا مما يشير الى أن هذه الحيوانات لم تنقرض أو تقل بفعل تبدل الجو ، بل بفعل اعتداء البشر عليها . واعتداء البشر على الحيوان ، شر من اعتداء الطبيعة عليه<sup>(٤)</sup> .

ولا يوافق « موسل » على نظرية « كيتاني » في هجرة القبائل العربية من الجنوب الى الشمال ، أو من الشرق الى الشمال . وقد رأى « كيتاني » كما سبق أن ذكرنا تقسيم شبه جزيرة العرب الى قسمين : قسم غربي ، وهو الممتد من فلسطين الى اليمن ، وينتهي بالبحر العربي ، وتكون حدوده الشرقية « السراة » ، والغربية البحر الأحمر وباب المندب . وقسم شرقي ، وهو ما وقع شرق « السراة » الى الخليج والبحر العربي<sup>(٥)</sup> . وقد ظهر الجفاف على رأى « كيتاني » في القسم الشرقي قبل الغربي ، ولهذا صار سكانه يهاجرون منه بالتدريج الى مواطن جديدة تكون صالحة للاستيطان مثل العراق والشام ، كما صار سببا لظهور الصحارى الشاسعة في هذا القسم بصورة لا نعهدها في القسم الغربي<sup>(٦)</sup> .

ويرى « موسل » أن هذا تقسيم لا يستند الى أسس طبيعية ، ولا جغرافية ، ولا الى آراء « الكلاسيكيين » ، أو علماء الجغرافية العرب ، أو غيرهم<sup>(٧)</sup> ، وأنه مجرد رأى لا يمكن أن يكون حجة لاثبات مثل هذا الرأى .

و « لموسل » رأى في الهجرات ، يرى أن ما قاله « كيتاني » وغيره عن

Caetani, Studi. P, 60 ff. 87 ff. (٢)

Musil, Negd. P, 309. (٤)

Musil, Negd. P. 305. (١)

Musil, Negd. P, 309. (٣)

Musil, Negd. P, 311. (٥)

Musil, Negd P, 311 Caetani, P, 210 f (٦)

Musil, Negd P. 311. (٧)



الهجرات من شبه جزيرة العرب ، من اليمن أو من نجد الى الأطراف ، قول لا يستند الى دليل تاريخي قوى . فليست لدينا حتى الآن براهين كافية تثبت - على حد قول موسل - أن أصل « الهكسوس » أو « العبرانيين » مثلاً من شبه جزيرة العرب <sup>(١)</sup> . كما ان ما ادعاه « كيتاني » عن استمرار الهجرات من شبه الجزيرة من الألف الثالث أو قبل ذلك قبل الميلاد الى القرن السابع بعد الميلاد قول لا يتطابق مع المنطق . فلم ظلت هذه الهجرات مستمرة الى أن توقفت بعد القرن السابع للميلاد ؟ أزادت الرطوبة وتحسن الجو ؟ أم أن القبائل الكبيرة كانت قد تجزأت الى قبائل صغيرة وعشائر وأفخاذ فأصبح في امكانها العيش بعض الشيء في مجال صغيرة ، لا تحتاج الى مراعى شاسعة ولا الى مياه غزيرة ؟ فلم تدفعها الحاجة منذ هذا العهد الى الهجرة في شكل موجات كبيرة . وهل كان الجفاف هو المانع من مهاجمة حدود الانبراطوريتين البيزنطية والساسانية اللتين كانتا قد سدتا أبواب شبه الجزيرة على أهلها فلم تسمح للقبائل بتخطي هذه الحدود ؟ ويرى أن ما ادعاه « كيتاني » من أن الجفاف والجوع حملاً للقبائل اليمن على الهجرة الى الهلال الخصيب حيث نزلت في أرضين كانت خالية مهجورة على أطراف الفرات والشام ، فألفت حكومتى « المناذرة » و « الغساسنة » ، قول لا يؤيده ما جاء في الكتب « الكلاسيكية » وفي المصادر « السريانية » من أن تلك الأرضين كانت عامرة أهلة بالسكان تمر بها الطرق التجارية العالمية . ويرى « موسل » أن الحكومتين « اللخمية » و « الغسانية » انما ظهرتا بعد سقوط حكومة « تدمر » ، وقد أسس الدولتين مشايخ من أهل الهلال الخصيب ، ولم يكونوا مهاجرين وردوا من الجنوب <sup>(٢)</sup> أو من العروض على نحو ما تدعيه الرواية العربية .

ويأخذ « موسل » على « كيتاني » تصديقه الرواية العربية عن هجرة القبائل ونظريتها في الانساب <sup>(٣)</sup> ، واعتدادها من جملة الأدلة التي تثبت نظرية « الجفاف » <sup>(٤)</sup> ، ويرى أنها - مع التسليم بصحتها - تنطبق على الوضع الذي كان في القرن السابع للميلاد وفي الجاهلية القريبة من الاسلام ، وأنها رواية تستند الى خبر مسموع لا يصح أن يكون سنداً في اثبات الهجرات لما قبل الميلاد ، ويمكن تفسير انتساب القبائل - على حد

Musil, Negd, P. 311. (١)

Musil, Negd P. 312 Musil, Kusejr 'AMRA, PP. 131-147. (٢)

Musil, Negd P. 312. (٤)

Caetani, PP. 268-272. (٣)

قول موصل - بصورة أخرى ، هو أن العرب الجنوبيين كانوا قد هيمنوا في الجاهلية وقبل الإسلام بقرون على الطريق التجارية التي تصل الشام باليمن وعلى الطرق التجارية الأخرى ، وكانت لهم حاميات فيها لحماية القوافل من غارات الأعراب . فلما ضعف أمر حكومات اليمن ، استقلت هذه الحاميات ، وكان كثير من أفرادها قد تزوجوا مع من كان يجاورهم من القبائل ، واتصلوا بهم . ولما كان لليمن مقام عظيم وشرف بين القبائل ، انتسب هؤلاء إلى اليمن ، وصاروا يعتبرون أنفسهم مهاجرين يتصل نسبهم بنسب اليمن . ومن هنا نشأت ، على رأى « موصل » ، أسطورة الأنساب ! ثم جاء علماء الأنساب في « المدينة » و « الكوفة » فسجلوها على أنها حقيقة واقعة ، ومنهم من انتقلت إلى كتب التاريخ ، فتوسعت وتضخمت في الإسلام (١) .

ويدعى « موصل » أنه لو كانت هناك هجرات حقا لرأينا أثرها في لغة القبائل النازحة إلى الشمال وفي عقيدتها الدينية وفي ثقافتها وفي أساطيرها وفي قصصها الشعبي ، ولوجدنا على الأقل إشارة في الكتابات العربية الجنوبية التي تعود إلى ما قبل الإسلام . ولكننا لا نجد شيئا من ذلك ، وهذا ما يفند رأى القائلين بالهجرات ، وبأن أصل كثير من القبائل التي كانت تقيم في شمال شبه الجزيرة ، ومن هؤلاء الغساسنة والمناذرة ، هم من اليمن (٢) .

ويعترض « موصل » أيضا على دعوى « كيتانى » (٣) وغيره من المستشرقين ممن زعموا أن الفتح الإسلامى هو آخر هجرة سامية قذفت بها شبه جزيرة العرب إلى الخارج ، وأنها كانت بسبب الجفاف والجوع ؛ ويرى أن ما جاء في هذه الدعوى لا يتفق مع الحقيقة ، وأن ما ذكره « كيتانى » عن عدد نفوس الحجاز مبالغ فيه ، وأن الجيوش التي اشتركت في فتح العراق والشام وفلسطين لم تكن حجازية أو نجدية حسب ، بل كانت فيها قبائل عراقية وشامية نصرانية ساعدت أبناء جنسها العرب مع اختلافها مع المسلمين في الدين ، وحاربت الروم والفرس ، ولذلك فليست الفتوحات الإسلامية هجرة من شبه الجزيرة إلى الخارج على نحو ما تصوره « كيتانى » بدافع الفقر والجوع (٤) .

Musil, Negd, P. 313. (٢)

Musil, Negd P. 312. (١)

Musil, Negd, P. 313. Caetani, Studi, P. 307. (٣)

Musil, Negd, P. 313-314. (٤)



وفى اعتراضات « موسل » على « كيتانى » ومن قال بالجفاف ، بعض الحق ؛ فقد بالغ أولئك فى نظريتهم ، وذهبوا مذهباً لا يتفق مع الشواهد التاريخية • غير أننا لا نستطيع أن ننكر ، من جهة أخرى ، التطور الذى حدث فى « جو » وفى « جيولوجية » شبه جزيرة العرب ؛ فقد دلت التحريات - وان كانت قليلة - على حدوث هذا التطور كما تدل البحوث ( التى قام بها العلماء فى الأرضين الأفريقية المقابلة لشبه جزيرة العرب وفى إيران وآسية الصغرى ) على حدوث هذا الشيء ، غير أننا مع ذلك نميل الى الاقتصاد فى الحديث عن هذا الموضوع ، والوقوف فيه ما دامت البحوث العلمية الفينة قليلة ؛ فقد يجرنا التوسع فى الحديث الى الوقوع فى المزالق ، والخروج عن جادة العلم •

**اللغة السامية الأولى :**

تدفعنا هذه النظريات التى قالها العلماء عن القرابة اللغوية التى نراها فى مجموعة اللغات السامية ، وعن اشتراكها فى كثير من أسس النحو والصرف ، الى التفكير فى أن جميع هذه اللغات تفرعت من أصل واحد ومن لغة واحدة هى أم اللغات السامية « Ursemitisch » • ويدفعنا ذلك الى البحث عن أقدم النصوص المدونة فى اللغات السامية ، وعن الخصائص الأساسية المشتركة بين كل هذه اللغات ، للوقوف على اللغة السامية الأولى التى انقرضت وبقيت آثارها فى هذه الجذور التى غدت اللغات السامية القديمة منها والحديثة بالخصائص السامية ، وعن أقرب الفروع التى انفصلت من الأم •

لقد بحث المستشرقون فى هذا الموضوع ولا يزالون يبحثون فيه ، فمنهم من وجد أن العبرانية أقدم اللغات السامية وأقربها عهداً بالأم<sup>(١)</sup> ، ومنهم من رأى أن العربية على حدائث عهدتها جديرة بالدراسة والعناية<sup>(٢)</sup> ؛ لأنها تحمل جرثومة السامية ، ومنهم من رأى القدم للشورية أو البابلية<sup>(٣)</sup> ، وهناك من رأى غير ذلك • وبالجملة ، لم يدع أحد من العلماء أنه توصل الى تشخيص لغة « سام » ، وتمكن من معرفة اللغة التى تحدث بها مع أبيه « نوح » أو مع أبنائه الذين أنسلوا هذه السلالات السامية !

وكان من جملة العوامل التى ألهبت نار الحماسة فى نفوس علماء التوراة والساميات للبحث عن اللغة السامية الأولى أو أقرب اللغة السامية إليها ، القصص الواردة فى

(١) السامية ص ٦ • (٢) السامية : ص ٦ ، حتى ص ٨ •

Carl Brocklemann, Vergleichende Grammatik der Semitischen Sprache, (٣) Berlin, 1908. Zimmern, Vergleichende Grammatik der Semitischen Sprachen, 1898.

التوراة عن سام وعن لغات البشر ، والطوفان وما شاكل ذلك ، ثم وجد المستشرقون المعاصرون أن البحث في هذا الموضوع ضرب من العبث ؛ لأن هذه اللغات السامية الباقية حتى الآن هي محصول سلسلة من التطورات والتقلبات لا تحصى مرت بها حتى وصلت الى مرحلتها الحاضرة ، كما أنها حاصل لغات ولهجات منقرضة . واللغة السامية القديمة لم تكن الا لغة محكية زالت من الوجود ، دون أن تترك أثرا . ومن الجائز أن يهتدى العلماء في المستقبل الى لغات أخرى كانت عقدا بين اللغات السامية القديمة التي لا نعرف من أمرها شيئا وبين اللغات السامية المعروفة . والأفضل هو أن ننصرف الآن الى دراسة اللغات السامية والموازنة بينها ، لنستخلص المشتركات والأصول . ومتى تتكون هذه الثروة اللغوية ، يسهل البحث في اللغة السامية (١) ، كما تستحسن الموازنة بين هذه اللغات وبين اللغات التي ظهرت في القارة الأفريقية مثل المصرية القديمة والبربرية والهررية وبقية اللهجات الحبشية ، لتكوين فكرة علمية عن الصلات التي تربط بين الحاميين والساميين وكانت من جملة العوامل التي دفعت بعض العلماء الى القول بأن أصل الجنسيتين واحد كان يقيم في قارة افريقية .

وقد شغل علماء العرب أنفسهم بموضوع اللغة السامية أو لغة سام بن نوح بتعبير أصح ، فذهب أكثرهم الى ترجيح السريانية على سائر اللغات (٢) ، وان التفت بعضهم الى ضرورة تقديم العربية فقالوا : كان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عربيا ، الى أن بعد العهد و طال ، فحرف وصار سريانيا . وهو يشاكل اللسان العربي الا أنه محرف (٣) . وقد أدركوا كما أدرك المستشرقون تلك الصلات التي كانت بين اللغات السامية فقال المسعودي : « وانما تختلف لغات هذه الشعوب » أي شعوب جزيرة العرب « من السريانيين اختلافا يسيرا » ، وذهب الى أبعد من ذلك فقال : « ان جزيرة العرب كانت كلها مملكة واحدة يملكها ملك واحد ولسانها واحد (٤) » .

وقد أخذ علماء العرب نظريتهم هذه من أهل الكتاب ، ولما كانت السريانية هي لغة الثقافة والمتقفين ، ولغة يهود العراق وأكثر أهل الكتاب في جزيرة العرب في ذلك العهد ، فلا يستغرب اذن قول من قال ان السريانية هي أصل اللغات التي تفرعت من لسان سام بن نوح .

(٢) المزهر ١/٢٠ ، التنبيه ( ص ٦٨ ) .

(٤) التنبيه ( ص ٦٨ ) .

(١) السامية : ص ٨ .

(٣) المزهر ١/٢٠ .



## العقلية السامية :

وتحدث المشتغلون في التاريخ الثقافي وفي « علم الأجناس » عن عقلية خاصة بالشعوب السامية قالوا لها « العقلية السامية » كما تحدثوا عن عقلية « آرية » وعن عقليات أخرى ، وحاولوا وضع حدود لأوصاف العقلية السامية ورسم صورة خاصة بها تميزها عن صور العقليات البشرية الأخرى . وقد أسرف من أولع بهذا البحث وغالى حتى خرج عن الأساليب العلمية وابتعد عنها كثيرا .

وقد شاعت هذه النظرية نظرية خصائص العقلية السامية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، وهي تستند قبل كل شيء الى العواطف والنزعات أكثر من استنادها الى المنطق والعلم . ومن أشهر مروجيها الفيلسوف الأفرنسي « ريسان Ernest Renan » ( ١٨٢٣-١٨٩٢ م ) و « كراف كوبينو Graf Arthur Gobineau » ( ١٨١٦-١٨٨٢ م ) وهو من القائلين بتمايز العنصرية البشرية وتفوق بعضها على بعض وبسيادة العقلية الآرية على سائر العقليات (١) . و « هوستن ستيوارت شامبرلن Houston Stewart Chamberlin » ( ١٨٥٥-١٩٢٧ م ) صاحب كتاب « أسس القرن التاسع عشر » (٢) .

فالسامية ، كما رأيت ، اصطلاح قصد به الشعوب التي تكلمت وتتكلم بلغات ترجع الى أصول لغوية مشتركة . وقد فهم بعضهم منه جنسية بالمعنى « الاتروبولوجي » وضعوا لها خصائص ومميزات جسمية ، وعلامات فارقة تميزها عن الجنسية الآرية ، وألفوا في ذلك عددا كبيرا من المؤلفات . ولكن الملاحظ أن بين الاقوام التي تنسب الى السامية فروقا بارزة في الملامح كما هو بين العبرانيين والارميين والعرب في شكل الجمجمة والأنف ، فمن الواجب التفريق بين الاشتراك في الخصائص اللغوية والاشترك في الخصائص الجسمية ، وعدم الخلط بين السامية اللغوية والسامية كجنس ذي خصائص ومميزات جسمية وروحية تميزها عن الأجناس البشرية الأخرى (٣) . فمن الممكن ارجاع هذه الأصول اللغوية المشتركة الى عوامل غير عوامل الدم مثل الاتصال الروحي ، والتاريخي ، كالذي يلاحظ اليوم بالنسبة لنزوح أميركة الذين يتكلمون الانكليزية مع أنهم من أصل افريقي معروف . وفي الجملة ان موضوع الأجناس موضوع حديث لم

(١) Essai sur l'inégalité des Races Humaines.

(٢) Hosten Stewart Chamberlain, Die Grundlagen des Neunzehnten

Jahrhunderts, 2. Bde. ويقع في جزئين .

(٣) Hans Günther, Rassenkunde des Deutschen Volkes, München 1934, S. 5.

تكمل دراسته بعد ، ومن الخير لنا أن نترك البحث فيه حتى تنتهي الدراسات والبحوث  
الاثرية واللغوية و « الانتروبولوجية » .

### العرب :

لا بد لنا من تحديد معنى كلمة « العرب » ، اذ على تحديد هذا المعنى يتوقف بحثنا  
في تاريخ من ستملهم هذه اللفظة . ولو كان الموضوع تاريخ العرب الاسلاميين ، لما  
احتجنا اليه . أما والبحث هو تاريخ العرب الجاهليين ، أى الذين عاشوا قبل الاسلام ،  
فلا مناص لنا من هذا التحديد ، وقد يبدو هذا القول غريبا ، لوضوح معناها عند الناس ،  
ولكن هذه الغرابة ستزول بعد الوقوف على تطور هذه الكلمة واختلاف مدلولها  
بمرور الزمن .

بحث علماء العربية فى أصل لفظة « العرب » و « العربية » (١) ، ولكن بحثهم هذا  
هو من نوع تلك البحوث المألوفة المبنية على أقوال وآراء لا تستند الى أساس من العلم ،  
ولا تعتمد على نصوص جاهلية مدونة ، فأما المستشرقون فقد تبعوا تاريخ الكلمة ،  
وتبعوا معناها فى اللغات السامية ، وبحثوا عنها فى الكتابات الجاهلية وفى كتابات  
الآشوريين واليونان والرومان والبرانيين وغيرهم ، فوجدوا أن أقدم نص ورد فيه اسم  
« عرب » هو نص آشورى يعود الى أيام الملك « شلمنصر الثانى » ملك آشور (٢) . وقد  
تبين أن هذه الكلمة لم تكن تعنى عند الآشوريين ما تعنيه عندنا من معنى ، بل كانوا  
يقصدون بها مشيخة كانت تحكم فى البادية المتاخمة للحدود الآشورية كان حكمها  
يتوسع وينقلص فى البادية تبعاً للظروف السياسية ولقوة شخصية الشيخ ، وكان يحكمها  
ملك يقال له « جنديو » « جندب » ، وكانت صلاته سيئة بالآشوريين .

ولما كان من الصعب ضبط كيفية النطق بهذه الكلمة من النصوص الآشورية التى  
لم تكن تحرك المقاطع ، فقد اختلف العلماء فى كيفية النطق بهذه الكلمة ، فقررت  
« Arub » و « Aribi » و « Aribu » و « Arabi » و « Urbi » و « Arbi »

(١) المزهر ٣٠/١ فما بعدها ، القاموس ١٠٢/١ . اللسان ٧٥/٢ فما بعدها ،

المقتطف (١٩٢٦) المجلد ٦٨ ج ٢ ص ١٤٦ ، ج ٣ ص ٢٩١ فما بعدها .

(٢) Margoliouth, The Relations Between Arabs and Israelites Prior to the rise of Islam, P, 3. Hitti, History of the Arabs. P, 37. The Jewish Encyclopedia, New York. 1902. P, 41.



الى غير ذلك (١) . والظاهر أن صيغة « Urbi » كانت من الصيغ القليلة الاستعمال ، ويغلب على الظن أنها استعملت في وقت متأخر (٢) ، وأنها كانت تعني الأعراب ، على نحو ما يقصد من كلمة « عربي » و « أعربي » في لهجة أهل العراق لهذا العهد . وهي تقابل كلمة « عرب » التي هي من الكلمات المتأخرة كذلك على رأى بعض المستشرقين (٣) . وعلى كل حال فإن الآشوريين كانوا يقصدون من كلمة « أربي » على اختلاف أشكالها مشيخة من الأعراب كانت تحكم في البادية تمييزاً لها عن قبائل أخرى كانت مستقرة في أسياف البادية (٤) .

ووردت في الكتابات البابلية جملة « ماتوا أربي Matu A-Ra-Bi » ، ومعنى « ماتو » أرض في الآشورية والبابلية ، فيكون المعنى « أرض أربي » « أرض العرب » أو « العربية » (٥) . وجاء في كتابة « بهستون » « بيستون » Behistun (٦) « لدارا الكبير »

Erich Ebeling und Bruno Meissner, Reallexikon der Assyriologie erster (١)  
Band. Berlin und Leipzig 1922. P. 125. Real. Lex ب. وسارمز اليه ب.  
Ency. Bibl. P. 273. Fr. Delitzsch, wo lag das Paradies? P. 295, 304. (٢)  
E. Schrader, Keilinschriften und Geschichtsforschung PP. 100.  
Ency. Bibl. P. 273. Schrader, Keilinschriftliche Bibliothek, Sammlung (٣)  
Von Assyri. und Bab. Texten in Umschrift und übersetzung, 2. 84.  
Ency. Bibl. P. 273. (٤)

W. Muss Arnolt, Assyrisch — Englisch — Deutsches Handwörterbuch. (٥)  
Berlin 1903. P. 616. Winckler, AOF. Bad. 2. S. 465 The Sculptures And Inscription  
of Darius The Great on the rock of Behistun in Persia. London. 1907 P. XIviii.  
Matu ) A-ra-bi P, 161. راجع النص البابللي لكتابة « داريوس الكبير » في  
« بهستون » ، وسارمز الى الكتاب ب. Sculp.

(٦) « بهستون » و « بيستون » Sculp. P. XI. ( Bisutun ) « بهستون ( بالفتح ثم الكسر ) : قرية بين همدان و حلوان ، واسمها ساسباتان ، بينها وبين همدان أربع مراحل ، وبينها وبين قرميسين ثمانية فراسخ . وجبل بهستون عال مرتفع ممتنع لا يرتقى الى ذروته ، وطريق الحاج تحته سوا ، ووجهه من أعلاه الى أسفله أملس كأنه منحوت ، ومقدار قامات كثيرة من الأرض قد نحت ووجهه وملس ، فزعم بعض الناس أن بعض الأكاسرة أراد أن يتخذ حول هذا الجبل موضع سوق ليدل به على عزته وسلطانه ، وعلى ظهر الجبل بقرب الطريق مكان يشبه الغار ، وفيه عين ماء جار ، وهناك صورة دابة كاحسن ما يكون من الصور زعموا أنه صورة دابة كسرى المسماة شبدينز وعليها كسرى ، وقد ذكرته مبسوطاً في باب الشسين « البلدان ٢ / ٣١٥ ( طبعة وستنفلد ) ١ / ٧٦٩ . « شبداز بكسر أوله وسكون ثانيه ثم دال مهمله وآخره زاي ، ويقال شبدينز بالياء المثناة من تحت ٠٠٠ منزل بين حلوان وقرميسين في لحف جبل بيستون ، سمي باسم فرس كان لكسرى . » وقد وصف ياقوت الحموي الموضوع ، وذكر آراء الناس فيه والقصص التي كانت تروى عن الصور . البلدان ٥ / ٢٢٨ .

« داريوس » (١) « أرباية » « عربية » « Arabaya » (٢) في النص الفارسي المكتوب باللغة الاخمينية ، وفي النص المكتوب بلهجة أهل « السوس » ( Susian ) (٣) ( Susiana ) وهي اللهجة العيلامية لغة عيلام « ( M ) Ar ] Payab » ، وتعنى « Arpaya » « العربية » ، أى بلاد العرب • و « M ) Arpaya » في صيغة الجمع سكان العربية (٤) ، وأما في النص البابلي ، فقد ورد « ماتو اربى » كما هو في البابلية ، ومقصد دارا من « Arabaya » هو « العربية » أى المعنى نفسه الوارد في النصين الآخرين •

وردت كلمة « Arabaye » بعد ذكر بابل وآشور « Thura » وقبل مصر « Mudraya » (٥) ، وهذا مما يدل على أن مفهوم « العربية » في ذلك الوقت كان يشمل منطقة واسعة تمتد من إقليم آشور وبابل حتى حدود مصر ، أى أنها تشمل جميع البادية الفاصلة بين العراق والشام وتدخل فيها شبه جزيرة سيناء (٦) ، أى كل المنطقة الواقعة في شمال شبه جزيرة العرب في اصطلاح أكثر علماء الجغرافية عند العرب ، أو « العربية السعيدة » في لغة الكتبة « الكلاسيكين » •

وتدل لفظة « Arab » في العبرانية على البداوة ، أى أنها تعطى معنى « بدو » أو « أعراب » أو « البادية » أو « ساكن البادية » وهى لا تعين قومية صاحبها •

(١) يعرف في الكتب العربية بـ ( دارا ) • كتاب تاريخ سنى ملوك الأرض والانبيا، ص ٢٠ ، مروج الذهب ١/١٩٦ ، ٢٤٥ • « دارا الكبير » « دارا الاكبر » تاريخ الطبرى ١/٦٨٧ ، ٧٠٦ ، ٧١٩ • « طبعة أوربة » •

(٢) Sculp. P, XIviii, 161. Ency. Bibl. P, 273. Hastings. P. 46.

(٣) Sculp. P. XIII. « السوس » يضم أوله وسكون ثانيه وسين مهملة أخرى بلفظ السوس النى يقع فى الصوف ) : بلدة بخوزستان ، فيها قبر دانيال عليه السلام قال حمزة : السوس تعريب الشوش بنقط الشين ، ومعناه الحسن والنزه والطيب • • • قال ابن المقفع : أول سور وضع فى الأرض بعد الطوفان سور السوس وتستر ، ولا يدري من بنى السوس وتستر والأبلة • وقال ابن الكلبي : السوس بن سام بن نوح • • • البلدان ١٧١/٥-١٧٢ •

(٤) Sculp. P. XIviii, 95, 212.

(٥) كذا فى النص الفارسى ، و « Shurap ai [ ak » « لا شور » و « ( M ) Muzzariyap aiak » لمصر فى نص لهجة السوس • و « Matu Ash — Shur » « لا شور » ، و « Matu Mi — Sir » « ماتو مصر » لمصر فى النص البابلي • Sculp. P, 4, 95, 161 •

(٦) Ency. Bibl, P, 273. Hastings, P. 46.



وهو المعنى الاصلى لهذه الكلمة فى جميع فروع اللغات السامية . ولم تتخصص الكلمة عند العبرانيين الا فى العهد المتأخرة <sup>(١)</sup> ، فى كل المواضع التى وردت فيها فى سفر « اشعيا » Isaiah ، مثلا قصد بها البداوة والاعرابية كالذى جاء « ولا يخيم هناك أعرابى » <sup>(٢)</sup> و « وحى من جهة بلاد العرب ، فى الوعر فى بلاد العرب تبتين يا قوافل الدنانين » <sup>(٣)</sup> . فقصد بـ « Arab » ، فى هذه الآية الاخيرة العزلة والوحشة والبداوة ، ولم ترد اسم علم فى التوراة الا منذ أيام « أرميا » فما بعد <sup>(٤)</sup> . فورد فى سفر أرميا « وكل ملوك العرب We'eth Kol Malke ha-'Arab <sup>(٥)</sup> » ، وهو ما يفهم منه العلمية والتخصيص . أما آية « فى الطرقات جلست لهم كأعرابى فى البرية » <sup>(٦)</sup> ، وهى من الآيات الواردة فى « أرميا » كذلك ، فلا يمكن التثبت من المقصود بها كل التثبت ، وهل تعنى كلمة « أعرابى » شخصا منتبها الى قوم معينين هم العرب فهو « عربى » تميزا له عن غيره من أبناء القبائل التى كانت تعيش فى البادية ، أو هل هى بمعنى بدوى من أهل الوبر تميزا له عن أهل المدر <sup>(٧)</sup> ؟ فهى كلمة عامة على نحو ما وردت فى موضع من سفر أشعيا يعود تأريخه الى أواخر أيام سبى بابل ، وهو : « ولا يخيم هناك أعرابى » <sup>(٨)</sup> « Arabi » ، حيث قصدت أعرابيا أى بدويا <sup>(٩)</sup> ، والظاهر أن كلمة « عراب » (Aarb) الواردة فى « مساها عراب » ( Massa Ha ' Aarb ) ، وهى من الآيات المتأخرة وقد جعلت اسم علم ، انما أصبحت كذلك من النص اليونانى الذى أصابه شىء من التصحيف والتغير بالنقل <sup>(١٠)</sup> .

ان صيغة كلمة « عرابى » ( Arabi ) هى أقرب الى الصيغ الارمية منه الى العبرانية ( عربى ) ( 'Arbi ) . أما صيغة الجمع ، وهى « عريم » ( 'Arbim ) من « عريميم » ( 'Arbi'im ) ، فانها أقرب الى الاستعمال العبرانى منه الى الارمى <sup>(١١)</sup> .

(١) حتى ٥٣ . Ency. Bibl. P. 272. Hastings. P. 46.

(٢) الاصحاح الثالث عشر ، آية ٢٠ . (٣) اصحاح ٢١ ، آية ١٣ .

(٤) Ency. Bibl. P. 272. (٥) اصحاح ٢٥ ، آية ٢٤ .

(٦) اصحاح ٣ ، آية ٢ .

(٧) Ency. Bibl. P. 272. Hastings. P. 46.

(٨) اصحاح ١٣ ، آية ٢٠ . (٩) Ency. Bibl. P. 273.

(١٠) Hastings. P. 45.

(١١) The Jewish Ency. Vol, 2. P. 41. Hastings. P. 46.

وبالجملته فإن الأسفار القديمة من التوراة كانت تقصد بهذه الكلمة البدو ، ولم تكن تقصد بها قبيلة معينة أو شعبا معيناً هو الشعب العربي . أما القبائل المستوطنة ، وحضر شبه جزيرة العرب ، فقد كانت تدعوهم بأسماء قبائلهم أو بأسماء الأماكن التي كانوا يقطنون بها ، ولهذا لا نجد اسم « عرب » في قائمة أنساب الشعوب المذكورة في التوراة<sup>(١)</sup> . وإنما نجد أسماء شعوب عربية ذكرت في هذه القائمة ، وهذا مما يدل على أن كلمة « عرب » لم تكن تعنى في الأسفار القديمة من التوراة سوى البداوة والأعرابية على نحو ما قصد بها في سائر فروع السامية .

ومما يلاحظ أن العبرانيين استعملوا كلمة « عرابة » ( Arabah ) التي قد تسبق بأداة التعريف « ها » ، فيقال « هاعرابة » « Ha 'Arabah » في اللغة العبرانية القديمة ، لتدل على أهل « العربية » الصحراء ، وهو الوادى الممتد من البحر الميت أو من بحر الجليل إلى خليج العقبة<sup>(٢)</sup> . وتعنى الكلمة في الأصل « الجفاف » وحافة الصحراء ، أى معانى لها علاقة بالبداوة . وكان يقيم في هذا الوادى قبائل بدوية شملت كلمة « عرب » . وهذا مما يدل على أن هذه الكلمة كانت تعنى سكان البادية حسب . وان تميم كلمة « العرب » على سكة شبه الجزيرة إنما جاء متأخرا بعد احتكاك العبرانيين بالقبائل التي كانت تقيم في البادية ثم تغلبت على الأقوام التي كانت تتساخم الاسرائيليين احتكاكا مباشرا ، تلك القبائل التي كانت من صميم البادية ، وتألفت من جرثومة العناصر التي كانت تحمل لقب « عرب » . فلما تغلب هذا العنصر على الأقوام الأخرى وعلى سكان المدن والقرى ، أى الحضرة ، واستقر هو نفسه في الأرض وتكونت له السيادة ، تغلب هذا النعت الذى نعت به على غيره ، وصار علما عليه وعليهم ، وعلى بقية سكان البادية وشبه الجزيرة ، فما أقبل القرن الثالث قبل الميلاد حتى صار هذا اللفظ يطلق على ساكن شبه الجزيرة كائنا من كان في الشمال وفي الجنوب عند العبرانيين<sup>(٣)</sup> .

وقد عرف علماء العربية هذه الصلة التي بين كلمة « عرب » و « عرابة » أو « عربية » ، فقالوا : « انهم سموا عربا باسم بلدهم العربات » . وقال اسحاق بن الفرج :

(١) قاموس الكتاب المقدس ٨٨/٢ . السامية ١٦٤ .

Ency. Bibl, P. 271. Hastings, P. 45.

(٢) السامية ١٦٤ . Ency. Bibl, P. 271.

(٣) حتى ٥٣ .



عربة باحة العرب ، وباحة دار أبي الفصاحة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، (١) وقالوا : « وأقامت قريش بعربة فتخت بها وانتشر سائر العرب في جزيرتها ، ففسبوا كلهم الى عربة ؛ لأن أباهم اسماعيل صلى الله عليه وسلم بها نشأ وربل أولاده فيها فكثروا . فلما لم تحملهم البلاد ، انتشروا ، وأقامت قريش بها » (٢) . وقد ذهب بعضهم الى أن عربة من تهامة (٣) . وهذا لا ينفي على كل حال وجود الصلة بين الكلمتين . ونجد في هذه الرواية العربية المتأثرة برواية التوراة وأقوال أهل الكتاب اقرارا بما جاء في التوراة وما أيده علماء العهد القديم بعد ذلك من أن كلمة العرب انما شاعت وانتشرت بعد ضعف الاسماعيليين وتدهورهم وتغلب الأعراب « عرب » عليهم ، حتى صارت مرادفة لكلمة « اسماعيليين » ، ثم تغلبت عليها فصارت تشملهم وبالجملة فان الاسماعيليين كانوا قبائل بدوية كذلك ، وكانت هذه القبائل تقيم في المناطق التي أقامت فيها قبائل « العرب » ، وحيث أن كلمة ( اسماعيليون ) هي أقدم عهدا من كلمة ( عرب ) على ما يظهر من دراسات نصوص التوراة ، فمن الجائز أن تكون كلمة ( عرب ) التي تؤدي معنى كلمة ( اسماعيليين ) قد وصلت الى العبرانيين من الشرق ، أى من الآشوريين والبابليين ، حيث نجد الكلمة قد ظهرت عندهم بعد ورودها في نصوص آشور وبابل التي كانت تمتع قبائل البادية بعرب على نحو ما ذكرت . وبذلك اتصل نسب العرب بالاسماعيليين ، وصاروا يعدون من أبناء اسماعيل .

لم تكن معلومات العبرانيين حسنة عن العرب ، ولم تتكون عندهم فكرة عنهم وعن قوتهم الا بعد ضعف القبائل التي كانت تقاوم العبرانيين وفنائها ، كالاسماعيليين والعماليق « عماليق » والمدنين ، عندئذ تمثلت قوة القبائل العربية المقيمة في البادية في نخيلة العبرانيين ، حيث صاروا يهاجمون العبرانيين ويضغطون عليهم ، فصاروا ينظرون اليهم نظرة عداوة وحقد ، وزادت معارفهم عنهم منذ سنة (٧٠٠) قبل الميلاد فما بعد ، ولهذا السبب وردت فيهم هذه الآيات في التوراة (٤) .

وجاء في « نحيا » : « ولما سمع سنبلط الحوروني وطوبيا العبد العموني وجشم

(١) اللسان ٧٧/٢ ، القاموس المحيط ١٠٢/١ .

(٢) اللسان ٧٦/٢ .

(٣) اللسان ٧٧/٢ .

(٤) Hastings. P. 46.

العربي ، هزأوا بنا واحترقونا ، وقالوا : ما هذا الأمر الذي أتم عاملون ؟ أ على الملك تمردون ؟ (١) . • ويعود تاريخ تدوين هذه الآية الى القرن الخامس قبل الميلاد .  
و «جشم» هو «كشيم» «Geshem» أو «Gashmu» ، ويحتمل أن يكون من «Gushamo» وهو شيخ قبيلة عربية ، أو رئيس من رؤساء العرب الذين كانوا يقيمون في جنوب يهودا ، أو انه كان من العرب الذين أقاموا في السامرة أيام سرجون (٢) .

ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد أخذ النبط يضغطون على الأدوميين ويخرجونهم من أرضهم ، وفي نهاية القرن الرابع كانوا قد استقروا في منطقة «أدوم» واتخذوا «بطرا» «البتراء» عاصمة لهم (٣) . وقد فرق الكتاب الأول من «المكابيين» بينهم وبين العرب . أما الكتاب الثاني ، فقد عددهم من العرب (٤) ، وعد أرض النبط من بلاد العرب ، وأدخل «بولس» الرسول شبه جزيرة سيناء في العربية كذلك (٥) .

وفي التلمود أريد بالعرب الأعراب كذلك ، أي المعنى نفسه الذي ورد في الأسفار القديمة من التوراة ، وجعل (العربي) في بعض المواضع مرادفة لكلمة (اسماعيلي) (٦) . ويغلب على الظن أن كلمة «Orebim» تعني (العرب) ، أو أناسا من العرب كانوا يعيشون في أماكن معينة ؛ إذ لا معنى لتفسيرها بـ «غربان» كما هو المقصود من المعنى اللغوي لهذه الكلمة (٧) .

ولم تعين التلمود ولا المدراس حدود بلاد العرب ومواقعها بالضبط ، بل تحدثنا عن ذلك حديثا عاما دون تخصيص (٨) . ومما يجدر ذكره أن الأوصاف التي ذكرت في هذين المرجعين عن العرب تدل على أنهما كانا يقصدان في الغالب القبائل العربية

(١) نحميا اصحاح ٢ آية ١٩ .

(٢) Hastings. P. 46.

(٣) Hastings. P. 291.

(٤) المكابيين الثاني ٥ ، ٨ . Ency. Bibl. P. 271. Hastings, P. 45.

The Jew. Ency. Vol, 2, P, 41

(٥) رسالة بولس الى أهل غلاطية ، الاصحاح الأول ، آية ١٧ « بل انطلقت الى العربية ثم رجعت أيضا الى دمشق » الاصحاح الرابع ، آية ٢٥ : « لأن جبل سيناء في العربية » رسالة بولس الثانية الى أهل كورنثوس ، آية ٣٢ .

(٦) موعيد قطان ٢٤ أ .

(٧) Hul. 5 a Jew. Ency. Vol, 2, P, 41. القضاة ، اصحاح ٧ ، آية ٢٥ ترجمت

بكلمة «غربان» .

(٨) Jew. Ency. Vol, 2, P, 43. Erubia 19 a.



الشمالية ، كالذى جاء أن قسما من القبائل كانت تساجر بالنفط « Naphtha » وبالجلود (١) .

وقد أكد « التلمود » ما جاء فى التوراة من وجود وشائج قريى بين العرب واليهود (٢) ، والذى يفهم من المواضع التى ورد فيها ذكر العرب فى « التلمود » وفى « المدراش » أن صلات اليهود السياسية بالعرب لم تكن مستقرة ، بل كانت تتبدل ولا سيما بالنسبة للأعراب ، أى على نحو ما ورد فى التوراة .

وأول من ذكر العرب فى آداب اليونان هو « Aeschylus أسكيلوس » (٣) (٤٥٦-٥٢٥ ق م) عند الإشارة الى ضابط عربى اشتهر فى جيش « أحشويرش » (٤) « Xerxes » ، غير أنه لم يكن يعرف عن بلادهم شيئا فتصور أن العربية على مقربة من القفقاس (٤) . ثم تلاه « هيرودتس » (نحو ٤٨٤-٤٢٥ ق م) ، وهو خير من سلفه فى معارفه عن العرب ، وقد قصد بـ « Arabae » شبه جزيرة العرب كلها ، وقد أدخل فيها جزءا من الأرضين المصرية التى هى فى شرقى وادى النيل (٥) .

وقد أطلق « أكسينوفون » لفظة « Arabae » على المنطقة التى حددها نص الملك « داريوس » نفسه ، وذكر أن ملك الفرس كان قد عين حاكما على « فينيقية » و « العربية » ، ويعنى بذلك جنوب سورية ، أى فلسطين والصحراء المتاخمة لها وصحراء بادية الشام (٦) . وكان ملك الفرس قد عين حاكما آخر على سورية وآشور . والذى يفهم من أقوال هذا الكاتب أنه كان يقصد بالعربية بادية الشام ، وخاصة تلك البادية الواسعة التى تتصل حدودها الشرقية بحدود الانبراطورية البارثية الغربية (٧) . وقد أدخل فى تلك المنطقة الصحراء التى فى شرق نهر « الفرات » الفاصلة بين « بابل » و « الجزيرة » (٨) .

(١) Tosefta, Ber, IV, 16. Midrash, Gen. R. IXXXIV, 16. The Jewish Ency. (١)

Vol, 2. P, 43.

(٢) ان العرب واليهود ينتمون الى عنصر واحد . Shab. II a. شبت ١١ أ .

(٣) Ency. Bibl, P, 273. (٤)

(٥) حتى ٥٧ .

(٦) Ency. Bibl, P, 273.

(٧) Ency. Bibl. P, 273. Xenophon, Anab. VII, 8. 25.

(٨) Ency. Bibl, P, 273.

(٩) Xenophon, Anab. I, 5, 1. Ency. Bibl, P, 273, Hastings, P, 46. Xenophon.

Anab. VII, VII, 25.

وقد عرفت هذه المنطقة عند الكتاب السريان باسم « Arab » منذ القرن الثالث للمسيح فما بعد (١) . وهي في الحقيقة موطن القبائل العربية الدائمة منذ عرفت هذه المنطقة (٢) . ويعرف القسم الشرقي ، وهو القسم الخاضع لنفوذ الفرس ، باسم « Beth 'Arabaya » « بيت عربية » أو « باعرباية Ba 'Arabaya » « باعربايا » ومعناها « أرض العرب » ، وقد استعملت هذه الكلمة في المؤلفات اليونانية المتأخرة (٣) . وتدل أقوال الرسول « بولس » على أن شبه جزيرة سيناء داخلية في البلاد العربية ، وقد أدمجت هذه المنطقة بمنطقة الألباط في « إقليم العربية Provincia Arabia » أيام « كورنيليوس بالما Cornelius Palma » حاكم سورية في عام ١٠٥ للميلاد تقريبا (٤) . وقد وردت في جغرافية سترابون كلمة « أرمبي Erembi » ، ومعناها اللغوى الدخول في الأرض أو السكنى في حفر الأرض وكهوفها ، وقد أشار الى غموض هذه الكلمة وما يقصد بها ، أي يقصد بها أهل « طرغلودية Troglodytea » أم العرب ؟ ولكنه ذكر أن هناك من كان يريد بها العرب (٥) ، وأنها قد كانت تعني هذا المعنى عند بعضهم في الأيام المتقدمة ، ومن الجائز أن تكون تحريفا لكلمة « Arabi » فأصبحت بهذا الشكل .

ووردت في الكتب اليونانية كلمة « Saracenes » « Saraceni » وفي اللاتينية « Saracenus » (٦) ، وقد عني بها قبائل عربية كانت تقيم في بادية الشام (٧) ، وفي شبه جزيرة سيناء (٨) ، وفي الصحراء المتصلة بأدوم (٩) . وقد توسع مدلولها بعد

(١) Ency. Bibl. P, 273. Hastings. P, 46.

(٢) Hastings. P, 46.

(٣) Ency. Bibl. P, 273. Schrader, Keilinschr. Und Gesch. S, 100 ff, Delitzsch, wo lag das Paradies ? S, 295.

(٤) Hastings. P, 46. Ency. Bibl. P, 274.

(٥) Strabo, Vol, 3. P, 215.

(٦) Forster, Vol, 2 P, 9 Webster's New International Dictionary of English

Language, Vol, 2 P, 2216. Ency. Brita. Vol, 19 P, 987.

(٧) Ency. Brita. Vol, 19. P, 987.

(٨) Forster, Vol, 2 P, 9 Ptolemy, 5, 16 Ency. Vol, 4. P, 155.

(٩) Forster, Vol, 2. P, 20 f.



الميلاد ، ولا سيما في القرن الرابع والخامس والسادس ، فأطلقت على العرب عامة ، حتى أن كتبة الكنيسة ومؤرخي هذا العصر قلما استعملوا كلمة « عرب » ، في كتبهم مستعيزين عنها بكلمة « Saraceni »<sup>(١)</sup> . وأقدم من ذكرها هو « ديوسقوريدس » « Dioscurides of Anazarbos » الذي عاش في منتصف القرن الأول للميلاد<sup>(٢)</sup> . وشاع استعمالها في القرون الوسطى حيث أطلقها النصارى على جميع العرب ، وأحيانا على جميع المسلمين<sup>(٣)</sup> .

وقد استعملها بعض المؤرخين في القرن الرابع مثل « Eusebius » و « Hieronymus » مرادفة لكلمة « اسماعيليين » « Ishmaelites » الواردة في التوراة الذين كانوا يعيشون في البراري في « قادش » في منطقة برية « فاران » أو مدين حيث جبل « حوريب »<sup>(٤)</sup> ، ويظهر أن هذه القبائل هي التي كان يقال لها « اسماعيليون » ثم قيل لها « هاجريون » « Hagerenes » ثم دعت « Saracenes »<sup>(٥)</sup> .

ولم يذكر الكتبة اليونان والرومان والسريان تعليلا لتسمية « Saraceni » و « Sarakenoi » ولم يلتفت أحد الى تعليل أصله الا بعد النهضة العلمية الأخيرة ، ولذلك اختلف آراؤهم في التعليل ، فزعم بعضهم أنه مركب من « سارة » زوجة ابراهيم ولفظ آخر ربما هو « قين » ، فيكون المعنى « عيد سارة »<sup>(٦)</sup> . وقال آخرون : انه

(١) Ency. Vol, 4 P. 156.

(٢) Ency. Vol, 4. P. 155 Bretzl, Botanische Forschungen des Alexanderzuges. S. 282.

(٣) Ency. Vol, 4. P, 155.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ١/٣٩٥ .

(٥) Ency. Vol, 4. P. 156 Eusebius, ( ed Schoene ) II. 13 = Chron. Pasch., 94, 18.

(٦) الهلال : السنة السادسة ، الجزء الثامن ( ١٥ ديسمبر ) ١٨٩٧ ، ص ٢٩٦ .

Ency. Vol. 4. P, 156. المشرق : السنة السابعة ، الجزء ٧ ، ص ٣٤٠ . حيث رأى « الأب

أنستاس ماري الكرملي » أن « Sarrasins » من « سرحة » وهو مخالف باليمن ، وعلى هذا فهم « السرحيون » . « وسمعتهم يقولون : سراكنو ، سراكنو ، ومعناه المسلمون » رحلة ابن بطوطة ٤٤١/٢ ( طبعة أوربة ) . تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار : تهذيب رحلة ابن بطوطة بقلم أحمد العوامري بك ومحمد أحمد جاد المولى بك . ( بولاق ١٩٣٤ ) ١/٢٨٨ : « قل لهذا السركنو يعنى المسلم » ص ٢٩٣ . وكانت الروم تسمى العرب سارقويوس ، يعنى ذوى سارة بسبب هاجر أم اسماعيل « ابن الاثير : الكامل ١/١١٧ .

مشتق من « سرق » ، فيكون المراد من كلمة « Saraceni » ، « سراكين » ، « السراقين أو السارقين » ، اشارة الى غزو العرب وكثرة سطوهم (١) . أو من « Saraka » ، بمعنى « Sherk » « شرق » (٢) . على أنها مقاطعة تقع شرق أرض النبط . وقال « ونكلر » : أنه من « شرقو » ، وتعني « سكنة الصحراء » ، أو « أولاد الصحراء » . وقد ورد هذا في نص يعود الى أيام « سرجون » (٣) . ويرى آخرون أنه تصحيف « شرقين » ، أو « شارق » ، (٤) على نحو ما يفهم من كلمة « قدموني » ( Qadmoni ) الواردة في التوراة (٥) . بمعنى شرقي أو أبناء الشرق « Bene Kedem » « Bene Qedhem » (٦) ، وكانت تدل خاصة على القبائل التي رجع النسابون العبرانيون نسبها الى « قطورة » (٧) . وان للكلمة علاقة بما يطلق الآن على بعض العرب من اسم « شرقية » أو « شروكية » و « شروك » ، باصطلاح أهل العراق .

وقد مال الى هذا الرأي الأخير أكثر من بحث في هذه التسمية من المستشرقين ، فعندهم أن « سرسيني » ، أو « سركينى » ، أو « Sarakenoi » من « شرق » ، كما أن « Bene Kedem » من « Kedem » العبرانية التي تعني في العربية « الشرق » ، وأن « قدموني » و « Bene Kedem » ترجع عن معنى « Saraceni » تماما (٨) . وان اليونان والرومان استخدموا في لغتهم الاصطلاح الذي استعمله العبرانيون نفسه حينما أطلقوا على القبائل البدوية الاسماعيلية التي كانت تقيم الى شرق « موآب » و « عمون » ، وفلسطين وسكنة بادية الشام « قدمونيين » أي « الشرقيين » ، فأطلقوا عليهم هذا الاسم كما كان ينطق به عند تلك القبائل ، ولكن بشيء من التصحيف ، حتى أصبح بهذا الشكل المذكور (٩) .

(١) الهلال : السنة ٦ ج ٨ (١٨٩٧) ص ٢٩٦ .

(٢) Musil, Deserta, P, 311 Stephen of Byzantium, Ethnica P, 556 ( Meineke )

(٣) Ency. Vol, 4, P, 156 Winckler, Altorient, Forschungen, II, Ser, I, 77-76.

(٤) الهلال : الجزء المذكور ، ص ٢٩٦ . Ency. Vol, 4, P, 156. مجلة لغة العرب :

الجزء ٤ من السنة ٧ (١٩٢٩) ص ٢٩٣ .

(٥) التكوين : اصحاح ١٥ ، آية ١٩ .

(٦) قاموس الكتاب المقدس ٢/٢٠٦ . Hastings, P, 512.

(٧) التكوين ٢٥ ، آية ٦١-٦٠ . Hastings, P, 512.

(٨) Musil, Deserta, P, 494.

(٩) Musil, Deserta, P, 494 ff. Hastings, P, 512, Ency. Bibl, P, 2652.



وأما الذين قالوا انه من « سارقين » أى من « سارة » زوجة ابراهيم ومن « قين » بمعنى « عبد » ، والمعنى هو « عيد سارة » (١) ، فقد تأثروا برواية التوراة . وليس لأصحاب هذا القول أدلة غير هذا التشابه اللفظى الذى نلاحظه بين « سرسينى » وبين « سارة قين » وهو من قبيل المصادفة والتلاعب بالألفاظ ولا شك ، وغير هذه القصة الواردة فى التوراة قصة « سارة » التى لا علاقة لها « بالسرسين » .

قال « فورستر » وقد ورد اسم أرض قيل لها « أرض سارة » وجبال عرفت بجبال « سارة » . جاء فى السفر الخامس من أسفار « المكابيين » ذكر قبائل كثيرة العدد ذائعة الشهرة كانت تسكن فى منطقة تقع بين أرض « سارة » ( Sarah ) وبين أرض قال لها « Hegiaz » (٢) . ويذكرنا هذا الاسم الثانى باسم « الحجاز » . وحيث أن عهد تدوين هذا الكتاب يعود الى القرن الأول للميلاد ، فيكون أقدم اشارة وردت الى اسم الحجاز هى هذه الاشارة الواردة فى سفر المكابيين . ويظهر من وصف موضع أرض « سارة » المذكورة فى « المكابيين » أنه نفس المنطقة التى أشار العهد القديم الى أنها موطن « القدمونيين » وأشارت كتب « الكلاسيكيين » الى أنها أرض « السرسين » . وذكر « بطليموس » اسم موضعين سمي أحدهما « Saracena » « Sarakene » (٣) ، وسمى الآخر « Saraka » (٤) . أما الأول ، فمنطقة تقع فى العربية الحجرية خلف جبال سماها « الجبال السود » ، وتمتد من خليج « فاران » الى « اليهودية » على جانب « مصر » (٥) . وأما الموضع الثانى ، فمكان فى اليمن (٦) . كما ذكر « اسطيفان البيزنطى » « Stephanus Byzantinus » موضعا سماه « Saraka » على أنه فى العربية الحجرية على مقربة من الأنباط ، وسكانه من « السرسينى » (٧) . وجاء فى مؤلف « برديسان » اسم قبيلة عربية سماها « Sarakoya » مع قبيلة أخرى هى قبيلة « طيوية »

(١) لغة العرب ج ٤ من السنة ٧ ص ٢٩٤ .

(٢) Forster, 2, P, 17.

(٣) Forster, 2, P, 13. 15. 17. 19. 20. 22. 30.

(٤) Forster, 2, P, 9. 10. 11. 27. 153. « Saraca » .

(٥) Ency. Vol, 4, P, 155.

(٦) Forster, 2, P, 9. 10. 11. 27.

(٧) Forster, 2, P, 11. 13. 14. 28. Musil, Deserta, P, 491. Stephen of Byzantium

Ethnica ( Meineke ), Vol, 1, P, 556.

«Tayoye»<sup>(١)</sup> وهى قبيلة طيء . وقد اتخذ المستشرقون من تشابه هذه الأسماء مع اسم « Saraceni » و « Sarakenoi » دليلا على اشتقاق التسمية اليونانية اللاتينية من هذه الأسماء .

وأما « Scenite » التى ترد فى الكتب « الكلاسيكية » أيضا ، فانها تعنى سكان الخيام ، وقد أخذت من كلمة « Skene » بمعنى الخيمة فى الاغريقية<sup>(٢)</sup> ، وأطلقت خاصة على أعراب يادية الشام . وذكر « سترابون » أن « Scenitae » كانت نازلة على حدود « سورية » الشرقية<sup>(٣)</sup> ، كما ذكر أنهم كانوا يقيمون فى منطقة تقع شمال « العربية السعيدة »<sup>(٤)</sup> . وهم سكان الخيام<sup>(٥)</sup> . ونجد « سترابون » يفرق فى جغرافيته بين « البدو » وبين « Scenitae » تفرقا ظاهرا ، ويميزهم عن غيرهم بأنهم كانوا سكان خيام<sup>(٦)</sup> . وهذا مما يشير الى أن هذه الكلمة كانت تطلق عنده على سكان الخيام حسب ، حتى انه فرق فى بعض مواضع كتابه بين « Scenitae » وبين « العرب »<sup>(٧)</sup> ، وقال عنهم فى موضع آخر : انهم يمثلون بصورة عامة « بدو » العراق<sup>(٨)</sup> ، وانهم يعتنون بتربية الابل<sup>(٩)</sup> . وتحدث عن ساحل « Maranitae » فقال : انه مأهول بالفلاحين وبـ « Scenitae »<sup>(١٠)</sup> ، ويقصد بهم الأعراب الذين لا يسكنون الا الخيام ويعيشون على تربية الابل ، ويشبه حالهم على ما يفهم من أقوال « سترابون » حالهم الآن

(١) Ency. Vol. 4. P, 156. Kethaba de Namose d'Athrawatha ( ed. Cureton ). P. 6. وص ٢٤ من الترجمة .

(٢) Webster's, New International Dictionary of the English Language. Vol, 2, P, 2233.

(٣) Strabo, XVI, 2 : 2, Vol, 1, P, 63. 196. 441 Vol, 2, P, 219, 252; Vol, 3, P, 160, 166, 185, 190, 204. ( Hamilton ).

(٤) Strabo, Vol, 1, P, 196. أشكر حضرة صاحب المعالى توفيق وهبى على تقديمه طبعة ( Hamilton ) لجغرافية « سترابون » الى وتركها عندى مدة طويلة .

(٥) Strabo, Vol, 1, P, 441.

(٦) Strabo, Vol, 1, P, 441. Vol, 2, P, 219, 252.

(٧) Strabo, Vol, 3, P, 166.

(٨) Strabo, Vol, 3, P, 166. Musil, Palmyrena, P, 209.

(٩) Strabo, Vol, 3, P, 190.

(١٠) Strabo, Vol, 3, P, 204.



حيث يقول أنهم كانوا قد انقسموا الى مشيخات صغيرة . وفي العراق (١) أقامت في مواضع شحيحة المياه ، ويشبه حالها حال القبائل الآن ، وهو أمر يؤسف له ، فلو كانت هذه القبائل قد وحدت كلمتها لما استطاع الفرس أو البيزنطيون أو الدول الأجنبية أن يسيطروا عليهم ، ويضموا الشعب العربي .

وعرف العرب عند الايرانيين والارمين بـ « Taiy » و « Tayayo » ، وهي من اسم « طي » القبيلة العربية الشهيرة ، وكانت هذه القبيلة تسكن على مقربة من الايرانيين ، واحتكت بهم كثيرا ، لذلك صار اسمها يرادف كلمة « عرب » (٢) . وأول اشارة الى هذه القبيلة تعود الى القرن الثالث للميلاد حيث ورد ذكرها مع الـ « Saraceni » على أنها تمثل الاعراب (٣) . وهذه القبيلة هي « Tayoye » التي ذكرت من قبل أن « برديسان » ذكر اسمها مع قبيلة « Sarakoye » .

وأطلق الارميون في العصور النصرانية على العرب « Tayoye » ، ومن هذا الأصل نفسه « طي » ، أخذ العبرانيون كلمة « طيعة » التي أطلقوها في عهد التلمود على العرب (٤) ، ومن هذا الأصل كذلك أخذت كلمة « Tazik » ، « تازك » و « Tashik » و « Tadjik » التي أستعملت في اللغة الفارسية للدلالة على العرب ، وقد أستعملت كلمة « تازي » أخيرا بمعنى « الفرس » أو « الايرانيين » تمييزا لهم عن الاتراك (٥) . ونجد اللغة « الفهلوية » « Pahlawi » قد استخدمت كلمة « تاجك » « Tachik » للدلالة على العرب ، وهي تقابل في الأرمنية « تجك » « Tachik » ، وفي الصينية « تشي » « Tashi » . وقد قيل لسكان آسية الوسطى الذين دخلوا في الاسلام بهذه التسمية (٦) ، فاطلقها الاتراك على المسلمين . ولما كان أكثرهم من الايرانيين ، صارت كلمة « تجك » « Tedgik » تعنى « ايرانيا » في اللغة التركية .

Strabo, Vol, 3. P, 185. (١)

Ency. Vol, 4. P, 598. (٢)

Ency. Vol, 4. P, 598. Cureton, Spicil. Syr., P. 16. Nöldeke, in ZDMG. (٣)

IXIX., 713.

The Uni. Jew. Ency. Vol, 2. P. 43. Margoliouth, P, 57. (٤)

Ency. Vol, 4. P, 598. (٥)

Ency. Vol, 4. P, 598. (٦)

ولكلمة « تازی » في الفارسية معنى « صحراوي » من « تاز » « Taz » بمعنى الأرض المقفرة الحالية ، ولذلك نسب بعضهم كلمة « تازی » الى هذا المعنى فقالوا انها أطلقت على العرب لما اشتهر عنهم بأنهم صحراويون (١) .

ولم ترد كلمة « عرب » في النصوص العربية الجنوبية بمعنى « العرب » ، أي القومية الخاصة التي تشمل أهل الوبر والمدن وجميع سكان شبه الجزيرة . انما ورد في هذه النصوص كلمة هي : « أعرب » بمعنى « أعراب » كالذي ورد : « وأعرب ملك خضرموت » (٢) ، أي « وأعراب ملك خضرموت » (٣) ، « وأعرب ملك سبأ » بمعنى « وأعراب ملك سبأ » (٤) ؛ وكالذي ورد في نص « أبرهة » نائب ملك الحبشة على اليمن (٥) . ففي كل هذه المواضع ومواضع أخرى وردت بمعنى « أعراب » . أما أهل المدن والمتحضرين ، فكانوا يعرفون بمدنهم أو بقبايلهم وكانت مستقرة في الغالب . وقد وردت كلمة « عرب » في النصوص علما لاشخاص (٦) .

وليست لدينا كتابات من النوع الذي يقول له المستشرقون « كتابات عربية شمالية » ، فيها اسم « العرب » ، غير النص الذي يعود الى « امرئ القيس بن عمرو » . وقد ورد فيه « مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التيج وملك الاسدين ونزروا وملوكهم وهرب مذحجو ... » (٧) ، أي « امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم

(١) الرسالة : جزء ٦٥٤ ، سنة ١٩٤٦ ، تعليق بقلم « ح . م . ع » من النجف على كلمة « تاجك » ، وكنت قد كتبت عنها في الرسالة قبل هذا الجزء .

(٢) لما كان المسند لا يعرف الحركات ، صعب علينا قراءة الكلمات قراءة صحيحة ، فتجوز قراءة كلمة « أعراب » مثلا « أعرب » ، وتجوز قراءتها « أعراب » .

(٣) نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها بقلم الدكتور خليل يحيى نامي (ص ٩٢) ، النقش ٧١ ، سطر ٢ . وسأشير اليه بـ نشر .

(٤) نشر (ص ٩٣) نص رقم ٧٢ و ٧٣ .

(٥) Glaser, Zwei Inschriften über den dammbruch Von Marib. S. 33. Ency. Bibl. P, 275.

(٦) نشر (ص ٨٩) نص ٦٩ .  
Ansaldo, Cesare il Yemen, nella Storia.  
e Nella leggenda, Roma 1933. Nr. 17. Ansaldo, 69. Ryckmans. in Le Muséon, Vol. 1, Part. 3 (1937) Nr. 180.

(٧) Ephemeris, 2-35. Nabia, P, 4 Plate. 2. (٧)



الذى حاز التاج ، وملك الأُسديين ونزارا وملوكهم ، وهزم مذحجا . . . . (١) .

ولورود كلمة « العرب » فى هذا النص أهمية كبيرة ، غير أننا لا نستطيع الجزم بأنه قصد من « العرب » المعنى المفهوم من هذه الكلمة الآن ، بل يظهر أنه قصد بها « الأعراب » أى الذين كانوا يتنقلون والذين كانوا يقطنون فى البادية على نحو ما يقوله أهل الحضرة عن أهل الوبر ، حيث يقولون عنهم « عرب » وللواحد « عربى » أى أنه ليس من سكان المدن ، وأنه ليس بحضرى .

ولا يستطيع أحد الجزم بتعيين الوقت الذى استعمل فيه العرب أنفسهم كلمة « العرب » علما عليهم : بدوهم وحضرهم ، على أنه علامة فارقة تميزهم عن بقية الأقسام ، لعدم وجود نصوص مدونة لدينا تبين بجلاء أن العرب حضرهم وبدوهم كانوا يسمون أنفسهم « عربا » ، والنص الوحيد الذى لا يمكن أن يشك فى صحته انسان هو القرآن الكريم ، فهو أول نص فى العربية لا يعلق به غبار الشكوك والظنون استعمل الكلمة علما . ولهذا رأى « د. ه. ملر » أن الرسول هو أول من خصص الكلمة وجعلها علما لقومية سكان شبه الجزيرة (٢) . وهو يشك فى صحة ورود كلمة « عرب » علما لقومية فى الشعر الجاهلى وفى الأخبار المدونة فى الكتب (٣) . غير أن هذا رأى فى نظرى رأى ضعيف لا يستند الى دليل ، اذ كيف تعقل مخاطبة القرآن قوما بهذا المعنى لو لم يكن لهم سابق علم به ؟ وفى الآيات دلالة واضحة على أن القوم كان لهم ادراك لهذا المعنى قبل الاسلام ، وأنهم كانوا ينعتون لسانهم باللسان العربى ، وأنهم كانوا يقولون لللسنة الأخرى ألسنة أعجمية : « أ أعجمى وعربى ؟ قل . هو للذين آمنوا هدى وشفاء » (٤) . « وكذلك أنزلناه حكما عربيا » (٥) . وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا » (٦) . وفى هذه الآيات وآيات أخرى غيرها (٧) دلالة على أن

(١) السامية ١٩٠

(٢) D.H. Müller, in Neue Freie Presse. (1894) 20 the April. Ency. Bibl. P, 274.

(٣) الاغانى ١٠/٩ ، ١٠/١٠ ، ١٤٢/١٠ ، ١٥٦/١٢ « قرى عربيات » « طفلة عربية » شرح

ديوان امرئ القيس للسندوبى ( ص ١٦٧ ) ، ديوان حسان بن ثابت .

(٤) سورة فصلت رقم ٤١ آية ٤٤ .

(٥) سورة الرعد رقم ١٣ آية ٢٧ .

(٦) سورة الاحقاف رقم ٤٦ آية ١٢ .

(٧) سورة يوسف آية ٢ ، سورة طه ١١٣ ، سورة الزمر آية ٢٨ ، سورة

الشورى آية ٧ ، سورة الزخرف آية ٣ .

الجاهليين كانوا يطلقون على لسانهم لسانا عربيا ، وفي ذلك دليل على وجود الحسن بالقومية  
قبيل الاسلام .

وما ذكرناه عن استعمال العرب لكلمة « العرب » علما عليهم يتطبق كذلك على  
العلمية بالنسبة لشبه الجزيرة ، فلم يصل الينا حتى الآن نص ما مكتوب بلهجة من  
لهجات شبه الجزيرة يفهم منه أن الجاهليين كانوا يطلقون على شبه جزيرتهم تسمية  
خاصة ، على حين أن النصوص اليونانية واللاتينية أطلقت على بلاد العرب « العربية » ،  
وقسمتها الى أقسام ثلاثة ، ولا يمكن بالطبع تصور اطلاق الجاهليين على شبه الجزيرة  
اسم « العربية » أو « البلاد العربية » أو « بلاد العرب » أو ما شاكل ذلك من أسماء الا  
إذا تصورنا أنهم كانوا يطلقون على أنفسهم عموما في الشمال والجنوب في الشرق  
والغرب « عربا » .

#### الأقلام العربية :

عرف علماء العربية نوعين من الأقلام التي استعملها عرب قبل الاسلام : القلم  
الذي دون به الوحي وأصبح لهذا السبب أبا للخطوط التي ظهرت وتفرعت في الاسلام ،  
وقلما رسميا للمسلمين . والقلم المسند . غير أننا لا نعرف الأسماء التي كان يطلقها  
الجاهليون ، أو الصحابة من بعد ، على هذين القلمين أو غيرهما مما كان مستعملا في ذلك  
الوقت . وكل ما نعرفه أن العلماء أطلقوا على القلم الأول « القلم العربي » أو « الخط  
العربي » حيناً و « الكتاب العربي » أو « الكتابة العربية » حيناً آخر تمييزاً له عن القلم  
الثاني ، وهو المسند (١) .

ولهم روايات في منشأ الخط العربي الذي دون به الكتاب . وأما في منشأ المسند  
فلا رأى لهم فيه ، وكل ما عرفوه عنه أنه كان خط حمير ، وأنه كان يغاير هذا الخط  
الذي كتب به الوحي ، وإن استعماله كان قاصراً على أهل اليمن . ونستطيع تلخيص  
وجهات نظرهم في منشأ الخط العربي في أمور عدة :

١ - كان منشأ الخط في اليمن ، ثم انتقل منها الى العراق حيث تعلمه أهل الحيرة ،  
ومنهم تعلمه أهل الأنبار ، ومنهم تعلمه جماعة نقلوه الى الحجاز (٢) . فالأصل ، على رأى

(١) الفهرست : ص ٦ فما بعدها .

(٢) روى أنه قبيل لابن عباس : « معاشر قريش ، من أين أخذتم هذا الكتاب العربي  
قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، تجمعون منه ما اجتمع ، وتفرقون منه ما افترق =



هؤلاء ، هو القلم المسند وكان كما يقولون بالغاً مبلغ الاتقان والجودة في دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف (١) .

٢ - كان قلم « الجزم » في نظر بعض العلماء أساس القلم العربي . وقد سمي بالجزم ، لأن « مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدره ، وعامر بن جدرة ، وهم من طيء من « بولان » ، سكنوا الأنبار واجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة وموصولة . فأما مرامر فوضع الصور ، وأما أسلم ففصل ووصل ، وأما عامر فوضع الاعجام (٢) . وقد اقتطع مرامر الحظ من المسند فسمى الجزم ، لأنه جزم أي اقتطع ، ولذلك قيل له الجزم قبل وجود الكوفة ، فتعلمه منهم أهل الأنبار ، وتعلمه منهم أهل الحيرة وسائر عرب العراق ، وتعلمه من أهل الحيرة بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل ، وكان له صحبة بحرب بن أمية لتجارته عندهم في بلاد العراق ، فتعلم حرب منه الكتابة ،

= مثل الألف واللام؟ قال : أخذناه من حرب بن أمية . قيل له : فمن أخذته حرب؟ قال : من عبدالله بن جدعان ، قيل : فمن أخذته ابن جدعان؟ قال : من أهل الأنبار ، قيل : فمن أخذته أهل الأنبار؟ قال : من أهل الحيرة ؛ قيل : فمن أخذته أهل الحيرة؟ قال : من طاري . طراً عليهم من اليمن من كنده . قيل : فمن أخذته ذلك الطاري؟ قال من الحفلجان بن الوهم كاتب الوحي ليهود عليه السلام ! « المزهر ٢/٣٤٩ ، تاريخ الأدب لحفنى ناصف ٦٢-٦١ .

(١) مقدمة ابن خلدون ٣٤٩ : « كان الحظ العربي بالغاً مبالغته من الاحكام والاتقان والجودة في دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف . وهو المسمى بالحظ الحميري ، وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسبة التبابعة في العصبية والمجددين لملك العرب بأرض العراق ، ولم يكن الحظ عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة ، لقصور ما بين الدولتين . وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك . ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش فيما ذكر . يقال ان الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن حرب ، ويقال حرب بن أمية ، وأخذها من أسلم بن سدره » .

(٢) الفهرست ص ٦ : « مرامر اسم رجل من أهل الأنبار يقال انه أول من وضع الهجاء العربي فانتشر في الأنبار ثم في الحيرة ثم في الناس بعد ذلك . قال :

كتبت أباجاد وآل مرامر وسودت أتوابي ولست بكاتب

أباجاد : أي حروف أبجد ، وآل مرامر : أي حروفه التي جمعها . ويقال : ان أول من كتب وجمع حروف الهجاء حمير بخطها المعروف ، ثم فصله رجل من طيء بالحظ العربي . « منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ص ٩٨ .

ثم سافر معه بشر الى مكة فتعلم منه جماعة من أهلها ، فهذا أكثر الكتاب في قریش (١) .  
فهذه الرواية هي كالرواية السابقة ترجع أصل الخط العربي الذي دون به الوحي الى  
العراق ، وترى أن العراقيين تعلموا الكتابة من أهل اليمن وتختلف عن السابقة اختلافا  
يسيرا في الفروع .

٣ - رأى نفر من العلماء أن أهل مكة انما تعلموا الكتابة من أياد أهل العراق ،  
وكانوا يكتبون ، ورووا في ذلك شعرا زعموا أن أمية بن أبي الصلت قائله ، منه :  
قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعا والخط والقلم (٢)  
فهذه الرواية ترجع علم الحجازيين بالكتابة الى العراق كذلك ، ولا تذهب أكثر  
من ذلك .

٤ - أول من وضع الكتاب العربي اسماعيل ، وضعه على لفظه ومنطقه موصولا ،  
حتى فرق بينه ولده هميسع وقيدر (٣) .

٥ - أول من وضع الكتاب العربي نفيس ، ونضر ، وتيماء ، ودومة . هؤلاء ولد  
اسماعيل ، وضعوه مفعلا ، وفرقه قادور بنت ابن هميسع بن قادور (٤) .

٦ - أول من وضع الخط العربي « أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص  
وقرشت » ، وهم قوم من الجبلية الأخرى ، وقيل : انهم بنو المحسن بن جندل بن  
يصعب بن مدين ، وكانوا نزولا مع عدنان بن أد ، فكان « أبجد » ملك مكة وما يليها من  
الحجاز ، و « كلمن » و « سعفص » و « قرشت » ملوكا بمدين ، وقيل : بلاد مضر (٥) ،  
فوضعوا الكتاب على أسمائهم ، ثم وجدوا بعد ذلك حروفا ليست من أسمائهم ، وهي  
الثاء والحاء والذال والظاء والشين والغين فسموها الروادف (٦) . فترجع هذه الرواية  
أصل الخط الى جماعة من أهل مدين ، أى الى شمال الحجاز ، لا العراق .

٧ - هنالك من روى أن نفر الثلاثة من طيء ، وهم : مرامر وأسلم وعامر ،  
انما وضعوا الخط في العربية قياسا على هجاء السريانية (٧) . وهذه النظرية هي أقرب

(١) بلوغ الأرب ٣/٣٦٨ ، المزهر ٢/٣٤٦ .

(٢) بلوغ الأرب ٣/٣٦٩ . (٣) المزهر ٢/٣٤٢ .

(٤) الفهرست ٧ . (٥) المزهر ٢/٣٤٨ .

(٦) الفهرست ٦ ، العقد الفريد ٤/٢٤٢ .

(٧) العقد الفريد ٤/٢٤٢ .



النظريات الى رأى أغلب المستشرقين .

يظهر من هذه الروايات ومن روايات أخرى أن علماء العربية ذهبوا الى أن الخط لم يكن أصيلاً في الحجاز ، وإنما دخله من اليمن أو العراق أو من أرض مدين .  
وأما جمهرة المستشرقين المعاصرين الذين عنوا بدراسة تطور الخطوط السامية ، ومنشأ الخطوط العربية ، فقد رأوا أن الخط العربي الذي دون به القرآن أخذ من خطوط أخرى في زمن غير بعيد من ظهور الاسلام ، ويستدلون على ذلك بأنه لم يوجد من الآثار التي كتبت بهذا الخط قبل الاسلام الا شيء قليل ، لانه كان في أول أطواره ومبدأ نموه ؛ وبأن أغلب حروفه وأشكاله مشابهة لحروف الخط النبطي المتأخر وأشكاله ، وذلك يدل على أن كتابة الخط العربي الشمالي قد اقتبست خطها من الخط النبطي المتأخر الذي كان يستعمله النبط (١) ، وتولد من القلم الارمى المتفرع من الفينيقية على رأى المستشرق « هومل » (٢) . والذي استعمل في « تيماء » وبين النبط الذين كانوا يقيمون في أعلى الحجاز وفي شبه جزيرة سيناء (٣) . وقد حول هذا القلم العربي الأول المقبس من الخط النبطي المتأخر في الاسلام الى الخط المستدير المعروف بالنسخ تميزا له عن الخط الثاني الذي تفرع من ذلك القلم كذلك ، وهو الخط ذو الزوايا المعروف بـ « الكوفي » الذي تطور في الكوفة واستعمل في كتابة القرآن وفي الوثائق الرسمية القديمة وفي الآثار والنقود (٤) . وهناك خطوط أخرى تفرعت من هذا الخط الجاهلي الاسلامي جد الخطوط الاسلامية ، منها الخطوط التي ظهرت في بلاد الحجاز كمكة والمدينة والطائف وعثر المستشرقون على نماذج منها محفورة في الصخور ، وهي نماذج لا بد من دراستها لمعرفة تطورها وعلاقتها بالخطوط الأخرى .

وسند القائلين بهذا الرأى ودليلهم هو عدد من الكتابات عثر عليها السياح ، كتبت بلهجة غير بعيدة عن اللهجة العربية التي نزل بها القرآن ، وبحروف مرتبطة ، وبالقلم النبطي المتأخر الشبيه جدا بأقدم الخطوط العربية ولا سيما الكوفية منها (٥) . وقد استعمل هذا

(١) السامية : ١٩٦ . Ency. Brit, Vol. I, P. 684.

(٢) Grundriss, I. P. 157. (٣) Ency. Brit, Vol. I, P. 684.

(٤) Hitti, P. 70 Grundriss, I. P. 157. Ency. Brita, Vol. I, P. 684.

(٥) السامية : ١٨٩ .

666677	6	7777	7777
888899	8	99	9
11223344	2 3 4	4 4	4 4
556677	6 7	8 8 9 9	8 8 9 9
0011223344	1 2 3 4 5 6	7	8 9 10 11
9999	9 9 9	9 9 9	9 9
1	1 1		
222233	2 2	3	3
44445566		6	6 6
77778899	10 11 12 13	14 15	16 17 18
000011	2 3 4 5		6 7 8
22223344	5 6 7	8 9 10	11 12 13 14
5555667788	9 10 11 12	13 14	15 16 17 18 19
9999	20 21	22 23	24 25 26 27 28
11112233	34 35	36 37	38 39 40 41 42
4444556677	43 44 45 46	47 48	49 50 51 52 53 54
888899	55 56 57 58	59 60	61 62 63 64 65 66 67 68 69 70
111122	71 72	73 74	75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100
3333445566	99 100	101 102	103 104 105 106 107 108 109 110 111 112 113 114 115 116 117 118 119 120 121 122 123 124 125 126 127 128 129 130 131 132 133 134 135 136 137 138 139 140 141 142 143 144 145 146 147 148 149 150 151 152 153 154 155 156 157 158 159 160 161 162 163 164 165 166 167 168 169 170 171 172 173 174 175 176 177 178 179 180 181 182 183 184 185 186 187 188 189 190 191 192 193 194 195 196 197 198 199 200
222233445566778899	201 202 203 204 205 206 207 208 209 210 211 212 213 214 215 216 217 218 219 220 221 222 223 224 225 226 227 228 229 230 231 232 233 234 235 236 237 238 239 240 241 242 243 244 245 246 247 248 249 250 251 252 253 254 255 256 257 258 259 260 261 262 263 264 265 266 267 268 269 270 271 272 273 274 275 276 277 278 279 280 281 282 283 284 285 286 287 288 289 290 291 292 293 294 295 296 297 298 299 300	301 302 303 304 305 306 307 308 309 310 311 312 313 314 315 316 317 318 319 320 321 322 323 324 325 326 327 328 329 330 331 332 333 334 335 336 337 338 339 340 341 342 343 344 345 346 347 348 349 350 351 352 353 354 355 356 357 358 359 360 361 362 363 364 365 366 367 368 369 370 371 372 373 374 375 376 377 378 379 380 381 382 383 384 385 386 387 388 389 390 391 392 393 394 395 396 397 398 399 400	401 402 403 404 405 406 407 408 409 410 411 412 413 414 415 416 417 418 419 420 421 422 423 424 425 426 427 428 429 430 431 432 433 434 435 436 437 438 439 440 441 442 443 444 445 446 447 448 449 450 451 452 453 454 455 456 457 458 459 460 461 462 463 464 465 466 467 468 469 470 471 472 473 474 475 476 477 478 479 480 481 482 483 484 485 486 487 488 489 490 491 492 493 494 495 496 497 498 499 500

٤

٣

٢

١

نماذج من التلمين النبطي المتأخر والقلم العربي القديم  
 يمثل العمود « ١ » نماذج من الحروف العربية المستعملة في القرن  
 الأول للهجرة ويمثل العمود « ٢ » نماذج من حروف كتابتي زبد  
 وحران . وأما العمودان « ٣ » و « ٤ » فيمثلان نماذج من كتابة  
 النمارة وبطرا .



القفا

بمع

نو

و

تظا

الوا

ج

ج

ك

م

ل

ف

ا

القلم في « البتراء » « الرقيم » وفي شبه جزيرة سيناء . ومن مميزاته ارتباط بعض حروفه ببعض وكتابة بعض الحروف في نهاية الكلمة بشكل يختلف عن رسم الحروف التي من نوعها المستعملة في أوائل الكلمة أو أواسطها .

ولهذه الكتابات على قلة عددها أهمية كبيرة لدى العلماء ، لما لها من خصائص ومميزات لغوية تفيد في دراسة تطور اللهجات في شبه جزيرة العرب ، وفي دراسة تطور القلم العربي . وقد تكون مقدمة لعدد آخر من الكتابات المكتوبة بهذا الخط .

وأقدم هذه الكتابات الكتابة التي يقال لها « كتابة أم الجمال » الأولى ويعود تأريخها إلى سنة ٢٥٠ للميلاد . وقد وضعت شاهدا على قبر « فهر بن سلى » مربي « جديمة » جديمة ملك تنوخ « تنوخ » ، وعثر عليها في موضع يقال له « أم الجمال » في جنوب حوران من أعمال شرق الأردن <sup>(١)</sup> . ويعتقد « ليمان » أن تأريخ هذا النقش لا يبعد كثيرا عن تأريخ كتابة أخرى هي كتابة النمارة . ونجد في هذه الكتابة حروفا غير مرتبطة وحروفا مشابهة لبعض حروف الخط الكوفي . وقد كتبت بالارمية ، ومع ذلك فإن لها أهمية لوجود أسماء عربية فيها ولأن القبائل العربية الشمالية كانت تستعمل الارمية في الكتابة <sup>(٢)</sup> .

وتلى كتابة أم الجمال الأولى في الزمن كتابة النمارة ، وقد عثر عليها المستشرق الفرنسي « دوسو M Rene Duasaud » في « النمارة » في الحرة الشرقية من جبل الدروز ، و « النمارة » قصر صغير كان للروم . وجدها على قبر امرى . القيس الأول ابن عمرو ملك العرب المتوفى في يوم ٧ بكسلول من سنة ٢٢٣ . المقابلة لسنة ٣٢٨ للميلاد . وقد دونت سنة الوفاة ، وهي سنة تأريخ الكتابة كذلك وفقا لتقويم « بعمرى » .

(١) السامية : ١٣٩ « سنة ٢٧٠م » خليل يحيى نامى : نشر نقوش سامية قديمة من

جنوب بلاد العرب وشرحها ( ص : ١٢٠ )

De Vogué, Syrie Centrale, Inscriptions Sémitiques, Pl. 15. 11.

(٢) السامية : ١٤٠ مجلة سومر م ٣ ج ١ ، كانون الثاني ١٩٤٧ ، ص ١٣٠ ،

Nabia, 4, Littmann, Nabataen Inscriptions From the Southern Hauran. ( Princeton University expeditions to Syria, in 1904-1905 and 1909 ), pp. 37-40. Cantineau, Nabatéen et Arabe ( Institut d'études Orientales, Annales I. 1934-1935 ) P. 72-79.



«Bostra»<sup>(١)</sup> ، وهو التقويم الذي كان يستعمله عرب هذه الاطراف ونبطها . وتعد هذه الكتابة اول كتابة وأقدم كتابة عثر عليها حتى الآن مدونة باللهجة العربية الشمالية القريبة من لهجة القرآن ، وان كتبت بالقلم النبطي المتأخر وبأسلوب متأثر بالارمية<sup>(٢)</sup> . وعثر على كتابة في خرائب « زبد » بين قنسرين ونهر الفرات جنوب شرقي حلب ، كتبت بثلاث لغات : اليونانية والسريانية والعربية ، يرجع تأريخها الى سنة (٥١٢) للميلاد (٨٢٣ للتقويم السلوقي)<sup>(٣)</sup> . والمهم عندنا هو النص العربي ، ولا سيما قلمه العربي . أما من حيث مادته اللغوية ، فان أكثر ما ورد فيه أسماء الرجال الذين سعوا في بناء الكنيسة التي وضعت فيها الكتابة<sup>(٤)</sup> . وقد قرأ العالم « Lidzbarsky » الكلمة الأولى منه « بسم » أما الكلمة الثانية فهي « الآله » ، فأصبح مطلع النص : « بسم الآله » فإذا كانت القراءة هذه صحيحة ، تكون لكلمة « بسم الآله » أهمية كبيرة في موضوع الفكرة الدينية . أما العالم « ليمان » ، فقد قرأ الكلمة الأولى منه « بنصر » ، فتكون فاتحة النص : « بنصر الآله »<sup>(٥)</sup> . وهذا النص العربي لا يخلو من الأثر الارمي فيه . وعثر المستشرقون في حران اللجا في المنطقة الشمالية من جبل الدروز على كتابة أخرى مدونة باليونانية والعربية قيل لها « نقش حران » ، وقد وضعت فوق باب كنيسة ، وصاحبها « شرحيل بن ظلمو » « ظالم » ، ويعود تأريخ الكتابة الى عام « ٤٦٣ » من « الأندطية الأولى » ، وتقابل سنة (٥٦٨) للميلاد<sup>(٦)</sup> . أما النص العربي ، فقد

(١) Fritz Hommel, Grundriss der Geographie Und Geschichte des alten Orients. München 1904. Vol. I. P. 155.

وسأشير اليه بـ Grund

Dussaud, Les Arabes en Syrie. PP. 34-35 Nabia. P. 4.

Grund. I. P. 155. Revue Archéologique, 31 Série, XLI (1911, 11). P. (٢)

#### 411.

Grund. I. P. 156. Edward Sachau, Eine dreisprachige Inschrift aus Zebed : Monatsbericht der Preussische Akademi der Wissenschaften. Berlin 10Febe. 1881. S. 169-190. zur Trilinguis Zebedaea : ZDMG. 36 (1882). S. 345-352.

Lidzbarsky, Handbuch der Nordsemit. Epigraphik. ١٩١ : السامية (٤) Weimar, 1898. P. 484. Ephemeris, Giessen, 1902. Vol. 2. P. 35.

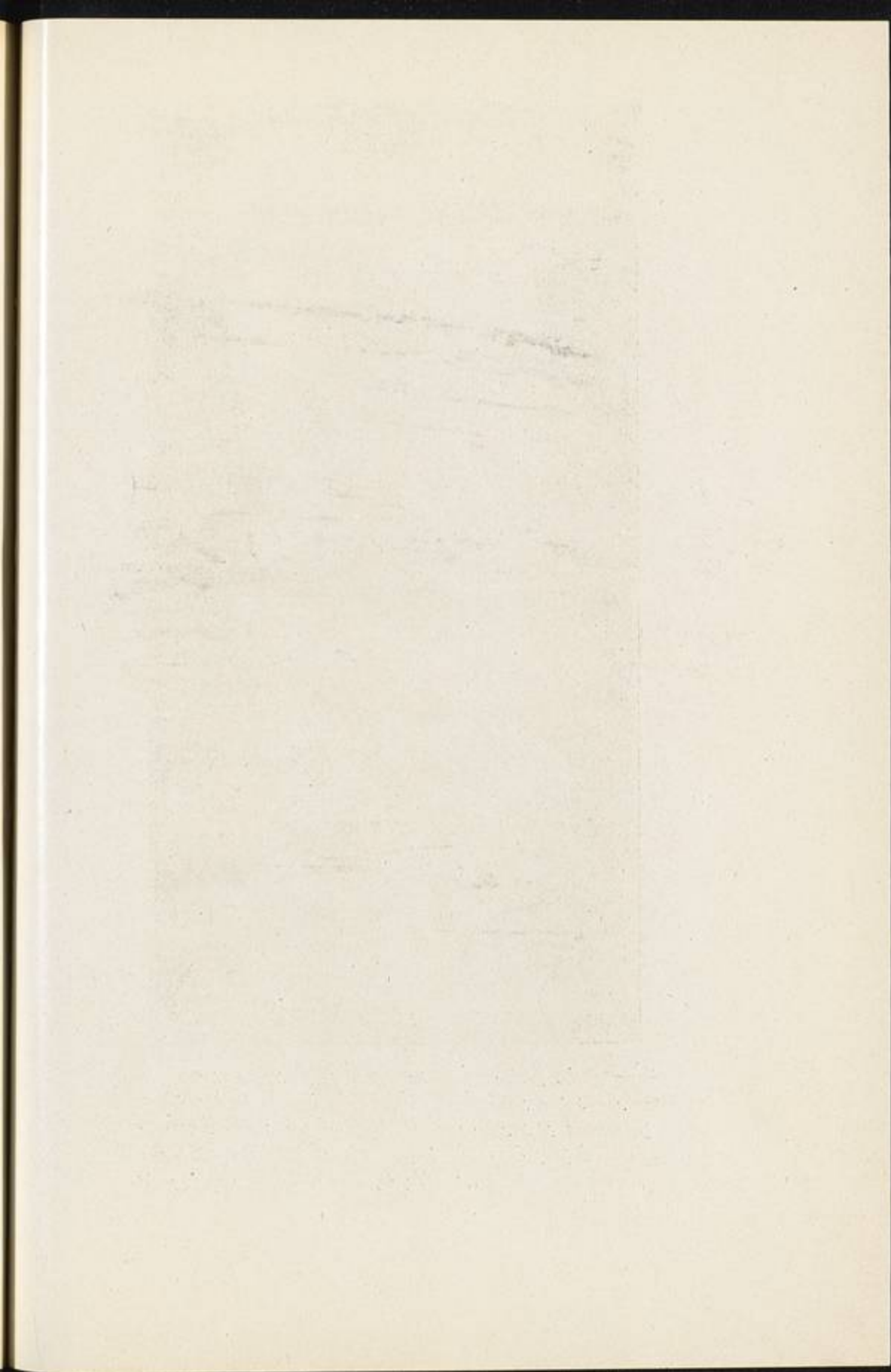
Anno Littmann, in Rivista degli Studi Orientali. ١٩١ : السامية (٥) 1911. P. 195.

Nabia, P. 5. Dussaud, Mission. PP. 324. Grund, P. 156. السامية ١٩٢ (٦) Schröder in ZDMG. 38. (1884) PP. 530.



صورة حجر كتب عليه « صور ونفس عجلم بن سعدلت  
 « لات » قرين ولقمعن عشر شرقن ذي خرشنهو » . ويظهر أنه  
 من أحجار القبور ، وقد توصل صاحب القبر وهو « عجلم بن  
 سعدلات » الى الآله عشر شرقن الشارق بانزال العقاب  
 على من يغيره عن مكانه ويصيبه بأذى .





أرخ بسنة ٤٦٣ أيضا ، وأضيف الى هذا التاريخ عبارة « بعد مفسد خير بعم » بعام « ، ومعنى هذا أن حدثا تاريخيا كان قد وقع قبل هذا التاريخ بسنة صار الناس هناك يؤرخون به ، فأرخ النص العربي به • ويرى « ليمان » أن ذلك يعنى وقوع غزو على « خير » ربما قام به أحد ملوك عسان (١) •

وتعد الكتابة التى عثر عليها فى موضع « أم الجمال » وقيل لها كتابة « أم الجمال الثانية » تفريقا لها عن كتابة أم الجمال الأولى أحدث ما عثر عليه من كتابات بهذا القلم الذى نتحدث عنه ، وباللهجة الشمالية القريبة من لهجة القرآن • وهى لا تحمل تاريخا • غير أن من عالج أمرها من المستشرقين يرى أنها تعود الى القرن السادس للميلاد (٢) ، ولغتها قريبة من اللغة العربية المعروفة ، كما أنها متحررة عن النبطية والارمية الى حد كبير •

وعثر فى اليمن على بعض كتابات نبطية لعلها من آثار التجار النبط الذين كانوا يذهبون الى اليمن بقصد التجارة ، ولا سيما فى القرنين الأولين للميلاد ، حيث أصبح لهم نفوذ واسع فى الأسواق التجارية ، وصاروا يقومون بنقل تجارة الهند وبلاد العرب الجنوبية الى مصر والشام وحوض البحر المتوسط ، ويستعملون خطهم فى تدوين أعمالهم التجارية فبسبب انتشاره بين العرب الذين كانوا فى الحجاز وفى الأقسام الشمالية من شبه جزيرة العرب ، وبين عرب الشام والعراق ، ولوحظ ان احدى هذه الكتابات كتبت بالقلم النبطى المتأخر الذى يشبه القلم الذى استعمل فى نقش « فهر بن سلى » (٣) • ومن الجائز أن يكون صاحب هذه الكتابة من النبط الذين استوطنوا اليمن ، كما أن من الجائز أيضا أن يكون من اليمانيين الذين تعلموا الكتابة بهذا القلم الذى أخذ ينتشر بعد الميلاد ، لأنه أسهل فى الاستعمال من المسند الذى يحتاج الى دقة فى الرسم • غير أن العلماء لم يتمكنوا من العثور على عدد كاف من الكتابات المدونة بهذا القلم ، تكفى لاصدار حكم علمى عن وقت دخول الخط النبطى المتأخر الى اليمن ومدى انتشاره بين الناس • ولما كان القلم النبطى المتأخر قد ظهر بعد الميلاد على رأى أكثر العلماء ، يكون هذا الخط قد

(١) A. Littmann, in Rivista degli Studi Orientali 1911, P. 195. السامية : ١٩٢.

(٢) Nabia, P. 5, Pl. 15. Littmann, in Zeitschrift für Semitistik Und Verwandte Gebiete ( Leipzig. 1922 ), VII, 197-204.

(٣) نشر نقوش ص ١٢٠ •



وصل الى اليمن بعد الميلاد بالطبع بالاتصال التجارى والقوافل التى كانت تقوم برحلاتها بين اليمن والشام مارة بمناطق نبطية كتبت بهذا الخط وبواسطة النصرانية التى وجدت لها سبيلا الى اليمن .

أما المسند ، فقد اشتهر عند علماء العربية بأنه خط حمير ، ولذلك قال له بعضهم « الخط الحميرى » ، و « القلم الحميرى » (١) ، كما قال له المستشرقون فيما بعد . وهى تسمية مغلوطة على كل حال ؛ لأن الحميريين لم يكونوا أول من أوجد هذا الخط ، لقد سبقهم فى استخدامه السبثيون والمعينون وأقوام عربية أخرى ، وربما استخدمته شعوب أخرى أقدم من هذه عهدا . قال ابن خلدون فى مقدمته : « كان حمير كتابة تسمى المسند ، حروفها منفصلة ، وكانوا يمنعون من تعلمها الا باذنهم . ومن حمير تعلمت مضر الكتابة العربية » (٢) . وقد بقيت جماعة من اليمن تكتب بهذا الخط وهى فى الاسلام (٣) .

والمسند من الأقلام العتيقة ، وهو أعتق من القلم النبطى المتأخر وهو أقدم الأقلام التى عرفت فى شبه جزيرة العرب حتى الآن . وقد أظهرت الاكتشافات الحديثة ، ان النظرية القديمة التى كانت ترى أن استعمال القلم الحميرى كان قاصرا على اليمن حسب ، لم تكن صحيحة ، وانه على العكس كان مستعملا فى مناطق نائية بعيدة عن اليمن . بل لقد تجاوز حدود بلاد العرب قبل المسيح ، فعبّر الى مصر ، حيث عثر فى موضع « قصر البنات » على طريق « فنا » على كتابات بهذا القلم (٤) ، كما عثر على كتابة بهذا القلم كذلك بالجزيرة كتبت « فى السنة الثانية والعشرين من حكم بطلميوس بن بطلميوس » ، وهى ليست بعد سنة (٢٦١) قبل الميلاد بأى حال من الأحوال (٥) . وعثر على كتابات

(١) « القلم الحميرى » الفهرست (ص ٨) ، مقدمة ابن خلدون (ص ٣٤٩) .

(٢) مقدمة ابن خلدون (٣٤٩) .

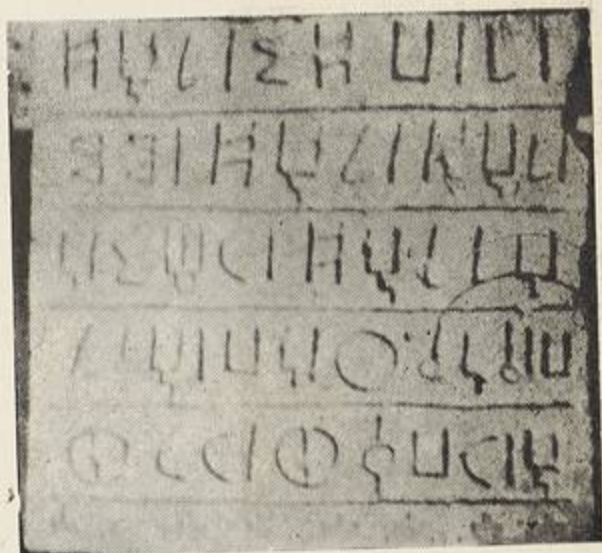
(٣) لسان العرب ٢٠٦/٤ .

(٤) Le Muséon, LXII, 1-2 (1949) P. 56 M.A.S. Tritton, Nous Signale deux

Graffites Publés par A.E.P. Weigall, Travels in the Upper Egyptian Deserts, London and Edinbourg. 1909. Pl. IV, fig. 13 et 14. H. A. Winckler. Rock Drawings of Southern — Upper Egypt. 1. London 1928. Site 1, P. 4. Ryckmans, in Le Muséon, XLVIII. (1935). P. 228-229. J. Leibovich, Les inscriptions Protosinaitiques, Le Caire 1934.

Boasor. Number 73. February 1939. "The Place of the Minaeans in the (٥)

history of Pre — Islamic Arabia" by F.V. Winnett, P. 7.



شاهد قبر رجل اسمه « ايليا » اهدانيه السيد حمد الجاسر





تمثال عثر عليه في الأحساء . هدية السيد حمد الجاسر

بالمسند في جزيرة « ديلوس » ( Delos ) من جزر اليونان (١) .

ولا يمكن تصور وجود هذه الكتابات في هذه الجزيرة البعيدة ، لو لم تكن هناك صلات بين شبه جزيرة العرب وبين اليونان . ولعل الأيام تكشف عن نصوص أخرى في أماكن حول البحر المتوسط أبعد من جزيرة « ديلوس » ترينا كيف أن النظرية القديمة التي وضعت جزيرة العرب في عزلة عن العالم لم تكن تستند إلى علم .

وذكر السائح الانكليزي « لوفتس William Kennett Loftus » أنه لاحظ فجوة في « وركاء Uruk » في العراق ، فبحث فيها ، فبين له أنها كانت قبرا وجد في داخله حجر مكتوب بالمسند ، فيه : ان هذا قبر « هنتسر بن عيسو بن هنتسر » (٢) .

ولهذه الكتابة المدونة بالمسند ، أهمية كبيرة جدا ؛ لأنها أول كتابة وجدت بهذا الخط في العراق . وهي تشير إلى الروابط الثقافية التي كانت بين اليمن والعراق ، وإلى وجود أشخاص في هذا المكان كانوا يستعملون المسند ، سواء أكانوا عراقيين أم يمانين . أما في الحجاز ، فلم تعرف الروايات العربية أنه كان يستعمل المسند استعمال حمير وأسلاف الحميريين ، وأنه كان قلم الحجازيين قبل الميلاد . وقد وصل هذا القلم إلى فلسطين وربما وصل إلى الشام ، فقد عثرت بعثة علمية قامت بأعمال الحفر في ميناء « عسيون جابر Ezion Geber » (٣) على جزار عليها كتابات بحروف المسند رأى بعض العلماء أنها معينة ، تفصح عن الأثر العربي في هذا الميناء المهم الذي حاول سليمان أن يجعله ميناء إسرائيل على البحر الأحمر .

(١) الجزء نفسه ( ص ٧ ) .

(٢) Travels and Researches in Chaldaea and Susiana, by William Kennett Loftus, London. MDCCCLVII, P. 233.

أشكر الأستاذ الفاضل السيد يعقوب سر كيس الذي تفضل فأعارني هذا الكتاب .  
Corpus Inscriptionum Semiticarum, IV, as No.699.

(٣) Ency. Bibl. P, 1472 ( Ezion Gaber ) Boasor, Number 75, October 1939.

« The Second Campaign at Tell — El Kheleifeh Ezion — Geber : Elath » by, Nelson Gluek, P. 19, Number, 71, PP. 15, Revue Biblique XLVIII, 1939, PP. 247.

Asia, May, 1939, P. 294. لم يعين موضع المكان بالضبط ولا يبعد كثيرا عن « أيلة Elath » على خليج العقبة ومنهم من يظن أنها كانت عند « عين الغديان » التي هي على بعد عشرة أميال من البحر في قعر « وادي العربية » . وكان « خليج العقبة » على ما يظن بعض العلماء يمتد قديما إلى هذا الموضع . قاموس الكتاب المقدس (١٠٦/٢) .



وكشفت العروض ونجد وأماكن أخرى في جنوب نجد عن سر كان العلماء يبحثون عنه في شوق ، فقدمت للعلماء عددا من الكتابات المدونة بالمسند ، وبذلك ثبت عمليا أن « المسند » كان معروفا قبل الاسلام في كل شبه جزيرة العرب ، وربما كان القلم العام للعرب قبل المسيح ، أي قبل ظهور أقلام أخرى ولدت على ما يظن بعد الميلاد .

ففي سنة ١٩١١ للميلاد عثر « الكابتن شكسبير Cap. W. H. Shakespear »<sup>(١)</sup> على كتابتين بالمسند في موضع « حنا »<sup>(٢)</sup> وفي خرائب « نج » « نأج » التي تبعد خمسين ميلا تقريبا عن ساحل الخليج وزهاء مئة ميل من شمال غربي القطيف<sup>(٣)</sup> . وقد نشر ترجمة الكتابتين المستشرق « ماركليوث »<sup>(٤)</sup> . وعثر بعد ذلك على كتابة أخرى في موضع « نج » « نأج »<sup>(٥)</sup> دخلت في ملك أمير الكويت ، وقد نشر ترجمتها « ركنم Ryckman »<sup>(٦)</sup> وهي حجر قبر لشخص من قبيلة « شذب » . وعثر على كتابة أخرى في هذا الموضع ، وقد بلغ عدد ما عثر عليه في هذا المكان أربع كتابات<sup>(٧)</sup> .

(١) Boasor, 102 (1946) P. 4.

(٢) « حنا : لعل صوابها « الحناة » - واحدة الحناة بتسهيل الهمزة كما هي عادة عرب هذا الزمان في الكلمات المهموزة . والحناة : موضع يقع غرب بلدة الجبيل - المعروفة قديما باسم « عينين » الواقعة على البحر الشرقي « الخليج الفارسي » . وتبعد الحناة عن الجبيل ٨٣ كيلومترا - وتقع على ممر الطريق منه ومن الظهران والأحساء . ولئن يقصد الكويت أو العراق أو نجدا . كتاب من السيد حمد الجاسر تأريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ . « عينين » . البلدان ٢٥٨/٦ .

(٣) « نأج ( بالجيم ) : قال الغوري : يهمز ولا يهمز عين من البحرين على ليال . وقال محمد بن ادريس اليمامي نأج قرية بالبحرين « البلدان ٢/٣ . « نج » هي « نأج » وهي التي وردت في الشعر العربي القديم وفي ياقوت مهموزة . ولكن العرب في هذا العهد لا يهمزونها . ونأج : موضع فيه سكان وزروع قليلة ، يقع بقرب الحناة في الجنوب الغربي منها بمسافة لا تتجاوز عشرة كيلومترات . كتاب من السيد حمد الجاسر تأريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ .

(٤) Douglas Carruthers, « Captain Shakespear's last Journey » in The Geographical Journal, LIX (1922), 321-323. Corpus Inscriptionum Semiticarum, Nos. 984-985.

(٥) « نأج : قرية بالبحرين » البكري : معجم ما استعجم ١/٣٣٣ ( طبعة مصطفى

السقا ) .

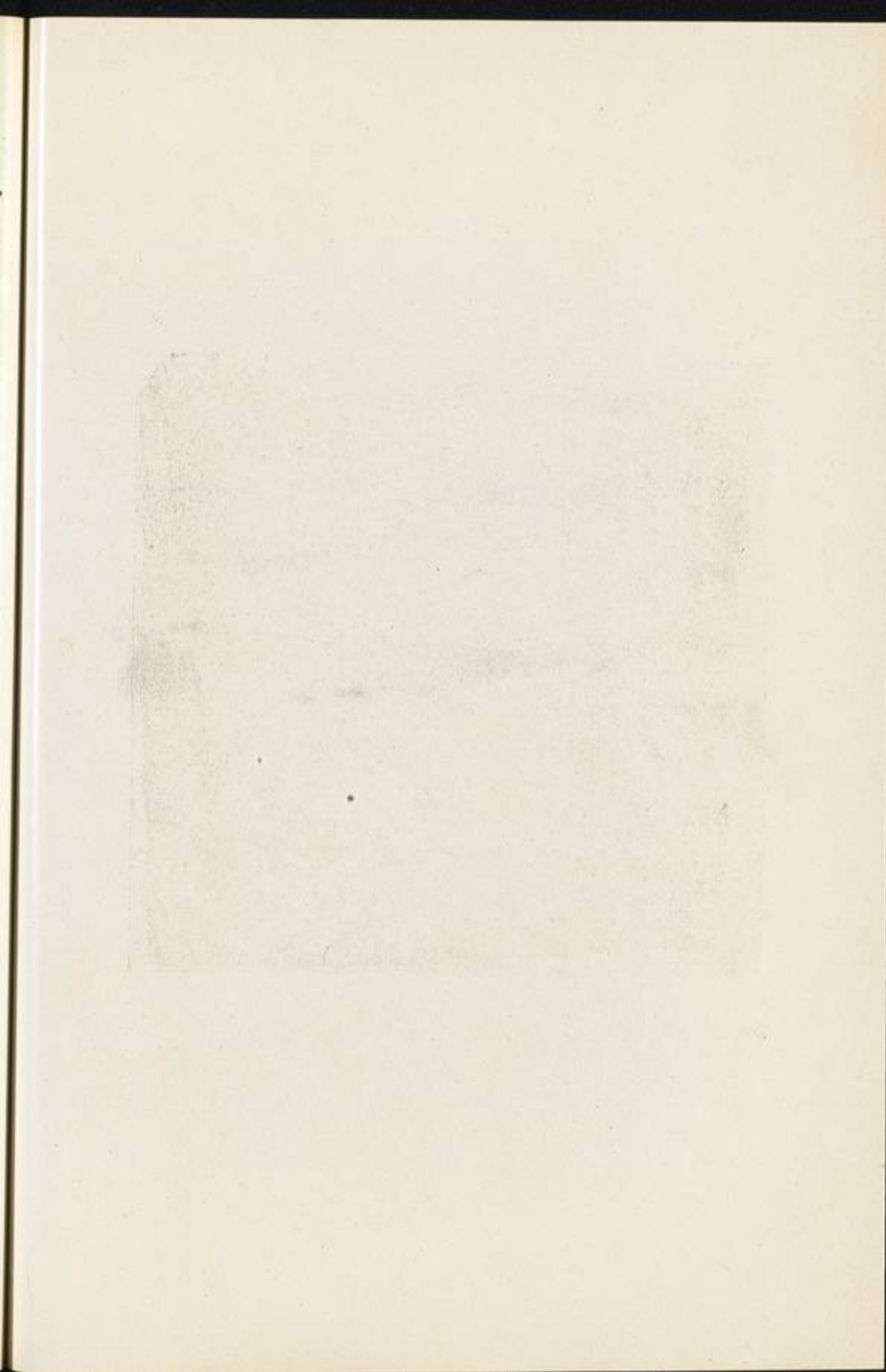
Ryckman, in Le Muséon, L. P. 239 f. Ry. 155. (٦)

Le Muséon, Vol, L. P. 237. 2 Ry. 155. (٧)



صورة فلاح يحراث ، وقد كتب على أعلاها : « نصب يحمى قشفتنقن  
وخرت واخل » .





وعثر عمال شركة البترول العربية السعودية الأمريكية « أرمكو » في أثناء الحفر على مقربة من « عين جوان » « جون » (١) عام ١٩٤٥ للميلاد على حجر مكتوب تكسرت بعض أطرافه بالمعاول قبل معرفته ، اتضح بعد أنه حجر قبر لامرأة يقال لها « جشم بنت عمرت » « عمرة » بن تحيو من أسرة « عور » ( آل عور ) من قبيلة « شذب » (٢) .

واستخرج « كورنول P. B. Cornwall » لوحا مكتوبا بالمسند كان مدفونا في أحد بساتين القطيف ، دفنه أصحاب البستان ، وقد ذكر أنه نقل من جزيرة « تاروت » أو من موضع لا يبعد كثيرا عن القطيف ، وقد وجد أن هذا اللوح هو مثل الألواح التي عثر عليها قبلا ، شاهد قبر ، وضع على قبر رجل يقال له « ايلبا بن عيني بن شصر من أسرة سسم من عشيرة ذال من قبيلة شذب » (٣) ، ويرى بعض المستشرقين أن صاحب القبر كان نصرانيا ، عاش في القرن الخامس أو السادس للميلاد .

وعثر على شاهد قبر آخر مدون بالمسند ، هو شاهد قبر « شبا م بنت صحار بن عنهل بن صامت » من قبيلة « يدعب » ، وجد على مقربة من القطيف (٤) . و « يدعب » بطن من بطون قبيلة « شذب » . ويظهر أن قبيلة « شذب » كانت من القبائل المعروفة في العروض ، وكانت ذات عدد من البطون ، ولا تحمل الكتابة تاريخا ، ويرى الذين درسوها أنها تعود الى القرن السادس للميلاد . وأما الرقم الذي ذكر في نهاية النص وهو رقم (٩٠) ، فالظاهر أنه يشير الى عمر صاحبة القبر (٥) .

هذا ما عثر عليه من كتابات بالمسند في العروض . وأما في أواسط شبه الجزيرة وفي داخلها وفي الأماكن التي لم يكن يتصور العثور فيها على أثر لحضارة ، فقد عثر

---

(١) « عين جوان - الصواب جاوان » . وتقع جاوان في داخل الرأس المعروف حديثا باسم « رأس تنورة » في الجهة الشمالية منه على ساحل البحر ، بعد مدخل الرأس ببضعة كيلومترات . وكانت عينه تسقى نخيلا وزروعا ولكن ماؤها قل ، حتى زالت مزروعاتها . كتاب من السيد حمد الجاسر تاريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ م .

(٢) Boasor. Number. 102. April 1946. P. 4. « A Himjaritic Inscription from the Persian Gulf Region » by F. V. Winnett, Boasor. Supplementary Studies Nos. 7-9. « The Early Arabian Necropolis of Ain Jawan » by Richard Lebaron Gulf, 1950. Geographical Journal. Vol. CVII. 1-2. 1946. « Ancient Arabia : (٣) explorations in Hasa, 1940-1941. By. P. B. Cornwall. P. 44. »

(٤) Geogr. Jour. CVII, 1-2. (1946) P. 45. (٥) المصدر نفسه .



فيها على كتابات بهذا القلم كذلك ، ولهذه الكتابات أهمية كبيرة ؛ لأنها أول وثيقة تاريخية لا يتطرق إليها الشك ، ترد إلينا عن هذه المناطق التي لم يرد لها ذكر مفصل عند المؤرخين السابقين ، ولأنها أول دليل عملي يثبت انتشار هذا الخط في أواسط شبه الجزيرة . عثر « فلبى » في هذه المناطق على فخار وآثار أرسلها إلى المتحف البريطاني ظهر أنها تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد ويظن من فحصها أنها من آثار السبئيين (١) . وأظن أنها غير سبئية ؛ لأن لهجتها لهجة أخرى تختلف عن لهجة السبئيين كما عثر على كتابات وصور ، وبقايا مقابر وعظام . وقد صور « فلبى » بعض الكتابات ، وصور بعضا آخر رجال شركة البترول العربية السعودية الأمريكية الذين وصلوا إلى هذه المواضع للبحث عن البترول . وقد وصلت تصاوير عدد منها إلى العلماء فنشروا نصوصها وترجماتها ، مثل كتابات « القرية » أو « قرية الفأو » التي سبق أن تحدثت عنها (٢) . وقد وجد اسم الصنم « ود » مكتوبا بحروف كبيرة بين تلك الكتابات (٣) ، وحيث أن هذه الكنوز الثمينة إنما عثر عليها ظاهرة على سطح الأرض ، وحيث أنها لم تفحص الكهوف فحصا دقيقا ، ولم تنظف من الأثرية والرمال التي في داخلها ، فإننا نأمل العثور على أشياء ثمينة ذات بال بالنسبة للتأريخ الجاهلي إذا اهتمت الحكومة العربية السعودية بهذا الأمر ، وقامت بتجهيز بعثة علمية من المتخصصين بالأثرية العربية ، أو سهلت للعلماء وللبعثات سبل الوصول إليها ، وحافظت على تلك الآثار من التلف وعبت العابئين . ووجد « فلبى » كهوفا ومقابر في مواضع أخرى من « وادي الفأو » ، وقد وجدت حيطان بعض الكهوف « سردب » « سرادب » مكسوة بالكتابات و « الوسم » والتصاوير المحفورة . ويظهر أن أبنية ضخمة كانت في هذه الأماكن (٤) .

وعثرت شركة « أرمكو » على رأس نحت من الحجر في « القرية » كتب عليه بالمسند أنه ( ثار ونفس علزان « علزن » بن قلزان « قلزن » غلونيان « غلونين » ) (٥) ،

Geogr. Jour. CXIII, (1949) P. 21. « A Further Journey across the Empty Quarter » by, W. Thesiger. (١)

(٢) المصدر نفسه ص ٩١ .

Geogr. Jour. CXIII (1949). P. 91. (٣)

Geogr. Jour. CXIII (1949). P. 90-91 Le Muséon. LXII, 1-2 (1949) (٤)  
P. 87 ff.

Le Muséon. LXII, 1-2 (1949). P. 87-88 Philby — Qariya 1. Philby 221 a. (٥)

أى « صورة وقبر عزان بن قززان الغلوني » . كما وجدت كتابات بهذا القلم عند جبل عبيد وفي حصن ناطق وفي شمال موضع « خشم كمدة » على مسافة « ١٠٠ » كيلومتر من شمال قرية الفاو في وادي الدواسر (١) ، وفي « وادي هبن » (٢) على (١٢٠) ميلا شمال شرقي عدن (٣) ، وفي « عين قرية » على (٣٠) ميلا تقريبا من شمال « زفر » وفي « منخلى » في جنوب خشم العرض حيث يعتقد البدو أن هذا الموضع هو بئر من آبار عاد (٤) .

لم يفسر علماء العربية سبب تسمية « المسند » مسندا ، وقد قرأت لاسرائيل ولفنسون تعليلا لتسمية هذا القلم مسندا ، فقال : « والحظ المسند يميل الى رسم الحروف رسما دقيقا مستقيما على هيئة الأعمدة . فالحروف عندهم على شكل العمارة التي تستند الى أعمدة . وعلى العموم فإن الحضارة جنوب بلاد العرب عقلية تنحو نحو الأعمدة في عمارة القصور والمعابد والأسوار والسدود وأبواب المدن .

من أجل ذلك يوجد عندهم ميل شديد لايجاد حروف على هيئة الأعمدة ، أى أن الحروف كلها عبارة عن خطوط تستند الى أعمدة . وقد تنبه علماء المسلمين الى شكل هذه الكتابات وأطلقوا عليها لفظ المسند ؛ لأن حروفها ترسم على هيئة خطوط مستندة الى أعمدة » (٥) .

وهو رأى سبقه اليه « ليدزبارسكى Lidzbarski » اذ أشار الى أثر العمارة والأعمدة في شكل هندسة حروف الخط المسند (٦) . وهو تفسير يشبه تفاسير الأخباريين واللغويين للأسماء والأعلام التي لا يعرفون من أمرها شيئا ، فيلجأون الى الخيال لابتكر لهم سببا وتعليلا يناسب الكلمة ، ويتصورون عندئذ أنهم قد أوجدوا السبب ، وأن من يأتي بعدهم سيكتفى بذلك ويأخذ به .

Le Muséon, LXII, 1-2 (1949). PP. 99 Philby — Wadi Dawasir, 1. (١)

(٢) هكذا ورد في مجلة « Haban » Le Muséon بدون نقطة أو علامة تحت حرف « H » تدل على أنه « حا » ، ولعل الكلمة « الحبن » وهو موضع ذكره الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص ٦٨) .

Le Muséon, LXII, 1-2 (1949). P. 103. (٣)

Geogr. Journ, CXIII (1949) P. 31. 34. (٤)

(٥) تاريخ اللغات السامية (٢٤٣-٢٤٤) .

Hommel, Grundriss, Erste Hälfte, P, 146. Lidzbarski Ephemeris, 1, (٦) S, 114 ff.



وكذلك كوت كلمة « المسند » فى مخيلة « اسرائيل ولفنسون » ولدى المستشرق « M Lidzbarski » فكرة استناد خطوط الحروف وقيامها بعضها الى بعض استناد المباني ، وقد وجدا من مباني اليمن وقصورها ما قوى هذا الخيال عندهما ، مع أن كلمة « المسند » التى تطلق فى المؤلفات العربية الاسلامية على خط أهل اليمن قبل الاسلام لا علاقة لها بالقصور والمباني واستناد أجزاء الحرف الواحد بعضها الى بعض . وانما تعنى شيئا آخر ، تعنى خط « حمير » لا أكثر ولا أقل . وكلمة « مسند » فى العربية الجنوبية تعنى « الكتابة » مطلقا ، وقد وردت فى مواضع متعددة من الكتابات والنقوش ، فورد مثلا « سطر واذان مسندان » « سطر وذن مسندن » ، وترجمتها : « سطر واذان هذه الكتابة » (١) ، وتؤدى كلمة « سطر و » المعنى نفسه الذى يرد فى لغتنا ، وهو : « سطر و » (٢) . وأما « ذن » أو « ذان » ، فانها تعنى « هذا » أو « هذه » . فكلمة « مسند » تعنى فى العربية الجنوبية ما تعنيه كلمة الخط أو الكتابة فى لغة القرآن ، ولم تكن مخصصة عند اليمانيين بخط حمير ، أو غير حمير ، وانما حدث هذا التخصيص فى المؤلفات الاسلامية فصار فيها « المسند » اسم علم لخط حمير وحده . ولا ندرى بالطبع متى حدث ذلك : أحدث فى الجاهلية المتصلة بالاسلام أم فى الاسلام ؟

وإذا كان هذا التخصيص قد وقع فى الاسلام ، فاننا لا نستطيع أيضا التكهن عن الوقت الذى ظهر فيه هذا التخصيص ؛ لأننا لا نملك مصادر اسلامية تشير الى هذا ولا مؤلفات من صدر الاسلام يمكن أن نجد فيها ما نبحت عنه .

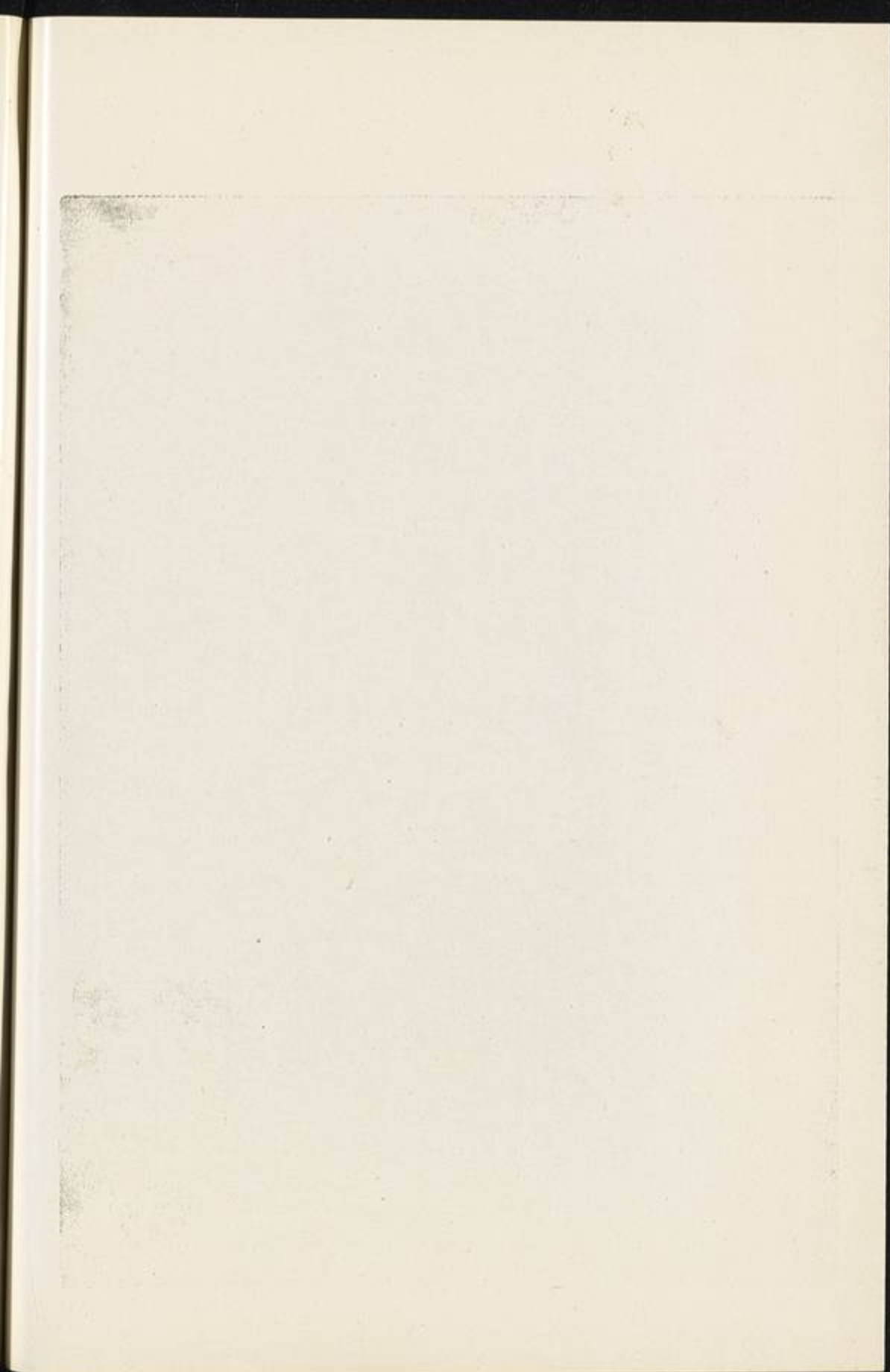
يتألف المسند من تسع وعشرين حرفا ، وأبجديته مثل الأبجديات السامية الأخرى من حيث انها تتألف من الحروف الصامتة ولا حركة فى الكتابة فيها ولا ضبط فى أواخر الكلمات ولا علامة للسكون أو للتشديد . ويفصل بين الكلمة والكلمة التى تليها فاصل هو خط مستقيم عمودى . وقد يكتب الحرف المشدد مرتين كما فى اللغات

(١) Glaser, Zwei Inschriften über den Dambruch Von Marib, Ein Beitrag zur Geschichte Arabiens in 5 Und 6 Jahr. Nach Chri. in Meth. der Vorder Asia. Ges. 1887.

(٢) وورد فى الكتابات اليمانية « اسطرن » ، وتعنى « أسطرا » كما تعنى كلمة « مسند » كتابة ووثيقة . نشر نقوش سامية تحليل يعحى نامى ( ص ٧٩ ، ١٠٣ ) .











العربية	البنائية	العربية الجنوبية	الفينيقية	راس شمرا	اليونانية المتأخرة	اللاتينية	العربية
ا	⌊ ⌋	𐤀	𐤁	𐤁	A	A	ا
ب	⌈ ⌋	𐤁	𐤂	𐤂	B	B	ب
ج	⌋ ⌋	𐤂	𐤃	𐤃	Γ	CG	ج
د	⌋ ⌋	𐤃	𐤄	𐤄	Δ	D	د
هـ	⌋ ⌋	𐤄	𐤅	𐤅	E	E	هـ
و	⌋ ⌋	𐤅	𐤆	𐤆	Υ	FV	و
ز	⌋ ⌋	𐤆	𐤇	𐤇	Ζ	...	ز
ح	⌋ ⌋	𐤇	𐤈	𐤈	Θ	H	ح
ط	⌋ ⌋	𐤈	𐤉	𐤉	⊗	..	ط
ي	⌋ ⌋	𐤉	𐤊	𐤊	Ϛ	ا	ي
ك	⌋ ⌋	𐤊	𐤋	𐤋	K	...	ك
ل	⌋ ⌋	𐤋	𐤌	𐤌	L	L	ل
م	⌋ ⌋	𐤌	𐤍	𐤍	M	M	م
ن	⌋ ⌋	𐤍	𐤎	𐤎	N	N	ن
...	⌋ ⌋	𐤎	𐤏	𐤏	Ξ	X	...
ع	⌋ ⌋	𐤏	𐤐	𐤐	∘	O	ع
ف	⌋ ⌋	𐤐	𐤑	𐤑	Ϛ	P	ف
ص	⌋ ⌋	𐤑	𐤒	𐤒	...	...	ص
ق	⌋ ⌋	𐤒	𐤓	𐤓	Ϛ	Q	ق
ر	⌋ ⌋	𐤓	𐤔	𐤔	P	R	ر
س	⌋ ⌋	𐤔	𐤕	𐤕	Ϛ	S	س
ش	⌋ ⌋	𐤕	𐤖	𐤖	T	T	ش
ت	⌋ ⌋	𐤖	𐤗	𐤗	T	T	ت

نماذج لقسم من الأبيجديات

الأوربية<sup>(١)</sup> ، وتقرأ الكتابة من اليمين الى اليسار ، وتقرأ فى بعض الأوقات من اليسار الى اليمين على طريقة الكتابة اللاتينية ، ويمزج بين الطريقتين أحيانا فيكتب من اليمين الى اليسار ، فاذا انتهى السطر كتب من اليسار الى اليمين ثم من اليمين الى اليسار وهكذا ، على شكل حلزوني .

ومما يلاحظ على الكتابات المعينية أنه لم يطرأ عليها تغير كبير فى العهود التى مرت بها . أما الكتابات السبئية ، فيمكن التمييز بين القديم منها والمتأخر فى الأسلوب ، وفى شكل الكتابة . وللكتابات الحميرية مميزات أخرى منها اشتغالها على تأريخ الكتابة والزخرف<sup>(٢)</sup> .

وفى القرن التاسع عشر وما بعده كشف المستشرقون النقاب عن أقلام أخرى لم يعرفها علماء العربية ، هى : القلم الثمودى ، والصفوى ، واللحجاني . والظاهر أنها كانت قد اندثرت قبل الاسلام ، فلم يبق لها ذكر فى مخيلة الجاهليين الذين أدركوا الاسلام . أما القلم الثمودى ، فقد عثر على كتاباته فى أعالي الحجاز ، وعلى مقربة من الوجه وفى الطائف ، وفى « ريع الزلالة » عند السيل الكبير على طريق الطائف مكة<sup>(٣)</sup> . وفى « حائل » وأماكن أخرى من نجد وفى اليمن<sup>(٤)</sup> وفى هضبات شبه جزيرة سيناء وفى

(١) غويدى : المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة . القاهرة ١٩٣٠  
(٢) ( ص ٣ ) . تاريخ العرب ( مطول ) الترجمة العربية ( ٦٨/١ ) بيروت ١٩٤٩ .  
Höfner, Altsüdarabische Grammatik, Leipzig. 1943.

(٢) راجع عن الكتابة المعينية : Weber, P, 12. Pfanmüller, P, 86  
Homuel, Mitt. Vorderas. Ges. Berlin 1897. Heft, 3, P. 258-272. Mordtmann,  
Beiträge Zur Minäischen Epigraphik. Weimar, 1896.

(٣) Le Muséon, LXII, 1-2, 1949. P, 103. « عقبة الزلالة ، الواقعة بين مكة وبين الطائف وهى ثنية ينحدر منها القدام من الطائف على « السيل الكبير » الموضع المعروف قديما باسم « قرن المنازل » وتبعد عن هذا الموضع خمسة كيلومترات تقريبا ، وتقع فى شرقيه ، وتسمى الآن « الريع الصغير » وقد شاهدت بقربها بينها وبين السيل الكبير جبلا فيه كتابات كوفية قديمة . وحدثت بأن فلبى رأى فى تلك الجهة تمثالا من الصخر منحوتا فى الجبل يمثل رجلا واقفا ، وانه أطلع على كتابات قديمة فى تلك الجهة . « كتاب من السيد حمد الجاسر تأريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ م .

(٤) نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب . القاهرة ١٩٤٣ ( ص ١٠٩ ) .



الصفاء شرق دمشق وفي مصر وفي شرقي الأردن (١) . وأما القلم الصفوي ، فقد  
عثر عليه في منطقة الصفاء شرقي الشام (٢) ، وفي بادية الشام ، ولا يعني هذا أن هنالك  
قبائل كانت تسمى قبائل صفوية ، بل هو اصطلاح أطلقه المستشرقون على الخطوط التي  
وجدت في ناحية الصفاء ، وهي تشتمل على كتابات قريبة من كتابة لحيان وثمود (٣) .  
وأما القلم اللحيانى ، فقد عثر عليه في أعلى الحجاز ، ويوجد فيه حروف الذال والشاء  
والعين والضاد وأفعال التفضيل وعلامة التبييه التي هي من الخصائص البارزة للغة  
العربية (٤) .

والموطن الرئيس للكتابات اللحيانية هو منطقة العلا ، ولا سيما موضع « الخريبة »  
والصخور الواقعة الى شرقه ، حيث عثر فيها على مئات الكتابات التي تعود الى شعب  
« لحيان » (٥) .

وحروف الصفوية والثمودية كحروف العربية الشمالية عددا . وأما الحركات ،  
فليس لها علامات لا للفتح ولا للكسر ولا للضم ولا للاشباع ولا لاتحاد الفتحة والواو  
والياء (٦) ( أى الامالة Diphthong ) ولا للروم . ولذلك تجابهنا صعوبات كبيرة في

Hubert Grimme, Die Lösung des Sinaischriftproblems. Die Althamudische (١)  
Schrift. Münster 1926. E. Littmann, Entzifferung der Thamudischen Inschriften.  
1904. Ch. Huber, in Journal d'un Voyage en Arabie. 1883-1884.

E. Littmann, Zur Entzifferung der Safa Inschriften. Leipzig. 1901. (٢)  
R. Dusaud, Les Arabes en Syrie avant l'Islam. 1907.  
١٩٤٦ سومر العدد الثاني تموز ١٩٤٦  
ص ١٣٧ وما بعدها . مقال بعنوان الكتابات الصفوية بقلم المسيوم . رودنسون . راجع كذلك  
مقال « هاردنك G. L. Harding » في الجزء الثاني من المجلد السادس (١٩٥٠) من مجلة  
« القسم الانكليزي » ص ١٢٤ بعنوان : « Safaitic Inscriptions in the Iraq Museum »  
وقد نشر ترجمة كتابات صفوية في حيازة المتحف العراقي .

(٣) السامية (١٧٥)

F. V. Winnet, A Study of the Lihyanite and Thamudic . (١٧٧) السامية (٤)  
Inscriptions. Toronto, 1937.

Ency. Vol. 3, P. 26. Müller, Epigraphische Denkmäler aus Arabien. (٥)  
XXXVII, 1889. Jaussen and Savignae, Mission archeologique en Arabie, I. Paris  
1909, P. 263-271. Vol. 2, P. VIII-XIV. 27-77. 361-534. Lidzbarski, Ephemeris für  
Semit, Epigraphik, II. 23-48. 345-361, III. 214-217.

(٦) مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية : الجزء الثالث ، سنة ١٩٣٦ ( ص ٢٤٧ -

الاقلام الصفوية والتمودية واللحيانية والعربية الجنوبية والعبرائية

א	א	א א א א	א א א א א א א א	א א א א א א א א
ב	ב	ב ב	ב ב ב ב	ב ב ב ב ב ב ב ב
ג	ג	ג	ג ג	ג ג ג ג ג ג ג ג
ד	ד	ד ד ד ד	ד ד ד ד ד ד ד ד	ד ד ד ד ד ד ד ד
ה	ה	ה ה ה ה	ה ה ה ה ה ה ה ה	ה ה ה ה ה ה ה ה
ו	ו	ו ו ו ו	ו ו ו ו ו ו ו ו	ו ו ו ו ו ו ו ו
ז	ז	ז ז	ז ז	ז ז ז ז ז ז ז ז
ח	ח	ח ח ח ח	ח ח ח ח ח ח ח ח	ח ח ח ח ח ח ח ח
ט	ט	ט ט ט ט	ט ט ט ט ט ט ט ט	ט ט ט ט ט ט ט ט
י	י	י י י י	י י י י י י י י	י י י י י י י י
כ	כ	כ כ כ כ	כ כ כ כ כ כ כ כ	כ כ כ כ כ כ כ כ
ל	ל	ל ל ל ל	ל ל ל ל ל ל ל ל	ל ל ל ל ל ל ל ל
מ	מ	מ מ מ מ	מ מ מ מ מ מ מ מ	מ מ מ מ מ מ מ מ
נ	נ	נ נ נ נ	נ נ נ נ נ נ נ נ	נ נ נ נ נ נ נ נ
ס	ס	ס ס ס ס	ס ס ס ס ס ס ס ס	ס ס ס ס ס ס ס ס
ע	ע	ע ע ע ע	ע ע ע ע ע ע ע ע	ע ע ע ע ע ע ע ע
פ	פ	פ פ פ פ	פ פ פ פ פ פ פ פ	פ פ פ פ פ פ פ פ
צ	צ	צ צ צ צ	צ צ צ צ צ צ צ צ	צ צ צ צ צ צ צ צ
ק	ק	ק ק ק ק	ק ק ק ק ק ק ק ק	ק ק ק ק ק ק ק ק
ר	ר	ר ר ר ר	ר ר ר ר ר ר ר ר	ר ר ר ר ר ר ר ר
ש	ש	ש ש ש ש	ש ש ש ש ש ש ש ש	ש ש ש ש ש ש ש ש
ת	ת	ת ת ת ת	ת ת ת ת ת ת ת ת	ת ת ת ת ת ת ת ת

١
٢
٣
٤
٥

صفوی
تمودی
لحياني مستند
عبراني



الحج  
ال  
م  
ال  
و  
ق  
ا  
أ  
ا  
د

محاولتنا قراءة الكلمات والجمل قراءة صحيحة شأن العربية الجنوبية وأكثر اللهجات السامية الأخرى واللهجات العربية الشمالية . ويحتاج القارىء - لهذا السبب - الى مران طويل ودراسات للهجات الأخرى الحية والى معرفة الأساطير والعقائد عند الشعوب السامية لضبط كلمات هذه اللهجات المنقرضة ، ومعرفة معانيها . فمن الضروري - على كل حال - دراسة جميع هذه اللهجات العربية الشمالية والجنوبية القديمة منها والحديثة للوقوف على أصل العربية وتأريخها .

ويرى العلماء أن الأقلام الثلاثة المذكورة ، وهى الشمودى والصفوى واللحيانى ، قد اشتقت من المسند ؛ فإن التشابه فى أشكال حروف هذه الأبجديات والأبجدية العربية الجنوبية كبير جدا ، وان اختلفت فى تعدد أشكال الحرف الواحد عن المسند . والظاهر أنها تفرعت منه فى القرون الأخيرة قبل الميلاد بعد تزعزع كيان الحكومات المركزية فى اليمن وظهور حكومات مستقلة فى الأراضين التى كانت خاضعة لحكم معين وسبأ .

والأبحاث التى قام بها المستشرقون عن الخط العربى قبل الاسلام ، لا تزال فى مراحلها الأولى ، ولا يمكن فى نظرى نضج هذه البحوث والوصول الى نتائج علمية مرضية ، الا اذا قام المتخصصون بالتنقيب تنقيا علميا فى شبه الجزيرة كلها ، وهذا ما يستغرق بالطبع وقتا طويلا . ولا يستبعد أن يتوصل المنقبون الى معرفة أبجديات وأقلام قد تكون أقدم عهدا من هذه الأقلام التى تحدثت عنها ، وقد يجدون ما يغير كل النظريات المعروفة عن ظهور « الخط » عند البشر ، وقد يتوصلون الى معرفة حلقات مفقودة فى سلسلة تطور الخط البشرى . ولذلك فعندى أن الاعتماد على الذى عثر عليه من كتابات جاهلية فى وضع نظريات عن الخطوط العربية وتعيين نشأتها وتأريخها وعلاقتها بالأبجدية أو الأبجديات البشرية الأولى ، هو نوع من الظن لا يفيد علما فى هذا الوقت .

للعلماء الذين اشتغلوا فى موضوع نشوء الخط عند البشر ، والقلم الأول الذى تفرعت منه سائر الأقلام ، نظريات فى تأريخ الكتابة وظهورها ، وفى المراحل التى مرت عليها من أول عهد مرت فيه وهو عهد الكتابة الصورية « Pictography » (١) الى وصولها الى مرحلة الحروف . وهذه النظريات مع أنها مرت بمناقشات وبعثات وتحددت حتى أصبحت معروفة عند علماء الخطوط ، لم تستقر حتى

Ency. Brit. Vol, I, P. 677. (١)



(١) • وقد أدى العثور على بعض الكتابات المدونة بخطوط قديمة مثل كتابة الملك « ميشع Mesha » ملك موآب الذي عاش حوالي ٨٥٠ قبل الميلاد (٢) • وكتابات أخرى عثر عليها في قبرس وفي شبه جزيرة سيبيريا في « سراييط الخادم » ، ويرجع تاريخها الى سنة ١٨٥٠ قبل الميلاد (٣) • وكتابة الجليل « بلس » « Gebal » « Byblus » (٤) « ولوحات رأس شمرة » « اليغاريتية » (Ugarit) التي ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد (٥) وأمثالها ، الى احداث تغيير وتحوير في نظريات العلماء القديمة عن تطور الخطوط • ولذلك فليس بمستبعد أن يجيىء يوم قد تظهر فيه أبجديات لا نعرف من أمرها شيئاً تبدل كل هذه النظريات التي قيلت عن منشأ الخط •

ومن العلماء من رأى أن الأبجدية الأولى انما ظهرت في العراق في « كلديا » ، بتأثير عبادة النجوم ، ومن تلك الرموز التي وضعها الكهنة للنجوم أخذت الأبجدية الأولى ، وتفرعت الالفباء السامية الغربية التي صارت أما لمجموعة من الأبجديات ، ومن قائلي هذه النظرية والمدافعين عنها المستشرق « هومل » الذي أنكر أن تكون مصر هي المهد الأول للكتابة (٦) •

(١) للتوسع في هذا البحث ، تستحسن مراجعة الموارد الآتية :

Faulmann, illustrierte Geschichte der Schrift. 1880. Isaac Tayler, The Alphabet 1883. Grundriss, 1. PP. 97. Gustav Hinrichs, Ursprung des Griech. Alphabets. 1886. Ency. Brit. Vol. 1. PP. 677. Philippe Berger, Histoire de l'écriture dans l'antiquité. E. Clodd, The Story of the Alphabet.

(٢) السامية ص ١٠٦. Ency. Brit. Vol. 1. P. 679. مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : ج ٤ مجلد ٢٥ (١٩٥٠) ص ٦١٩ اكتشف هذه الكتابة « كليرمون - غانو » • سنة ١٨٦٩ •

(٣) Hitti, P. 70. Hans Bauer, Zur Entzifferung der Neuentdeckten Sinaischrift, Halle. 1918. Butin and Lake in the Harvard Theol. Review. January 1928, April 1932. JAMES A. Montgomery, Arabia and the Bible, P. 165.

وسيكون رمزه : Arabia وقد اكتشف خطأ مشابهها له في فلسطين راجع : W.R. Taylor, in the Journ. Palastine or. Soc. 1930 PP. 17. 79.

(٤) Dussaud, in Syria, 1924. PP. 135. Tirrey, Journ. Ame. or. Soc. 1935. PP, 269.

(٥) Hitti, P. 70. Claude F. A. Schaeffer, The Cuneiform Texts of Ras Shamra Ugarit, London 1939.

(٦) Grundriss, 1. PP. 97. Geschi. Bab. Und Assy. PP, 50.

ومن العلماء من يرى أن الأبجدية الأولى هي وليدة « الهيروغليفية » ، وأن الذين أوجدوا الأبجدية إنما أخذوها منها ، أخذوا من المصريين فكرة التدوين وفكرة الاختزال كما اختزل الكتاب المصريون الذين ابتكروا « الهيروغليفية » كتابتهم من الكتابة المصرية الصورية التي كانت تعبر عن معان ، وأوجدوا منها المقاطع التي سهلت أمر أداء المعاني والقراءة تسهيلا كبيرا ، فكان المصريون أول من علم البشر نظرية التدوين وفكرة الإشارة إلى المعاني ومقاطع الكلمات بصور وإشارات . فاختزل مبتكروا الأبجدية الكتابة « الهيروغليفية » ، وأوجدوا من المقاطع حروفا ، كونت الأبجدية الأولى ، الأبجدية التي أصبحت نموذجا لسائر الأبجديات ، فمنهم من تقيدها وحافظ على الشكل الأصلي للحروف كما وضعت في الأصل ، ومنهم من غير فيها وحرف ، ومنهم من أضاف إليها أو نقص منها ، وبالجملة ، لما كان الفضل للسابق ، فإن فضل نشوء فكرة التدوين عند البشر يرجع إلى المصريين (١) .

وقد ظل رجال العلم الحديث أمدا طويلا يرون أن الأبجدية « الفينيقية » مشتقة من « الهيروغليفية » ، ويذهبون إلى أن الفينيقيين الذين كانوا أول من عمم طريقة للكتابة بالحروف الهجائية قد أخذوا أصولها من مصادر مصرية . إلا أن الهوية التي كانت تفصل بين الكتابتين ظلت كبيرة ، فكان من الصعب عليهم إيجاد تعليل معقول لوجودها ، واعطاء جواب علمي مقنع عن المراحل التي قطعت بين « الهيروغليفية » و « الهجائية الفينيقية » ، حتى ظهرت كتابة عثر عليها في شبه جزيرة سيناء قيل لها « كتابة سيناء » ، فقالوا عنها انها الحلقة المفقودة التي تسد تلك الثلمة . ويعود تأريخ كتابة سيناء إلى سنة ١٨٥٠ قبل الميلاد ، فهي أقدم عهدا من كتابة « أحيرام » التي عثر عليها في « جيبيل » ( كبال قديما وببلس في اليونانية ) بما يناهز ستة قرون (٢) .

ومن القائلين بهذا الرأي « Martin Sprengling » ، فهو يرى كسائر أصحابه القائلين بهذه الفكرة أن العمال الذين كانوا يشتغلون في مناجم طور سيناء إنما اهتموا إلى

Ency. Brit. Vol. I. P. 680. Hubert GRIMME, Die Lösung des (١)  
Sinaischrproblems. P. I. Lösung : وسيكون رمزه A. H. GARDINER,  
« The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet. », in « The Journal of Egyptian  
Archaeology » 1916.

(٢) حتى (٩٢-٩٣) Lösung P, I. ٠



التدوين بالحروف الأبجدية من الفكرة المصرية في التدوين ، تلك الفكرة التي أوجدت للمصريين الكتابة بالمقاطع ، « الهيروغليزية » . وقد علمت هذه الفكرة المصرية أولئك العمال أصول اختزال المقاطع ، فاختزلوها واكتفوا بالحروف الأولى من أسماء الصور فتكونت عندهم مجموعة من الحروف كونت الأبجدية « الطورسينائية »<sup>(١)</sup> ، « أخذوا مثلا صورة « رأس ثور » عن الهيروغليزية ، فأغفلوا لفظها في اللغة المصرية ، وأطلقوا عليها ما يقابله في لغتهم الخاصة ، ثم صارت هذه العلامة ألفا عملا بقانون الأكروفونية ( القاضي بالاعتماد على الحروف الأولى من أسماء الصور وترك الباقي منها ) . وعلى هذا القياس سار السينائيون في معالجة صورة « بيت » ، فأطلقوا عليها ما يقابلها في لغتهم ، ثم اعتمدوا على الحرف الأول من اسمها في لغتهم وهو الباء وهكذا دواليك »<sup>(٢)</sup> . فتكونت منها أبجدية تتألف من اثنين وعشرين حرفا أصبحت نموذجا لبعض الأبجديات مثل الأبجدية العبرانية<sup>(٣)</sup> .

وقد انتشرت هذه الأبجدية من « طورسيناء » الى الشرق فوصلت الى الشام وشبه جزيرة العرب ، وصارت أصل الأبجديات في هذه الأماكن غير أنها لم تستعمل في العراق ، حيث كانت الكتابة المسمارية ، ولا في مصر ، حيث كانت الكتابة « الهيروغليزية » . وقد تغيرت أشكالها باستعمالها الطويل ، وتجرفت بمرور الزمن ، وتبدلت الأسماء التي وضعها كتاب شبه جزيرة سيناء لحروفهم ، كما تبدلت من حيث الترتيب وبذلك تولدت منها أقلام جديدة<sup>(٤)</sup> .

ويرى بعض العلماء أن الخط الكنعاني قد اشتق من الخط الهيروغليفي أيضا لوجود شبه بين الحروف الكنعانية وبعض الصور الهيروغليزية . ورأى بعض آخر أنه مشتق من الكتابة المسمارية<sup>(٥)</sup> . ورأى آخرون أنه اشتق من الأبجدية « الطورسينائية » ، اذ يصعب تصور اشتقاق الخط الكنعاني من « الهيروغليزية » رأسا ، لبعدهما بين الكتابتين ، وان كان هنالك شبه بين بعض حروف الكنعانية والصور « الهيروغليزية » . ومن الخط

(١) Martin Sprengling, The Alphabet : its rise and Development from the Sinai Inscriptions. Chicago. 1931. The Universal Jewish Ency. Vol. 1. P. 198.

(٢) حتى ص ٩٣ .

(٣) The Univers. Jew Ency. Vol. 1, P, 202.

(٤) The Uni. Jew. Ency. 1. P. 198. (٥) السامية (٩٩) .

الكنعاني تولدت بعض الأرقام السامية المتأخرة ، وعليه اعتمد الخط العبراني القديم في رأى بعض العلماء (١) ، أو على الخط الفينيقى في رأى فريق آخر .

وطائفة أخرى رأت أن وطن « الألفباء » الأولى جزيرة قبرس أو جزيرة « كريت » حيث عثر فيها على نماذج قديمة للكتابة اتخذوها حجة يستند إليها في هذا الرأى . ولما كان الفينيقيون هم أول من استخدم الأبجدية ومنهم تعلمها اليونان وغيرهم في رأى غالبية العلماء ، زعم أصحاب هذه النظرية أن الفينيقىين إنما أخذوا الأبجدية من الفلسطينيين « Philistines » (٢) الذين هاجروا من جزيرة « كريت » واستقروا في سواحل فلسطين التي عرفت باسمهم « فلسطينية » « Philistia » ، ثم أطلقت على المنطقة التي قيل لها « فلسطين » كلها (٣) . وفي طليعة هؤلاء القائلين بهذه النظرية العالم « Sir Arthur Evans » (٤) .

وقد عثر المستشرق « M. Claude Schaeffer » المعروف بتتقيقه عن النصوص « اليبغارية » « Ugarit » في شهر « نوفمبر » من عام ١٩٤٩ على آجرة صغيرة من الصلصال المفخور بالنار حجمها ٥ سنتمترات في ١٥ ملمترا في موضع « رأس الشجرة » الواقع على مسافة عشرة أميال من شمالى اللاذقية ، ظهر أنها على صغرها وتفاهتها البادية عليها من أهم ما عثر عليه من نصوص . فهذه الآجرة الصغيرة التي لا تلفت إليها الأنظار هي لوح في غاية من الأهمية كتبت عليه الأبجدية « اليبغارية » المؤلفة من ثلاثين حرفا ، وهي على الرغم من صغر حروفها مكتوبة كتابة واضحة بخط قوى جلي . وقد كان العلماء يبحثون عن هذه الأبجدية بكل شوق ، والظاهر أن أحد الطلاب كتبها على هذا اللوح ، ويرجع عهده الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد (٥) .

(١) للاطلاع على تطور الخط العبراني ، تستحسن مراجعة المقال الذي كتبه « H. Tur — Sinai » « Torczyner » في مجلة « The Jewish Quarterly Review » N. S. XII (1950), 83-109, 159-179.

(٢) Ency. Brit, Vol, I, P, 680.

(٣) Hastings, P. 672. Ency. Bibl, P, 3534.

(٤) Ency. Brit, Vol, I, P, 680.

(٥) The Glasgow Herald, Saturday March 4 Th, 1950. Manchester Guardian Weekly, March 23 rd, 1950, P. 13. Boasor, Nr- 118 April, 1950, P. 12.

هذه الآجرة الصغيرة والأبجدية « اليبغارية » في مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق : ج ٤ مجلد ٢٥ (١٩٥٠) ٦٢٠ وما بعدها .



وهذه الأبجدية « اليغارية » مكتوبة كتابة اسفينية ، ولذلك رأى بعض الذين بحثوا فى « اليغارية » أنها وليدة الكتابة « المسمارية » . ورأى بعض العلماء أنها متأثرة بالهيروغليفية من حيث تكوين الحروف الصامتة . وأما من ناحية الرسم ، فأنها متأثرة بالكتابة « المسمارية » (١) . وتتألف من ثلاثين حرفا ، فهى تتضمن جميع الحروف فى الأبجديات السامية الشمالية الغربية المكونة من اثنين وعشرين حرفا صامتا . ونجد أنها أوردت هذه الحروف على ترتيب الأبجدية الارمية والبرانية ، خلا أنها وضعت خمسة أحرف أخرى لم ترد فى البرانية بين هذه المجموعة ، فتكون منها سبعة وعشرون حرفا تضاهى الأبجدية الكنعانية ، ثم أضاف إليها كنية « اليغارية » أحرفا أخرى ، فأصبح مجموع الحروف ثلاثين حرفا ، تألفت منها الأبجدية « اليغارية » (٢) . ولا يعلم بالضبط حتى الآن أ هذه الأبجدية أقدم عهدا أم الأبجدية الفينيقية .

ومهما يكن من شيء فإنها فى نظرى حلقة جديدة من الحلقات المفقودة التى يبحث عنها العلماء ، تفيد كثيرا فى معرفة تطور الخط البشرى ، وفى توضيح اتجاه الخطوط وتفرعها من الكتابات الثلاث أو من كتابات أخرى قد يعثر على آثارها فى مستقبل الزمان . نرى مما تقدم أن آراء علماء الخط تكاد تتفق على أن مخترعى الأبجديات أخذوا فكرتهم فى ايجاد الحروف من العراق ، أو من مصر ، أو من جزيرة كريت ؛ وأنهم وجدوا صعوبة فى الكتابة على الطريقة المسمارية التى تستدعى حفظ ما لا يقل عن خمس مئة مقطع صوتى ليتمكن الانسان من الكتابة والقراءة بها بصورة صحيحة ، أو على الطريقة المصرية « الهيرغليفية » التى تحتاج الى مهارة خارقة ومعرفة كبيرة ليتمكن الانسان من الكتابة بها ، أو على طريقة كتابة أهل « كريت » « Minoan Script » التى تمثل طريقة سهلة ومختصرة بالنسبة الى الكتابين المذكورين . وهى مع ذلك لم تكن سهلة على نحو ما نتصور ، اذ كانت مؤلفة من خمسين ومئة علامة صوتية خفضت فيما بعد

The Glasgow Herald, Saturday March, 4, 1950, Boasor. Numr. 118. (١)

( April 1950 ) P. 12.

BOASOR. Number. 118. ( April 1950 ) P. 12. Le Museon, LIX, (1946) (٢)

1-4. PP. 95. C.H. Gordon, Ugaritic Crammer. The Present Status of the Linguistic Study of the Semitic Alphabetic Texts from Ras Shamra, Analecta Orientalia, 20. Roma, 1939, P. 69. §. 9, 2. Claude F. A. Schaeffer, The Cuniform Texts of Ras Schamra Ugarit, London, 1939.

الى اثنتين وستين (١) . ولكنها لم تصل الى المرحلة الأخيرة من مراحل الكتابة ، وهي مرحلة الحروف وهي أهم مراحل الكتابة ولا شك ، فجال في ذهن أولئك المخترعين الأذكياء خاطر لم يمر ببال من سبقوهم من الكتبة الذين وصلوا الى مرحلة التدوين بالمقاطع الصوتية ، هو اختزال هذه المقاطع والاكفاء بالحروف الأولى منها وتسميتها بأسماء هذه الحروف . وقد وفقوا في ذلك توفيقا كبيرا ، وأوجدوا للبشرية اختراعا من أعظم المخترعات التي أوجدها العقل الانساني . أما أولئك المخترعون ، فلم يتمكن العلماء من الاتفاق عليهم : أ هم الفينيقيون ، أم الطورسينائيون ، أم غير أولئك وهؤلاء من الشعوب ؟ وقد تراوح عدد هذه الحروف من العشرين الى الثلاثين بحسب الخصائص الصوتية للغات (٢) .

ويستدل من وحدة أسماء الحروف في اختلاف الأبجديات على وجود أصل مشترك لا نعرفه حتى اليوم ، تفرعت منه كل الأبجديات السامية واللاتينية ، وعلى أن لأسماء الحروف علاقة وثيقة بالصور وبالكتابة الصورية ، فان أسماء الحروف كما يظهر من معانيها هي أسماء وضعت لأشياء ، فاسم الحرف الأول ، وهو « الألف » ، يعنى « ثورا » ، ولذلك مثل في « الهيروغليفية » وفي كتابة « طورسيناء » بشكل رأس نور . وأما الحرف الثانى ، وهو « الباء » أو « Beth » ، فانه يعنى « بيتا » ، وقد صور في « الهيروغليفية » وفي كتابة « طورسيناء » بشكل يصور مقدمة بيت . وأما الحرف الثالث ، وهو « الجيم » ، فانه يعنى « Gimel » أى « الجمل » ، وصورته لا ترمز الى الجمل رمزا تاما . وأما حرف « الدال » ، فيقال له « دالت » « Daleth » ، ومعناه « باب » . وأما حرف « الهاء » ، فانه من « he » بمعنى « شباك » . وأما « الواو » ، فهو يشير الى « وتد » . وأما « الزاى » ، فانه من « زين » بمعنى « سلاح » . وأما « الحاء » ، فانه من « حيت » بمعنى « حائط » . وأما « الياء » ، فانه من « يود » بمعنى « يد » أو « يد مفتوحة » . وأخذ حرف « الكاف » من « كاف » بمعنى « كف اليد » أو « يد مقبوضة » . وأما حرف « اللام » ، فانه من « لمد » « لامد » ومعناه « عصا لضرب الثور » . وأما « الميم » ، فانه

(١) مقال لمراسل جريدة « Glasgow Herald » نشر فى جزء السبت ، ٤ آذار

(مارس) ١٩٥٠ بعنوان : « New Light on Origin of Alphabet »

(٢) The Uui. Jew. Ency. Vol. I, P, 202-203.



من « ميم » بمعنى « ماء » . وأما « النون » ، فإنه من « نون » وتعنى « سمكة » فى لغتنا .  
وأما حرف « السين » ، فهو « سامخ » وتعنى « آلة » ؛ يعتمد عليها كالعصا . وقد أخذ  
حرف العين من « عين » أى المعنى نفسه الذى يفهم منه فى العربية ، وأخذ الفاء من  
« فم » « بم » « Pe » « Pum » بمعنى « فم » ، وحرف الصاد من « صادى » « Tzade »  
بمعنى صياد ، وحرف القاف من « قوف » « Kof » بمعنى « الرأس الى الخلف » ،  
وحرف الراء ، من « ريش » بمعنى « رأس » ، وحرف الشين من « شين » بمعنى  
« سن » . وأما التاء ، فمن كلمة « تاو » « تو » بمعنى علامة أو « صليب » (١) ،  
وهكذا .

ويرى المستشرق « وايل Weil » أن الترتيب الذى يرد للحروف العربية على  
طريقة « أبجد هوز حطى . . . الخ » هو ترتيب أخذه العرب من النبط أو اليهود ، وقد  
أخذوه النبط والعبرانيون أنفسهم من القلم الارمى ، وتشير هذه الطريقة بكل جلاء الى  
اشتقاق القلم العربى من القلم النبطى المتفرع عن الخط الارمى (٢) . أما الترتيب الذى  
عند الكنعانيين ، فهو هذا الترتيب مع زيادة الأحرف التى أقتضى وجودها فى طبيعة لغتهم .  
ويرى بعض العلماء أن العبرانيين أخذوا ترتيبهم هذا من الكنعانيين (٣) .

وقد وضع علماء العربية بعد « قرشت » التى يمثل حرف « التاء » فيها آخر حروف  
الأبجدية الحروف التى لم ترد فى ترتيب « أبجد هوز » ، ويقال لها « الروادف » (٤) .  
وأما نظام ترتيب الحروف عند العرب الجنوبيين فلا نستطيع أن نتحدث عنه ؛ لأننا لما نعرش  
على كتابة تضمنت الحروف حسب من أول حرف الى آخر حرف . ولما كانت الأبجديات  
السامية قد وردت فى معظم اللغات السامية على ترتيب واحد تقريبا فبدأت بحرف  
« الألف » ثم الباء وهكذا ، فلا يستبعد أن يكون ترتيب الأبجدية العربية الجنوبية على  
هذا النمط كذلك . ونلاحظ أن حرف الألف هو الحرف الأول فى الأبجديات السامية  
والآرية ، ويليه الحرف الثانى وهو الباء مما يشير الى وجود أصل واحد لهذه  
الأبجديات . وليس فى مقدور أحد حتى الآن أن يذكر اسم أول شعب أطلق على  
الحروف هذه الأسماء التى سميت بها وما تزال تستعمل ، كما أننا لا نستطيع أن نؤكد

The Uni Jew. Ency. Vol, 1, P. 202 f. (١)

• السامية ص ١٠٢ (٢)

Ency. Vol, 1, P. 68-69. (٢)

Ency. Vol, 1, P. 68. (٤)

أن هذه الأسماء كانت معروفة منذ الوقت الذي اخترعت فيه الكتابة لم تتغير ولم تبدل ، ولا أخال أحدا يستطيع ادعاء ذلك ، إذ يجوز أن تكون هذه الأسماء المتعارفة قد وضعت بعد ، وغابت عنا أسماء الحروف الأصلية كما وضعها مخترعو الحروف .

ويظهر من الروايات العربية القديمة أن كتاب الجاهلية وصدر الإسلام كانوا يسيرون في تعلم الكتابة على طريقة « أبجد هوز » ، أي على طريقة النبط والبرانيين والعرب المقيمين في الأقسام الشمالية من الحجاز وفي شمال شبه الجزيرة ، ويجب ألا يستبعد ذلك ، لما ورد في الكتب العربية من أن أهل الحجاز تعلموا الكتابة من الحيرة أو الأنبار أو المدينين ، أي من الشمال . وأما الترتيب السائر اليوم في كتابة الحروف العربية مبتدئين فيه بالألف ومنتھين بالياء ، فيظهر أنه إسلامي متأخر ، وقد وضع على ما يخيل إلى تيسير حفظ أشكال الحروف للطلاب ؛ لأنه راعى الجمع بين الحروف المتشابهة ، ولم يتجنب مع ذلك الترتيب المراعى في نظام « أبجد هوز » تجنبا تاما .

ذكرت أن أكثر المستشرقين رأوا أن القلم العربي الذي دون به القرآن الكريم ، أخذ من القلم النبطي المتأخر . أما المسند ، فقد رأى كثير منهم أنه اشتق من الأبجديات السامية الشمالية كذلك <sup>(١)</sup> . وذهب بعضهم إلى أنه تفرع من الأبجدية السينائية . ومنهم من قال إن الأبجدية العربية الجنوبية تفرعت من نفس الأصل الذي أوجد الخط الفينيقى ، فهي لذلك من أقدم الأبجديات المعروفة <sup>(٢)</sup> . ونحن إذا أنعمنا النظر في شكل الأبجدية الطورسينائية والمسند ، نجد أنها لا تتشابه إلا في رسم حرفين أو ثلاثة <sup>(٣)</sup> . وتتكون الأبجدية الطورسينائية من اثنين وعشرين حرفا كالفينيقية والبرانية . أما الأبجدية العربية الجنوبية ، فتتألف من تسعة وعشرين حرفا ، أي بزيادة سبعة أحرف على أبجدية طورسيناء .

ورأت جماعة من علماء العربية الجنوبية أن المسند قد أخذ من القلم الفينيقى <sup>(٤)</sup> ، وأصحاب هذا الرأي هم من أولئك القائلين أن الأبجدية الفينيقية هي أقدم الأبجديات وأم الأبجديات . ولكننا إذا أنعمنا النظر في رسم حروف الأبجديتين ، نجد التشابه بينهما في هيئة الحروف ورسمها ليس كبيرا ، كما أن الأبجدية العربية الجنوبية تزيد

BOASOR, Number 118, April 1950, P. 13. (١)

Ency. Brit. Vol. 1, P. 680. (٢) Background, P. 11. (٣)

Lidzbarski, Ephemeris, Vol. 1, P. 109 ff, Arabia P. 164, (٤)



عليها في سبعة أحرف ، وهذه الأحرف الزائدة لا تختلف عن الأحرف المشتركة بين  
الأبجديتين في هندسة الرسم والشكل . فلعل الأبجديتين قد تفرعتا من أصل  
واحد (١) .

وزعم فريق آخر أن المسند مشتق من القلم الكنعاني ، وأن المعينين تعلموا الخط  
من الكنعانيين في أثناء اتجارهم معهم في بلاد الشام ، وينكر علماء العربية الجنوبية هذا  
الرأي . ويرى بعضهم أن المسند أقدم عهدا من الأبجدية الكنعانية ، وأن الكتابات  
العربية الجنوبية أقدم زمنا من أقدم الكتابات الكنعانية ، فلا يصح اذن القول بأن المسند  
مشتق من القلم الكنعاني . ومما يلاحظ على الأبجديتين أن الكنعانية يعوزها من  
الحروف : ذ ، ض ، ظ ، س ( سامخ ) ، ث ، غ . ولكن الأبجديتين تشتركان  
اشتركا تاما في الحروف : ج ، ط ، ل ، ن ، ع ، ش ، ق ، ت ، و . وتختلفان في  
بعض الحروف اختلافا كبيرا ، وليس بمستبعد أن تكون الأبجديتين قد تفرعتا من  
أصل واحد (٢) .

ولاحظ المستشرقون مشابهة كبيرة بين عدد من الأقلام التي عثر عليها في شبه  
جزيرة العرب ، وبين المسند ، كما وجدوا هذه المشابهة بين عدد من الأقلام التي  
استعملت في غير شبه الجزيرة والمسند ، وبعد مقابلات بينها ودراسات ذهبوا الى تفرع  
أكثرها من المسند . أما الأقلام التي عثر عليها في شبه جزيرة العرب وتفرعت كلها من  
القلم العربي الجنوبي ، فهي القلم التمودي واللحيانى والصفوى ، وكتابات أخرى كتبت  
بلهجات محلية عثر عليها في الأقسام الشمالية الغربية من شبه الجزيرة في الجوف ، وفي  
الحجر ، وفي العلا ، وفي مناطق أخرى من شبه الجزيرة كجبل شبحان ، وكوكبان ، وجبل  
شمر ، لها بعض الخصائص والمميزات اللغوية ، كاستعمال « ها » أداة للتعريف . والظاهر  
أن خط هذه الكتابات كان مستعملا بين السواد في الأمور الشخصية (٣) .

(١) Grundriss, Vol, I, P. 145-146. (٢) السامية : (٢٤٢) فما بعدها .

(٣) Grundriss, Vol, I, P. 147. Transactions, of the 9 the Intern. Congr. of

Orientalists, Vol, I, ( London, 1893 ). P. 86-95. « über die Protoarabischen

Inschriften », Aufs. Und Abh, P. 41, 161, Südarab. Chrestom, P. 6. Lady Anne

Blunt, A Pilgrimage to Nejd, London 1881, Vol, 2.

وهذه الأقلام المذكورة كلها متأخرة عن المسند ، وتعود نواريخ قسم كبير منها الى  
 بضعة قرون قبل الميلاد ، ومنها ما يعود تاريخه الى ما بعد الميلاد .  
 ومما يلاحظ على هذه الأقلام اختلاف صور أكثر الحروف فيها ، فقد تكون للحرف  
 صورتان ، وأحيانا ثلاث صور ، غير أن هذا الاختلاف ليس كبيرا في الغالب بحيث يتعذر  
 معه تمييز أشكال الحرف الواحد ، ولا نجد فيها الوضوح والبساطة التي نجدها في  
 المسند ، كما لا نجد فيها هذه الخطوط المستقيمة المنقوشة بدقة وعناية في الكتابات المعينية  
 أو السبئية أو الحضرمية أو القتبانية أو الحميرية ، فكان كتبهم كانوا يرون العجلة في  
 الكتابة والاسراع في التسطير لضيق الوقت ، لذلك لم تكن حروفهم دقيقة واضحة .  
 وأما الأقلام التي تشبه حروفها حروف المسند ، واستعملت عند أقوام ليسوا من  
 العرب عاشوا في أقطار لم تكن من شبه جزيرة العرب ، فمنها القلم الحبشي القديم ، وقد  
 عثر على كتابات به في منطقة « بها Jaha » ، وهي تمثل أقدم نماذج الكتابات الحبشية ،  
 وقلمها هو القلم السبئي القديم <sup>(١)</sup> ، وفي « أكسوم Aksum » وتعود الى القرن  
 الرابع للميلاد <sup>(٢)</sup> ، وكتابات نصرانية كتبت باللهجة الجعزية . « Ce'ez » وتعود  
 الى القرن الخامس للميلاد <sup>(٣)</sup> . وقد استعملت في هذه الكتابات الجعزية الأصوات مع  
 الحروف ، وبذلك اختلفت عن الأبجديات السامية التي استخدمت الحروف الصامتة حسب ،  
 وذلك باضافة شيء يشبه الحركات في صلب الحروف يقرأ معها ولا تفهم هي بدونها <sup>(٤)</sup> .  
 ومع ذلك احتفظت بالأشكال الأصلية للحروف العربية الجنوبية ، ولم تتعد عنها كثيرا .  
 ويمكن ادراك أثر المسند في الكتابة الحبشية المستعملة في الوقت الحاضر دون كبير عناء .  
 وقد استعمل الأبحاش القدماء الكلمات السبئية في لغتهم ، حتى ذهب العلماء الى أن لغة  
 الكتابات الحبشية الجعزية التي عثر عليها في بها وفي أكسوم انما هي سبئية يتخللها عدد  
 من الكلمات الحبشية <sup>(٥)</sup> . وهذا يشير بالطبع الى أثر الثقافة العربية في الحبشة وفي

(٢) Grundriss, I. P. 148.

(١) السامية ص ٢٥٦ .

(٣) Grundriss, I. P. 148. D. H. Müller, Epigr. Denkmäler aus Abessinien, Wien 1894. Tafel II, IV.

(٤) السامية ( ص ٢٥٧ ) . Grundriss, I. P. 148. Glaser, Die Altabess. Inschr. Von M., in ZDMG, Bd. 50 (1896) S. 463. Die Abessinier in Arabien Und Afrika, München 1895. S. 168.

(٥) السامية ص ٢٥٧ .



السواحل الأفريقية المقابلة لبلاد العرب ، وهو أثر سوف نعرض عليه ونتحدث عنه .  
 وذهب كثير من المستشرقين الى أثر المسند نفسه أو بالواسطة في عدد من الأقلام  
 الأخرى ، منها كتابات عثر عليها في افريقية « Meroitische Schrift » في إحدى  
 اللهجات الكوشية أو النوبية <sup>(١)</sup> . والحظ البربري القديم الذي يعود الى أيام قياصرة  
 رومة <sup>(٢)</sup> . والقلم البراهمي الهندي « Brahma Script » أو « Devanagari Alphabet »  
 حيث نلاحظ شها كبيرا بين حروف هذا القلم والمسند . ولا يستبعد أثر المسند فيه ؛ لأن  
 العلاقات بين العربية الجنوبية والهند كانت قديمة جدا <sup>(٣)</sup> .

يظهر مما تقدم أن المسند كان - على خلاف ما يتصور - القلم الرئيس في شبه  
 جزيرة العرب قبل الاسلام ، وأن شبه الجزيرة كانت تكتب به على ما يظهر قبل المسيح ،  
 وأن أقلاما أخرى تفرعت منه قبل المسيح وبعد المسيح ، لأسباب لا تزال غير واضحة ،  
 وقد تكون لأشكال الحروف التي تتطلب دقة في الرسم علاقة بذلك ، فمال الكتاب الى  
 ابتكار أشكال مرنة لا تحتاج الى عناية في الرسم ، فاستخدموها في الكتابة لسهولةها .  
 ومنهم من مال الى الكتابة النبطية المتأخرة التي نرى فيها ميزة المرونة واتصال قسم من  
 حروفها بعضها ببعض .

وبالجملة فإن هذه الآراء لا تزال حدسا ، ومن الخير الانتظار حتى يعثر على نصوص  
 أخرى تكون سندا للباحثين في البحث .

### العرب ولفاتهم :

ولست بمذيع لك سرا اذا قلت لك ان سكان البلاد « العربية » كانوا يتكلمون  
 بلغات عديدة ولهجات كثيرة ، وقد عرف ذلك الكتبة « الكلاسيكيون » وغيرهم . ذكر  
 مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الأريتري Periplus Mare Erythrae » أن سكان  
 سواحل البحر الأحمر الذين كانوا يقيمون بين مدينة « Leuke Kome » « البيضاء »  
 وميناء « Muza » وهو « مخا » اليوم يتكلمون بـلهجات مختلفة ولغات متباينة ، قل منهم من

Rich, Lepsius, Denkmäler aus Aegypten Und Aethiopen, abt. VI, Bl. (١)  
 I-II, in Bd. XI. Grundriss, I, P. 149.

Grundriss, I, P. 149. (٢)

Grundriss, I, P. 149. Isaac Taylor, The Alphabet, Vol. 2, P. 314. Georg (٣)  
 Bühlens, Indian Studies 3. « On The Origin of the Indian Brahma Alphabet, Wien,  
 1895, P. 2. Ency. Brita. Vol, 1, P. 683.

يفهما عن الثاني ، وبعضها بعيد عن بعض بعدا كبيرا (١) . وقد عاش مؤلف هذا الكتاب في القرن الأول للميلاد ، والساحل الذي تحدث عنه هو ساحل الحجاز ، كما عثر في الحجاز أيضا على نصوص معينة ولحيانية وثمودية وغيرها ، وهي مختلفة بعضها عن بعض ، ومختلفة أيضا عن « العربية » لغة القرآن الكريم .

وأصبح اليوم من الأمور المعروفة أن أهل اليمن وحضرموت وعمان كانوا يتكلمون بلهجات تختلف عن لهجة القرآن الكريم وعن اللهجة التي عثر على نصوص قليلة منها ، وقد مر ذكرها وقلنا ان المستشرقين قالوا لها « نصوص عربية شمالية » ، كما أنها تختلف عن لهجة ثمود وحيان ، وهي تختلف بعضها عن بعض الاختلاف . وقد فنت ، ولا شك ، لهجات كثيرة فلا نعرف من أمرها شيئا . وقد بقيت بعض اللهجات العريية الجنوبية القديمة في الاسلام وقد أشار اليها العلماء كالهمداني (٢) ، ولا تزال بعضها حية يتكلم بها حتى اليوم .

وعند ظهور الاسلام كانت هنالك لهجات أيضا ، دعاها علماء العربية « لغات » . وقد دونوا أسماء عدد منها (٣) ، وهي لغات قبائل أكثر مما هي لغات أمصار وأقطار ، ولم يتعمق علماء اللغة - يا للأسف - في درس الفروق ومواضع الاختلاف الرئيسة التي كانت بين هذه اللهجات . كما أن ما ذكره لم يتناول لهجات جميع شبه الجزيرة ، ولا سيما لهجات الأقسام الشرقية والشرقية الجنوبية من شبه جزيرة العرب . وما ذكره لا يكفي لاعطاء حكم عن علاقة هذه اللهجات بعضها ببعض ، ولا عن وضعها قبيل الاسلام . وقد عرفوا أن بين بعض هذه اللهجات ولهجات الجنوب بونا كبيرا ، كالذي ذكره من أن أبا عمرو بن العلاء كان يقول : « ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا » (٤) ، كالذي ذكره عن ابن جنى من أنه كان يقول كذلك « وبعد فلسنا نشك في بعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابني نزار » (٥) ، الى غير ذلك . ولكنهم لم يحاولوا التعمق في ذكر تلك الفروق والمقابلة بين وجوه الاختلاف في نحو هاتين اللغتين وصرفهما .

ويظهر أن الاختلاف بين لهجات العرب عند ظهور الاسلام لم يكن كبيرا جدا بين

The Periplus of the Erythrean Sea. §. 24. (١)

(٢) صفة (١٣٤) . (٣) المزهر ١/٢١٠ ، ٢٢١ .

(٤) طبقات الشعراء لابن سلام (ص ٨٠) ، في الأدب الجاهلي (ص ٨٠) .

(٥) الحصائص (١/٣٩٢) .



القبائل ، وأن شيئا من التقارب في الالسنة كان قد ظهر بين عرب شبه الجزيرة قبيل الاسلام ، وأن ما ذكروه من وجود « لغات » لم يكن بالمعنى الذى نفهمه من معنى اللغة ، ولا سيما بالنسبة لعرب الحجاز ونجد ، وإنما كان ذلك في مسائل لا علاقة لها بالأصول ، كالذى ذكروه « أن أبا هريرة لما قدم من دوس عام خيبر لقي النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وقعت من يده السكين ، فقال له : ناولنى السكين ، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم ما المراد باللفظ ، فكرر له القول ثانية وثالثة ، ثم قال : ألمدية تريد ؟ ( وأشار إليها ) ، فقيل له : نعم ، فقال : أو تسمى عندكم السكين ؟ ثم قال : والله لم أكن سمعتها الا يومئذ » (١) ، وكالذى روى من « أن زيد بن عبدالله بن دارم وفد على بعض ملوك حمير ، فألقاه فى متصيد له على جبل مشرف ، فسلم عليه وانتسب له ، فقال له الملك : تب ، أى اجلس ، وظن الرجل أنه أمر بالوثوب من الجبل ، فقال ستجدنى أيها الملك مطواعا ! ثم وثب من الجبل ، فهلك . فقال الملك : ما شأنه ؟ فخبروه بقصته وغلظه فى الكلمة . فقال : أما انه ليست عندنا عربيت ، من دخل ظفار حمر . أى فليتعلم الحميرية . » (٢) . وأمثلة أخرى تشير الى مثل ما أشار اليه هذان المثلان ، وان كان على بعضها آثار الصنعة والتكلف . وأما ما روى من أن الرسول قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » (٣) ، أو « نزل القرآن بسبع لغات كلها شاف كاف » (٤) ، واختلاف الصحابة فى القراءات ، وجزع الصحابة من اختلاف المسلمين فى قراءة القرآن ، فانه كله لم يقصد به أن الصحابة اختلفوا بينهم اختلافا كبيرا فى الآيات وفى القواعد ، وانما كان اختلافهم فى مسائل صغيرة غير ذات بال . وقد بحث فى ذلك المفسرون ، وتعقبه العلماء مما يدل على أن الاختلاف لم يكن بهذا المعنى الذى يفهمه من لا علم له بالتفسير وبالكتب الاسلامية القديمة ، وانما كان أكثره بسبب وجود اختلاف بسيط بين الصحابة فى اللهجات . وقد خشي المسلمون منه كى لا يكون ذلك سببا فى اختلافهم فى رواية كتاب الله وتفضيلهم قراءة هذه اللهجة على تلك ، فتعدد نسخ القرآن بين الناس .

(٢) المزهر (١/٢٥٦) .

(١) فجر الاسلام (١/٦٢) .

(٣) الايقان (١/٦٢) .

(٤) المزهر (١/٢٥٧) . جامع البيان فى تفسير القرآن « تفسير الطبرى » طبعة

بولاق ١٣٢٣هـ (٩/١) ، يستحسن مراجعة الفصل الجميل الذى كتبه الطبرى فى هذا

الموضوع . الحصائص (١/٤٠٤) .

## العربية الشمالية والعربية الجنوبية :

واصطلح المستشرقون على رجوع اللغات التي ظهرت في شبه جزيرة العرب الى أصلين : أصل شمالي يقال للغات التي تعود اليه « اللغات أو اللغة العربية الشمالية » ، وأصل جنوبي يقال للغات التي ترجع اليه « اللغات أو اللغة العربية الجنوبية » .

ولم يشرح العلماء الأسباب التي ساقتهم الى هذا التقسيم شرحا وافيا ، ولم يحاولوا مناقشته ، بل قل منهم من بحث في سره وعلته ، فدرجوا عليه حتى اليوم دون تعليل أو انتقاد ، ومضوا على أن هناك لهجتين <sup>(١)</sup> . وقد حاكاهم في ذلك من عنى بهذه البحوث من العرب المعاصرين دون مناقشة كذلك ولا تفكير في الأسباب التي تدعو الى هذه المحاكاة ، بل ذهبوا كما ذهب أولئك الى وجود لغتين : « احدهما كانت قائمة في الشمال وهي التي نريد أن نؤرخ آدابها ، والاخرى كانت قائمة في الجنوب وهي التي تمثلها الحميرية والسبئية والمينية » <sup>(٢)</sup> وعنوا بالجنوب اليمن بصورة خاصة ثم حضرموت ببقية العربية الجنوبية ، وأما الشمال فالحجاز ونجد خاصة وبقية شمال شبه الجزيرة <sup>(٣)</sup> .

وأرى أن هذا التقسيم التقليدي للهجات العرب انما خطر ببال المستشرقين من النظرية العربية الاسلامية التي ترجع العرب الى أصلين : أصل عدناني ، وأصل قحطاني . فاما الأصل العدناني فتسمى اليه القبائل الحجازية وهي شمالية ، وأما الأصل القحطاني فتسمى اليه القبائل اليمنية ، والقبائل التي تزعم أن أصلها من اليمن وهي جنوبية بالنسبة الى الحجاز . فأخذوا بهذه الفكرة وساروا عليها ، ثم ازدادت رسوخا في أذهانهم بعد عثورهم على الكتابات المينية والسبئية والقبائية والحضرمية والحميرية وغيرها في اليمن بالمسند ، وعلى كتابات بخط يخالف هذا الخط وبلهجة تخالف هذه اللهجات في شمال شبه جزيرة العرب وفي الحجاز .

وأما الحق ، فإن هذا التقسيم تقسيم لا يقوم على أساس من العلم ، ولا يستند الى أسس جغرافية ، بل هو تقسيم تقليدي متوارث لا غير ، والا فهناك لهجات ثمودية وصفوية وحيانية ما الذي سيكون مقامها في هذا التقسيم ؟ هل تعد شمالية أم تعد جنوبية ؟ فاذا عدناها شمالية فانها تختلف عن هذه اللهجة التي تعارفنا على أنها اللهجة الاصلية الشمالية ، ولا يصح ادخالها في مجموعتها ، وهي تختلف عنها في النحو

(٢) في الأدب الجامعي ص ٩٢ .

(١) السامية ص ١٦٣ .

(٣) في الأدب الجامعي ص ٩٢ .



والصرف • وان قلنا انها جنوبية خالفنا المعنى المفهوم من الشمال والجنوب ، ووجب علينا أن نقرض أن أصل هؤلاء من الجنوب ، ثم هاجروا الى الشمال ، ولكننا لا نملك دليلا محسوسا على هذا ، وليس في لهجاتهم ما يدل على أنهم هاجروا من الجنوب ، كما أن بين لهجاتهم ولهجات الجنوب ما بين لهجاتهم ولهجات الشمال •

واللهجات الجنوبية - على رأى المستشرقين - هي : المعينية ، وهي أقدم هذه اللهجات ، والسبئية ، والقبتانية ، والحضرمية ، والحميرية ، والأوسانية ، وقد حصلنا على معرفتنا بها من النقوش • وتختلف هذه اللهجات اختلافا ليس كبيرا ، مثل الحاق أول الفعل الاصلى حرف « ه » فى السبئى ، وحرف « س » فى المعينى ، ومثله فى القبتانى والحضرمى ، فيقال : « هحدث » فى السبئية ، و « سحدث » فى المعينية والقبتانية والحضرمية بمعنى « أحدث » ، والأصل « حدث » (١) • ونلاحظ أيضا أن الكتابات المعينية أقل ضبطا فى الكتابة من السبئية (٢) • ويلاحظ أن الكتابات العربية الجنوبية لم تستعمل غير صيغة الغائب من الفعل فى أحواله المختلفة ، فلم يرد فيها للمخاطب مثلاً شئ • غير أن هذا لا يدل حتما على أن تلك اللهجات لم تشتمل على أكثر من صيغة واحدة للفعل فى كل الاحوال ، وهى صيغة الغائب (٣) ؛ فقد نعر فى المستقبل على نصوص تشتمل على صيغ أخرى لا نعرف من أمرها الآن شيئا • وقد ذهب بعض العلماء الى أن صيغ الفعل كانت تشتمل مثل سائر اللغات السامية على المتكلم والمخاطب والغائب ، ولكنهم كانوا لا يستعملون فى الكتابات الا صيغ الغائب (٤) • كذلك لم يرد فى النقوش العربية الجنوبية اسم الاستفهام حتى الآن (٥) •

ونجد فى العربية الجنوبية عددا غير قليل من الكلمات لا نعرف لها مثيلا فى اللغات السامية المعروفة لدى العلماء ، كما أنها تحتوى على اصطلاحات وألفاظ لا توجد الا فى العبرانية • وتوجد فيها نقوش مكتوبة بأسلوب موجز يستشف منه أنه أخذ من كتابات أقدم عهدا منها (٦) • وتثير كل هذه الأمور أسئلة أمام الباحثين عن قدم هذه اللغات ومكانتها بالنسبة الى اللغات السامية الأخرى • ويلاحظ أن بين اللهجات العربية الجنوبية

(١) المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة لأغناطيوس غويدى (ص ٧) •

(٢) المختصر (ص ٣) • (٣) السامية (ص ٢٤٧) •

(٤) السامية (ص ٢٤٧) • (٥) المختصر (ص ٦) •

(٦) السامية (ص ٢٤٦) •

والعبرانية تقاربا ملحوظا دفع بعض الباحثين الى القول بأن العربية الجنوبية أقرب الى  
العبرانية منها الى اللغات العربية الشمالية (١) . وهذا التقارب اللغوي هو الذى أوحى ،  
ولا شك ، الى بعض المستشرقين أن العبرانيين والعموريين هم من أصل جنوبي ، وأنهم  
كانوا فى الأصل فى العربية الجنوبية الغربية (٢) حيث مواطن الساميين .  
وقد تمكن المستشرقون من التقدم تقدما محسوسا فى السنين الأخيرة فى دراسات  
اللهجات العربية الجنوبية القديمة ، فوضعوا مؤلفات جديدة فى نحوها وصرفها ، كما  
شرعوا فى وضع معجم لغوى لها (٣) ، فأصبحنا بفضل هذه الدراسات فى وضع تتمكن  
فيه من قراءة الكتابات وفهمها بسهولة . أما اللهجات اللحيانية والثمودية والصفوية ، فإن  
ما عثر عليه من كتابات بها ما زال غير كاف لاعطاء فكرة صحيحة عنها ، واللهجة  
الثمودية هى أحسن حظا من بين هذه اللهجات الثلاث ، فقد عثر فيها فى القرن العشرين  
على عدد لا بأس به ، ولكن دراستها لا تزال فى مراحلها الأولى غير ناضجة ، والمشتغلون  
بها بين المستشرقين قليلون ، وقد أخذوا فى تأليف كتب خاصة بالثمودية واللحيانية (٤) .  
لقد لوحظ أن اللحيانية والثمودية والصفوية تشتمل على كلمات وصيغ مخصوصة  
لا تختلف عن اللغة العربية التى نكتب بها . ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نعدّها عربية شمالية ،  
أو عربية جنوبية . وأرى أن الوقت لم يحن بعد لتعيين مركز هذه اللهجات ، ما دما نجعل  
شيئا كثيرا من نحوها وصرفها ، بل وأكثر معانى الكلمات فيها . وتستعمل الثمودية  
والصفوية « الهاء » أداة تعريف بدلا من « الألف واللام » فى العربية يقال « هملك »  
بمعنى « الملك » ، و « هدار » بمعنى « الدار » . وذلك كما فى العبرانية ، إذ تستعمل الهاء  
فيها أداة للتعريف ، ويقوم « ذ » مقام الاسم الموصول كما عند طى ، فى قديم الزمان ، ولا  
نعرف الآن صرف تلك الذال ولفظها هل كان ذو أو ذى أو ذا (٥) .

(١) G. A. Barton, Semitic, P. 75.

(٢) Barton, P. 75. Hommel, Südarbische Chrestomatie, München, 1893.

PP. 18.

(٣) أغناطيوس غويدى : المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة

القاهرة ١٩٣٠ . M. Höfner, Altsüdarabische Grammatik, Leipzig 1943.

(٤) F. V. Winnett, Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions. Hubert

Grimme, Die Lösung des Sinaschriftproblems Die Altthamudische Schrift.

(٥) المصدر نفسه ( ص ٢٥٠ ) .



أما النصوص التي أسماها المستشرقون « نصوصا عربية شمالية » ، وقد رأيت أنها لا تتجاوز عدد أصابع يد واحدة ، فإن الحديث في نظري عن نحوها وصرفها في الوقت الحاضر أمر سابق لاوانه ، ولسنا بمستطيعين أن نضمن إلى علاقتها بلغتنا العربية وباللهجات الأخرى إلا بعد الحصول على عدد كاف من هذا النوع من النصوص يكفى لاستخراج نحو هذه اللهجات ، وصرفها ، ومميزاتها اللغوية . وكذلك شأن الكتابات الأخرى التي عثر عليها حديثا في المملكة العربية السعودية ، ويرى بعض المستشرقين أنها قد تكون لهجات جديدة لا نعرف من أمرها شيئا في الوقت الحاضر . وبالجملة ، إن الحكم عليها يجب أن يوكل أيضا في نظري إلى المستقبل . فإذا هيأت لنا الأيام نصوصا كافية ، أمكن الحكم عليها وعلى محلها بين اللهجات .

يلاحظ أن كتابات أحجار القبور التي عثر عليها في العراق وفي « عين جاوان » أفتحت بعبارة « نفس وقبر » (١) . أما الكتابات التي عثر عليها في « نأج » وقرب القطيف ، فقد بدأت بجملة « وكر وقبر » (٢) . ومصطلح « نفس وقبر » ، أو « وكر وقبر » وتعنى كلمة « وكر » حفيرة أو كهفا ، من الاصطلاحات التي ترد في شواهد القبور المستعملة في النبطية وفي الثمودية وفي العبرانية ، وأحيانا في السريانية (٣) . أما في الكتابات العربية الجنوبية القديمة ، فلم ترد ، وإنما وردت عبارات تحمل هذا المعنى ، ولكنها تعود إلى اليهود المتأخرة إلى ما بعد الميلاد وربما تعود إلى القرنين الخامس والسادس الميلاديين (٤) ،

كذلك نجد للكتابات التي عثر عليها في « القرية » وفي جبل عبيد وفي شمال خشم كمدة أهمية في الدراسات اللغوية ، وقد وردت فيها أسماء كثيرة لم ترد في الكتابات

W. K. Loftus, Travels and Researches in Chaldea and Susiana (١)  
1849-1852. P, 233. B.O.A.S.O.R. Number 102. April 1946. P, 4. The Geogr.  
Journ. LIX (1922), 321-323. Corpus. Nos. 984. 985. Le Mueséon, L, P. 239 f.  
Ryck. 155.

B.O.A.S.O.R Nr. 102. April, 1946 P. 4. The Geogr. Journ. LIX (1922). (٢)  
321-323. « Captain Shakespear's last Journey ».

B.O.A.S.O.R, Nr. 102. April 1946. P. 4. C. 450. 700. 701. 716. Supplement (٣)  
to the Thesaurus Syriacus, P. 215.

B.O.A.S.O.R., Nr. 102. April, 1946. P. 4. (٤)

العربية الجنوبية وفي العربية الشمالية ، كما أننا نجد أنها تنفرد ببعض القواعد النحوية والصرفية (١) ، وستكون هذه وغيرها موضع دراسات علمية في المستقبل ولا شك قد تؤدي الى العثور على لهجات جديدة ، وعلى حلقات مفقودة بين أقدم اللغات العربية ، وقد توفق بسببها الى معرفة تاريخ تطور هذه اللهجات .

ولاحتمال العثور على كتابات في المستقبل قد توصلنا الى معرفة لهجات جديدة (٢) ، وما ذكرته كذلك من أسباب ، أرى أن تقسيم المستشرقين للعربية الى أصليين أو مجموعتين تقسيم سوف يضطرنا المستقبل الى تركه ؛ لأن التقسيم في نظر العلم يجب أن يستند الى أسس قوية وحجج مسلمة ، وحدود معروفة واضحة المعالم ، وليس لدى أصحابه دليل مقبول . وإذا استعملت هذا التقسيم في كتابي ، فانما أنا حاك في ذلك رأى المستشرقين ، وليس فيه ضير بعد أن بينت رأبي فيه . وعندى أن كل ما قيل عن لغات شبه الجزيرة هو لهجات لم يحن الوقت بعد الى تقسيمها الى أصول ومجموعات .

وبعد ، فسأطلق لفظة العرب في كتابي هذا على كل الاقوام التي سكنت في العربية ، كائنة ما كانت لهجتها ، أهل المدر منهم وأهل الوبر . فكل هؤلاء « عرب » وأن اختلفت عندهم طرق المعيشة أو تنوعت اللهجات .

(١) نشرت بعض هذه النصوص مع ترجماتها في مجلة « Le Muséon » التي تصدر ببلجيكة في الجزء (٢/١) من سنة ١٩٤٩ ( ص ٨٨ ) وما بعدها .

(٢) عثر على كتابات سبئية جديدة في موضع « وادي مسيل » الواقع على مسافة ٥٠ كيلومترا الى الجنوب الشرقي من « دوايمي » . راجع مقال « فلبس » في : Geogr. Jour. Vol. CXVI, NOS 4-6, 1950 P. 211 ff.



## الفصل الرابع

# طبقات العرب وأنسابهم

اتفق الرواة وأهل الأخبار ، أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب الى طبقات : عرب بائدة ، وعرب عاربة ، وعرب مستعربة (١) . واتفقوا أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب الى قسمين : قحطانية منازلهم الأولى في اليمن ، وعدنانية منازلهم الأولى في الحجاز (٢) .

واتفقوا أو كادوا يتفقون على أن القحطانيين هم عرب منذ خلقهم الله وعلى هذا النحو من العربية التي نفهمها ويفقهها من يسمع هذه الكلمة . فهم الأصل ، والعدنانية هم الفرع ، منهم أخذوا العربية ، وبلسانهم تكلم أبناء اسماعيل بعد هجرتهم الى الحجاز . شرح الله صدر جدهم اسماعيل فتكلم بالعربية ، وهي لغة أبيه التي كانت السريانية أو الكلدانية أو العبرانية على بعض الأقوال (٣) .

وظل الرواة يتوارثون هذا التقسيم كلما بحثوا في تاريخ العرب قبل الاسلام ، وفي موضوع الأنساب . ولا حاجة بنا الى أن نعود فنقول : ان كل ما روى عن هذا التقسيم ، وما رواه الرواة من أخبار تلك الطبقات ، لم يرد اليينا عن طريق النصوص المدونة قبل الاسلام ، وانما ورد اليينا متواترا من الكتب المدونة في الاسلام ، لذلك لا نستطيع أن نجرؤ فنقول : ان هذا التقسيم هو تقسيم وضعه الجاهليون ، وتوارثوه كابرا

(١) الهلال الجزء العشرون السنة الخامسة حزيران ١٨٩٧ ص ٧٦٨ فما بعدها .  
ابن خلدون ( طبعة بولاق ) ١٦/٢ .

(٢) في الأدب الجاهلي ( ص ٧٩ ) .

(٣) مروج الذهب ١/٢٦٢ ، في الأدب الجاهلي ( ص ٨٠ ) .

عن كابر حتى وصل الى صدر الاسلام ، ثم منه وصل الينا .

لا شك في أن عرب الجاهلية كانوا يعنون بالأنساب عناية كبيرة ، لأنها كانت أحد أسباب الالفة والتنافر (١) ، ودعامة من دعومات النظام السياسي . وقد استدعى نظام القبائل وجوب العناية بالأنساب والأحساب ، للمفاخرة والمنافرة والتحالف بين القبائل والذب عن الأفراد والجماعات . والنسب هو الضامن والكفيل للحصول على حقوق المواطنة في المجتمع القبلي ، الذي تقوم فيه القبيلة وفروعها مقام القومية والجنسية الآن . ولكن من يضمن لنا أن هذه الأنساب المروية هي أنساب قديمة جرى عليها الجاهليون ؟ وأنها رويت على الصورة التي تعارف عليها العرب منذ خلقهم الله ! وكل البحوث الحديثة تنفي الظن في أكثر هذا الذي دونه الكلبى وابنه وبقية النسابين وتراه شيئاً محدثاً لم يكن له أساس قديم .

وفي القرآن الكريم آيات تشير الى عناية القوم بأحسابهم وأسابهم « فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم » (٢) . ولكنه لم يتعرض لبيان وجهة نظرهم بالنسبة إليها ، ولا يشعر في موضع ما منه بوجود تلك الفكرة التي ألح على وجودها الأخباريون وهي انقسام العرب الى طبقات ثلاث أو طبقتين ، ووجود فرق بين العرب في النسب ، وانقسامهم الى عدنانيين وقحطانيين . ولم يرد فيه اسم « عدنان » ولا « قحطان » ولا أى من هذه الأشياء التي يتمسك بها أهل الرواية والأخبار ، ويقصونها لنا على أنها من الحقائق الثابتة في أنساب العرب ، وعلى أن العرب كانوا حقاً من جدتين هما عدنان وقحطان . بل كل ما ورد فيه يشعر أن العرب كانوا ينظرون الى أنفسهم أنهم من جد أعلى واحد هو اسماعيل بن ابراهيم ، وأن ابراهيم أبو العرب « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين . . . » (٣) . فلم يفرق بين عرب قحطانيين وعرب يمانين . وقيل ان الرسول قال : « كل العرب من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام » (٤) .

ولم يرد في الشعر الجاهلى ذكر لهذا النسب ، وكل ما ورد فيه هو فخر بقحطان

(١) بلوغ الأرب ٢/١٨٢ .

(٢) سورة المؤمنون : رقم ٢٣ ، آية ١٠١ .

(٣) سورة الحج : رقم ٢٢ ، آية ٧٨ .

(٤) الواقدي : الطبقات ، القسم الأول من الجزء الأول ( ص ٢٥ ) .



أو عدنان أو معد أو غير ذلك من الأسماء التي تعد من أسماء الأجداد التي ينتمى لها « الشعب » أو « الجذم »<sup>(١)</sup> . أما التفصيلات الأخرى والأسماء الواردة في الكتب ، فهي من روايات الشراح والرواة . ثم إن من الشعر الجاهلي ما لا يصح أن يكون جاهليا ، وأغلبه من النوع الذي قيل قبيل الاسلام ، ولا يصح لذلك أن يكون شاهدا على آراء أهل الجاهلية البعيدين عن الاسلام .

وقد غنى المستشرقون بدراسة موضوع انقسام العرب الى قحطانيين وعدنانيين ، كما قام علماء بدراسة جماجم القبائل العربية الجنوبية ، والقبائل العربية الشمالية ، فلم يتوصلوا الى وجود فرق في تركيب أجسام العدنانيين أو القحطانيين . وكل ما توصلوا اليه هو أن القبائل سواء أكانت قحطانية أم عدنانية تحمل في دماءها نسبة من الدماء الغربية بقدر اختلاطها وصلاتها بالأقوام ، ويستوى في ذلك قبائل الطرفين .

وقد ذهب « دوزي » الى وجود فروق أساسية بين القحطانيين والعدنانيين ، حتى ذهب الى وجود اختلاف بين نفسية كل جماعة من الجماعتين<sup>(٢)</sup> . ونحن لا نريد أن ننكر عليه وجود العدا الذي كان قد استحکم بين القبائل التي تنسب الى معد أو الى قحطان قبل الاسلام . نعم لا نريد أن ننكر عليه تهجم شعراء اليمن على قبائل معد أو عدنان ، ولا تهجم شعراء عدنان على قبائل اليمن المنتمية الى قحطان ؛ ولا نريد أن ننكر افتخار اليمانيين باتسابهم الى اليمن ، ولا افتخار العدنانيين باتسابهم الى عدنان أو معد أو مضر أو غير ذلك من أسماء الشعوب والأجذام لا نريد أن ننكر شعر امرئ القيس وافتخاره بنسبه في اليمن<sup>(٣)</sup> ، ولا أن ننكر شعر غيره من اليمانيين أو القحطانيين في الافتخار بيمين أو بمضر أو بمعد . ولكننا لا نريد أن ننكر في الوقت نفسه افتخار القبائل القحطانية بعضها على بعض وافتخار القبائل العدنانية بعضها على بعض ، وهجاء القبائل القحطانية بعضها لبعض وهجاء القبائل العدنانية بعضها لبعض هجاء

(١) بلوغ الأرب ١٨٨/٢ فما بعدها . الشعب : النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان ، سمي شعبا لأن القبائل منه تشعبت . وتليه القبيلة . وأما الجذم فمثل عدنان وقحطان في رأى من قدم الكلمة على « الشعب » وجعل الشعب مثل « مضر » .

(٢) Dozy, Gesch. d. Mauren in Spanien, Vol, I, 73. ff. Muh. Stud, Vol, I, P, 89.

Nallino, Reccolta, Vol, 3, P. 73.

(٣) « انا معشر يمن » . Muh. Stud, Vol, I, P, 89.

لا يقل عن هجاء اليمن لمعد أو هجاء معد لليمن (١) . فهل يصح أن يكون هذا الهجاء سببا لوضع نظرية في اختلاف أجناس هذه القبائل ؟

هذا قيس بن الخطيم لسان الأوس يحمل على الحزرج ، ويردد ذكريات الأيام التي كانت بين الأوس والحزرج بمثل الشدة التي تجدها في شعر الهجاء الذي قاله العدنانيون في القحطانيين والقحطانيون في العدنانيين . انه يعيد ذكريات تلك الأيام لا لمجرد الفخر ، والتباهي ، بل ليثير في نفوس الأوس الأحقاد القديمة ، وليزيد في تلك النيران نارا ، لقد ذكروهم بيوم الربيع (٢) وذكروهم بيوم السرارة (٣) وذكروهم بيوم مضرس ومعبس (٤) وهو يوم دارت فيه الأيام دورتها على الأوس ، فقتل منهم عدد كبير ، وانهمز أكثرهم الى بيوتهم وآطامهم ، حتى خرج الناس من طوائفهم الى مكة يستعينون على الحزرج (٥) ، وذكروهم بأيام أخرى . كل ذلك بلهجة عنيفة شديدة ليس فيها لين ولا رفق . انه ينظر الى الحزرج نظرة عداوة وحقد ، نظرة تشعر منها أن الأوس جنس وأن الحزرج من جنس بعيد آخر . لقد ذكر قريشا بخير ، وذكر أنها ستحمل عنهم حرب الحزراج ، وذكر أنهم لو التحقوا بأبرهة اليماني أو بنعمان أو عمرو - ويفظن أنه يقصد بهما النعمان بن المنذر ملك الحيرة وعمرا الغساني - (٦) لسألوا من هؤلاء كل تقدير ، ولجعلوا لهم جاها أي جاء . ذكر أبرهة حاكم اليمن ، وذكر غسان وحمما ، وذكر أهم من ذلك كله قريشا على أنهما ستحمل الحرب وستقابل الحزرج عما

(١) قال سلامة بن جندل السعدي ، وهو من قبائل مضر ، ومضر هو ابن نزار ابن معد :

همت معد بنا هما فنهنها  
عنا طعان وضرب غير تذبيب  
بالمشرفي ومصقول أسنتها  
صم العوامل صدقات الانابيب

المفضليات ( ص ٢٢٧ ) .

وقال الجميح الأسدي :

سائل معدا من الفوارس لا  
أوفوا بجيرانهم ولا غنموا

المفضليات ( ص ٤٥ ) .

(٢) شعر قيس ( ص ٧ ) .

(٣) شعر قيس ( ص ٢٠ ) .

(٤) شعر قيس ( ص ٣٢ ) . ديوان حسان بن ثابت ( اخراج Hirschfeld )

ص ٨٤-٨٣

(٥) شعر قيس ( ص ٣٢ ) .

(٦) شعر قيس : القسم الألماني ( ص ٦٧ ) .



قريب • وقريش من عدنان ، والأوس والحزرج من قحطان ، ولم نجد في شعره ما يذكر برابطة النسب بين الحزرج والأوس • ولم يرد في شعره اسم قحطان أو عدنان • والقصيدة التي ذكر فيها هذا اليوم هي من أقدم قصائد هذا الشاعر الذي اضطرت قبيلته الظفر ، ومعها عبد الأشهل ، الى مغادرة يثرب والتقيش عن حليف يساعدها في العودة الى ديارها ، فذكر قيس قريشا (١) ، وكأنه يذكر قبيلة قريبة من قبيلته ، مع أنها من نسب آخر على رأى النسابين •

ثم ان علينا أن نحسب حسابا لأمر هذا الشعر المروى في الفخر والهجاء ، وهو أوسع باب من أبواب الشعر يحتمل النقد ، واثارة الشكوك حوله • وقد خبرنا من الكتب أن القبائل كانت تستأجر الشعراء لقول المدح أو الذم ، وأنها كانت تعد الشاعر منحة من منح الله على القبيلة ؛ لأنه سيكون لسانها الناطق والذائد عنها بلسانه ، يدافع عن قبيلته ، ويهاجم أعداءها ، ويتهمم بكل ما يصل اليه فنه من الهجاء ورمى التهم ، كائنين ما كانوا قحطانيين أو عدنانيين • وقد اقتضت طبيعة الخصومة التي زادت حدتها في الاسلام بين يمن ومضر وضع شيء كثير من هذا الشعر شعر المنافرة والمفاخرة بين عدنان وقحطان ، وهذا أمر وقع مفروغ منه ولا شك في صحته وثبوته ، اقتضته ظروف السياسة ، فيجب الانتباه له حين التحدث عن نزاع قحطان وعدنان (٢) •

وكيف يجوز لنا أن نتصور انقسام العرب الى قسمين قحطانيين ويمانيين انقساماً حقيقياً ، وقد كانت القبائل تتحالف فيما بينها وتتحارب بعضها مع بعض بأحلاف قد تكون مزيجية من قحطان وعدنان ؟ فإذا كان الأمر كذلك ، وإذا كان العرب قحطانيين وعدنانيين بالأصل ، فكيف تحالفت « جديلة » وهي من طيء مع بنى شيبان وهي من عدنان لمحاربة بنى عيس (٣) ؟ وكيف يفسر تحالف قبائل يمانية مع قبائل عدنانية لمحاربة قبائل يمانية ، أو لعقد محالفات دفاعية هجومية معها ؟

ترينا الأخبار أن النزاع بين القحطانيين واليمانيين لم يكن شديداً بين القبائل التي كانت تقيم في الأنحاء الشمالية من شبه جزيرة العرب ، أى بين تلك القبائل التي رجع النسابون نسبها بحق أو بغير حق الى عدنان أو قحطان يمثل تلك الشدة التي ظهرت في

(١) شعر قيس : القسم الألماني ( ص ٦٦ ) •

(٢) Muh, Stud. Vol, 1, P, 29. (٣)

Muh, Stud. Vol, 1, P, 91, (٢)

النزاع الذي تحدثوا عنه بين القبائل التي كانت تعيش في اليمن أو في نجد أو الحجاز • وهذا أمر ذو بال يجب أن يحسب له كل حساب عند الحديث على نزاع عدنان وقحطان (١) •

لقد كان « نولدكه » أول من شك من المستشرقين في هذا النسب العام الذي وضعه أصحاب الانساب للعرب ، وكان أول من نبه على أثر اليمانيين في وضعه وفي محاولتهم رجعه الى عهد قديمة قبل الاسلام (٢) • وذهب « هالفي » أبعد من ذلك فرأى أن كل ما قيل عن هجرة القبائل اليمانية الى الشمال هو أسطورة ، وأن ما يزعم من انتساب تلك القبائل الى اليمن هو حديث خرافة لا يركن اليه (٣) •

وقريب من هذا الرأي رأى « ألويس موسل » في أصل القبائل القحطانية القاطنة في الشمال ، فعنده أنها لم تكن قحطانية بالأصل ، وإنما هو مجرد زعم • فلما كان الانتماء الى اليمن قبل الاسلام فخرا يحدث أن بعض الأشخاص من المراكز التجارية التي كانت تهيمن عليها الحكومات اليمانية يتزوجون في القبائل المجاورة لهم ويتناسلون ، أو أن بعض التجار القادمون من اليمن أو رجال القوافل تطيب لهم الإقامة في مكان من الأماكن التي يمرون بها ، فيتزوجون بها ، فينتسب نسلهم الى اليمن • وإذا ما تكاثروا ادعوا أنهم من أصل يمانى • فلا هجرة حقيقية هناك على رأى هذا المستشرق بالمعنى الذي يفهم من الهجرات •

### أثر التوراة :

ولا بد من الإشارة الى أثر التوراة في أنساب العرباء القدماء ، وهو أثر لم ينكره أصحاب الانساب والتاريخ • والظاهر أن ما جاء في القرآن الكريم مجملا من أمر آدم ونوح والطوفان و ابراهيم واسحاق ويعقوب واسماعيل وغيرهم من الانبياء ، وما جاء من أمر عاد وثمود وقوم صالح وأصحاب الأيكة : كل هذه دفعت المشوقين الى معرفة الأخبار الى البحث عنهم ، فكان ما كان من العثور على أكثر ذلك عند أهل الكتاب ،

Muh. Stud. Vol, I, P, 91. (١)

Muh. Stud. Vol, I, P, 92. Nöldeke, in ZDMG. XL (٢)

Muh. Stud. Vol, I, P, 92. Halévy, in Journal Asiatique, 1882 II, P, 490. (٣)

and Compte Rendu de VI. Internat. Orientalistencongress, Leiden 1884, P, 102.



والأقبال على قراءة التوراة ولا سيما « التكوين » ، وقد قالوا له « البدء » كذلك (١) ،  
فأخذوا ما يعوزهم منه • ووقفوا بين ما كان علق بأذهانهم من أمر ما باد من الشعوب  
العربية وبين ما جاء في التوراة ، فكان من ذلك هذا المحفوظ في الكتب •

ويمكن حصر هذه الروايات الواردة في الأنساب ، ورجعها الى الطرق الأصلية  
التي وردت منها والى المدن التي ظهرت فيها ، وسنجد بعد البحث أن غالبية رواة هذا  
النوع من الأخبار كانوا قد استقوا من معين واحد : هم أهل الكتاب مثل كعب الأخبار  
ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام ، وحتى هؤلاء الذين ولدوا من أبوين مسلمين كانوا قد  
اعتمدوا في روايتهم على أهل الكتاب مثل محمد بن اسحاق صاحب السيرة الذي كان  
يكثر الرواية عن أهل الكتاب ويسميهم أهل العلم الأول (٢) ، ومثل محمد بن السائب  
الكلبي وابنه أبي المنذر هشام وغيرهما • واشتهر من بين أهل الكتاب رجل يهودى يقال  
له أبو يعقوب من أهل تدمر كان يزود ابن الكلبي وغير ابن الكلبي بهذه الأخبار (٣) •  
وقال الطبري : « كان ناس من اليهود كتبوا كتابا من عندهم يبيعونه من العرب ،  
ويحدثونهم أنه من عند الله ، ليأخذوا به ثمنا قليلا » (٤) •

أما الأماكن التي ظهرت فيها هذه الروايات الاسرائيلية ، فهي اليمن والمدينة  
والعراق ولا سيما الكوفة • وقد كان في كل هذه المواضع رجال من أهل الكتاب

---

(١) ابن خلدون ( ١٨/٢ ، ٣٤ ) « وفي كتاب البدء ، ونقله ابن سعيّد • جاءت  
هذه التسمية من الابتداء بالخلق على ما أرى ، ولذلك قيل للكتب التي تبحث عن الخلق ،  
وبدء التكوين والانبياء ( كتب البدء ) • قال المسعودي : « وما ذكره أهل التاريخ  
والمصنفون لكتب البدء كوهب بن منبه وابن اسحاق وغيرهما ••• » مروج الذهب  
( ١ / ٣٢٠ ) •

(٢) الفهرست ( ص ١٣٦ ) •

(٣) الواقدى : الطبقات ، الجزء الأول ، القسم الأول (ص ٢٩) ، Sprenger, Mohammad.,  
Vol. 3. P. CXXXIII, Muh. Stud, Vol, 1 P. 178. Muir, Life of Mohamet. 1. P.  
CVII Bate. P. 117. « وكان رجل من أهل تدمر يكنى أبا يعقوب من مسلمة بنى اسرائيل ،  
قد قرأ من كتبهم وعلم علمهم ، فذكر أن بورخ بن ناريا كاتب أرميا أثبت نسب معد  
ابن عدنان عنده ووضع في كتبه ، وأنه معروف عند أخبار أهل الكتاب وعلماهم مثبت  
في أسفارهم ، وهو مقارب لهذه الأسماء ولعل خلاف ما بينهم من قبل اللغة ؛ لأن هذه  
الأسماء ترجمت من العبرانية » • الطبقات ( ١ / ١ ص ٢٩ ) •

(٤) تفسير الطبري ( ١ / ٣٠٠ ، ٣ / ٢٣١-٢٣٢ ) ، Nallino, Raccolta, Vol, 3, P. 120 •

وجاليات منهم مونوا أهل الأخبار بما كانوا يرغبون في معرفته ، ولم يكن هؤلاء على قدر واحد في المعرفة والفهم ، والظاهر أن بعضا منهم لم يكن له المام بالتوراة ولا بالتلمود وغيرهما من الكتب وإنما أخذ ذلك من أهل النظر منهم ، أو كما وصل إليه من أهله وحاشيته ولذلك اضطربت روايات الأخباريين في بعض الأحيان في رواية خبر واحد ، كما اختلفت في ضبط الأسماء . وقد علل ابن خلدون اختلافهم في ضبط الأسماء بقوله : « واعلم ان الخلف الذي في ضبط هذه الأسماء إنما عرض في مخارج الحروف ، فان هذه الأسماء إنما أخذها العرب من أهل التوراة ، ومخارج الحروف في لغتهم غير مخارجها في لغة العرب . فاذا وقع الحرف متوسطا بين حرفين من لغة العرب ، فترده العرب تارة الى هذا وتارة الى هذا . وكذلك اشباع الحركات قد تحذفه العرب اذا نقلت كلام العجم ، فمن هنا اختلف الضبط في هذه الأسماء . » (١) .

والحق هو أن هذا الخطأ لم يقع في ضبط الأسماء فقط ، بل وقع في أمور جوهرية ترينا جهل بعض الرواة بجدول الأنساب ، وترينا الخلط أحيانا بين الروايات الاسرائيلية والروايات الإيرانية . وقد تكون من هذا المجموع المدون في الكتب الاسلامية عن الأنساب خليط من روايات اسرائيلية وروايات فارسية وقصص شعبي عربي يجوز أن نضيف اليه عنصرا آخر هو الوضع ، فقد وضع الرواة شيئا من عندهم حين عاجزوا عن الحصول عليه من الموارد الثلاث المذكورة ، وكان لا بد لهم من سد تلك الثلمة فسدوها بما جادت به قرائحهم من شعر ونثر . ومن هذا القبيل ما أدخلوه على التوراة أيضا من أنساب زعموا أنها وردت في التوراة ، وليس لها وجود فيه .

جعل الرواة آدم « كيومرث » (٢) و « أفريدون » نوحا (٣) ، وجعلوا « لاوذ » ابنا من أبناء ارم بن سام أخى عوص وكاثر (٤) مع أنه « لود » شقيق ارم بن سام ووالد عوص وجائرا (٥) . وقالوا : ان في التوراة ذكر ملك الأهواز ، واسمه كرد من بني غليم (٦) ؟ وقالوا أشياء أخرى من هذا القبيل .

- |                                   |                                      |
|-----------------------------------|--------------------------------------|
| (١) ابن خلدون (٥/٢) .             | (٢) ابن خلدون (٥/٢) .                |
| (٣) ابن خلدون (٦/٢) .             | (٤) ابن خلدون (٧/٢) .                |
| (٥) التكوين : اصحاح ١٠ ، آية ٢٢ . | Hastings . P. 557 أخبار الأيام الأول |
| (٦) ابن خلدون (٧/٢) .             |                                      |



أما متى دخلت أنساب التوراة الى العرب ، فنحن لا نستطيع - للأسباب التي تقدمت - أن نتحدث عن أيام الجاهلية ، غير أن لدينا أدلة كثيرة تثبت أنها دخلت الى المسلمين عن طريق من ذكرنا في أيام الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية . وقد ظهر في هذا الوقت خاصة جماعة من العرب والموالي اشتغلت بالأنساب حتى أصبح علما من العلوم<sup>(١)</sup> . فلا بدع اذن من أن يلجأ أصحابه الى أهل الكتاب للاستعانة بهم في الوقوف على أنساب الأمم كما جاءت عندهم . ويمكن عد « كتاب الملوك وأخبار الماضين » لعبيد ابن شرية الجرهمي من أقدم هذه الكتب التي اعتمدت على الاسرائيليات<sup>(٢)</sup> .

وحدث أن وقع النسابون في مثل الغلطات التي وقع فيها نسابو أهل الكتاب ، لاعتمادهم على التوراة . فقد راعى العهد القديم في تدوين بعض الأنساب العواطف التي كان يحملها العبرانيون ، فقدم أجداد العبرانيين على غيرهم ، وأضاف الى قائمة الساميين ما ليس منها ، وأضاف اليها ما لا يجب أن يضاف . وزادت هذه الغلطات جهل المتحدثين بلسان التوراة وعدم وقوفهم على الاسرائيليات وقوفا تاما ، وبعض العواطف التي أظهرها أهل الأخبار فحذفوا وأضافوا ، وغيروا ، فكان من ذلك هذا الاضطراب الذي يمكن الوقوف عليه بكل سهولة .

رجع النسابون نسب أقدم طبقات العرب الى أبناء سام ، ونقلوا أسماء أبناء سام من التوراة فقالوا : انه كان له خمسة من الولد ، هم : أشوذ ، وأرفخشذ ، ولاوذ ، وارم ، وعيلم على رأى بعض الرواة<sup>(٣)</sup> . أو أرفخشذ ، وأشوذ ، ولاوذ ، وعويلم ، وارم<sup>(٤)</sup> . أو عابر ، وعيلم ، وأشوذ ، وأرفخشذ ، ولاوذ ، وارم أحيانا<sup>(٥)</sup> باضافة عابر الى قائمة الأبناء .

وترى منها أن النسابين قد أجرؤا عليها بعض التعديل ، فأصبح أشور « أشوذ » ، وغدا أرفكشاد « أرفخشذ » وعيلام « عويلم » أو « عيلم » ، ولود « لاوذ » وأرام « ارم »<sup>(٦)</sup> .

Muh. Stud. Vol. I, P, 190. (١)

(٢) الفهرست (ص ٨٩) Muh. Stud. Vol, I, P, 182. المسعودى (٣/٢٧٥)

(٣) ابن خلدون (٧/٢) . (٤) الطبرى (١/١٠٢) .

(٥) الطبرى (١/١٠٣) . ويرد فى بعض الكتب « آرم » و « آرام » الكامل ٣١/١ ، كتاب التيجان ٢٥ .

(٦) الهلال : الجزء العشرون ، السنة الخامسة ، حزيران ١٨٩٧ (ص ٧٧١) .

وأخذ النسابون أولاد لاوذ من التوراة كذلك مع شيء من الخطأ في بعض الروايات ، فذهبوا الى أنه أولد أربعة اولاد ، هم : طسم ، وعمليق ، وجرجان ، وفارس (١) . وأضافوا الى هذا العدد أسماء أخرى في بعض الروايات ، هي : جديس ، وأميم (٢) ، وعبد ضخم (٣) . وقد تضاف إليها أسماء أخرى وقد تنقص .  
 واما ارم ، فأولد عددا من الاولاد ، هم : عوص ، وكاثر أو غائر ، وحويل (٤) . ويضاف إليها ماش في بعض الروايات (٥) . وولد عوص «عوص» غائر بن عوص ، وعاد بن عوص ، وعييل بن عوص (٦) . وولد غائر بن ارم ثمود ، وجديس بن غائر (٧) .  
 ترى مما تقدم أن المؤلفات العربية الاسلامية جعلت للاوذ أو لود ولغائر أو جائر ولعوص اولادا هم اجداد قبائل سكنت في مواضع متعددة من جزيرة العرب (٨) . أما التوراة ، فلا أثر فيها لنسل هؤلاء .

#### العرب البائدة :

ومن عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وجاسم وعييل وعبد ضخم وجرهم الأولى والعمالقة وحضورا (٩) ، كون الأخباريون الطبقة الأولى من طبقات العرب . وقد شك كثير من المستشرقين في حقيقة وجود هذه الأقوام ، فعدها بعضهم من الأقوام الخرافية التي ابتدعتها مخيلة الرواة ، وخاصة حين عجزوا عن العثور على أسماء مشابهة لها أو قريبة منها في اللغات القديمة أو في الكتب الكلاسيكية ، وقد اتضح فيما بعد أن في هذه الأحكام شيئا من التسرع ، فتمكن العلماء من العثور على أسماء بعض هذه

(١) ابن خلدون (٧/٢) ، الطبري (١٠٣/١) .

(٢) الطبري (١٠٤/١) .

(٣) ابن خلدون (٧/٢) ، وعند بعض الرواة انهم أبناء ارم . المرجع نفسه .

(٤) الطبري (١٠٣/١) ، ابن خلدون (٧/٢) .

(٥) الهلال : السنة الخامسة ، حزيران ١٨٩٧ (٧٧١/٢٠) . ويقال مشح . ابن

خلدون (٧/٢) .

(٦) الطبري (١٠٣/١) ، «عوص» الكامل ٣١/١ ، مروج ٢٤/١ .

(٧) الطبري (١٠٣/١) ، الهلال : الموضوع نفسه .

(٨) الهلال : الموضوع نفسه ( ص ٧٧٢ ) . Sprenger, in ZDMG, 17(1863) P. 373 .

(٩) الطبري (١٠٣/١) فما بعدها . ابن خلدون (٧/٢) فما بعدها . خلاصة

الكلام ( ص ٤٢ ) . الهلال : الجزء نفسه ( ص ٧٦٩ ) ، فما بعدها .



الأقوام ، ومن الحصول على بعض المعلومات عنها ، ومن حل رموز بعض كتاباتهم مثل الكتابات التمودية . وهذا ما حدا بهم على التأنى فى الدراسة والانصراف الى البحث والتنقيب ، كما اتضح لهم أن بعض هذه الأقوام عاشت بعد المسيح ولم تكن ممعنة فى القدم على نحو ما تصور الرواة . ولعل هذا كان السبب فى رسوخ اسمها فى مخيلة الأخباريين .

### عاد :

وإذا جارينا الأخباريين ، وسرنا على طريقتهم فى ترتيب الشعوب العربية ، وجب علينا تقديم طسم وعمليق وأميم وأمثالهم على عاد وشمود ؛ لأنهم من أبناء لاوذ بن سام شقيق ارم ، وعاد وشمود من أحفاد ارم بن سام . ولكن الأخباريين يقدمون عادا على غيرهم ، ويدأون بهم ، وعندهم أنهم أقدم هذه الأقوام ، ويضربون بهم المثل فى القدم (١) . ومثلهم فى ذلك مثل أخبارى العبرانيين الذين عدوا العمالقة أول الشعوب (٢) . ولعل هذه النظرية تكونت عندهم من الفكرة التى تكونت عند الجاهليين من قدم عاد .

وذهب « جرجى زيدان » الى أن عادا هى « هدورام » فى التوراة (٣) . ودليله على ذلك اقتران عاد بارم فى الكتب العربية ، وبعض القراءات التى قرأت « بعاد ارم » فى الآية : ( ألم تر كيف فعل ربك بعاد . ارم ذات العماد ) (٤) على الاضافة ، أو مفتوحتين ، أو بسكون الراء على التخفيف ، أو باضافة ارم الى ذات العماد . وبين « عاد ارم » على رأيه وهدورام تشابه كبير فى النطق (٥) .

(١) ومنهم من رأى انهم أبناء ارم « وارم والد عاد الاولى ومن ترك ارم جعله اسما للقبيلة وقيل ارم عاد الاخيرة وقيل ارم لبلدتهم التى كانوا فيها ، وفى التنزيل بعاد ارم ذات العماد ، وقيل ايضا أرام قال الجوهرى فى قوله عز وجل ارم ذات العماد قال : من لم يصف جعل ارم اسمه ولم يصفه لانه جعل عادا اسم أبيهم ومن قرأه بالاضافة ولم يصفه جعله اسم امهم او اسم بلدة . وفى الحديث ذكر ارم ذات العماد وقد اختلف فيها فقيل دمشق وقيل غيرها . اللسان ٢٨٠/١٤ .

(٢) العدد الاصحاح الرابع والعشرون ، آية ٢٠ . قاموس الكتاب المقدس Hastings. P. 24 ، (١١٣/٢)

(٣) التكوين الاصحاح العاشر ية ٢٧ ، اخبار الايام الاولى الاصحاح الاول ، آية ٢١ .

(٤) سورة الفجر رقم ٨٩ آية ٦-٧ .

(٥) الهلال : الجزء الثالث والعشرون ، السنة السادسة ، آب ١٨٩٨ (ص ٨٩٠) .

ولكن التوراة تشير الى أن ( هددورام ) من نسل « يقطان » أى قحطان فى الكتب العربية . وهذا ما لا يستقيم مع الروايات . ويرد زيدان على هذا الاعتراض بقوله : « ولعل كاتب سفر الخليفة رأى مقر تلك القبيلة فى بلاد اليمن فقال انها من نسل قحطان ؛ لأن مقام عاد فى الأحقاف بين حضرموت واليمن . وكثيرا ما التبس علماء التوراة فى هددورام أو هادورام ومقر نسله ، ولم يهتدوا الى شىء عنه ، مع أنهم اهتدوا الى أماكن أكثر أبناء قحطان وكلها بجوار الأحقاف فعاد هى هددورام فى التوراة . وأما أن يكون كاتب سفر الخليفة أراد بيان القبائل التى سكنت اليمن ، وكلها ينسب الى قحطان ، فرأى عاد ارم فى جملتها ، فجعله من أولاد قحطان . وبعبارة أخرى : من القبائل المتفرعة عن قبيلة قحطان . واما أن يكون بالحقيقة من نسل قحطان ، وهم العرب فى نسبه الى آرام » (١) . ورأى « فورستر » وجود صلة بين « عادة » وهو اسم زوجة « لامك » (٢) وبين « عاد » ، وهى والدة : « يابال الذى كان أبيا لسكان الحيام ورعاة المواشى » (٣) ، ونسلها من الأعراب . وقوم عاد من الأعراب كذلك . وذهب ايضا الى ان هؤلاء هم « Oaditae » ، وهم قوم ذكرهم بطليموس (٤) . على أنهم كانوا يقيمون فى الأرضين الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب (٥) ، لعله عند موضع « بئر ارم » ، وهى من الآبار القديمة فى منطقة « حسمى » (٦) على مقربة من جبل يعرف بهذا الاسم فى ديار جذام بين أيلة وتيه بنى اسرائيل (٧) . ولا يبعد هذا الموضع عن أماكن ثمود الذين ارتبط اسمهم باسم عاد . وقد أيد هذا الرأى الثانى « شبرنكر » وجماعة من المستشرقين ، وهو أقرب الآراء الى الصواب .

وذهب الأخباريون الى وجود طبقتين لقوم عاد هى عاد الأولى وعاد الثانية . وكانت عاد الأولى - فى زعم أهل الأخبار - من أعظم الأمم بطشا وقوة ، وكانت مؤلفة من عدة

(١) الهلال : الجزء نفسه ( ص ٨٩٠ ) .

(٢) التكوين : الاصحاح الرابع ، آية ١٩ ، Hastings ، P. 10 ، «Lamech» Ency. Bibl. P, 57.

(٣) التكوين : الاصحاح الرابع ، آية ٢٠ .

(٤) Forster. Vol. 2. P, 32. 33.

(٥) Forster. Vol. 2. P, 32. Ency. Vol. 1. P, 121. Sprenger, Geogr. P, 207.

(٦) صفة (١٢٩) . Wensinck ، P, 207. Sprenger, Geogr. P, 121. Ency. Vol. 1. P,

Und J. H. Kramers. Handwörterbuch des Islam, Leiden, 1941. P, 13

وسأشير اليه بـ : Wensinck

(٧) البلدان (١/١٩٦) .



بطون تزيد على الألف منهم : رقد ، ورمل ، وضد ، والعبود (١) . والظاهر أن فكرة وجود طبقتين لعاد قد نشأت عند الأخباريين من تفسير الآية « وأنه اهلك عادا الأولى وشمود فما أبقى » (٢) ، فتصوروا وجود عاد ثانية قالوا انها ظهرت بعد هلاك عاد الأولى (٣) .

وقد ذهب العلماء مذاهب في تفسير الآية : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد » (٤) ، فذهب بعضهم الى أن « ارم ذات العماد » في تيه أبين بين عدن وحضرموت ، وذهب آخرون الى أنها دمشق (٥) أو الاسكندرية (٦) . والذي دعاهم الى هذا الرأي - على ما أرى - هو كثرة وجود المباني ذوات العماد في هاتين المدينتين وما عرف عنهما من القدم ، فوجد الاخباريون فيهما وصفا ينطبق على وصف ارم ذات العماد (٧) . وقد خلقت « باب جيرون » من أبواب دمشق قصة جيرون بن سعد بن عاد الذي قالوا عنه انه كان ملكا من ملوكهم ، وانه الذي اختط مدينة دمشق وجمع عمدة الرخام والمرمر اليها وسماها ارم (٨) .

وهناك مناسبة أخرى جعلت بعض العلماء يذهبون الى أن دمشق هي « ارم » أو « ارم ذات العماد » ، فقد كانت دمشق - كما هو معروف - من أهم مراكز الارميين « الآراميين » ، وكانت عاصمة من عواصمهم . ولهذا السبب أيضا ، قال نفر من الباحثين :

(١) الهلال : الجزء نفسه ( ص ٨٩١ ) .

(٢) سورة النجم : سورة رقم ٥٣ آية ٥٠-٥١ .

(٣) ابن خلدون (٢٠/٢) ، « وعاد قبيلة وهم قوم هود عليه السلام . قال الليث : وعاد الاولى هم عاد بن عاديا بن سام بن نوح الذين اهلكهم الله . قال زهير : وأهلك لقمان ابن عاد وعاديا . وأما عاد الأخير فهم بنو تميم ينزلون رمال عاليج » اللسان ٣١٧/٤ .

(٤) سورة الفجر : سورة رقم ٨٩ آية ٦-٧ . اللسان ٢٨٠/١٤ .

(٥) الاكليل ٣٣/٨ ( طبعة نبيه ) . صفة ( ص ٨٠ ) ، البكري (١/١٤٠) ( طبعة السقا ) . منتخبات ( ص ٢ ) .

(٦) العرب قبل الاسلام ( ص ٦٠ ) ، البلدان (١/١٩٧) . منتخبات ( ص ٢ ) . مروج ٤٢٠-٤٢١ ( طبعة Meynard ) . BOASOR, Numbr 73 February, 1939. (P, 13 « Koranic iram, Legendary and Historical, » by Harold W. Glidden.

(٧) « والعجم تذكر ان ارم ذات العماد بدمشق وان جيرون بن سعد بن عاد بني مدينتها ، وسماها جيرون ذات العماد لكبر أعمدة حجارتها . . . الاكليل ٣٣/٨ ( طبعة نبيه ) .

(٨) ابن خلدون (٢/١٩) . المسعودي مروج (٢/٤٢٠) وما بعدها ( طبعة Meynard ) الاكليل ٣٣ ( طبعة نبيه ) . BOASOR, Numbr 73, P, 13 (1939).

ان « ارم » تعنى « ارام » ، وان عادا من الارميين ، وان « عاد ارم » انما تعنى «عادأرام»  
فالتبس الأمر على المؤرخين وظنوا أن ذات العماد صفة فزعموا أنها مدينة بناها عاد (١) .  
غير أنه قول لا يقوم دليل علمى قوى يؤيده ويثبت أن « ارم » فى هذا الموضع تعنى  
« ارام » (٢) . ومن الجائز أن تكون « ارم ذات العماد » هى التى أوحى الى النسايين  
فكرة جعل « عاد » من نسل عوص بن ارم ، لتشابه اسم « ارم » مع « ارم » عند العرب  
التى هى « ارام » ، فأصبحت عاد من الارميين .

ويرى « فنسك Wensinck » أن الذى حمل الأخباريين على القول ان  
« الاسكندرية » هى « ارم ذات العماد » ، هو أثر قصص الاسكندر فى الأساطير العربية  
الجنوبية ، ذلك الأثر الذى نجده فى كتب القصاص اليمانيين فى مثل كتاب « التيجان »  
المنسوب لوهب بن منبه ، وفى الرواية اليمانية . وقد حاول الاسكندر كما نعرف احتلال  
اليمن ، فعدا «شداد بن عاد» بانبا للاسكندرية، وأصبح « الاسكندر » مكتشفا لها (٣) .  
ونسبوا بناء « ارم » - باعتبار أنها مدينة باليمن بين حضرموت وصنعاء - الى  
« شداد » ، وقالوا : انه ابن عاد ، وأنه كان قويا جبارا سمع بوصف الجنة فأراد بناء مدينة  
تفوقها حسنا وجمالا ، فأرسل عماله ، وهم : غانم بن علوان ، والضحاك بن علوان ،  
والوليد بن الريان ، الى الآفاق ليجمعوا له جميع ما فى أرضهم من ذهب وفضة ودر  
وياقوت ، فابتى بها مدينته ، ولكنه لم ينعم بها ؛ اذ كفر بالله ، ولم يصدق بنبوة « هود » ،  
فهلك . وتولى من بعده ابنه « شديد » (٤) .

وزعم بعض النسايين أن نسب شداد هو على هذه الصورة : شداد بن عمليق بن  
عويج بن عامر بن ارم . وقيل فى نسبه غير ذلك (٥) . والظاهر أن « كعب الأخبار »  
هو المسؤول عن هذه القصة وعن هذه الشخصيات التى دخلت فى قصة « عاد » ، والظاهر  
أنه ابتكر اسم « شداد » ، وهو اسم يناسب الوصف الذى وضعوه لمدينة « ارم » والابنية

(١) العرب قبل الاسلام (ص ٦٠) « وكان يقال لعاد فى دهرهم عاد ارم » الطبقات  
١/١ ص ١٩ .

Ency. Vol, I, P, 121. (٢)

BOASOR, Number 73. P, 13 (1939). (٣)

(٤) وقيل أخوه . راجع البلدان (١/١٩٨) « يقول اليمانية واكثر العلماء فى البلاد:

ان ارم ذات العماد فى تيه أبين ، وهو غائظ بين حضرموت وبين أبين » الاكليل (٨/٣٣) .

(٥) البلدان (١/١٩٩) « عويج » .



الشاهقة التي تصورها في تلك المدينة ، ومثل هذه الأعمال لا يمكن أن يقوم بها الا رجل جبار شديد ، فزعم أنه « شداد » . وسمى ابنه « شديدا » ، وابتدع الأسماء الثلاثة وجعلها أسماء عمال « شداد » على الأقاليم .

والذي يفهم من القرآن الكريم أن مساكن عاد بالأحقاف ، « واذكر أبا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف » (١) . والأحقاف : الرمل بين اليمن وعمان الى حضرموت والشحر (٢) . وقد اندفع أكثر الأخباريين يلتمسون مواضعهم في الصحارى ؛ لأنها أنسب المواضع التي تلائم مفهوم الأحقاف ، فوضعوا من أجل ذلك قصصا من قصص المغامرات التي تشبه قصص مغامرات قرصان البحر .

وقد سبق ان قلت : ان « Oaditae » الذين ذكرهم بطليموس هم قوم « عاد » ، وانهم كانوا يسكنون في الأرضين الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب في منطقة « حسمى » ، أى في أعلى الحجاز ، وعلى مقربة من مناطق ثمود . وهو أقرب الى الصواب ؛ اذ اقترن ذكر عاد في القرآن الكريم بذكر « ثمود الذين جابوا الصخرة بالواد » (٣) . ومنطقة حسمى أقرب الى هذا الوصف من مناطق الرمال . ولم يعين القرآن موضع الأحقاف ، وانما عينه المفسرون ، ولا يحتم تفسيرهم تخصيص الأحقاف بهذا المكان ، حيث جعلوا رمال وبار في جملة المناطق التي كانت لعاد (٤) .

وقد ذهب « موريتس » - كما سبق أن قلت - الى أن موضع « Aramaua » الذي ورد عند « بطليموس » هو « ارم » ، أو « ارم ذات العماد » . ويقال له الآن « رم » (٥) . وقد أيد « موسل » رأى « موريتس » فى مطابقة المكان الذي ذكره « بطليموس » مع هذا المكان الذي عينه « موريتس » ، غير أنه لم يذهب الى ما ذهب اليه من أنه « ارم » (٦) . وقد أظهرت الحفريات التي قام بها « المعهد الفرنسى » فى القدس

(١) سورة الأحقاف ٤٦ آية ٢١ ، اللسان ١٠/٣٩٨ .

(٢) ابن خلدون (١٩/٢) ، « الحقف وجمعه أحقاف ، وهى الرمال وكانت الأحقاف رمالا قبل عمان الى حضرموت . قال : وكانت منازل عاد » المفضليات (ص ١٥) .  
« والأحقاف : رمال بأعيانها فى أسفل حضرموت » منتخبات (ص ٢) .

(٣) الفجر : سورة ٨٩ آية ٩ .

(٤) ديوان الطرماح - طبعة كرنكو (ص ١٤٨) .

(٥) B. Moritz, Ausflüge in der Arabia Petraea. in MFOB, III, P. 395.

(٦) Musil, The Northern Hegaz P. 273. BOASOR, Number 73. P. 15 (1939).

صحة هذا الرأي ، اذ ورد في الكتابات « النبطية » التي عثر عليها في خرائب معبسه  
اكتشف على جبل « رم » : أن اسم الموضع هو « ارم » (١) . فيتضح من ذلك أن هذا  
الموضع حافظ على اسمه القديم ، غير أنه صار يعرف أخيراً « برم » بدلا من « ارم » .  
وفي سنة « ١٩٣٢م » قام « Horsfield » من دائرة الآثار في المملكة الأردنية  
الهاشمية بحفريات في موضع جبل « رم » ، ويقع على مسافة « ٢٥ » ميلا الى الشرق من  
العقبة ، ويقع المكان الذي بحث فيه عند وادي ، وعلى مقربة منه « عين ماء » (٢) ،  
ووجد في جانب الجبل آثارا جاهلية قديمة . وقد حملت اكتشافاته هذه واكتشافات  
«Savignac» التي قام بها في هذا المكان واكتشافات « كليدن Harold W. Glidden » على  
القول : ان هذا المكان هو موضع « ارم » الوارد ذكره في القرآن ، والذي كان قد حل به  
الخراب قبل الاسلام ، فلم يبق منه عند ظهور الاسلام غير عين ماء كان ينزل عليها التجار  
وأصحاب القوافل الذين يمرّون بطريق الشام - مصر - الحجاز (٣) ، وورد اسم عاد  
في عدة مواضع من القرآن (٤) ، كما ورد في الشعر الجاهلي في شعر طرفة (٥)  
وشعر النابغة (٦) وشعر زهير (٧) ، وفي شعر الهذليين (٨) ، وفي شعر طفيل بن عوف

BOASOR, Number 73. P, 15. (١)

BOASOR, Number 37 P, 14. (1939). Revue Biblique, XLI (1932), (٢)  
PP. 581-597 XLII (1933), P. 405-422, XLIII (1934), PP, 572-9; XLIV (1935),  
PP, 245-78.

BOASOR, Number 73. P, 15 (1939). (٣)

(٤) سورة الحج ٢٢ آية ٤٢ . سورة الحاقة ٦٩ آية ٤ ، ٦ . سورة الفرقان ٢٥ آية  
٣٨ ، سورة فصلت ٤١ آية ١٢ ، سورة الاعراف ٧ آية ٦٥ ، سورة هود آية ٥٠ سورة  
٧ آية ٦٥ .

Ency. Vol, I, P, 121 ، ٨ ، ١ طرفة (٥)

Ency. Vol, I, P, 121. (٦)

أحلام عاد وأجساد مطهرة من المعفة والآفات والاثم

ديوان النابغة مع شرحه للبطلبيوسي ( ص ٧٤ ) .

(٧) معلقة زهير بيت ٣٢ . Ency. I-121.

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

(٨) ديوان الهذليين IX.XX. 6 ، ٣١ ، ديوان هذيل نمرة ٣١ ، ٥٠ .



الغنوى (١) ، وفي شعر مسم بن نويرة شقيق مالك بن نويرة وهو من الشعراء  
المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام (٢) ، وفي شعر أمية ابن أبي  
الصلت وهو ممن عاش في أيام الرسول كذلك (٣) ، وفي شعر غيرهم من الشعراء  
الجاهليين والمخضرمين (٤) . وورد أيضا « أحمر عاد » (٥) .

ويدل ورود خير « عاد » في القرآن الكريم وفي الشعر الجاهلي على أن القصة  
كانت شائعة بين عرب الجاهلية معروفة عندهم ، وأنهم كانوا يتصورون بأن قوم « عاد »  
كانوا من أقدم الأقسام ، ولذلك ضرب بقدمهم المثل حتى انهم كانوا ينسبون الشيء الذي  
يريدون أن يبالغوا في قدمه الى عاد فيقولون عنه انه « عادى » . واذا رأوا أثرا قديما أو  
أطلالا قديما عليها نقوش لا يعرفون صاحبها ، قالوا عنها أنها « عادية » ، أى من أيام

(١) شعر طفيل بن عوف الغنوى رواية أبى حاتم السجستاني عن الأصمعي ( طبعة  
لوزاك ١٩٢٧ . سلسلة كب بعناية ف . كرنكو ) ص ١٣٥ ، ١٤٨ « لنا الجبلان من  
أرمان عاد » .

(٢) أفنين عادا ثم آل محرق فتركهم بلدا وما قد جمعوا  
المفضليات ص ٧٨ (٢/٢٤) ملحوظة ٤٠ .

(٣) ديوان أمية بن أبى الصلت ، تحقيق بشير يموت ( ص ٥٨ ) . بيروت ١٩٣٤  
Friedrich Schulthetz, Umajja ibn Abi S — Salt, Leipzig 1911. P. 48.

فقال ألا لا تجزعى وتكذبى ملائكة من رب عاد وجرهم

(٤) سويد بن أبى كاهل :

غلبت عادا ومن بعدهم فأبت بعد فليست تتضع

المفضليات ( ص ٤٠٤ ) . قول صريم بن معشر بن ذهل الملقب بأفنون من شعراء الجاهلية :

لو أننى كنت من عاد ومن ارم ربيت فيهم ولقمان ومن جدن

المفضليات ( ص ٥٢٥ ) ، وقال الطرماع بن حكيم :

لنا الجبلان من أرمان عاد ومجتمع الألاء والغضاة

ديوان الطرماع ص ١٣٥ ( سلسلة جب ) لندن ١٩٢٧ بعناية كرنكو .

(٥) فتنتج لكم غلمان أشام كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

معلقة زهير بيت ٣٢ ، وضرب المثل بشؤم أحمر عاد فقيل : أشام من أحمر عاد . الامثال  
طبع حيدر آباد الدكن ( ص ١١ ) .

عاد (١) • واذا رأوا بناء قديما لا يعرفون صاحبه ، قالوا عنه انه « بناء عادى » • (٢) وقد تحدث المسعودى عن أشجار عادية ، أى قديمة جدا (٣) • ولهذا السبب رأى « ولهورن Wellhausen » أن كلمة « عاد » لم تكن اسم علم فى الأصل ، بل كان يراد بها القدم ، وان كلمة « عادى » تعنى منذ عهد قديم جدا ، وكذلك كلمة « من عاد » أو « من العاد » ، وأن هذا المعنى هو الذى حمل الناس على وضع تلك الأساطير عن أيام عاد (٤) •

هود :

ويرد مع قوم عاد ذكر نبي منهم هو « هود » ، وقد نعت فى القرآن الكريم بأخى عاد : « والى عاد أخاهم هودا ، قال : يا قوم ، اعبدوا الله » (٥) ، كما نعت القرآن عادا بقوم هود : « ألا ، ان عادا كفروا ربهم ، الا بعدا لعاد قوم هود » (٦) • « قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح » (٧) • وقد نسبة النسابون الى الخلود بن معيد بن عاد (٨) ، والى عبدالله بن رباح بن جابوب بن عاد بن عوص بن ارم (٩) ، والى غير ذلك من روايات • وقد وردت قصته مع قومه ونهيه لهم عن عبادة الأصنام فى القرآن الكريم (١٠) ، وجمع المفسرون القصص التى قيلت فيه ، وهى فى الجملة من أقوال كعب الأجار ووهب بن منبه ، كما عنى بها أصحاب قصص الأنبياء فجمعوها مع ما جمعوه من أمثال

(١) لعادية من السلاح استعرتها • وكان بكم فقر الى الغدر أو عدم  
المفضليات (ص ٦١٣) • العرب قبل الاسلام (ص ٦٣) ، « والعداى الشئ القديم »  
لسان العرب ٤ (ص ٣١٧) مادة عاد • « الحماسة » طبعة « Freytag » (١/١٩٥ ، ٣٤١) •  
Caussin de Perceval, Essai, Vol, 1, P, 259. عن عاد Ency. of Islam, Vol, 1, P, 121  
Blochet, Le Culte d'chphrodite.

Sprenger, Das Leben..., Bd, 1, S. 512. (٢)

Sprenger, Das Leben..., Bd, 1, S. 512. (٣)

Wensinck, P, 13. (٤)

(٥) الأعراف ٧ آية ٦٥ ، سورة هود ١١ آية ٥٠ ، الشعراء ٢٦ آية ١٢٤ •

(٦) هود ١١ آية ٦٠ • وضرب المثل بكفر رجال عاد ، فقيل : « أكفر من حمار • هو رجل من عاد مات له أولاد فكفر كفرا عظيما فلا يمر بأرضه أحد الا دعاه الى الكفر فان أجابه والا قتلته • • لسان العرب (٥/٢٩٥) •

(٧) هود ١١ آية ٨٩ • (٨) نهاية الأرب (١٣/٥٢) •

(٩) المعارف (١٤) ، « نهاية الأرب فى أخبار الفرس والعرب » مخطوطة مصورة فى

المجمع العلمى العراقى منسوبة الى الأصمعى • ص ١٨ •

(١٠) سورة هود ، الشعراء ٢٦ آية ١٢٤ ، الأعراف ٧ آية ٦٥ •



هذه القصص • فى كتب تلقاها الناس بشوق (١) •

وقد نبه المستشرقون الى وجود شبه بين «هود» و «هود» الواردة فى القرآن  
أيضا بمعنى «يهود» (٢) : «وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا» (٣) ، وأشاروا  
الى أن «هود» تعنى اليهود ، أو اعتناق اليهودية ، كما لاحظوا أن بعض النسابين قالوا :  
ان هودا هو عابر بن شالح بن ارفكشاد جد اليهود ، فذهبوا الى أن هودا لم يكن اسم  
رجل ، وانما هو اسم جماعة من اليهود هاجرت الى بلاد العرب ، وأقامت فى الأحقاف ،  
وحاولت تهويد الوثنيين وعرفوا بيهودا ، ومنها جاءت كلمة «هود» (٤) ، وأنها استعملت  
من باب التجوز علما لشخص (٥) •

وزعم الرواة أن هودا ارتحل ومن معه من المؤمنين بعد النكبة التى حلت بقومه  
الكافرين من أرض عاد الى الشحر • فلما مات ، دُفن بأرض حضرموت (٦) • ويدعى الرواة  
أنه قبر فى واد يقال له «وادى برهوت» غير بعيد عن «بئر برهوت» التى تقع فى  
الوادى الرئيس للسبعة الأودية (٧) • وهى من الآبار القديمة التى اشتهرت فى

(١) الثعلبى قصص الأنبياء ، ص ٦٣ (القاهرة ١٢٩٠) نهاية الأرب (١٣/٥٠)

فما بعدها • Ency. Vol, 2, P, 328. Von Kremer, über die Südarabische Sage. P, 21. Geiger, Was hat Muhammad aus dem Judenthume Aufgenommen. P, III.

Ency. Vol, 2, P, 327-328. Hirschfeld, Beiträge zu Erklärung des Koran. (٢)

Leipzig. 1886. P. 17. Note. 4. ٣٤٩/١ ، القاموس ٤٥١/٤ ، اللسان

(٣) البقرة ٢ آية ١٣٥ كذلك آية ١١١ ، ١٤٠ •

(٤) الهلال : ج ٢٣ سنة ٦ جزء آب ١٨٩٨ (ص ٨٩٤) فما بعدها •

(٥) Ency. 2, P, 328. «والهود : جمع هائد ، وهو التائب • والهود : اليهود ،

قال الله تعالى : «كونوا هودا أو نصارى» • التهويد : المشى الرويد ، وفى حديث عمران  
ابن حصين : «إذا مت فخرجهم بى فأسرعوا المشى ولا تهودوا كما تهود اليهود  
والنصارى» • وهود الانسان ولده : أى جعله على دين اليهود • «منتخبات  
(ص ١١١-١١٢) •

(٦) نهاية الأرب (١٣/٦٠) • Forster. Vol. 2. PP. 374.

(٧) البكرى تاريخ حضرموت السياسى (١/٦٥) فما بعدها • وقال الواقدى :

«ما يعلم موضع قبر نبي من الأنبياء الا ثلاثة : قبر اسماعيل فإنه تحت الميزاب بين الركن  
والبيت ، وقبر هود فإنه فى حقف من الرمل تحت جبل من جبال اليمن عليه شجرة تندى  
وموضعه أشد الأرض حرا ، وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم • فان هذه قبورهم  
بحق •» • كتاب الطبقات الكبير : القسم الأول من الجزء الأول (ص ٢٥) بعناية  
أدوارد سنخو •

الجاهلية بكونها شر بئر في الأرض ، ماؤها أسود منتن تتصاعد من جوفها صيحات مزعجة ، وتخرج منها روائح كريهة ؛ ولذلك تصور الناس أنها موضع تعذب أرواح الكفار فيه (١) . ويذهب السياح الذين زاروا هذا المكان ودرسوه الى أنه موضع بركان قديم يظهر أنه انفجر فأهلك من كان حوله . ويؤيد هذا الرأي ما ورد في الكتب العربية من أنه كان يسمع لهذا المكان أصوات كالرعد من مسافات ، وأنه كان يقذف أكواما من الحمم يسمع لها أزيز مرعب (٢) . ومن هنا نشأت قصة قبر هود وعذاب عاد في هذا الموضع على رأي المستشرق فون كريمر (٣) .

ولا يزال هذا الموضع الذي يقال له « قبر هود » يزار حتى الآن ، يقصده الناس من أماكن بعيدة في اليوم الحادي عشر من شعبان للزيارة (٤) . وربما كان من الأماكن التي كان يقدها الجاهليون قبل الاسلام . وفي هذه المناطق آثار مدن منقرضة ، وقرى جاهلية ، كما تشاهد كهوف ومغاور على حافتي الوادي وكتابات وصور منقوشة على الصخور (٥) تدل كلها على أنها كانت من المناطق المأهولة ، وأنها تركت بسبب آفات وكوارث طبيعية نزلت بهذه الديار . وقد عزى المؤرخون المسلمون ذلك الى انحباس الأمطار عنها ، واشتداد رياح السموم التي استمرت حتى هلك قوم عاد .

ورأى نفر من المستشرقين أن هذا المكان الذي فيه « قبر هود » هو الموضع الذي قال له الكتاب اليونان « Styx » « Stygis » . والذي زعم الرومان أن قبيلتين من

(١) بلدان (١٥٧/٢) « خير بئر في الأرض زمزم وشر بئر في الأرض برهوت » . منتخبات (ص ٧) ، « برهوت واد معروف قيل هو بحضرموت ، وفي حديث علي عليه السلام شر بئر في الأرض برهوت هي بفتح الباء والراء بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول الى قعرها . ويقال برهوت بضم الباء وسكون الراء » . اللسان ٣١٤/٢ . ١٤٣/١

(٢) تاريخ حضرموت السياسي (٦٧/١) .

(٣) Von Kremer, über die Süd Arabische Sage, P, 21.

مهرة ، وحيث قبر هود النبي صلى الله عليه وقبره في الكثيب الاحمر ثم منه في كهف مشرف في أسفل وادي الاحقاف وهو واد يأخذ من بلد حضرموت الى بلد مهرة مسيرة أيام ، وأهل حضرموت يزورونه هم وأهل مهرة في كل وقت « صفة ص ٨٧ .

(٤) تاريخ حضرموت السياسي (٦٢/١) . Ency. I-634.

(٥) المصدر نفسه ، والهلال : الجزء السادس عشر ، السنة السادسة ، نيسان

: ١٨٩٨ (ص ٦٠٥) .



قبائل جزيرة « أقریطس » « كريت » ، وهما قبيلة : « Minu » و « Rhodmantys »  
 تركا موطنهما الأصلي وارتحلا الى هذا المكان الذى ضم مئات من القبائل العربية ، فكانتا  
 من أقواها . وقد سكتنا على مقربة من موضع قال له « بلينيوس » « Stygis Agune Fous » (١)  
 ومن الأخباريين من قال ان « قبر هود » بمكة مع قبور (٩٨) نبيا من الانبياء (٢) ،  
 وذكر جماعة أنه بدمشق فى المسجد الأموى (٣) . وقد توصل الأخباريون الى قولهم  
 هذا من القصص التى وردت عن ذهاب هود الى مكة مع وفد من جماعته ، ومن ذهاب نفر  
 من الأخباريين كما سبق أن قلت الى أن دمشق هى ارم ذات العماد فقالوا بوجود قبر  
 هود فى الشام ، كما قال غيرهم بوجود قبور بعض الانبياء فى الجامع الأموى . وقد  
 ظهرت مثل هذه الروايات التى تمجد هذا الجامع فى الوقت الذى تحصن فيه ابن الزبير  
 بمكة ، وتحزب أهل الحجاز على الأمويين .

وقد اتخذ القحطانيون هودا جدا من أجدادهم ، وألحقوا نسبهم به ، وافتخروا به ،  
 كما جعلوه عابرا او ولدا من أولاد عابر (٤) . والظاهر أنهم انما فعلوا ذلك بدافع  
 العصبية والمفاخرة على العدنانيين الذين كانوا يقولون ان فيهم الانبياء ، ولم يكن فى  
 قحطان نبي ، فأوجد القحطانيون نسبا يوصلهم الى الانبياء ، كما أوجدوا لهم نسبا احتكر  
 لهم العربية وجعلهم الأصل والعدنانيين من الطائرين عليهم .

وذكر ياقوت الحموى اسم مكان سماه « جش ارم » قال عنه : انه اسم جبل عند  
 « أجا » أحد جبال طيء ، أملىس الأعلى سهل ترعاه الابل ، وفى ذروته مساكن لعاد وارم  
 فيه صور منحوتة من الصخر (٥) . ففرق ياقوت هنا بين عاد وارم وجعلهما قومين : قوم  
 عاد وقوم ارم ، وقد تكون الواو بين الكلمتين زيادة من الناسخ ، فيبطل حينئذ الاستدلال  
 على تفريق ياقوت بينهما . وفى الكتب العربية محلا أخرى قديمة عثر فيها على نقوش  
 وتماثيل وصفت على أنها من مساكن قوم عاد .

(١) Ency. Vol, 1, P, 654. Wensinck. P. 175 f.

(٢) Ency. Vol, 2, P, 327.

(٣) رحلة ابن بطوطة ، طبعة باريس (٢٠٥/١ ، ٢٠٣/٢) .

(٤) ابن خلدون (٢٠/٢) « هود النبي عليه السلام المرسل الى عاد المذكور فى  
 القرآن هو أبو قحطان بن هود قال حسان :

أبونا نبي الله هود بن عابر

وهو هود بن عابر بن أرفخشذ بن سام بن نوح النبي « منتخبات (ص ١١١) . ديوان  
 النابغة مع شرحه للبطليوسى (ص ٦٣ ، ٦٤) . نهاية الأرب (٥١/١٣) .

(٥) بالفتح والضم ثم التشديد النجفة وفيه ارتفاع ( بلدان ١٠٧/٣) .

ومن قبائل عاد قبيلة كان فيها « لقمان » الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم<sup>(١)</sup> وفى نصوص أهل الجاهلية وفى الشعر الجاهلى • وقد ضرب به المثل بطول العمر فقد فى طليعة المعمرين<sup>(٢)</sup> • وقد عدّه أبو حاتم السجستاني ثمانى المعمرين فى العالم بعد الخضر<sup>(٣)</sup> • والظاهر أن عرب ما قبل الاسلام كانوا يعرفون قصة « لقمان » ، وكانوا يصفونه بالحكمة • وقد وصفه القرآن الكريم بهذه الصفة فورد فيه : « ولقد آتينا لقمان الحكمة »<sup>(٤)</sup> ولهذا السبب عرف بين الناس وفى الكتب « بلقمان الحكيم » •

وجعلوا للقمان نسبا هو « لقمان بن ناحور بن تارخ وهو آزر أبو ابراهيم »<sup>(٥)</sup> • وقالوا بل هو ابن أخت أيوب أو ابن خالته وجعله بعضهم قاضى بنى اسرائيل<sup>(٦)</sup> • وقد اشتهر عند المسلمين بالقضاء ويظهر أن هذا السبب هو الذى جعل الواقدى يقول انه كان قاضيا فى بنى اسرائيل ولم يفتن الأخباريون الى هذه الأخبار المتناقضة التى تخالف

(١) القرآن الكريم سورة لقمان • تفسير الطبرى (٣٩/٢١) فما بعدها • طبعة القاهرة ١٣٢١ هـ • قال صريم بن معشر بن ذهل المعروف بأفنون :

لو أننى كنت من عاد ومن ارم ربيت فيهم ولقمان ومن جندن

المفضليات ( ص ٥٢٥ ) ، ديوان النابغة مع شرحه للبطلوسى ( ص ٧٥ ) •

نمين فلالة فى سوق رأس الى لقمان فى سوق مقام

(٢) Ency. Vol. 3. P. 35. Goldziher, Abhandlungen zur Arabischen Philologie.

2. S. 2. Leiden, 1899. Rene Basset, Loqman Berbere, Paris 1890. Wensinck, P. 365.

(٣) Ency. Vol. 3. P. 35. ابو حاتم السجستاني كتاب المعمرين طبعة « كولدزهيير »

( ص ٢ ) ( ٢-P, 2.0 ) Abhandlungen

(٤) سورة لقمان ٣١ آية ١٢ ، « لقمان الحكيم المذكور فى كتاب الله تعالى كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا فى قول الجمهور • يقال : انه كان عبدا للقين بن جسر القضاعى قال سعيد بن المسيب كان عبدا حبشيا ، ويقال انه كان فى وقت داوود النبى عليه السلام • • ولقمان الانسر وهو لقمان بن عاد ، ولقمان الحميرى كان حكيما عالما بعلم الأبدان والأزمان • • • • • منتخبات ( ص ٩٥-٩٦ ) •

(٥) قصص الانبياء للشعالبي ( ص ٢٠٥ ) • « لقمان بن عاد » نهاية الأرب

(١٣/٦٠) ، البيان والتبيين (٣/١٧٤) طبعة السندوبى •

(٦) قصص الانبياء ( ص ٢٠٥ ) ، القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ ص ٢٢٠ فما بعدها •



رواياتهم في عاد وانها من أمم العرب البائدة • غير أن بعضهم جعله لقمان بن عاد (١) فيكون بذلك من صلب العرب البائدة والظاهر أن هذه الإضافات وإضافات أخرى مثل الأمثال المنسوبة إليه إنما حدثت في الإسلام (٢) ، ولم تكن معروفة في الجاهلية ، وجعله بعض الرواة كسليمان في ميله إلى إنشاء المدن والبناء (٣) •

وزعم « وهب بن منبه » أنه قرأ من حكمة لقمان نحو من عشرة آلاف باب (٤) ، وزعم الرواة أن عرب الجاهلية كانت عندهم « مجلة لقمان » وفيها الحكمة والعلم والأمثلة (٥) ، وأن جماعة منهم كانوا قد قرأوها من جملتهم « سويد بن الصامت » (٦) • وقد جمع الناس فيما بعد حكمته وأمثاله والقصص التي نسبت إليه ، وهي تشبه حكايات « ايسوب Aesop » صاحب الأساطير والحكم والأمثال الموضوعة على لسان الحيوانات عند اليونان (٧) •

ويظهر أن كثيرا من أخبار عاد وضعت في أيام « معاوية بن أبي سفيان » الذي كان له ولع خاص بالاطلاع على أخبار الماضين ، فجمع لذلك في قصره جماعة اشتهرت بروايتها هذا النوع من القصص ، وفي مقدمة هؤلاء « كعب الأخبار » (٨) •

وهناك من فرق بين لقمان بن عاد وبين لقمان المذكور في القرآن ، قال الجاحظ : « وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الأكبر والأصغر ، ولقيم بن لقمان في النباهة »

---

(١) ابن الأثير (٢/٢٠) ، نهاية الأرب (١٣/٦٠) ، شرح ديوان الحماسة (٢/٨٣) ، البيان والتبيين (١/١٣٦) طبعة السندوبى • مجمع الأمثال للميداني (١/٣٧) القاهرة ١٣٥٢ هـ • « لياكل رأس لقمان بن عاد » اللسان ٢٠/١٦ •

(٢) Ency. Vol. 3. P. 35. اللسان ٢٠/١٦ - ٢١

(٣) وضربوا به المثل في كثرة الأكل فقالوا : آكل من لقمان • مجمع الأمثال للميداني (١/٨٩) • Hitti P. 55.

(٤) المعارف (ص ٢٥) •

(٥) Sprenger, Das Leben Und die Lehre des Mohammad. Bd, 1, S. 93.

(٦) المصدر نفسه • أمثال لقمان الحكيم طبعة « ديرنبورغ » لندن ١٨٥٠ •

(٧) Ency. Vol. 3. P. 31. Sprenger, Vol. 1, S. 93 f. Handwörterbuch, S. 365.

(٨) نهاية الأرب (١٣/٦٢) فما بعدها • راجع قصة (ابن بيض) مع لقمان ، ويظهر أنها من قصص الجاهلية • المفضليات (ص ٩١ • ج ٢ ص ٢٩ ملحوظة ٣٦) في اللغة الانكليزية • ديوان المفضليات (بيروت ١٩٢٠) ص ٩١ •

والقدر ، وفي العلم والحكم ، في اللسان وفي الحلم ، وهذان غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن على ما يقول المفسرون » (١) .

ثم يبق بعد هلاك عاد الأولى على رأى الأخباريين سوى هود ونفر ممن آمن به والوفد الذى سار الى مكة للاستسقاء ، وفيهم « لقمان » ، وكان من أكابر العاديين . فأنشأ هؤلاء دولة عاد الثانية ، وخالف لقمان الخلجان ملك عاد الأولى الذى خالف هودا فهلك . وخاف العاديون انجاس المطر والجفاف ، فارتحلوا الى أرض سبأ ، وبنى لقمان سد « العرم » قرب مأرب ، وبقيت حكومة عاد الثانية قائمة الى أن تغلبت عليهم قبائل قحطان . ثم انقرضت وبادت (٢) .

وكانت ديانة عاد هى الوثنية ، وقد ذكر المؤرخون أسماء أصنام زعموا أنها كانت أوثان عاد منها صدا « صدى » أو « ضرا » فى رواية ، و « صمو » ( ضمور ) أو « هرد » ، والهباء أو هبا (٣) . ونحن لا نستطيع أن نقول شيئا يقينا أو قريبا من اليقين فى تحقيق أسماء هذه الأوثان ، فليس وهب بن منبه أو زميله كعب الأخبار ، وهما صاحبا هذا الخبر ، فيمن يعتمد على قولهم فى نظرى . ثم اتنا لا نعرف نصا جاهليا مدونا ذكر هذه الأوثان ، ولعلها من الأسماء المحرفة التى سمعها وهب أو كعب محرفة بفعل تقادم الزمن . ولعل « صمو » تحريف « صلمو » أو « صلم » ، وهو من آلهة ثمود المشهورة ، وقد ورد اسمه فى كتاباتهم ؛ وان هبا هو « هبل » من آلهة ثمود كذلك ، وأن « ضرا » تحريف « رضو » من آلهة ثمود المشهورة (٤) . وذهب زيدان الى احتمال كون « هبا » هو « هيا » و « صدا » هو « صدو » من آلهة الآشوريين أو البابليين (٥) .

(١) البيان والتبيين (١/١٣٦) . وقد أورد الجاحظ جملة أبيات للنمر بن تولب فى لقمان ، ولقيم . نهاية الأرب (١٣/٦١) .

(٢) الهلال : الجزء نفسه ( ص ٨٩٧-٨٩٨ ) .

(٣) الهلال : الجزء نفسه ( ص ٨٩٧ ) ، قصص الأنبياء ( ص ٣٩ ) « قال وهب : كان ملك عاد الأكبر اسمه الخلجان بن عاد بن العوص بن ارم بن سام ، وكان قومه يرجعون الى فصاحة وشعر ، وكان له ثلاثة اصنام : صدا ، وهبا و صمو » نهاية الأرب (١٣/٥١) ، كتاب الأصنام لابن الكلبي تحقيق أحمد زكى باشا ( ص ١١٠-١١١ ) ، مروج - طبعة باريس (٣/٢٩٥) .

(٤) Grimme, P, 39 ff.

(٥) الهلال : الجزء نفسه ( ص ٨٩٧ ) .



## ثمود :

ويرد اسم « ثمود » فى الكتب العربية مقرونا باسم « عاد » ، وبعد هذا الاسم فى الغالب ، والرواية العربية لا تعرف من تأريخهم شيئا ، انما روت قصصا عنهم أوردتها فى كتب التفسير ، وقصص الأنبياء والتأريخ وفى كتب الأدب وغيرها ، رواها الأخباريون تفسيراً لما جاء فى القرآن الكريم عنهم على سبيل العظة والاعتبار والتذكير . كذلك روت أن بعض الشعراء الجاهليين كانوا يعرفون اسم « ثمود » وشيئا عن مصيرهم ، وذكرت لهم شعرا فى هذا المعنى (١) .

وجاء اسم « ثمود » فى مواضع عديدة من القرآن الكريم ، جاء منفردا وجاء مقرونا باسم شعوب أخرى مثل قوم « نوح » وقوم « عاد » فبدأ بقوم نوح ثم عاد ثم ثمود (٢) . وجاء مع ثمود فى موضعين « أصحاب الرس » جاؤوا بعد « ثمود » (٣) كما جاء اسمهم قبل « ثمود » (٤) . وورد مع ثمود أيضا ذكر قوم « لوط » و « أصحاب الأيكة » ، وقد تقدم فى هذا الموضع اسم « ثمود » ، وقد دعت الآية أولئك « الأحزاب » (٥) ، كما ورد ذكر « ثمود » مع « عاد » (٦) . وقد تقدم اسم « عاد » على « ثمود » الا فى آية واحدة حيث تقدم اسم « ثمود » على « عاد » : « كذبت ثمود وعاد بالقارعة » (٧) .

(١) Ency. Vol. 4. P. 736. ورد فى الشعر المنسوب لأمية بن أبى الصلت :

كثمود التى تفتكت الدين عتيا وأم سقب عقيرا

وذكر قصة الناقة . راجع ديوانه ص ٤٤ طبعة « Fr. Schulthetz » لايبزك ١٩١١ م .

وورد فى شعر لسلمة بن الحرث وهو من معاصرى عمرو بن كلثوم اسم « ثمود » :

حتى تزور السباع ملحمة كأنها من ثمود أو ارما

راجع المفضليات (ص ٤٢٨) . وورد اسم ثمود أيضا فى شعر لجرير بن خرقاء العجلي :

ويوم الحنو قد علمت معد حصدناكم كما حصلت ثمود

المفضليات (ص ٤٣٩) . وورد فى شعر لبيد اسم ، ارم وعاد وثمود ديوان لبيد ص ٢٥

(الحالدي) . « وثمود قبيلة من العرب الاول يصرف ولا يصرف ويقال أنهم من بقية عاد وهم

قوم صالح » اللسان ٧٥/٤

(٢) سورة التوبة ٩ آية ٧٠ ، سورة ابراهيم ١٤ آية ٩ ، سورة الحج ٢٢ آية ٤٢ ،

سورة غافر ٤٠ آية ٣١ .

(٣) « وعادا وثمودا وأصحاب الرس » سورة الفرقان ٢٥ آية ٣٨ .

(٤) سورة ق ٥٠ آية ١٢ . (٥) سورة ص ٣٨ آية ١٣ .

(٦) سورة العنكبوت ٢٩ آية ٣٨ ، سورة فصلت ٤١ آية ١٣ ، سورة النجم ٥٣

آية ٥١ .

(٧) سورة الحاقة ٦٩ آية ٤ .

وورد اسم « ثمود » فى آيات أخرى من القرآن الكريم (١) . ويظهر من ورود ذكر « ثمود » فى مواضع متعددة من القرآن لترهيب « الكفار » من العقاب التى آلت اليها حالة « ثمود » بعد أن استجبوا العمى على الهدى ، واستمروا بطغواهم كما استمر طغيان « فرعون » (٢) وقوم مدين (٣) وغيرهم ممن ذكرناهم ، أن الجاهليين كانوا يعرفون مصير ثمود ، ومصير « عاد » الذى كان من نوع مصير « ثمود » (٤) . وأنهم كانوا يعرفون منازلهم ، كالذى يظهر بجلاء من الآية . « وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم » (٥) معرفة جيدة ولم يعين القرآن الكريم موضع منازل « ثمود » ، انما يظهر من آية : « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » (٦) أن مواضعهم كانت فى مناطق جبلية أو فى هضاب ذات صخور . وقد ذكر المفسرون ان معنى « جابوا الصخر » قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا (٧) ، وأن « الواد » هو وادى القرى (٨) . فتكون مواضع « ثمود » فى هذه الأماكن . وقد عين أكثر الرواة « الحجر » على أنه ديار ثمود ، وهو قرية بوادى القرى . وقد زارها الاصلطخرى ، وذكر أن بها بئرا تسمى بئر ثمود (٩) ، وقد نزل بها الرسول مع أصحابه فى غزوة « تبوك » (١٠) . وقد ذكر المسعودى أن منازلهم كانت بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الجبشى ،

(١) سورة الأعراف ٧ آية ٧٣ ، سورة هود ١١ آية ٦١ ، ٦٨ ، ٩٥ ، سورة الاسراء ١٧ آية ٥٩ ، سورة الشعراء ٢٦ آية ١٤١ ، سورة النمل ٢٧ آية ٤٥ ، سورة الذاريات ٥١ آية ٤٣ ، سورة القمر ٥٤ آية ٢٣ ، سورة البروج ٨٥ آية ١٨ ، سورة الفجر ٨٩ آية ٩ ، سورة الشمس ٩١ ، آية ١١ .

(٢) سورة البروج ٨٥ آية ١٨ . (٣) سورة هود ١١ آية ٩٥ .

(٤) سورة فصلت ٤١ آية ١٣ . (٥) سورة العنكبوت ٢٩ آية ٣٨ .

(٦) سورة الفجر ٨٩ آية ٩ .

(٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقوال فى وجوه التأويل ، وهو

تفسير الزمخشري (٢٠٩/٤) ، تفسير النيسابورى المطبوع حاشية على تفسير الطبرى

(٨٧/٣٠) ، جامع البيان فى تفسير القرآن وهو تفسير الطبرى (١١٣/٣٠) ، روح المعانى

فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى (١٢٤/٣٠) ، تبصير الرحمن وتيسير المنان

أو تفسير المهايى (٤٠١/٢) ، تفسير العلامة أبى السعود (٨٦٩/٤) ، تفسير الجلالين

(٢٤٥/٢) .

(٨) روح المعانى (١٢٤/٣٠) ، تفسير الجلالين (٢٤٥/٢) .

(٩) البلدان (٢٢١/٣) ، الطبرى (١١٨/١) . اللسان ٢٤٢/٥ .

(١٠) معجم ما استعجم (٤٢٦/٢) طبعة السقا .



واديهم بفتح الناقية ، وأن بيوتهم منحوتة في الجبال ، وأن رممهم كانت في أيامه  
بأقية ، وآثارهم بادية ، وذلك في طريق الحاج لمن ورد الشام بالقرب من وادي  
القرى (١) .

ويذكر الطبري أن أهل التوراة ينكرون وجود عاد وثمود وهود وصالح في  
التوراة ، ويقول : إن أمرهم عند العرب في الشهرة في الجاهلية والاسلام كشهرة  
ابراهيم وقومه ، وانه ورد ذكرهم في شعر شعراء الجاهلية (٢) .

وقد أورد بعض المؤرخين والأخباريين لهم ملوكا ونسبا ، وقد ربط هذا النسب  
بعاير أو بجائر بن ارم بن سام بن نوح (٣) . وهي من أسماء التوراة ، وقد استطاع  
المستشرقون التعرف على الثموديين من الكتابات والمؤلفات « الكلاسيكية » ، فوجدوا اسم  
ثمود في النصوص الآشورية : وجدوه في نص من نصوص « سرجون الثاني » مع  
أسماء شعوب أخرى سنتحدث عنها فيما بعد هي : « ibadidi » و « Marsimani »  
و « خيابة Hajappa » « خيابو » ، وقد سمو باسم « ثمودي Tamudj » (Thamudi) (٤)

وذلك بمناسبة معركة جرت بين الآشوريين وبين هذه الشعوب اتصر فيها الآشوريون ،  
كما وجدوه في النصوص والكتابات التي سبق أن تحدثت عنها ، وهي الكتابات الثمودية  
التي عثر عليها في مواضع متعددة من شبه جزيرة العرب ، وفي النصوص الكلاسيكية حيث  
عرفوا بأسم « Thamudeni » « Thamudeni » و « Thamydenoi » و « Thamyditai » (٥) .

ولقد وصف مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الأريتري » « البحر الأحمر » مواضع

(١) مروج الذهب (٢٥٩/١) المطبعة البهية . « قال كعب لما أهلك الله عز وجل عادا  
جاءت ثمود وعمرت الأرض ، وكانوا بضع عشر قبيلة ، وكانوا منازلهم ما بين الحجاز  
الى الشام ، وهي ديار الحجر من وادي القرى » . نهاية الأرب (٧١/١٣) .

(٢) الطبري (١١٨/١) .

(٣) قصص الانبياء للثعلبي (ص ٥٨) وما بعدها (القاهرة ١٢٩٠هـ) الطبري

(٤) (١١٥/١) ، مروج (٢٥٩/١) ، تاريخ ابن خلدون (٢٣/١) .

(٥) Rawlinson, Cuneiform Inscriptions, Vol. I, Pl. 36. Lyon, Sargon, P. 4.

Musil Deserta, P. 291.

Musil Deserta. P. 291. Ptolemy, Geography, VI, 7:4. VI, 7:21. Diodorus. (٥)

Bibliotheca Historica, III, 44. Forster, Vol. I, P. 323, 337. Vol. 2, P. 30, II7

284, 274.

الشموديين « Thamudeni » مستندا الى مورد أخذ منه أقدم عهدا منه ، فذكر أن الـ «Thamudeni» كانوا يقيمون على ساحل صحرى طويل ، لا يصلح لسير السفن ، ولا توجد خلجان فيه تستطيع أن تأوى اليه القوارب فتحتمى به من الرياح ، ولا ميناة تمكن من الرسو فيه ، ولا موضع أو جزر عنده يقبل اليه القوارب الهاربة من الأخطار <sup>(١)</sup> . فيظهر من وصف هذا المؤلف أن مواطن الشموديين كانت فى الحجاز على ساحل البحر الأحمر . وقد ذكر هذا القول ، ولكن بشىء من التحوير « ديودورس » <sup>(٢)</sup> . وقد ذكر « كلاسر » أن من الجائز أن تكون « Domata » التى قلت أنها « دومة الجندل » ، وذلك فى رأى غالبية علماء العربيات هي « Thumata » « الطائف » ، أو موضع آخر على مقربة من الطائف . وقد ذهب هو نفسه الى أن « Domata » هي « دومة الجندل » <sup>(٣)</sup> ، غير انه لم يرجح أحد الرأين . واعتقد ان ما ذهب اليه من أن « Domata » هي « Thomata » ، وأنها هي الطائف أو موضع آخر قريب منه هو رأى لا يستند الى دليل محسوس ، ففرق بين لفظة « الطائف » و « Thumata » . وأعتقد أن الذى حمل « كلاسر » على هذا الرأى ما ورد فى الكتب العربية من أن ثقيفا ، وهم سكة الطائف ، هم من نسل « ثمود » على بعض الآراء . وذهب « أورنيوس » « Uranius » الى أنهم كانوا يجاورون النبط <sup>(٤)</sup> . أما « بلينيوس » ، فقد جاء باسم « Tamudaei » بين مدينتي « Domata » و « Haegra » ، وبين مدينة « Baclanaza » « Badanatha » <sup>(٥)</sup> . وأما « بطلميوس » ، فقد جعل قوم ثمود « Thamuditae » « Thamudeni » بين الـ « Sarakenoi » وبين « Apatae » <sup>(٦)</sup> . ويظهر من ذلك أنهم كانوا فى شمال غربى « العربية السعيدة » <sup>(٧)</sup> ، أى فى المواضع التى عينتها

(١) Musil, Deserta P. 302. The Periplus of the Erythrean Sea, by William Vincent London 1800 Part the Second P. 262-263.

(٢) Diodorus, Bibliotheca Historica III, 44. Musil, Deserta. P. 291.

(٣) Glaser, Skizze. 2. P. 108

(٤) Uranius, Arabica ( Müller, Fragmenta, Vol. 4 ), P. 525. Musil, Hegaz. P. 291.

(٥) Pliny, Natur. History ( Translated by H. Rackham ). Vol, 2. P. 456-457.

(٦) Glaser, Skizze. 2. P. 108. 256. Ptolemy, Geography, VI, 7:4. VI, 7:21.

(٧) Musil, Hegaz, P, 291. Glaser, Skizze. 2. P, 108, 256.



المصادر العربية • وقد قصد « بلينوس » من مدينتي « Domata » و « Haegra » مدينتي « دومة الجندل » و « الحجر » (١) • و « دومة الجندل » (٢) واحة كبيرة معروفة عرفت عند الآشوريين باسم « Adumu » و « الحجر » محطة تجارية كانت عظمة الأهمية في التجارة العالمية القديمة ، لأنها كانت مفترق الطرق التجارية القادمة من اليمن ، فتنفرع منها طرق القوافل الى العراق والشام ومصر •

هنالك حقيقة تاريخية تؤيد الروايات العربية التي تقرن اسم « عاد » باسم « ثمود » ، فقد رأيت أن « بطلميوس » عين موضع « عاد » وهم « Oaditae » ، وجعلهم في شمال غربي شبه الجزيرة وعلى مقربة من « ثمود » ليس بينهم وبين « عاد » سوى شعب « Sarakenoi » الذين تحدثت عنهم ، وكلهم يسكنون في أعلى الحجاز في هذه المنطقة الجبلية التي تخترقها الطريق التجارية التي توصل الشام ومصر بالحجاز واليمن • وقد أدركا بعضهما الآخر كما يظهر من رواية بطلميوس (٣) •

ويشبه مصير « عاد » و « ثمود » مصير « سدوم » Sodom و « عمورة » Gomorrah وبقية « مدن الدائرة في عمق السديم » (٤) ، التي تقع - على رأي كثير من علماء التوراة - في جنوب البحر الميت (٥) ، فقد لاقت هذه المدن ، وهي خمسة على سهل « دائرة » الأردن ، المصير الذي لقيه قوم عاد و ثمود حيث أرسل الله عليهم عذابا « فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض » (٦) • وأصحاب هذه المدن ، هم : قوم « Lot » و « لوت » هو « لوط » • وقد رأيت أن القرآن قد أشار الى مصير « قوم لوط » ، وأطلق على ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة « الأحزاب » و « ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب » (٧) •

(٢) البلدان (٤/١٠٦) •

(١) Musil, Hegaz, P. 311.

(٣) Glaser, Skizze, 2, P. 256.

(٤) James A. Montgomery, Arabia and the Bible, P, 91.

(٥) Hastings, P, 734, Ency. Bibl. P, 3790 (١/٥٥١، ٢/١١٩) •

(٦) التكوين الاصحاح التاسع عشر ، آية ٢٣ وما بعدها •

(٧) سورة ص ٣٨ آية ١٣ وتجد قصة « لوط » وقومه مفصلة في تاريخ الطبري

(١/١٥٠) وما بعدها • وتجد فيها ما جاء في التوراة وما جاء في الشروح والتفاسير

الموضوعة على العهد العتيق وفيها أيضا شيئا من الاساطير الشعبية نهاية الأرب ١٣/١٢٣

يتبين من عثور المنقبين والسياح على كتابات ثمودية في منطقة تمتد من أعلى الحجاز في الشمال الى ما بعد الطائف في الجنوب ومن سواحل البحر الأحمر الى يتبين من عثور المنقبين والسياح على كتابات ثمودية في منطقة من أعلى القوية ، ويعود تاريخهم الى ما قبل الميلاد بعدة قرون . وقد قلت : ان نصا آشوريا من نصوص « سرجون الثاني » ذكر أنهم حاربوا مع شعوب أخرى الآشوريين . غير أن هذا الملك انتصر عليهم . ويقول النص أيضا : انه أجلاهم من مواطنهم الى « السامرة » «Samaria» (١) .

ولم يكن هؤلاء الثموديون الذين حاربوا الآشوريين من أبناء الساعة ، بل لا بد أن تكون لهم أسلاف عاشوا قبلهم عدة قرون ، لم يصل خبرهم إلينا ، وقد يمكن وصوله فيما بعد .

أدرك قوم « ثمود » أيام المسيح ، وعاشوا بعد الميلاد ، وقد كانوا يقطنون في هذه الأيام أعلى الحجاز في « دومة الجندل » و« الحجر » وفي غرب واحة « تيماء » في المنطقة المهمة التي تمر بها طريق اليمن - الحجاز - الشام ومصر والعراق . وقد عرف أنهم كانوا يمتلكون في منتصف القرن الثاني للميلاد حرتي « العوارض » و« الأرحاء » (٢) . ويرى « دوتى » أن « الحجر » هي موضع « الخريبة » في الوقت الحاضر ، لا « مدائن صالح » التي هي في نظره « حجر » النبط (٣) . وتقع « مدائن صالح » ، وهي مدينة النبط ، على مسافة عشرة أميال من موضع « الخريبة » (٤) ، ويرى أن آخر ذكر لهم ورد في التاريخ كان في القرن الخامس حيث جاء أن عددا منهم كانوا فرسانا في جيش الروم (٥) ، وأن النصوص الآشورية سمت المنطقة التي

- (١) Lyon, Keilschrifttexte Sargon's (1883) P. 4; Winckler, Keilschrifttexte Sargons (1889), Vol. 2, Pl. 2, No. 1. Line 20. Schrader, Keilinschriftliche Bibliothek (1889-1900) Vol. 2, P. 42. Musil, Deserta, P. 479. Musil, Hegaz. P. 289, Musil, Hegaz. P. 291. (٢)  
 Travels in Arabia Deserta, by Charlis M. Doughty, Vol. 1, P. 229. (٣)  
 Doughty, Vol. 1, P. 229. (٤)  
 Doughty, Vol. 1, P. 229 (٥)  
 « السير هنرى رولنسن Sir Henry G. Rawlinson » وأشار الى مصدر آخر هو :  
 Sprenger, Die Alte Geogr. Arabiens, P. 28.



كان يقيم بها « الثموديون » والشعوب الأخرى التي شاركها في محاربة الآشوريين  
«Bari» التي تشير الى كلمة « برية » العربية ، أى البادية (١) .

وتمكن « لانكستر هاردنك » محافظ مديرية الآتار العتيقة في المملكة الأردنية  
الهاشمية من تصوير ما يزيد على خمس مئة كتابة ثمودية أرسلها الى المستشرق المعروف  
« أنوليمان » تعود بعضها الى ما قبل الميلاد ، ويعود قسم منها الى ما بعد الميلاد ، ومن بينها  
نص أرخ بسنة ٢٦٧ للميلاد ، ونص آخر رسمت فيه دائرة في داخلها صورة تشبه  
الصليب وكتابة قرأها المستشرق « ليمان » « يشوعة » أو « ليشوعة » أى « يسوع » وهو  
النص الذى رقم بـ ٤٧٦ . والظاهر أن صاحبه كبه تيمنا باسم المسيح ، ولا يعرف تأريخه  
بالضبط . ويعتقد « ليمان » أنه أقدم شاهد عرف حتى الآن عن انتشار النصرانية فى  
شمال بلاد العرب (٢) . وقد قرأها المستشرق « فان دين برندن » « بو أيوب » ، أى  
« لاأيوب » أو « أيوب » (٣) . وبالجملة فإن العلماء لم يتمكنوا من ترجمة تلك الكتابات  
ترجمة صحيحة حتى الآن .

وفى المتاحف الأوربية وفى مكبات بعض الجامعات وفى أوراق المستشرقين  
مجموعة من النصوص الثمودية التى يزيد عددها على ألف وسبع مئة نص جميعها فى  
مواضيع دينية وأدعية للآلهة الثمودية . واما المناطق التى وجدت فيها هذه النصوص أو  
أخذت صورها ، فهى منطقة حائل بنجد ، وأرض تبوك وتيماء ومدائن صالح والسلاسل  
الجبلية الممتدة بين هذه المنطقة والحجاز ، وعثر فى الطائف على بعض النصوص الثمودية  
أيضا وفى السواحل الحجازية الشمالية للبحر الأحمر عند الوجه وفى شبه جزيرة  
طورسيناء وفى الصفا « شرقى دمشق » وفى مصر (٤) .

ويشك المستشرق « هوبرت كريمه » Hubert Grimme فى صحة نسبة

(١) المصدر نفسه

The Muslim World, Vol. XI no. 1, January 1950. Jesus in A Preislamic (٢)

Arabic Inscription, by. Enno Littmann.

A. Van den Branden, in « Le Muséon » مجلة راجع تعليق المستشرق فى مجلة (٣)

le Muséon. « Une Inscription Thamoudéenne, » LXIII (1950) 1-2, P. 47-51.

Ency. Vol. 4, P. 736. Musil, Negd, P. 104, 140. Huber, in, Journal d'un (٤)

Voyage en Arabie. 1883-1884. Grimme, Entzifferung Thamudenischen Inschriften,  
1904 Jaussen — Savignac, Mission Archéologique en Arabie 1-2, 1911, 1914.

كثير من هذه النصوص الى الثموديين ، ويرى أنها لأناس غيرهم ؛ اذ لا دليل علميا هناك يثبت كون هذه النصوص تعود الى هؤلاء .

وهناك عدد غير قليل من النصوص الثمودية يعود عهدها الى العهد النبطي ، ويشغل حيزا من الزمن يقع بين حوالي مئتي سنة قبل المسيح وثلاث مئة سنة بعده ، وتمتزوج في مثل هذه النصوص الثمودية بالنبطية . وقد عثر على بعض نصوص نبطية في الحجاز ظن أنها من النصوص الثمودية ، مثل نص Hu.418=Eu. 772 ونص آخر يعود الى سنة ٢٦٧ للميلاد (١) .

الا أن هناك نصوصا ثمودية قديمة يظهر عليها أثر عبارة « سلم Salm » . وقد كانت تيماء من أهم الأماكن التي كانت تقدر هذا الآله حوالي سنة ٦٠٠ قبل الميلاد ، ويرمز التيمائيون الى « سلم » برأس ثور ، وقد وجد هذا الرمز على النقوش الثمودية ، كما وجدت أسماء بعض الآلهة التي كان يتعبد لها أهل تيماء منقوشة في النصوص الثمودية مما يدل على أن قوم ثمود كانوا يتعبدون لها كذلك ، وأن هناك صلوات ثقافية ودينية بين تيماء وثمود .

وقد عثر على نقوش ثمودية في اليمن ، ويدل وجود هذه النقوش هناك على وجود صلوات بين اليمن وثمود ، ولعلمهم كانوا يقيمون في اليمن كذلك . وقد عثرت البعثة المصرية التي زارت اليمن على مخربشات ثمودية في « حجر المعقاب » عند جبل « حليل » على مسافة ليست بعيدة من « بيت حميد » بوادي شرع بالخازد (٢) .

وقد دفعت هذه الكتابات الثمودية العديدة التي عثر عليها العلماء على التفكير في الخط الثمودي وعلاقته بالخطوط السامية الأخرى ، ولا سيما بالخطوط السامية الجنوبية ، فارتأى المستشرق « Lidzbarski » أن الخط الثمودي أحدث عهدا من الخط المعيني السبئي ، ولكنه أقدم على كل حال من الخط الصفوي . وارتأى المستشرق « هوبرت كريمة » أن الخط الثمودي القديم هو أصل الخطوط السامية الجنوبية . وأما

(١) Ch. Doughty. Documents Epigraphiques Recueillis dans le Nord de l'Arabie, 1884.

(٢) نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها للدكتور خليل يحيى نامي . القاهرة ١٩٤٣ (ص ١٠٩) . وقد عثر الرحالة فلبى على بعض الكتابات التي يظهر أنها « ثمودية لحيانية » . Philby, Sheba's Daughters, P, 441.



الخط الثمودى الحديث ، فانه نشأ بعد تلك الخطوط (١) .

ويرى « برو Brau » أن ثمودا أصيبوا بكارثة عظيمة هي عبارة عن ثوران براكين أو هزات أرضية بدليل ورود كلمة « رجفة » وكلمة « صيحة » فى القرآن الكريم (٢) ، وذلك محتمل جدا ؛ لأن البقاع التى كانوا يقطنونها هي من مناطق الحرار (٣) .

ولم يرد فى الكتب العربية ما يفيد وجود قبائل « ثمودية » قبيل الاسلام ، أو فى الاسلام ، غير ما ذكره بعضهم من نسب « ثقيف » الذى رجعه بعضهم الى « ثمود » ، ولكن ذلك لم يرض الثقفين ، فقد كان « الحجاج بن يوسف » - وهو من « ثقيف » - يكذب ذلك (٤) . وروى « دوتى » أن بدو نجد يذكرون أن قبيلة « بنى هلال » هم من نسل عاد وثمود (٥) .

#### طسم وجديس :

وساق النسابون نسب طسم على هذه الصورة : طسم بن لاوذ بن ارم ، أو طسم بن لاوذ بن سام ، أو طسم بن كاتر (٦) . ونحن لا نعرف الآن أمرهم غير ما ورد من القصص المدون فى الكتب ، ولم يرد لهم ذكر فى القرآن الكريم . أما مواطن طسم ، فكانت اليمامة . وعند بعضهم الاحقاف والبحرين (٧) . وقد زعم الاخباريون أن طسما وجديسا سكنتا اليمامة معا ، وهى اذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها ، ثم انتهى الملك الى رجل ظالم غشوم من طسم يقال له عمليق أو عملوق استدل جديسا ، وأهانها ، فثارت جديس وقتلت عمليقا ومن كان معه من حاشيته ، واستعانت طسم بحسان بن تبع من تابعة اليمن ، فوقعت حرب أهلكت طسما وجديسا (٨) ،

Hubert Grimme, Die Losung des Sinaischriftproblems, Münster. 1926. (١)

(٢) « فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين . » الاعراف ٧ آية ٧٧ .

« وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين » هود ١١ آية ٦٦ .

(٣) تاريخ ابن خلدون (٢/٢٤) . Ency. Vol. 4. P. 736. (٤)

(٥) Die Offenbarung Arabiens, ( Arabia Deserta ) ( Leipzig 1937 ). S. 63. (٥)

(٦) ابن خلدون (٢/٢٤) ، الطبرى (١/٧٧١) طبعة أوربة . الاغانى (١٠/٤٨) ،

« طسم بن لود بن أزهري بن سام بن نوح » ابن الأثير (١/١٣٩) . « وأحاديث طسم : يقال

لما لا أصل له . تقول لمن يخبرك بما لا أصل له : « أحاديث طسم وأحلامها » وطسم :

احدى قبائل العرب البائدة . « الاغانى (١١/١٠٣) . اللسان ٢٥٦/١٥ .

(٧) ابن خلدون (٢/٢٤) . Ency. Vol. 4. P. 691 .

(٨) وعند الطبرى أنه « تيان أسعد كرب بن ملكي كرب » . ابن خلدون (٢/٢٥) ،

المعارف (٣٠٨) ، الميدانى الامثال (١/١٩٢ ، ٢/٦٩٠) .

وبقيت اليمامة خالية ، فحل بها بنو حنيفة الذين كانوا بها عند ظهور الاسلام .  
 وذهب نفر من المستشرقين الى أن طسما من الشعوب الخرافية التي ابتدعتها  
 الأخباريون ، غير أنه لا يستبعد أن يأتي يوم قد يعثر فيه على أخبار هؤلاء القوم ، وعلى  
 اسمهم في الكتابات . وقد وردت في نص يوناني عثر عليه في « صلخد » ، ويعود تاريخه  
 الى سنة ٣٢٢ للميلاد جملة « أنعم طسم »<sup>(١)</sup> ، فلا يستبعد أن يأتي اليوم الذي نقرأ  
 فيه نصوصا تعود الى طسم . ونسب الأخباريون لطسم وجديس صنما قالوا له « كثرى » ،  
 والظاهر أنه من الأصنام التي ظلت تعبد الى أيام الاسلام ، إذ كسره نهشل بن الريس  
 ابن عرعة ولحق بالنبي<sup>(٢)</sup> .

وذهب زيدان الى أن طسما هي « لطوشيم »<sup>(٣)</sup> ، وهي قبيلة من العرب ورد اسمها في  
 التوراة على انها من نسل ددان بن يقشان<sup>(٤)</sup> ، وورد معها اسم قبيلة أخرى من قبائل « ددان »  
 يقال لها « Leummim »<sup>(٥)</sup> « لاأميم » يرى زيدان أنها « أميم » .  
 وقالوا عن « جديس » أنهم أبناء « جديس بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح »<sup>(٦)</sup> ،  
 أو أبناء « جديس » شقيق « ثمود بن غائر بن ارم بن سام بن نوح »<sup>(٧)</sup> . وقد كانوا أتباعا  
 لطسم ويسكنون معهم في اليمامة حتى ثاروا على « عمليق » ملك طسم ، فكانت نهاية

(١) D.H. Müller, Südarab. Studien. P. 67.

(٢) كتاب الأصنام ( ص ١١٠ ) ، تاج العروس ( ١٢٥/٢ ) قال عمرو بن صخر بن  
 أشنع :

حلفت بكثري حلفة غير برة لتستلبنى أثواب قيس بن عازب

(٣) الهلال : الجزء العشرون ، السنة الخامسة ، حزيران ١٨٩٧ ( ص ٧٧٦ ) .

(٤) التكوين اصحاح ٢٥ آية ٣ .

(٥) التكوين ٢٥ آية ٣ . قاموس الكتاب المقدس ٢/٢٩٣ .

Hastings, P. 541. Ency. Bibl. P, 2768.

(٦) خلاصة الكلام ( ص ٤٤ ) ، ابن خلدون ( ٢/٢٤ ) ، الطبري ( ١/٧٧١ )  
 الاغانى ( ١٠/٤٨ ) ، ابن قتيبة المعارف ( طبعة وستنغلد ) ص ١٤ ، « جديس بن عامر  
 ابن ازهر بن سام بن نوح » ابن الاثير ( ١/١٣٩ ) . شرح ديوان الحماسة للتبريزي  
 ( ١/١٦٧ ) . اللسان ٧/٣٣٣ « وجديس حى من عاد وهم اخوة طسم وفي التهذيب جديس  
 حى من العرب كانوا يناسبون عادا الاولى » .

(٧) المصادر نفسها أيضا . Ency. Vol, I, P, 992.



« طسم » كما كانت نهاية « جديس » ؛ ولذلك قيل « بوار طسم بيدي جديس » (١) .  
 وجاء في بعض الروايات أن « جذيمة الأبرش » كان قد حارب قبيلة « طسم » (٢) ،  
 وقبيلة « جديس » . ويرى المستشرق الفرنسي « كوسين دي برسفال » أن اغارة حمير  
 المذكورة على « جديس » وهلاك « طسم » و« جديس » نتيجة لهذه الغارة انما كانت في  
 حوالي سنة ٢٥٠ بعد الميلاد (٣) .

ويعتقد بعض المستشرقين أن اسم « Jolisitae » أو « Jodisitae » الوارد في  
 جغرافية بطليموس انما يقصد به قوم « جديس » ، وأنهم كانوا معروفين في سنة ١٣٠  
 بعد الميلاد (٤) .

ومن الاماكن المنسوبة الى طسم « المشقر » ، وهو حصن بين نجران والبحرين على  
 تل عال ، ويقابله حصن بنى سدوس . وقد نسب بعض الرواة بناءه - كعادتهم عند جهلهم  
 أسماء الأماكن - الى سليمان ، وقد سكتته عبدالقيس أهل البحرين (٥) . و« معنق »  
 من قصور اليمامة على أكمة مرتفعة (٦) . و« الشموس » قيل أنه من بناء  
 « جديس » (٧) . ومن قرى اليمامة الشهيرة « حجر » وكانت لطسم وجديس والظاهر  
 أنها كانت عامرة ذات قصور عالية كثيرة ، وأنها كانت محاطة بالمزارع ، وأنها بقيت مدة

(١) لسان العرب (٣٣٤/٧) ، وترد في القصة التي يرويها الرواة حكاية « زرقاء  
 اليمامة » . راجع الأمثال للميداني (١٩٢/١ ، ٦٩٠/٢) الاغانى (١١/١٦٤) طبعة  
 دار الكتب المصرية . « وكانت منازلهم اليمامة وفيهم يقول رؤبة : بوار طسم بيدي  
 جديس . » اللسان ٣٣٤/٧ .

(٢) Ency. Vol. I. P. 992.

(٣) Ency. Vol. I. P. 992. Caussin de Perceval, Essai, 2. P. 26.  
 وضعت عن هلاك جديس منها قصة زرقاء اليمامة . الأمثال طبعة دائرة المعارف العثمانية  
 بحيدر آباد بالدكن سنة ١٣٥١ ( ص ٤ ) . مجمع الأمثال للميداني (١٢٠/١) وهناك  
 قصة عن زرقاء أخرى كانت ترى من مسافة بعيدة ذكروها في تفرق ولد معد .  
 الاغانى (١١/١٥٥) . الاغانى (١١/٣٦) (طبعة دار الكتب المصرية) .

(٤) Ency. Vol. I. P. 992. Ptolemy, Geogr. 1.29. Libr. VIII. (ed. Wilberg).

P. 406. الهلال : الجزء السابع من السنة الرابعة عشرة نيسان ١٩٠٦ ( ص ٣٩٤ ) .

(٥) البلدان (٨/٦٥) ، العرب قبل الاسلام ( ص ٦٧ ) . اللسان (٦/٩١) .

(٦) البلدان (٨/٦٥) ، العرب قبل الاسلام ( ص ٦٧ ) .

(٧) البلدان (٨/١٠٠) ، العرب قبل الاسلام ( ص ٦٧ ) .

طويلة مهملة في وسط الرمال التي تكونت في تلك البقاع المنبثة الخصبه التي تحولت الى صحراء (١) . و « القرية » « قرية بنى سدوس » ، وكان بها قصر عظيم من الصخر ، وقد زعموا أنه كان من حجر واحد بناه جن سليمان (٢) . و « جعدة » وهي حصن ، وبها قصر قديم « عادي » ينسبونه الى طسم وجديس ، ويظهر أنه ظل باقيا الى أيام الهمداني الذي وصفه في كتابه « صفة جزيرة العرب » . والظاهر من وصفه أن الحصن كان عظيما ، وانه كان يحيط بالقرية ، وأن أساسه من اللبن وحوله منازل الحاشية للرئيس الذي يكون فيه ، وكان فيه الاثل والنخيل ، وحوله منازل الناس والسوق ، ويحيط بالقرية خندق ، وفي السوق آبار قال الهمداني : انها مئتان وستون بثرا ماؤها عذب فرات (٣) . و « خضراء حجر » وهي حضور طسم وجديس ، وفيها آثارهم وحصونهم وبتلهم الواحد بتيل ، وهو مربع مثل الصومعة مستطيل في السماء من طين . وقد بولغ في وصف ارتفاع هذه « البتل » وطولها حتى زعم أن ارتفاع ما تبقى منها الى أيام الهمداني كان قد بلغ مئتي ذراع في السماء (٤) . و « الخضرمه » ، وكانت لجديس ، وبها آثار قديمة كثيرة (٥) و « الهدار » (٦) و « ريمان » (٧) .

والظاهر أن اسم « عمليق » أو « عملوق » وهو اسم ملك « طسم » الذي ثارت عليه « جديس » (٨) ، أخذ من الاسماء الواردة في التوراة .

أميم :

وجعل الأخباريون « أميما » في طبقة طسم وجديس ، وقالوا عنهم : انهم من نسل « لاوذ بن عمليق » (٩) . وكان من شعوبهم « وبار بن أميم » ، نزلوا برمل

(١) البلدان (٣/٢٢١) .

(٢) البلدان (٧/٧٦-٧٧) ، الهمداني : صفة (ص ١٤١) .

(٣) الهمداني (ص ١٦٠) .

(٤) الهمداني : صفة (ص ١٤١) . (٥) الهمداني : صفة (ص ١٤١) .

(٦) الهمداني : صفة (ص ١٤١) . (٧) الهمداني : صفة (ص ١٤١) .

(٨) الاغانى (١١/١٦٤-١٦٧) .

(٩) تاريخ ابن خلدون (٢/٢٨) . خلاصة الكلام (ص ٤٧) ، « أميم بن لاوذ بن سام » تاريخ الطبرى (١/٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠) . « وطسم وأميم بنو لوذ ابن سام بن نوح » طبقات ابن سعد (١/١ ص ١٩) .



«عالج» بين اليمامة والشحر، وانهارت عليهم الرمال فأهلكتهم<sup>(١)</sup> . وهم يزعمون أيضا أن ديار «أميم» كانت بأرض فارس<sup>(٢)</sup> ؛ ولذلك زعم بعض نسابة الفرس أنهم من «أميم»، وأن «كيومرت» الذي ينسبون إليه هو ابن أميم بن لاوذ<sup>(٣)</sup> . ولا نعرف من أمر «أميم» شيئا غير هذه التفت، ولم يذكر الأخباريون كيف أنهم عدوهم من طبقة العرب الأولى إذا كانت ديارهم بأرض فارس، ولم يشرحوا لنا كذلك كيف وصلوا نسب «وبار» بأميم، وما العلاقة بينهما .

وجاء في جغرافية «بطلميوس» اسم شعب عربي دعى «Jobabiteae» «Jobariteae» على أنه من شعوب العربية الجنوبية، ويسكن على مقربة من أرض قبيلة أخرى دعاها «Sachaliteae»، وتقفن عند خليج يدعى باسمها «Sinus Sachalites»<sup>(٤)</sup> . وهذا الاسم قريب جدا من اسم «وبار»، لذلك ذهب المستشرقون إلى أنه هو شعب «وبار»<sup>(٥)</sup> أو «بنو وبار»<sup>(٦)</sup> . غير أن هنالك عددا من العلماء يرون أن الاسم الأصلي الذي ورد في جغرافية بطلميوس هو «يوباب» «Jobabiteae»، غير أن النسخ قد أخطأوا في النسخ فحرفوا حرف «باء» «B» الثاني في هذا الاسم وصيرووه «راء» R، فصار الاسم بعد هذا التحريف «Jobariteae»<sup>(٧)</sup> . وعلى هذا فإن الشعب الذي قصده بطلميوس - على حد قول هؤلاء - هو «يوباب» أو «يباب»<sup>(٨)</sup> . إلا أنه لا يوجد هنالك دليل قوى يثبت حدوث هذا التحريف .

وفي موضع ليس ببعيد عن هذا المكان الذي ذكره «بطلميوس» تقع أرض «وبار» الشهيرة، وهي في مشارق اليمن بين رمال يبرين واليمن «ما بين نجران وحضرموت وما بين بلاد مهرة والشحر»، أو ما بين الشحر إلى تخوم صنعاء . وقيل: «قرية وبار

(١) خلاصة الكلام (ص ٤٧) .

(٢) تاريخ ابن خلدون (٢٨/٢) .

(٣) Forster, Vol. 1, P. 173-174. Vol. 2, P. 270 Ptolemy, VI, 7, 24. Glaser, Skizze, 2, P, 256.

Ritter, Erdkunde. Berlin, 1896. Bd, XIII, S, 315. Sprenger, Geographie. (٥)

S, 296.

(٦) تاريخ الطبري (٧٥٠/١) طبعة أوربة .

(٧) Forster, Vol. 1, P. 174.

(٨) Forster, Vol. 1, P. 173-174. Vol. 2, P. 270.

كانت لبني وبار بين رمال بني سعد وبين الشحر ومهرة ، والنسبة اليها « أبارى » (١) . وترى أن هذه النسبة قريبة من الاسم الذي ذكره بطليموس . ويدعى ياقوت الحموي أنها مسماة بوبار بن ارم بن سام بن نوح (٢) . وقد روت الكتب العربية قصصا كثيرة عن « وبار » ، ومن جملة الاساطير التي تروى عنها أسطورة « النسناس » . وتتلخص في أنهم « من ولد النسناس بن أميم بن عمليق بن يلمع بن لاوذ بن سام » ، وأنهم كانوا في الأصل بشرا فجعلهم الله نسناسا ، للرجل منهم نصف رأس ونصف وجه وعين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة « ، وأنهم صاروا يرعون كما ترعى البهائم ، وأنهم يقفزون قفزا شديدا ويعدون عدوا منكرا (٣) . والظاهر أن لهذه القصص والاساطير أصولا جاهلية ، وقد وضع منها في الاسلام شيء كثير ، ووضع معها شعر كثير على لسان ذلك « الانسان الحيوان » ، ولا يزال الناس يروونها حتى الآن .

وقد أنكر بعض المستشرقين وجود « وبار » وزعموا أنهم من الشعوب التي ابتكر وجودها القصص قائلين ان تلك الرمال الواسعة المخيفة هي التي أوحت الى القصص والأخبارين اختراع شعب « وبار » وقصص النسناس (٤) . والذي أراه أن هذا لا يمنع من وجود شعب كان يدعى بهذا الاسم ، وان كنا لا نعرف من أمره شيئا سوى هذه القصص والاساطير . وقديما أنكروا وجود عاد وثمود ، ثم اتضح بعد ذلك بواسطة الكتابات وجود عاد وثمود . وهكذا قد يعثر في المستقبل على كتابات وبارية . وقد قلت : ان بين الاسم الذي ذكره بطليموس وبين اسم « وبار » أو « أبارى » شبا ليس بعيد .

ونجد في رواية أهل الأخبار عن عمار « وبار » وكثرة زروعها ومراعيها ومياهها في الجاهلية شيئا من الأساس . فقد أيد السياح ذلك ، وأثبتوا وجود أثر من آثار عمران قديم (٥) . وهو سند يتخذه القائلون بتطور جو بلاد العرب ، وسطحها

(١) راجع عن موضع وبار : البلدان (٣٩٢/٨-٣٩٣) ، منتخبات في أخبار اليمن (ص ١١٣) « ولحقت أميم بارض أبار فهلكوا بها ، وهي بين اليمامة والشحر . ولا يصل اليوم اليها أحد ، غلبت عليها الجن . وانما سميت أبار بأبار بن أميم » . طبقات ابن سعد ( ج ١ قسم ١ ص ٢٠ ) .

(٢) البلدان (٣٩٢/٨) .

(٣) البلدان (٣٩٢/٨ ، ٣٩٤) ، القزويني : عجائب المخلوقات ٤١/٢ ( طبعة وستنفلد ) . المسعودي : التنبيه (ص ١٨٤) . صفة (١٥٤ ، ٢٢٣) .

(٤) Sprenger, Geogr. S. 296.

(٥) Ency. Vol. 4. P. 1074. Philby, The Heart of Arabia Vol, 2. P. 353.



لاثبات رأيهم في هذا التغير •

عيبيل :

و « عيبيل » مثل « أميم » ، لا نعرف من أمرهم غير نتف ذكرها الأخباريون الذين زعموا أنهم اخوان عاد بن عوص ، أو اخوان عوص بن ارم ، وأنهم لحقوا بموضع « يثرب » حيث اختلطوا يثرب • وكان الذي اختطها منهم رجل يقال له : « يثرب بن باثلة ابن مهلهل بن عيبيل » (١) • ثم ان قسما من العماليق انحدروا الى يثرب ، فأخرجوا منها عيبلا ، فنزلوا موضع « الجحفة » ، فأقبل سيل فاجتحفهم فذهب بهم ، فسُميت « الجحفة » (٢) •

وقد ورد في التوراة اسم ولد من أولاد « يقطان » هو « Obal » أو « Ebal » (٣) • « عوبال » ، وهذا الاسم قريب من « عيبيل » ؛ لذلك رأى بعض علماء التوراة أن من الممكن أن يكون « عيبيل » هو « عوبال » (٤) • ونجد في جغرافية « بطليموس » اسم موضع يقال له « Avalitae » على خليج يدعى بهذا الاسم « Avalites Sinus » وعليه مدينة « Avalites Emporium » وسكانها يعرفون باسم « Avalitae » • وقد ورد هذا الاسم عند « بلينيوس » على صورة « Abalitae » و « Abalites » ، ويرى « قورستر » أن من المحتمل أن يكون هؤلاء هم « عوبال » • Obal (٥) ، وقد يكون أبناء « عوبال » هم « عيبيل » •

وذكر أن في اليمن مكانا يقال له « عيبيل » (٦) ، وقرية تقع على طريق صنعاء تعرف « بعبال » (٧) • وهذان الاسمان قريبان من اسم « عيبيل » • غير أنني لا أريد أن أقول شيئا في الوقت الحاضر فيما يخص « عيبلا » ، فلا يجوز الحكم في مثل هذه الأمور لمجرد تشابه الأسماء ، وانما ذكرت ذلك للمناسبة العارضة وللتبنيه •

(١) تاريخ ابن خلدون (٢/٢١) « وعاد وعيبيل ابنا عوص بن ارم بن سمام بن نوح » • طبقات ابن سعد (١/١ ص ١٩) •

(٢) طبقات ابن سعد (١/١ ص ٢٠) ، البلدان (٣/٦٢) •

(٣) اخبار الايام الاول الاصحاح الآية ٢٢ ، التكوين الاصحاح العاشر آية ٢٨ •

(٤) Hastings, P. 201, Ency. Bibl. P. 3462. M. Gottfried Büchner's Biblische

Real unc' verbal Hand Concordanz, S. 276.

Glaser, Skizze, 2. P. 426 — 427.

(٥) Forster, Vol. 1. P. 148, 149.

Scott, in the high Yemen, P. 185. (٧)

وأما عبد ضخم فكانت تسكن - على قول الأخباريين - الطائف ، وهلكوا فيمن هلك من الشعوب البائدة ، وكانوا أول من كتب بالحط العربي (١) .  
 وجعل الأخباريون شعوبا أخرى في جملة من ذكرناهم مثل حضرموت و « حضورا » ، وقد أوردوا قصصا عن حضورا فذكروا أن حضورا كانوا يقيمون بالرس ، وكانوا يعبدون الأوثان ، وبعث اليهم نبي منهم اسمه « شعيب بن ذى مهرع » فكذبوه وهلكوا (٢) . وهناك عدة مواضع يقال لها الرس منها موضع باليمامة ، وموضع كان فيه ديار نفر من ثمود (٣) . وورد في القرآن الكريم « أصحاب الرس » (٤) مع ذكر عاد وثمود ، وذهب المفسرون الى أنهم كانوا جماعة « حنظلة » ، وهو نبي ، فكفروا به ورسوه في البئر (٥) . الى غير ذلك من الأقوال .

وقد روى الأخباريون أن « بختنصر » غزا أهل « حضورا » وأعمل فيهم السيف ، وأجلى خلقا منهم الى أماكن أخرى ، لأنهم كفروا وجحدوا نبوة نبي منهم أرسله الله اليهم ، وهو « شعيب بن مهديم بن ذى مهديم بن المقدم بن حضور » (٦) ، ولم يصدقوه ، وكانوا أصحاب بطش وشدة وغلظة . فلما قتلوه ، أوحى الله الى نبي في عصره هو « برخيا بن أخيبا بن رزنائيل بن شالتان » ، وكان من سبط يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل ، أن يأتي « بختنصر » فيأمره بغزو « العرب الذين لا أغلاق

- (١) ابن خلدون (٢/٢١) « عبد ضخم بن ارم » ، خلاصة الكلام (ص ٤٧) .  
 (٢) ابن خلدون (٢/٢٠) ، نهاية الأرب (١٣/٨٦) فما بعدها . « قال كعب ان أصحاب الرس كانوا بحضرموت ٠٠٠ » نهاية الأرب (١٣/٨٨) .  
 (٣) البلدان (٤/٢٥٠) ، ، خلاصة الكلام (ص ٤٧-٤٨) .  
 (٤) « وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا » القرآن الكريم : سورة الفرقان ٢٥ آية ٣٨ . « كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود » ق سورة ٥٠ آية ١٢ .  
 (٥) البلدان (٤/٢٥٠) ، قصص الأنبياء (١٤١) ، حياة الحيوان للدميري مادة عنقا . نهاية الأرب (١٣/٨٨) . Ency, Vol. I. P. 479 .  
 (٦) « شعيب بن عيقى ويقال ابن ضيفون » البلدان (٣/٢٩٦) . « شعيب بن مهديم بن حضور بن عدى » الاكليل ١٥٠/٨ ( طبعة الكرملى ) . شمس العلوم (ص ٥٦) .  
 « مخلاف حضور وهو حضور بن عدى بن مالك ، من ولده شعيب النبي بن مهديم بن ذى مهديم بن المقدم بن حضور عليه السلام ، وهو الذي قتله قومه . يقال : قتله أهل حضوري وعربايا ، وكان بعث اليهم » . صفة (١٠٦) .



ليوتهم ولا أبواب» ، ويطأ بلادهم بالجنود ، فيقتل مقاتلهم ، ويستبيح أموالهم . فأقبل  
برخيا من نجران حتى قدم على « بختنصر » « نبوخذنصر » ، وذلك في زمان معد بن  
عدنان ، فوثب « بختنصر » على من كان في بلاده من العرب ، وجمع من ظفر به منهم  
فبنى لهم حيرا على النجف وحصنه ، ثم ضمهم فيه ، ووكل بهم حرسا وحفظة ثم سار  
في بلاد العرب فالتقى « بعدنان » بذات عرق ، فهزم « بختنصر » عدنان ، وسار الى  
« حضور » ، فانهزم الناس ، وفروا فرقتين : فرقة أخذت الى « ريسوب » وعليهم  
« عك » ، وفرقة قصدت وبار . أما الذين بقوا في « حضور » وحاربوا « بختنصر » ، فقد  
احتصدتهم السيوف . ثم رجع ملك بابل بما جمع من السبايا ، فلقاهم بالأنبار ، وخالطهم  
بعد ذلك النبط ، ومات « عدنان » . فلما مات « بختنصر » ، خرج « معد بن عدنان » حتى  
أتى مكة ، ثم ذهب الى « ريسوب » فاستخرج أهلها ، وسأل عمن بقي من ولد الحارث  
ابن مضاخ الجرهمي - وهو الذي قاتل دوس العتق فأفنى أكثر جرهم على يديه - فقبل  
له : بقي جرشم بن جلهمة ، فتزوج معد ابنته معانة ، فولدت له نزار بن عدنان (١) .  
وأهل حضور الذين قتلوا نبيهم ، وقتلهم « بختنصر » هم شعب من أهل اليمن على  
رأى الأخباريين كانوا يقيمون في « حضور » أو « حضوراء » . وفي اليمن موضع يسمى  
« حضور » ، قال أصحاب الأخبار : انه سمي « بحضور بن عدى بن مالك بن زيد بن  
سدد بن حمير بن سبا » (٢) ، وانه المكان الذي قصده « بختنصر » فقتل أهله (٣) . وعلى  
هذا المكان مسجد يزار حتى اليوم ، يقال له ( مسجد شعيب ) نبي أصحاب الرس (٤) .  
وهو جبل من جبال اليمن المقدسة ، قال الهمداني : « وأما الجبال المقدسة عند أهل  
اليمن ، فجبل حضور وصنين ورأس بيت فائس من رأس جبل تخلي ورأس هنوم ورأس  
تعكر ورأس صبر . وفي رؤوس هذه الجبال مساجد مباركة مأثورة » (٥) .  
وأرى أن قداسة الجبال هذه ، وردت اليها من أيام قبل الاسلام ، من أيام الوثنية ،  
وأن المساجد التي أنشئت في رؤوسها انما أنشئت فوق معابد قديمة ، لعبادة الأصنام ،

(١) تاريخ الطبري ( ٢٩١/١ وما بعدها ) .

(٢) « حضور بن عدى بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة » معجم ما استعجم

٤٥٦/٢ ( طبعة السقا ) ، لسان العرب ( ٢٧٨/٥ ) .

Ency. Vol. 2. P. 210. (٤)

(٣) البلدان ( ٢٩٦/٣ ) .

(٤) الاكلیل ١٢١/٨ ( طبعة نبيه ) .

رأى حرباً قديمة ماحقة أو كارثة طبيعية مثل زلزال أو هياج حرة وقعت في منطقة « حضور » سببت تلفها وترك أثر عميق في ذاكرة أصحابها رواه الناس كبراً عن كابر ، فوجد من وقف على التوراة ، في قصة « بختنصر » على « حاصور » ما دفعهم الى القول ان تلك الحرب وقعت في « حضور » والى تكوين علاقة بين نبوءة « أرميا » و « برخيا » ريين تكذيب أهل « حضوراء » لنبي لم يجدوا اسمه في التوراة فجعلوه نبيا منهم عربيا جنوبيا هو كما رأيت •

وقد اعتمد رواية هذا الخبر على ما جاء عن هشام بن الكلبي (١) ونفر آخرين ممن عرفوا بروايتهم هذا النوع من الروايات التي تعرف من معين الاسرائيليات • ونحن لا نحتاج في الواقع الى البحث عن أسماء رواه معرفته صلته بالتوراة • فالمسألة جد واضحة : خذ التوراة واقراً ما جاء في أسفار « ارميا » ونبوءته ، تجد القصة مكتوبة في السفر التاسع والاربعين : « عن قيثار وعن ممالك حاصور التي ضربها نبوخذراصر « بختنصر » (٢) ملك بابل • هكذا قال الرب • قوموا اصعدوا الى قيثار ، اخربوا بني المشرق • ياخذون خيامهم وغنمهم وياخذون لانفسهم شققهم وكل آيتهم وجمالهم وينادون اليهم الخوف من كل جانب •

اهربوا انهزموا جدا تعمقوا في السكن يا سكان حاصور يقول الرب لأن نبوخذراصر ملك بابل قد أشار عليكم مشورة وفكر عليكم فكرا • قوموا اصعدوا الى أمة مطمئنة ساكنة آمنة يقول الرب لا مضاريع ولا عوارض لها • تسكن وحدها • وتكون جمالهم نهبا وكثرة ماشيتهم غنيمة وأذرى لكل ريح مقصوصى الشعر مستديرا وآتى بهلاكهم من كل جهاته يقول الرب • وتكون حاصور مسكن بنات آوى وخربة الى الأبد • لا يسكن هناك انسان ، ولا يتغرب فيها ابن آدم • • (٣) •

أما النبي « برخيا » الذي زعم الأخباريون أنه هو الذي أشار على « بختنصر » بغزو « حضور » ، فهو « باروخ بن نيريا » نريا « بن محسبيا » (٤) شقيق « سرايا »

(١) الطبرى (٢٩١/١) وما بعدها •

(٢) « نبوخذراصر » أعلى القاب ملك بابل الشهير غير أن هذا اللقب لم يرد الا فى ارميا وحزقيال • قاموس الكتاب المقدس (٤١٢/٢) • Hastings, P. 649. •

(٣) ارميا اصحاح ٤٩ آية ٢٨ وما بعدها •

(٤) وتعنى « باروخ » فى العبرانية « مبارك » • قاموس الكتاب المقدس (٢٠٤/١) Hastings, P. 85.



Seraiah» (١) . وقد كان كاتباً ، مجباً مخلصاً للنبي « ارميا » (٢) ، وكان يكتب لارميا ، وهو الذى كلفه النبي « ارميا » بالذهاب الى « بختنصر » حاملاً رسالة الى الملك (٣) . وهى الرسالة المدونة فى أسفار « ارميا » . وقد ذهب الى بابل وقابل الملك ، ثم عاد الى القدس حيث هاجم « بختنصر » « القدس » واستولى عليها بتحريض من هذا النبي نبيى العبرانيين ! ترى أن الأخباريين أخذوا قصة غزو « بختنصر » « لحاصور » القصة الواردة فى أسفار « ارميا » ، وجعلوها غزوا على شعب « حضور » فى اليمن فى موضع بعيد لا يعقل وصول « بختنصر » اليه ، وأضافوا اليه شيئاً من الزخارف التى وضعها ابن الكلبي أو غيره كإفحام اسم عدنان ومعد بن عدنان واسم نبيى عربى جنوبى ، وهو أمر يفرح له أهل اليمن الذين كان يفخر العدنانيون عليهم لعدم ظهور نبيى من القحطانيين وغير ذلك ، ليظهر الحبر بشكل مناسب ملائم ، فوفقوا بذلك على رأيهم بين الأسطورة القديمة التى كانوا يتوارثون أخبارها عن هلاك « حضور » وبين هذه القصة الواردة فى التوراة .

أما « حاصور » التوراة ، فإنها أرضون تقع فى « العربية » كانت فيها ممالك أو مشيخات كما يفهم ذلك من عبارة « ارميا » « وعن ممالك حاصور » (٤) . وكانت تتاخم « قيدار » ، ولعلها كانت فى البادية (٥) . يرى علماء التوراة أن سكانها كانوا من أهل المدر يقيمون فى بيوت ثابتة ، وقد أطلقت كلمة « حاصور » « Hazor » عليهم تميزاً لهم عن أهل الوبر ، وكانت ديارهم فى جنوب فلسطين أو شرقها (٦) . وتعنى كلمة « حاصور » « حصور » « Hazor » « Hasor » « جمعها » حصرىم « Haserim » « Hazerim » ما تعنيه كلمة « حيرتا » « Herta » فى الارمية و « الحيرة فى العربية » من معنى « محاط » أى « محاصر » بمعنى الحصن أو الامكنة المحاطة المحصورة أو « المضرب » و « الحمى » ، وقد كان مشايخهم يقيمون فى أسياف البادية فى مخيمات ومضارب مع أتباعهم ، يطلق عليها الارميون « حيرتا » ، واليونان « Paremboles » (٧) . وكانوا يرعون الماشية من ماعز وأغنام وجمال فى مناطقهم التى

(١) ارميا اصحاح ٥١ آية ٥٩ .

(٢) ارميا اصحاح ٣٢ آية ١٢ . قاموس الكتاب المقدس (٢٠٤/١) وقد سجن مع ( ارميا ) فى القدس وكانا يعارضان الملك يهوياقيم « Johoiakim » « ٦٠٤ قبل الميلاد » . Hastings, P, 85 Ency. Bibl. P. 491.

(٣) قاموس الكتاب المقدس (٢٠٤/١) (٤) ارميا اصحاح ٤٩ آية ٢٨ .

(٥) Hastings, P, 334.

(٦) Ency. Bibl, P, 1978.

(٧) Musil, Deserta. P. 490.

اعتادوا الإقامة بها ، ويظهر أنهم تعرضوا لجيوش « بختنصر » ، أو أنهم لم يساعده في حملته على فلسطين ، فأغتاظ منهم وجرّد عليهم حملة ، وكان من عادتهم الالتجاء الى الكهوف والمغاور حين مهاجمة عدو لهم حيث يذهبون الى مناطق بعيدة يصعب على الجيوش مطاردتهم يتخذون منها مواطن آمنة يعيشون فيها ما دام الخطر (١) .

ولم يكن للأخباريين علم دقيق بكيفية توزيع الشعوب التي وردت أسماؤها في التوراة ، لذلك لم يفتنوا الى أن من غير الممكن أن يكون أهل « حاصور » في اليمن عند جبل « حضور » ؛ لأنّ شعوب اليمن هم من أبناء « يقطن » « يقطان » أي « قحطان » في التوراة . ولم يكن أهل « حاصور » من أبناء « يقطان » في التوراة ، كما أن مجاورتهم « لقيدار » تجعل أرضهم في الشمال في شرق فلسطين أو في جنوبها في أعلى الحجاز أو في جنوبها الشرقي في أعلى نجد .

أما « قيدار » ، فسأتحدث عنهم حين أتحدث عن أبناء اسماعيل وفي صلوات العرب بالأشوريين ، وقد عدتهم أسفار التوراة من « الأشماعيليين » ، وكذلك قلد الأخباريون نسابة أهل الكتاب فجعلوا أبناء « قيدار » في أبناء اسماعيل ، وجعلوهم في الطبقة الثالثة من طبقات العرب ، أي في طبقة العرب العدنانيين .

**جرهم :**

وجرهم هؤلاء هم غير « جرهم » القحطانية على رأى النسابين والأخباريين ، ولذلك يقولون لجرهم هذه « جرهم الأولى » ، ولجرهم القحطانية « جرهم الثانية » ، ويقولون عن الأولى أنهم من طبقة العرب البائدة ، وإنهم كانوا على عهد عاد وثمود والعمالة (٢) . وقد ذكر اسمهم « اصطيغان البيزنطي » (٣) . ويظهر من روايات الأخباريين أنهم كانوا يقيمون بمكة ، ويرجعون أنسابهم الى « عابر » ، وأنهم أيّدوا : أبادهم القحطانيون (٤) .

### **العماليق :**

وحشر الأخباريون العمالة « العماليق » في هذه الطبقة أيضا ، فنسبوهم الى « عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح » (٥) . ولم تذكر أسفار التوراة أصلهم ، وهي لا تشير

(٣) Ency. Vol, I. P. 1066.

(١) Musil, Deserta, P. 490.

(٣) Ency. Vol, I. P. 1066.

(٤) تاريخ ابن خلدون (٢/٣٠) . صبح الأعشى (١/٣١٤) ، خلاصة الكلام (٤٧) .

(٥) الطبرى - طبعة أوربة - (١/٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠) .



الى أبناء « لود » أو « لاوذ » كما يقول له « الاخباريون » (١) . وعملق جد العماليق : هو شقيق طسم . ويذكرون أنهم كانوا أمما كثيرة تفرقت في البلاد ، فكان منهم أهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر . ويعرف أهل عمان والبحرين بجاسم ، وهم من نسل عملق . وكان من العماليق ساكنو المدينة ، ومنهم بنو هف وسعد بن هزان وبنو مطر وبنو الأزرق . وكذلك سكنة نجد ، ومنهم بديل وراحل وغفار . وكذلك أهل تيماء (٢) .

والعماليق الذين تحدث عنهم هم « العماليق » الذين ورد اسمهم في التوراة ، وقد أخذ الاخباريون قصصهم من أهل الكتاب ولا شك ، فهي تستند الى أصول هؤلاء . ويختلف الاخباريون في تعيين نسب عملق وان كان أغلب الرأي عندهم أن « عمليقا هو ابن « لاوذ » ، غير أن منهم من جعله ابن « أرفخشذ » (٣) ، ومنهم من جعله من الحاميين (٤) . مما يدل على حيرتهم فيه .

وقد روى الاخباريون عنهم قصصا عن أجسامهم وطولهم وعن أبنيتهم وقدمهم . ولا تزال قصصهم هذه تروى حتى اليوم (٥) . وأرى أن أكثرها يعود الى الاسرائيليات ، فقد روت التوراة عنهم قصصا ، وهي حادثة عليهم حقدا يدل على أن العبرانيين كانوا قد لاقوا منهم مصائب وأهوالا . وقد كان العماليق أول شعب صدم العبرانيين حينما حاولوا الدخول الى فلسطين (٦) ، وظلوا يحاربونهم ويكبدونهم خسائر كبيرة ، وأوقعوا الرعب في نفوسهم ، وأثاروا الحقد بينهم على العماليق . ويتجلى هذا الحقد في هذه الآيات التي قالها النبي « صموئيل » لساؤل « Saul » أول ملك ظهر عند العبرانيين ، قالها لهم باسم اله اسرائيل « اياي أرسل الرب لمسحك ملكا على شعبه اسرائيل . والآن ، فاسمع صوت كلام الرب . هكذا يقول رب الجنود . اني قد افتقدت ما عمل عماليق باسرائيل

(١) قاموس الكتاب المقدس ( ١١٢/٢ وما بعدها ) . Hastings, P. 24. The Uni. Jew. Ency. Vol, I. P. 218.

(٢) الطبري (١٠٣/١) .

(٣) ابن خلدون (٣٠/٢) . Ency. Vol, I. P. 325.

(٤) Ency. Vol, I. P. 325, Montgomery, Arabia and the Bible P. 20 Caussin de Perceval, Histoire des Arabes, I, 18 ff.

(٥) Nöldeke, über die Amalekiter, in Orient Und Occident, II, 614. Göttingen 1864. Ency. Brita, Vol, I. P. 724.

(٦) Musil, Hegaz P. 460 The Uni. Jew. Ency. Vol, I. P. 218.

حين وقف له فى الطريق عند صعوده من مصر • فالآن ، اذهب واضرب عماليق ، وحرّموا كل ماله ، ولا تعف عنهم ، بل اقتل رجلا وامرأة ، طفلا ورضيعا ، بقرا وغنما ، جملا وحمارا ،<sup>(١)</sup> • وهذا الحقد هو الذى جعلهم يخرجونهم من قائمة النسب التى تربطهم بالساميين •

وقد أخذ الأخباريون خبرهم عن قدم « العماليق » من هذا المصدر أيضا : من التوراة • ففيهما ان العماليق أقدم شعوب الأرض ، فهذا « بلعام بن بعور » يرى العماليق ويقول : « عماليق أول الشعوب • وأما آخرته فالى الهلاك »<sup>(٢)</sup> • وهذه الفكرة عن قدم العماليق هى التى جعلت الأخباريين يدخلون الشعوب القديمة فيهم مثل الكنعانيين والمصريين<sup>(٣)</sup> • وقد ذكر الأخباريون أيضا أن « موسى » أرسل جيشا لحرب « عماليق » يثرب<sup>(٤)</sup> • وقد أخذ الأخباريون خبرهم هذا من التوراة ولكنهم أدخلوا عليه بعض التعديل ، ففي أسفار الخروج أن العماليق حاربوا اسرائيل فى « رفيديم » فقال موسى ليشوع : انتخب لنا رجلا ، واخرج حارب عماليق • وغدا أقف أنا على رأس التلة وعصا الله فى يدي • ففعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عماليق • وأما موسى وهارون وحور ، فصعدوا على رأس التلة • وكان اذا رفع موسى يده أن اسرائيل يغلب ، واذا خفض يده أن عماليق يغلب • فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذوا حجرا ووضعاه تحته فجلس عليه • ودعم هارون وحور يديه الواحد من هنا والآخر من هناك فكانت يداه ثابتتين الى غروب الشمس • فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف •<sup>(٥)</sup> • فجعل الأخباريون هؤلاء العماليق عماليق يثرب •

ارم ولاوذ :

اقتصر الأخباريون - كما رأيت - على ولدين من أولاد سمام بن نوح ، هما : ارم ولاوذ، وجعلوا من صلبهما الطبقة الأولى من العرب : العرب البائدة • وقد أخذ الأخباريون هذين الولدين من قائمة الأولاد التى وضعتها التوراة « لسام بن نوح » • فارم هو « أرام » Aram • ولاوذ هو « لود » • وقد اختاروا « عوصا » و « كائرا »

(١) صموئيل الأول : الاصحاح الخامس عشر ، آية ١ وما بعدها •

(٢) عدد اصحاح ٢٤ ، آية ٢٠ • (٣) Ency. Vol. I. P, 325.

(٤) Ency. Vol. I. P, 325.

(٥) خروج اصحاح ١٧ آية ٨ وما بعدها •



« غائر » من أبناء « أرام » ، ونسبوا اليهما عددا من هذه القبائل العربية الأولى .  
 و « أرام » الذي هو « أرام » التوراة ، هو جد « الارميين » « الآراميين » على  
 اصطلاح علماء التوراة . وكانوا يتكلمون « الآرامية » (١) . وأما « لود » « Lud » ،  
 وهو الابن الرابع من أبناء سام وجد « اللوديين » ، فلم يتفق العلماء حتى الآن على تعيين  
 مواضعهم (٢) . وأما « عوص » ، فهو جد « العوصيين » سكان أرض « عوص » أرض  
 « أيوب » « Job » . ولم يتفق الباحثون في تعيين موضع أرض « عوص » أيضا ، ولا  
 عينت « التوراة » موضعها تعيينا دقيقا (٣) . فذهب بعض العلماء الى أنها دمشق واللجاء  
 مستنديين في ذلك الى رواية « يوسيفوس » ، وذهب آخرون الى أنها على الفرات (٤)  
 ورأى آخرون أنها في « نجد » (٥) ، وذهبت طائفة أخرى الى أنها بين « أدوم »  
 والعربية وفي شمال شبه جزيرة العرب (٦) ، ورأى « كلاسر » أنها في شمال غرب  
 « المدينة » (٧) ، ويرى كثير من العلماء أن « أيوب » كان من شبه جزيرة العرب أو من  
 بادية الشام (٨) . ولم يتمكن العلماء من تعيين القبائل التي تنتمي الى « غائر » ، كما أنها  
 لم يرد لها ذكر في التوراة (٩) . وقد ذكر اسم « غائر » مع « عوص » و « حول »  
 و « ماش » على أنهم أبناء « أرام » ، غير أنه لا يمكن تعيين موضع قبائل « غائر » من  
 دراسة مواضع القبائل المنتمة الى أولئك الأبناء ؛ لأن العلماء لم يتفقوا في تعيينها  
 دقيقا حتى الآن .

نرى أن الأخباريين قد ربطوا نسب العرب الأولى بالارميين « الاراميين »  
 وباللوديين « اللوذيين » وبالعوصيين وبالغائريين ، ولا نجد في الكتب الأسباب التي  
 حملتهم على الذهاب هذا المذهب . ولكننا نجد فيها أثر التوراة والشروح التي وضعت  
 عليها ، كما أننا نجد أن الذين اشتغلوا برواية هذه الأخبار هم ممن رووا الاسرائيليات

(١) Hastings, P. 46. Ency. Bibl. P. 276 ff.

(٢) قاموس الكتاب المقدس (٢٩٩/٢) Hastings, P. 557. Ency. Bibl. 2829.

(٣) قاموس الكتاب المقدس (١٢٦/٢) Hastings P. 956. Ency. Bibl. P. 5238.  
 Musil, Hegaz, P. 248.

(٤) قاموس الكتاب المقدس (١٢٦/٢) Josephus, Ant. Vol, I, VI, 4.

(٥) قاموس الكتاب المقدس (١٢٦/٢)

(٦) Hastings, P. 956.

(٧) Hastings, P. 956. Ency. Bibl. P. 5238.

(٨) Hastings, P. 292. Ency. Bibl. P. 1712.

وعرفوا باتصالهم بأهل الكتاب ، وقد عاشوا في الدولة الأموية وفي صدر الدولة العباسية ، وان كانت هنالك روايات تشير الى أن أهل الكتاب كانوا يتحدثون على الجاهليين قبيل الاسلام بالقصص الواردة في التوراة (١) . غير أننا لا نستطيع أن نقول ، والمواد قليلة ، ان ما ذكره ابن الكلبي وأضرابه في الأنساب قد أخذوه من روايات قديمة وصلت اليهم من الجاهليين أو من المخضرمين .

ولا أريد أن أتعجل فأقول كما قال قداماء المستشرقين قبل وقوفهم على الكتب « الكلاسيكية » والنصوص التي عثر عليها بعد ذلك : ان أسماء الأقباط التي وردت في روايات الأخباريين هي مفتعلة ، أو هي خرافية ابتدعتها مخيلة القصاصين ، فمن الجائز العثور في المستقبل على أسماء من لم نثر على أسمائهم ، وان كنا لا نقيم وزنا لهذا التقسيم وللنسب الذي لا يستند الى علم ، وانما على أصول رواها أناس لم يثبت لدينا أنهم كانوا على مبلغ كاف من العلم بالتوراة والتلمود والترجوم وبالشروح والتفاسير التي وضعها الأخبار ، ثم اننا نشك حتى في استناد هذه الأنساب الواردة في التوراة الى أساس من العلم . وهي أنساب اعتبارية فيها السذاجة والبساطة التي تمثل تلك العهود التي كتبت فيها . وقد وجدنا أن التوراة لم تعين أولادا للود ولا لغائر ولا لعوص ، على حين أنعم الأخباريون عليهم بأبناء وحفدة ، وجعلوا لهم من ذريتهم خلقا وأما .

#### القحطانيون أو العرب العاربة :

أما الطبقة الثانية من طبقات العرب بعد البائدة ، فهي « العرب العاربة » على أقوال بعض النسابين ، أو العرب المستعربة على أقوال بعض آخر . وهم من أبناء قحطان وأسلاف القحطانيين المنافسين للعرب العدنانيين .

وقحطان الذي يرد في الكتب العربية هو « يقطان » الذي يرد اسمه في سفر التكوين ، وهو قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح (٢) في رأى أكثر النسابين . والنسب الوارد في التوراة هو : يقطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن

(١) كان في أيام الرسول بمكة قين نصراني يقال له بلعام أو جبر ، أو قينان هما يسار وجبر يقرآن التوراة والكتب للناس . تفسير الطبرى (١٤/١١٩-١٢٠) .  
 (٢) المسعودي : مروج (١/٢٧٦-٢٧٧) ، سيرة ابن هشام ٤/١ (طبعة وستنفلد) .  
 ٥/١ (طبعة الأبيارى وجماعته) القاهرة ١٩٣٦ ، نهاية الأرب (٢/٢٧٥) . الأخبار الطوال (طبعة مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي) ص ٩ .



سام بن نوح (١) . فتجد من ذلك مطابقة تامة بين النسب الوارد في الكتب العربية ،  
وبين النسب الوارد في التوراة ، مما يدل دلالة واضحة على أن الأخباريين أخذوا علمهم  
هذا من روايات أهل الكتاب . وهم يؤيدون ذلك ولا ينكرونه (٢) .

وقد سرد بعض الأخباريين نسب قحطان بشكل آخر ، مثل قحطان بن هود بن  
شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح (٣) ، على أن هودا هو عابر . أو قحطان بن هود بن  
عبدالله بن الحلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح أو قحطان بن يمن بن قدار  
أو قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن اسماعيل بن ابراهيم (٤) .

وتستهدف هذه الروايات الأخيرة غاية بعيدة على ما يظهر كانت ذات أهمية في  
نظر الفحطانيين ، هي ربط نسبهم بالأنبياء . فبعد أن ذكروا ما ذكروا من أخبار ملكهم  
ودولهم قبل الاسلام ، وجدوا أن العدنانيين يفخرون عليهم مع ذلك بأن فيهم النسوة  
والانبياء ، منهم الرسول ، وفيهم اسماعيل جدهم . فأرادوا أن يكون لهم أجداد أنبياء :  
أنبياء خلص قحطانيين ، أو أن يكون لهم نسب يتصل بنسب اسماعيل على الأقل ، أو أن  
يوصل نسب اسماعيل بأسباب نسبهم ، فقالوا : انهم من نسل هود ، وهود نبي من أنبياء  
الله . وقالوا : ان قحطان من نسل اسماعيل ، وقالوا : ان هودا هو عابر ، وعابر من نسل  
الأنبياء ؛ وقالوا أشياء أخرى من هذا القبيل ترمى الى ترجيح كفتهم على كفة منافسيهم  
العدنانيين في الفخر بالأنساب على الأقل .

ونحن لا نعرف من أمر « قحطان » شيئا غير هذا النسب الذي يردده  
الأخباريون (٥) ، وليس لدى العبرانيين من أمره غير ما ورد من أنه أحد أولاد  
« عابر » وآخر أولاده ، وأنه جد قبائل عديدة قديمة ، بينها « شبا » « Sheba »  
و « حويلة » . وقد ذكروها مرة في أبناء « يقطن » ، ومرة أخرى في « كوش »  
« Kush » ، وفرق بين « يقطن » و « كوش » . ويظهر أن ذلك يعود الى اضطراب الحالة

(١) التكوين ١٠ آية ٢٥ فما بعدها .

(٢) « ويقطن هو قحطان بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح » الطبقات  
الكبير ، الجزء الأول ، القسم الأول ص ١٨ وما بعدها .

(٣) التنبيه ( ص ٧٠ ) ، راجع عن أنساب العرب كتاب  
Wüstenfeld, Genealogische Tabellen der Arabischen Stämme Und Familien, Göttingen, 1852-1853.

(٤) التنبيه ( ص ٧١ ) . (٥) ابن خلدون (٢/٤٦) .

السياسية في ذلك العهد (١) ، أو الى عدم وقوف كسبة العهد القديم وقوفا تاما على الحالة الجغرافية للأقطار التي كانت تبعد عنهم . ويجب ألا تتصور أن هذا الترتيب الوارد في العهد القديم لا بناء « يقطن » قائم على أسس علمية جغرافية ، أو أنه يحوى جميع القبائل العربية الجنوبية ، بل يجب أن ننظر اليه على أنه محاولة لوضع قائمة بالقبائل العربية البعيدة عن العبرانيين ، الذين وصلت أسماؤهم الى مسامعهم (٢) .

ولم يتمكن العلماء من معرفة معنى هذا الاسم ، وهل هو اسم علم كانت هذه القبائل العربية التي كانت تقيم في جنوب فلسطين ، أى في البقاع الجنوبية بالنسبة الى العبرانيين والى القبائل العربية التي كانت تقيم في البادية شرق العبرانيين ، أو في شمالهم الشرقي ، أو في غربهم في شبه جزيرة سيناء تسمى به كما تسمت به في الاسلام ، أو أنه كان يؤدي معنى من المعاني قصد به تلك القبائل تفريقا لها عن القبائل الأخرى التي احتكت قديما بالعبرانيين وعرفت « بعرب » ، أو أنه كان في الأصل اسم قبيلة من القبائل قويت وتغلبت على القبائل الأخرى فأطلق اسمها على القبائل التي خضعت لها ، أو انه اسسم أرض تسمت بها وعرفت به ، ثم اعتبر على عادة الشعوب السامية اسم جيد أعلى لعدد من القبائل ؟

الخلاصة ، لسنا اليوم في وضع نستطيع فيه الاجابة عن هذه المشكلة اجابة علمية مقنعة ، كما أننا لا نستطيع فيه أيضا أن نؤكد أن « اليقطينية » كانت علامة فارقة اختارتها تلك القبائل لنفسها ، وأنها كانت ترجع نفسها حين الانتساب الى « يقطن » . وتقول مفتخرة انها من « يقطن » ، كما نقول اليوم اننا من « العرب » ، أو ان العبرانيين أو غيرهم هم الذين سموهم بهذه التسمية تميزا لهم عن القبائل التي كانت تسكن الى شمال « اليقطينيين » ثم قيل لهم « عرب » بعد أن عرفوا عند العبرانيين باشماعيليين .

وكذلك لا نستطيع أن نؤكد أن الانتساب الى قحطان أو « القحطانية » كان معروفا عند الجاهليين ، فلم يشر الى ذلك القرآن الكريم ، ولم يرد له ذكر في الكتابات الجاهلية . أما الشعر الجاهلي ، فالذي جاء فيه هو في الفخر والحماسة ، وهو باب يعد في رأي من أوهرن الأبواب في الشعر الجاهلي . واذا وافقنا على أنه كان معروفا في الجاهلية القريبة من الاسلام ، فإن هذا لا يدل حتما على أنه كان معروفا أيضا في الجاهلية البعيدة عن الاسلام . وقد اقتنعنا أن اليهودية والنصرانية كانتا قد وجدتا لهما سبيلا الى العرب ، وأن اليهود



والنصارى كانوا يقصون للناس ما جاء فى العهدين من قصص وأخبار وأحكام • أفلا يجوز إذن أن تكون هذه « القحطانية » هى « يقطنية » « يقطنانية » • التوراة ؟

أعود - بعد هذا الاستطراد - الى صلب الموضوع ، فأقول : يرى نفر من المستشرقين أن الأخباريين جاؤوا بقحطانهم هذا من التوراة ، عن طريق قراءتها ، أو عن طريق أهل الكتاب • اذ عرفوا منهم أن تلك القبائل التى نسبت الى هذا الجذ كانت فى العربية الجنوبية ، وقد وجدوا بين أسماء القبائل اليمانية قبيلة اسمها قريب من هذا الاسم • وقد وجدوا نزاعا عنيقا بين أهل اليمن وبين أهل مكة وأهل اليمن فى الجنوب ، ومنهم قبيلة « قحطان » فأقروا النسب ، وأصبح « قحطان » وليد « يقطن » جدا حقيقيا ليمن ومن نسب نفسه اليهم من الأفراد والقبائل (١) •

وقد ورد فى جغرافية « بطلميوس » اسم قريب من اسم « قحطان » هو « Katanitac » كتيته « أو « كنانيته » (٢) • غير أن هذا لا يدل حتما على أنه قصد « قحطان » ؛ اذ من الجائز أن يكون المقصود به شيئا آخر كقبيلة اسمها قريب منه • وقد ورد فعلا اسم قبيلة تدعى « قطن » أو « بنو قطن » ، كما ورد اسم موضع يقال له « جو قطن » (٣) ، وذكر اسم مدينة تقع بين « زبيد » و « صنعاء » يقال لها « قحطان » (٤) ، لهذا أرى أن من الخير ألا يتخذ الآن أى موقف كان لا سلبا ولا ايجابا انتظارا لاكمال العدة والحصول على مواد مساعدة تكفى لاصدار الأحكام •

أما بلاد « اليقطنانيين » على رأى التوراة ، فتمتد من « ميشا » « Mesha » الى « سفار » « Sephar » (٥) • ولا نعرف عن موضع « ميشا » شيئا ، فأراء العلماء فيه مختلفة • وقد ذهب بعضهم الى أنه « Mesene » ( مسينة ) أو « ميسان » على رأس الخليج الفارسى (٦) ، وذهب آخرون الى أنه « موزح » أو « موسج » فى نجد (٧) •

Ency. Vol. 2. P. 629. (١)

Ptolemy, Geogr., VI, 7. 20, 23. Glaser, Skizze. Bd. 2. S. 283. Knobell, Die Völkerstafel der Genesis, S. 185. Forster, The Historical Geography, Vol. 1. P. 80. O'leary. P. 18.

Glaser, Skizze. S. 288, 422. Ency. Vol. 2 P. 629. (٣)

Ency. Vol. 2. P. 629. (٤) أحسن التقاسيم ، الطبعة الثانية (٣/٨٧ ، ٩٤) •

(٥) التكوين : الاصحاح العاشر ، آية ٣٠ •

(٦) قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٩٩) Hastings, P. 606.

(٧) قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٩٩) •

ورأى فريق آخر أنه « Mashu » أو « Mash » أى بادية الشام فى الكتابات الاشورية (١) .

وذهب « Dillmann » الى أن هذا الاسم هو تحريف « مسا » « Massa » ، وهو اسم أحد أبناء اسماعيل (٢) ، فتكون حدود « اليقطينيين » بعد حدود « مسا » من قبائل الاسماعيليين أو العدنانيين فى اصطلاح علماء الانساب ، غير أن هذا الرأى رأى ضعيف لا يستند الى دليل (٣) .

وأما الحد الآخر ، وهو « سفار » ، فهو الحد الجنوبي لأرضى « اليقطينيين » باجماع آراء علماء التوراة . ولكنهم يختلفون فى تعيين موضعه فقط ، فمنهم من رأى أنه « ظفار » عاصمة الحميريين ، ومنهم من يرى أنه « ظفار » حضرموت التى اشتهرت شهرة واسعة فى العالم القديم (٤) . وورد ذكرها فى الكتب « الكلاسيكية » . ومن المرجح أن تكون هى الموضع المقصود ، لشهرتها هذه وقدمها .

وجعل الكتاب المقدس لقططان ثلاثة عشر ولدا ، هم : الموداد ، وشالف ، وحضرموت ، ويارح ، وهذورام ، وأوزال ، ودقلة ، وعوبال ، وايمائل ، وشبا ، وأوفير ، وحويلة ، ويوباب (٥) . وهذه الأسماء هى فى الواقع أسماء قبائل اعتدها كتبة التوراة على عادة ذلك الوقت أسماء أعيان أولاد « يقطان » . ولا يعنى هذا العدد ، فى نظرى ، أنه حوى جميع القبائل العربية التى كانت تقيم فى هذه المنطقة الواسعة التى تمثل شبه الجزيرة أو « العربية السعيدة » برمتها ، وإنما يجب أن نعتد هذا العدد هو مبلغ ما وصل الى كتبة تلك الأسفار من هذه القبائل التى لم تكن فى شرق العبرانيين أو فى غربهم ، ولم تختلط بالقبائل العتيقة قبائل « الاسماعيليين » التى لم تكن على اتصال تام بالعبرانيين . ونحن اذا أنعمنا النظر فى هذه الأسماء نجد أنها قد كدست فى منطقة ضيقة هى اليمن وحضرموت ،

(١) Hastings, P. 607. Delitzch, Parad., 242.

(٢) التكوين : أصحاح ٢٥ آية ١٤ ، وأخبار الأيام الأول : أصحاح ١ آية ٣٠ .

(٣) Ency. Bibl. P. 3040.

(٤) Ency. Bibl. P. 4370. Ritter, Erdkunde, 14, 372. Sprenger, Alte Geogr

P. 185 Glaser, Skizze. Vol. 2. P. 437. Hastings, P. 836.

(٥) التكوين : الإصحاح العاشر ، آية ٢٦ وما بعدها .



أما ما فوقها الى « ميثا » نهاية الأرض « اليقطانية » في الشمال ، فلم يذكر الكنبّة من أسماء قبائلها أى شيء . وهو يدل على أنهم لم يكونوا يعرفون عن باطن شبه الجزيرة شيئا ، أو أن موضع « ميثا » في مكان آخر في غير هذا الموضع الذي تصوره علماء التوراة ، كأن يكون في شمال اليمن مثلا ، وبذلك يستقيم التحديد تماما . وعندئذ تكون موافقة تامة مع مذهب الأخباريين في انقسام العرب الى قحطانيين وعدنانيين وفي تحديد مواضع أرضى العدنانيين والقحطانيين .

ويظهر أن كتبة التوراة لم يراعوا في عدهم أسماء أبناء يقطان الترتيب الجغرافى ، أو قرب « اليقطانيين » وبعدهم عن العبرانيين . فهذا الترتيب الذى ذكرته لا يناء « يقطان » ونقلته كما جاء فى موضعه من سفر التكوين ، لا يشير - فى الحقيقة - الى أن الأسماء وضعت على أساس علمى جغرافى . والظاهر أنها جمعت كما وصلت الى مسامع العبرانيين دون فحص أو تدقيق ، كما أننا لا نستطيع أن نؤكد أنها وصلت صحيحة سالمة من غير تصحيف أو تحريف .

و « الموداد » « مودد » « المودد » « Al—Modad » هو أكبر أولاد « يقطان » على رواية التوراة . وهو يمثل بالطبع شعبا من الشعوب القحطانية يرى نفر من علماء التوراة أنه كان يسكن فى العربية الجنوبية (١) ، ومنهم من يرى أنه كان يقيم فى جنوب غربى شبه الجزيرة . وقد وردت فى النصوص العربية الجنوبية وفى نصوص سامية غير عربية كلمات قريبة من هذه الكلمة (٢) . وردت فى النصوص « الجبانية » « الكبانية » « Cebanitae » مثلا كلمة « مودد » ، وقد استخدمت استخداما يشير الى علاقة « الكبانيين » بملوك « معين » « مودد ملك معين » . وقد قرئت أيضا « مواديد » « موادد » ، ويرى « كلاسر » أن هذه الكلمة الأخيرة لا تعنى « أجباء ملوك معين » وأصفياءهم ، وإنما تحكى وظيفة لها علاقة بالآله « ود » مثل كهانة هذا الآله وسداتته . ومسكن هؤلاء

(١) Hastings, P. 22.

(٢) « موداد » « موددى » « Mudadi » فى البابلية. Hommel, Ency. Bibl. P. 116.

A.H.T. 113. وورد « مودادو » « موددو » « Mudadu » فى العمورية والبابلية، Ranke.

Early Babylonian Personal Names, P. 30. Montgomery, Arabia and the Bible.

P. 40.

« الكبانين » في الزاوية الجنوبية الغربية لشبه الجزيرة (١) . كما ورد اسم « مودد » في  
الكتابات السبئية (٢) .

وأورد « بظلميوس » في جغرافيته اسم شعب عربي دعاه « Allumacotae »  
يرى « فورستر » أنه شعب « الموداد » الذي نتحدث عنه . ويقع مكان هذا الشعب جنوب  
« الجرعاء » « Gerraea » و « Vicus Jerachaeorum » ، ويتصور أنه على ساحل  
الخليج عند « قطن » (٣) . وقد ذهب الى هذا الرأي أيضا « كلاسر » ، غير أنه يرى أن  
موضع هذا الشعب هو في الأجزاء الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة . وربما في  
عمان (٤) .

وأما شالف (Sheleph) الذي ورد في التوراة بعد « الموداد » ، فلم يتمكن  
العلماء من تشخيصه حتى الآن (٥) . ويرى بعض العلماء أنه شعب « Salepeni »  
الذي ذكره بظلميوس (٦) ، وهو اسم قريب الشبه من « السلف » : بطن من ذى الكلاع  
من حمير ، وهو السلف بن يقطن (٧) أو « السلاف » أو « بنو سلفان » (٨) . وأرى  
أن « السلف » أقرب هذه الأسماء الى « شالف » وخاصة اذا أخذنا بما قاله النسابون من  
انتساب هذه القبيلة الى جد أعلى هو السلف بن يقطن (٩) ، وذكر « نيور » في سياحته  
اسم موضع في اليمن قال له « سلفية » . قد يكون لاسمه علاقة بشالف بن يقطن (١٠) .  
وإذا فرضنا أن شعب « المودد » أو « الموداد » كان من شعوب عمان أو الزاوية الجنوبية  
الشرقية لشبه جزيرة العرب ، وجب أن يكون موضع شعب « شالف » في غرب أرض

(١) Glaser, Skizze. 2. P. 425.

(٢) Ency. Bibl. P. 116. Z.D.M.G. 37. 13. 18.

(٤) Glaser, Skizze. 2. P. 280.

(٣) Forster, Vol, I, P. 107 ff.

(٥) Hastings, P. 845. Ency. Bibl. P, 4448. Montgomery, Arabia and the Bible. P. 40

(٦) Forster, Vol, I, P, 109 f.

(٧) تاج العروس (١٤٣/٦) ، « السلف » ، بلدان (١٠٩/٥) نهاية الأرب السفر  
الثاني ( ص ٢٧٨ ) . القاموس ١٥٣/٣ .

(٨) الهلال : ج ١٣ سنة ١٠ « نيسان » ١٩٠٢ ( ص ٤٠١ ) .

(٩) تاج العروس (١٤٣/٣) ، بلدان (١٠٩/٥) ، نهاية الأرب (٢/٢٧٨) .

(١٠) Ency. Bibl, P. 4448. Niebuhr, Arabien, 247. Osiander, in ZDMG. II. 153 ff. Glaser, Skizze, P, 425.



« المودادين » بين اليمن وحضرموت حيث يكثر ورود « سلف » و « أسلاف » فيها  
ففي منطقة « يريم » <sup>(١)</sup> ممر يقال له « نجد الأسلاف » ، لذلك يرى « كلاسر » ان  
مواطن « شالف » أو « شلف » أو « سلف » في هذا المكان <sup>(٢)</sup> .

وأما « Hazarmaveth » فهو « حضرموت » ، ومعلومتنا عن هذا الشعب حسنة  
بفضل الكتابات الجاهلية التي ترجم عددا منها المستشرقون . وقد كانت للحضرميين  
حكومة وملوك . واشتهرت حضرموت بتصدير البخور والكندر والمر واللبان وغير ذلك  
من الحاصلات التي كانت لها سوق رائجة في ذلك العهد <sup>(٣)</sup> . وسأتحدث عنهم في  
الفصول المقبلة من الكتاب .

وبلى « حضرموت » في الترتيب شقيقه « يارح » ومعنى « يارح » « يرح »  
« Yerah » « Jerah » « قمر » و « شهر » ، ولذلك يرى كثير من العلماء أن هذا  
الاسم هو اسم قبيلة عربية جنوبية كانت تسمى بهذا الاسم . والقمر كان من الالهة  
المعبودة عند العرب الجنوبيين <sup>(٤)</sup> . وقد عثر في كتابات تدمر على اسم « يارح » اسم  
علم <sup>(٥)</sup> ، كما أن اسم « شهر » من الأسماء المعروفة عند الجاهليين ، وقد سمي به عدد  
من الملوك الذين عاشوا قبل الميلاد وبعد الميلاد .

ويرى « كلاسر » أن هذا الشعب كان يقيم في « مهرة » أو في جنوب عمان في  
موضع قد يكون المكان الذي سماه « بطلميوس » « Jerakon Kome » <sup>(٦)</sup> .

ان « يارح » هو « يرخ » أو « يارخ » و « ورخ » في اللهجات الجنوبية ، وتعنى  
« شهر » و « قمر » . وهناك مواضع متعددة في العربية الجنوبية تسمى بأسماء قريبة من  
هذه الكلمة مثل « وراخ » و « يراخ » <sup>(٧)</sup> و « يراخ » <sup>(٨)</sup> . وقد ذكر الهمداني اسم  
موضع دعاه « وراخ » في مخلاف العود <sup>(٩)</sup> ، لذلك يرى بعض العلماء وجود صلة بين

(١) صفة (٧١ ، ١٠١) .

(٢) Glaser, Skizze, 2. P. 425.

(٣) Hastings, P. 333. Glaser, Skizze, 2. P. 20, 423. Hommel, A.H.T. 77. ff.

80. Ency. Bibl. P. 1976-1977. Montgomery, Arabia and the Bible, P. 39.

Montgomery, Arabia and the Bible, P. 40.

Glaser, Skizze, 2. P. 425. (٦) Ency. Bibl. P. 2362-2363. (٥)

(٧) بالضم . (٨) بفتح الأول .

(٩) صفة ( ص ١٠١ ) « وراخ ناحية باليمن » البلدان ( ٤١١ / ٨ ) .

« يارح » و « يارخ » أو « يرخ » وبين أسماء هذه المواضع التي ترد بهذه الأسماء . كما ورد في جغرافية بطليموس اسم محل دعاه « *Insula Jerachaeorum* » وهو جزيرة تقع في البحر الأحمر جنوب جدة ، ومحل آخر دعاه « *Vicus Jerachaeorum* » ويقع مقابل النهر الذي سبق أن تحدثت عنه ودعاه نهر « اللار » ( *Lar* ) الذي يصب على زعم بطليموس في خليج فارس . وقد ذكر « فورستر » أن من المحتمل أن تكون هنالك صلة بين هذه المواضع وبين « يارح » ، وذكر أسماء أخرى على أنها قريبة من هذا الاسم <sup>(١)</sup> ، غير أنه لم يتمكن من البت فيها . وأعتقد أن البت في أمور كهذه بالاستناد الى تشابه الأسماء أو بالاستناد الى تعليقات غير قوية تستند الى التقارب في نطق الأسماء والكلمات طريقة قد تؤدي بصاحبها الى مزلق حرجة تبعده عن جادة العلم .

ويرى « ملر » « Müller » و « كلاسر » أن « هدورام » « *Hadoram* » هو « دورم » على مقربة من « صنعاء » ، ويؤيدان رأيهما هذا بما ورد في الكتب العربية من أن اسم « صنعاء » القديم كان « أزال » <sup>(٢)</sup> .

وقد ذكرت الكتب العربية اسم موضعين يقال لهما « الهدار » قال الهمداني عن أحدهما : انه « حصون ونحول وقصور عادية » <sup>(٣)</sup> ، وقال عن الثاني : انه « هدار بنى الحريض » ، وذكر أن فيه « القطنية » <sup>(٤)</sup> ، وذكر ياقوت أن في هذا المكان ولد مسيلمة الكذاب ، وبه عقد « صلح الهدار » بين خالد بن الوليد وأتباع مسيلمة <sup>(٥)</sup> . وهذا الموضع الأخير أقرب في نظري الى « هدورام » من « دورم » ولا سيما أن « القطنية » فيه . وهذا الاسم قريب من لفظة « بنى يقطن » أو « يقطن » و « يقطان » .

وقد ذكر الطبري في تأريخه أن « جرهما اسمه هذرم بن عابر بن يقطن بن عابر ابن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح » <sup>(٦)</sup> . وهذا النسب الذي ذكره الطبري هو النسب الوارد في التوراة بزيادة « عابر » بين « هذرم » وهو « هدورام » وبين يقطن .

(١) Forster, Vol. I, P. 116 ff.

(٢) Ency. Bibl. P. 1932. Müller, Burg. Und Schlösser, I. 360. Glaser, Skizze,

Hastings. P. 324. Forster, 2. P. 137. ff. 2. S. 426.

العاشرة ، نيسان ١٩٠٢ ( ص ٤٠٢ ) .

(٣) الصفة ( ص ١٤١ ) تاج العروس ٦١٦/٣ .

(٤) الصفة ( ص ١٥١ ) . (٥) البلدان ( ٤٤٨/٨ ) .

(٦) تأريخ الطبري ( ١٠٥/١ ) .



وهو خطأ يرد كثيرا في الأُتساب المنقولة من التوراة الى الكتب العربية . وعلى هذا فان « هدورام » هو « جرهم » . وقد ذكرت أن النسابين جعلوا جرهما على طبقتين : جرهم الأولى وهم على زعمهم في العرب البائدة ، وجرهم الثانية وهم في الطبقة الثانية ، أى في العرب القحطانيين . وهذا الرأي يطابق رأى الطبرى في « هدورام » .

وفي الكتب العربية : ان « صنعاء » عاصمة اليمن كان يقال لها « أزال » نسبة الى « أزال بن يقطن بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ ، وكان أول من بناها ، ثم سميت باسم ابنه « صنعاء » ؛ لأنه ملكها بعده فغلب اسمه عليها . . . . . (١) . وقد استند بعض العلماء الى هذه الرواية فقالوا : ان « أزالا » الوارد في التوراة على أنه أحد أولاد « يقطان » ، هو كناية عن « صنعاء » التي كانت تعرف بهذا الاسم (٢) . غير أنني أرى أن ذلك رأى لا يستند الى حجة قوية ، فهذه الرواية العربية قيلت في الاسلام ، وقد رواها رواة عرفوا بروايتهم الاسرائيليات . ثم ان اليمن عرف قبل الاسلام بكثرة من وجد فيه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، أفلا يجوز أن يكون هذا الرأى قد ظهر في الاسلام ، أو في الجاهلية القريبة من الاسلام بتأثير أهل الكتاب ؟ فلم يرد في النصوص الجاهلية ما يشير الى أن مدينة « صنعاء » كانت تعرف في الجاهلية البعيدة « بأزال » ، ولدينا نص يرجع عهده الى أيام الملك « اليشرح يحضب » مؤسس مملكة « سبأ وذو ريدان » ، وهى المملكة التي تعرف باسم « مملكة حمير » . وقد ورد فيه « صنعو » وهو « صنعاء » . ويعود تاريخ هذا النص الى نهاية القرن الثانى وبداية القرن الأول قبل الميلاد (٣) . ولا نعرف نصا جاهليا سمي « صنعاء » « أزال » . ويرى « كلاسر » أن اسم « أزال » انما وضع على « صنعاء » بعد دخول اليهودية الى اليمن وانتشارها هناك ، وضعه اليهود (٤) .

(١) البلدان (١/٢١٤ ، ٥/٣٨٧) ، صفة (ص ٢٥٥) . Montgomery, Arabia and the Bible, P. 40. Caussin de Perceval, Histoire des Arabes, Vol, 1, 40.

« ويقال ان اسم مدينة صنعاء في الجاهلية أزال . روى عن وهب بن منبه أنه وجد في الكتب القديمة المنزلة التي قرأها : أزال كل عليك وانا اتحنن عليك . . . . . وقرأت في كتاب المعجم لابی عبید البكرى ان صنعاء كلمة حبشية ومعناها وثيق حصين . . . . . تاج العروس ٤٢١/٥ .

(٢) Ency. Bibl, P. 5239. Hastings. P. 956. Ency. Vol, 4. P. 143. Glaser, (٢) Skizze. 2. P. 427. Sprenger, Geogr, S, 181.

(٣) Ency. Vol, 4. P. 144. Glaser. 424. راجع نص

(٤) Glaser, Skizze. 2. P. 427.

وقد بحث « كلاسر » عن مواضع أخرى عرفت بأسماء قريبة من اسم « أزال » مثل موضع « يأزل » ، وهو عند جبل « حضور » (١) ، وموضع آخر يقع في الحجاز ، غير أنه لم يقرر أنها « أزال » التوراة (٢) .

ولم يتمكن علماء التوراة من الوقوف على شيء عن « دقلة » « Diklah » ويرى بعض المستشرقين أن هذا الاسم يشير إلى مكان يجب أن يكون كثير التمر (٣) ، وقد رأى « هومل » أنه « حد دقل » (٤) . وقد ذكر « ياقوت » اسم موضع في اليمامة سماه « دقلة » (٥) . ولكن الباحثين في هذا الموضوع لم يتخذوا رأيا قاطعا فيه . وكذلك في « عوبال » « Obal » « Ebal » حيث رأى بعضهم أنهم شعب « عيبال » ، ورأى آخرون أنه « عيبال » في تهامة الحجاز ، أو « عبال » في تهامة اليمن أو موضع « عيبال » في اليمن (٦) .

وعند « فورستر » أن شعب « عوبال » هو « Avalitae » عند « بلييوس » أو « Abalitae » كما ورد عند الجغرافيين « اللاتينيين » (٧) . والولد الذي يلى « عوبال » هو « ابيماتيل » « Abimael » ، ويظن « كلاسر » أنه اسم موضع وادي « أتمة » (٨) . غير أنه ظن لم يؤيده علماء التوراة .

والولد العاشر من أولاد « يقطان » هو « شبا » . وقد وردت بعض أخبار « شبا » في أسفار التوراة ، وذكرت قصة « ملكة شبا » زيارتها لسليمان (٩) ، ويلاحظ أن سفر التكوين قد جعل « سبا وحويلة وسبتة ورعمة وسبتكا » من أبناء « كوش » ، أى من الحاميين (١٠) . كما جعل لرعمة « شبا وددان » (١١) . وقد ذكر « شبا » بحرف السين

(١) المصدر نفسه ( ص ٤٢٧ ) . (٢) كذلك ( ص ٤٢٨ ) وما بعدها .

(٣) Ency. Bibl. P. 1101. Forster. 1. P. 147 f. Montgomery, Arabia and the Bible. P. 40.

(٤) Ency. Bibl. P. 1101. (٥) البلدان (٤/٦٥) .

(٦) Ency. Bibl. P. 1151. Glaser, Skizze, 2. P. 426. Hastings, P. 201. Halévy, Mélanges d'Épigraphie et d'Archéologie Semitiques, 86.

(٧) Forster, 1. P. 148 ff.

(٨) Glaser, Skizze, 2. P. 426. Ency. Bibl. P. 17. Hastings, P. 4.

(٩) الملوك الأول : الاصحاح الأول ، آية ١ وما بعدها .

(١٠) التكوين : الاصحاح العاشر ، آية ٧ .

(١١) التكوين : الاصحاح العاشر ، آية ٧ .



على أنه أحد أبناء « كوش » • وتشير هذه الآيات التي تعرضت لذكر سبأ الى اتصال السبئيين بالبرانيين ، والى وجود علاقات تجارية قديمة بين اليمن وفلسطين (١) . ولا يمكن بالطبع تصور البرانيين قصة زيارة ملكة « سبأ » لسليمان لو لم تكن هنالك صلات قديمة أقدم عهدا من أيام « سليمان » كانت تربط السبئيين بفلسطين • أما تصور التوراة وجود « سبأ » فى « كوش » ، فانه يشير الى انتشار السبئيين فى افريقية ، وهو أمر سوف أتحدث عنه •

و « رعمة » « Raamah » جزء من أجزاء شبه الجزيرة ، وقد ذكروا مع « سبأ » فى أسفار حزقيال فى معرض الكلام على التجارات ، فذكر أنهم كانوا يتاجرون بأفخر أنواع الطيب وبكل حجر كريم وبالذهب (٢) • ويستنتج مما جاء فى نسب « رعمة » وفى نسله وهم « سبأ » و « ددان » أن أرض رعمة يجب أن تكون منطقة تقع فى الأقسام الغربية من شبه جزيرة العرب • ولذلك ظن بعض الباحثين أنها « ركمت » التى ورد اسمها فى كتابة بالسند تعود الى أوائل ظهور قوة سبأ على أثر ضعف المعينيين (٣) • ويرى « كلاسر » أنها على الخليج الفارسى عند « رأس الخيمة » (٤) ، ويرى آخرون أنها فى موضع آخر من ساحل الخليج (٥) ، ومنهم من يرى أنهم شعب « Rammanitae » وقد ذكره « سترابون » (٦) •

ومن أشقاء « رعمة » على رواية التوراة « سبتة » و « سبتكا » (٧) • أما « سبتة » « Sabta » « Sabtah » ، فقد ورد اسمه بين « سبأ » و « حويله » • وهذا مما يشعر أنه قصد به منطقة تقع بين « سبأ » و « حويله » ، ولذلك رأى علماء التوراة أنها فى شبه جزيرة العرب ، وقد رأى بعضهم أنها يجب أن تكون قريبة من ساحل الخليج

(١) Hastings, P. 842-843. Forster, Vol, 1 P. 9. 26. 34. 35. 59. 64. 82. 90. 115. 127. 154.

(٢) حزقيال : اصحاح ٢٧ ، آية ٢٢ •

(٣) Ency. Bibl., P. 3997. Hommel, A.H.T. 240. Montgomery. Arabia and the Bible. P. 30. 39 f. 42. 58.

(٤) Ency. Bibl., P. 3997. Glaser, Skizze, 2. P. 252.

(٥) Hastings, P. 780. Forster, Vol, 1. P. 59 ff.

(٦) Hastings, P. 780.

(٧) التكوين : الاصحاح العاشر ، آية ٧ •

الفارسي<sup>(١)</sup> ، بينما رأى آخرون أنها « Sabota » أو « شبوة » عاصمة  
« حضرموت »<sup>(٢)</sup> . ورأى « كلاسر » أنها عند « سدير » في « اليمامة » أو على  
ساحل الخليج<sup>(٣)</sup> .

وأما « سبتكا » ، فلا يعرف من أمرها شيئا ، غير أنه يجب أن يكون مكانها في شبه  
الجزيرة كذلك . ويرى بعض العلماء أنها « سبتة » ، غير أنها حرفت بالنسخ وأعيدت  
كتابتها بصورة محرقة<sup>(٤)</sup> . ويرى « كلاسر » أنها كذلك في الأقسام الشرقية من  
شبه الجزيرة<sup>(٥)</sup> .

و « أوفير » « Ophir » أرض تقع - على رأى أكثر علماء التوراة - في شبه جزيرة  
العرب ، لورود اسمها بين « شبا » و « حويلة » ، وقد اشتهرت عند العبرانيين بكثرة  
ذهبها . وقد أرسلت بذهبها هذا عن طريق البحر الأحمر الى « سليمان » . وذهب بعض  
العلماء الى أنها في الهند<sup>(٦)</sup> ، كما ذهب آخرون الى أنها في أفريقيا<sup>(٧)</sup> ، وهم يرون  
أن الأوصاف الواردة في التوراة عن هذا المكان مثل وجود الذهب بكثرة فيه ، وكذلك  
الفضة وخشب الصندل وبعض الأحجار الكريمة ، تجعل من الصعب تصور وجود هذا  
المكان في بلاد العرب<sup>(٨)</sup> . وأما من قال انه في شبه جزيرة العرب فان منهم من قال انه  
في غرب شبه الجزيرة في اليمن<sup>(٩)</sup> . أو في عسير ، ومنهم من قال أنه في الأقسام الشرقية  
من شبه الجزيرة<sup>(١٠)</sup> ، أو في اليمامة ، أو موضع « العويفرة » الذي لا يبعد كثيرا عن  
حافات جبل طويق<sup>(١١)</sup> . ويحتج القائلون ان « أوفير » في بلاد العرب بما ورد في

Ency. Bibl. P. 4181. (٢)

Hastings. P. 809. (١)

Glaser, Skizze. 2. P. 252. Ency. Bibl. P. 4181. (٣)

Ency. Bibl. P. 4181. Hastings, P. 809. (٤)

Glaser, Skizze. 2. P. 252. Forster, I. P. 59. (٥)

Lassen, Indische Alterthumskunde. I. 538. (٦)

Peters, Das Goldene Ophir Salomons, 1895. Ency. Bibl. P. 3514. Ency. (٧)

Brita. Vol, 16. P. 807.

(٨) قاموس الكتاب المقدس (١٧٩/١) .

Sprenger, Alte Geogr. Arab. 49 ff. (٩)

Glaser, Skizze. 2. 357 ff. Hommel, A.H.T. P. 236. Montgomery, Arabia and (١٠)  
the Bible, P. 38-39. 177.

Philby, Sheba's Daughters, P. 430. (١١)



التوراة من أنه أحد أولاد « يقطان » ، غير أن هنالك صعوبات كثيرة تحول دون البت في هذا الموضوع (١) .

وورد اسم « حويلة » بين أسماء أبناء كوش كذلك مثل شبا : مما يدل على أن أبناء حويلة كانوا يجاورون الكوشيين ويسكنون في مناطق مختلطة (٢) . وذهب بعض العلماء الى أنه موضع في شمال شرقي بادية الشام ، أو على مقربة من خليج العقبة ، أو في أواسط بلاد العرب ، أو في منطقة جبل شمر وفي شمال نجد (٣) . ورأى كلاسر أنه في اليمامة (٤) .

وهناك أسماء وردت في الكتب العربية قريبة من حويلة ، منها الحواليون . وقد ذكرهم الهمداني (٥) . والظاهر أنهم سكنة حوالة ومنها اسم بطن من بطون اليمن يقال له « بنو حوالة » (٦) ، كما ورد اسم حويل .

وآخر أولاد يقطان هو « يوباب » ( Jobab ) ، ويرى كلاسر أنه اسم قبيلة يقال لها « يهيب » ورد في النصوص السبئية (٧) ، وذهب بعضهم الى أنه اسم شعب « وبار » (٨) ، وأنه تصحيف « Jobaritae » ؛ ولذلك كتب بعض العلماء « Jobaritae » الذي ورد في جغرافية بطلميوس « Jobabitae » (٩) .

#### أولاد قحطان :

ولم يبخل الأخباريون على قحطان فوهب بعضهم له امرأة سموها « حنى بنت روق

(١) يستحسن مراجعة ما كتب عن « أوفير » من المؤلفات : Soetbeer, Das Goldland : Ophir, 1880. A.K. Keane, The Gold of ophir, 1901 Hastings, P, 669. Moritz, Arabien, P. 7. Forster, Vol, 1. P. 161. ff. 2. P. 237.

(٢) التكوين (٢٩/١٠) ، أخبار الأيام الأول (١٩/١ ، ٢٣/١) .

(٣) Ency. Bibl. P. 1974. Musil, Hegaz, P. 261. Hastings, P. 333. قاموس الكتاب

المقدس (٣٩٨/١) .

(٤) Glaser, Skizze, 2. P. 302.

(٥) الاكليل ٨٥/٨ ( طبعة نبيه ) .

(٦) تاج العروس (٢٩٧/٧) ، القاموس (٣٦٤/٣) ، لسان العرب (٢٠٧/١٣) .

(٧) Hastings, P. 472. Glaser, Skizze, 2. P, 303. Ency. Bibl. P, 2491.

(٨) Hastings, P. 472.

(٩) الهلال : الجزء الثالث عشر من السنة العاشرة ، نيسان ١٩٠٢ ص ٤٠٣ .

ابن فزارة بن سعد بن سويد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح <sup>(١)</sup> . ووهبوا له ولدا تراوح عددهم من عشرة ذكورا الى واحد وثلاثين <sup>(٢)</sup> على حسب كرم الراوى وبخله على قحطان ، من بينهم يعرب وحضرموت وعمان وجرهم . وذكر بعض الاخباريين أن أم يعرب هى من عاد أو من العماليق ، وكان له اخوة من أمه هم جرهم والمعتمر والمتلمس وعاصم ومنيع والقطامي وعامى وحمير <sup>(٣)</sup> .

أما الذى تولى الملك بعد قحطان - على رأى الاخباريين - فكان يعرب ، وكان ملكه باليمن ، وقد غلب بقايا عاد ، ووزع اخوته على الاقطار ، فأقر أخاه حضرموت على الأرضين التى عرفت باسمه فقبل لها حضرموت ، وعين عمان على أرض عمان ، وولى جرهما على الحجاز <sup>(٤)</sup> .

ولا نعرف من أمر يعرب شيئا . ولم يحاول الاخباريون تتبع أخباره على الرغم مما تحدثوا به عن ملكه وعن اخوته وعن سبب تسميته بهذا الاسم <sup>(٥)</sup> .

ذكرت التوراة اسم رجل قالت له « يرب » ( Jareb ) يظن بعض علماء التوراة أنه اسم ملك عربى كان يحكم مقاطعة عربية ، ومن الجائز فى نظرهم أن يكون قد حكم « يرب » <sup>(٦)</sup> ، أو أرض مصرى التى ذهب كثيرا من العلماء الى أنها فى شبه جزيرة العرب وفى أعالي الحجاز ؛ اذ يصعب فى نظر نقدة التوراة أن يكون هذا الاسم اسم أحد ملوك الآشوريين أو المصريين <sup>(٧)</sup> . ومن الجائز فى نظرى - اذا ذهبنا مع الداهيين الى أن هذا الاسم هو اسم عربى - أن يكون هذا الاسم اسم شعب عربى أو قبيلة عربية . ومن الممكن حينئذ أن تصور وجود صلة بين « ياريب » « يرب » « Jareb » - هذا وبين اسم « يعرب » ابن قحطان فى رواية الاخباريين .

(١) مروج الذهب (٢٧٧/١) .

(٢) مروج الذهب (٢٧٧/١) ، ابن خلدون (٤٧/١) .

(٣) الاخبار الطوال للدينورى ( ص ١١ ) .

(٤) صبح الاعشى (١٩/٥) ، ابن خلدون (٤٧/٢) القاموس ١٠٣/١ .

(٥) جمهرة ابن حزم ( ص ٢١٠ ) ، ابن خلدون (٤٦/٢) . Ency. Vol. 4, P, 1160.

تاج العروس ٣٧٦/١ .

Hastings, P. 427. Ency. Bibl; P. 2331, Schrader. KAT. 2, 414, 439. 3 ed. (٦)

P, 150.

Hastings. P, 427. (٧)



ويقصد الأخباريون بجرهم جرهما الثانية التي جاءت بعد هلاك جرهم الأولى .  
 وقد أقامت بمكة وكان منها أرباب البيت (١) . ويظهر أن أهل الجاهلية كانوا يتصورون  
 أن قبيلة جرهم كانت ترعى البيت الحرام (٢) . وقد ذكر الأخباريون أن اسماعيل نشأ  
 بينها ، وتزوج منها ، وأن أباه ابراهيم بعد أن قام ببناء الكعبة ورفع قواعدها ترك ابنه  
 بينهم فصارت له صلة بهم (٣) . ثم تغلبت على جرهم خزاعة فانتزعت منهم السدانة ،  
 واحتفظت بها ، الى أن انتقلت الى قريش .

وكان سبب تغلب خزاعة على جرهم وخروجها من مكة أن جرهما بغت على قطوراء  
 وتنافست معها ، وكان قطوراء أبناء عم لجرهم ، وكانوا يقيمون أسفل مكة بأجياد ، وجرهم  
 في أعلاها ببعيقات ، فاقتلوا قتالا شديدا ، وقتل السميذع صاحب قطوراء وتصلح  
 الطرفان ، واستقر الأمر لجرهم . ثم ان جرهما بغت بمكة ، وظلمت من دخلها من غير  
 أهلها ، وأكلت مال الكعبة الذي يهدى لها . فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة  
 وغبشان من خزاعة ذلك ، أجمعوا على حربها واخراجها من مكة ، فاقتلوا ، فغلبتهم  
 بنو بكر وغبشان ، فنفوههم من مكة (٤) .

ولم يخفف ذكر جرهم حتى في صدر الاسلام ، فكان القاص عبيد بن شربة  
 الجرهمي منها ، ويظهر من شعر حسان بن ثابت (٥) أن بقية منها كانت في أيامه (٦) ،

(١) Ency. Vol, I, P. 1066. « جرهم كقنفذ حي من اليمن ، وهو ابن قحطان بن  
 عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح نزلوا مكة ، وتزوج فيهم اسماعيل عليه  
 السلام ، وهم اصهاره ثم الحدوا في الحرم وأبادهم الله تعالى ٠٠٠ » تاج العروس ٢٢٧/٨ .  
 (٢) في بيت ينسب لزهير بن أبي سلمى :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم  
 شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : صنعة الامام أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب .  
 مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٤ ( ص ١٤ ) .

(٣) ابن خلدون (٣٩/٢) . اللسان ٣٩٤/١٤ .  
 (٤) سيرة ابن هشام (١٢٣/١) فما بعدها . وجعل ابن اسحاق قطوراء أخا  
 لجرهم . تاج العروس ٢٢٧/٨ .

(٥) ديوان حسان بن ثابت : رواية أبي سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان  
 السيرافي ( طبعة سلسلة جب ) ، بعناية « هرشفلد » ليدن ١٩١٠ ( ص ٤٤ ) :

فلو سئلت عنه معد بأسرها وقحطان أو باقى بقية جرهما  
 Ency. Vol, I, P. 1066. (٦)

وظلت جماعة منها تعيش على ساحل البحر الاحمر المقابل لمكة الى أواخر القرن الثاني للهجرة (١) . ومن بقايا جرهم العبيديون في اليمن (٢) . هذا وان ما ذكره الطبرى من وجود علاقة بين جرهم ولحيان يستند الى حقيقة (٣) .

وقد ذكر الهمداني أن موضعا كان بمكة يقال له « دوحه الزيتون » كان مقبرة من مقابر جرهم ، وأن أشخصا دخلوا المقابر فوجدوا أشياء ثمينة من مصوغات وكتابات (٤) . ويرى فورستر أن جرهما هي « Charmaei » (٥) ، وهو رأى بعيد فى نظرى ؛ لأن « بلينيوس » وضع هذا الشعب على مقربة من المعينيين ، وقد ذكر اسمهم « اسطيفان اليزنطى » (٦) ، ويدل ذلك على أنهم كانوا لا يزالون يعرفون بعد الميلاد عند بعض الكتبة الغرباء .

وذكر النسابون أن « قطوراء » « قطورا » كانوا ابناء عم جرهم ، وكانوا ظلعا من اليمن فأقبلوا سيارا ، وعلى جرهم مضاض بن عمرو ، وعلى قطوراء السמידع ، فاستقروا بمكة (٧) . وعاشوا مع جرهم والعدانين أبناء اسماعيل بمكة بعد هجرتهم من اليمن ، ولم يتعمق النسابون فى البحث عن اصل قبيلة قطوراء (٨) .

وإذا رجعنا الى التوراة نجد انها ذكرت اسم زوجة من زوجات ابراهيم سمها « قطورة » ، وقد تزوجها بعد وفاة زوجته سارة وولدت له ستة بنين (٩) تفرع منهم زهاء ست عشرة قبيلة يرى علماء التوراة أنها كانت قبائل عربية . وقد ذكرت التوراة أن أولادها الستة هم : زمران ، ويقشان ، ومدان ، ومديان ، ويشباق ، وشوحا . ومن أولاد يقشان : شبا ، وددان . ومن مديان : عيفة ، وعفر ، وحنوك ، وايداع ، والدعة (١٠) . وكان بنو ددان : اشوريم ، ولطوشيم ، ولأميم (١١) .

- (١) Ency. Vol, I. P. 1066. (٢) صفة جزيرة العرب ( ص ١٨٨ )  
(٣) الطبرى ٧٤٩/١ ( طبعة دى غوية ) . Ency. Vol, I. P. 1066. (٤) الاكليل ١٦١/٨ فما بعدها ( طبعة نبيه ) ١٨٣ فما بعدها ( طبعة الكرملى ) .  
أبو الفداء مختصر تاريخ البشر ٧٧/١ ( القسطنطينية ١٢٨٦ ) .  
(٥) Forster, Vol, I. P. 133. (٦) Ency. Vol, I. P. 1066. (٧) سيرة ابن هشام ١٢٣/١ ( طبعة محمد محيى الدين عبد الحميد ) . « قال ابن اسحاق وكان اخوه « الضمير يعود الى جرهم » قطوراء اول من تكلم بالعربية عند تبليبل اللسنة » . تاج العروس ٢٢٧/٨ .  
(٨) « قطورا بنت يقطان » ابن خلدون ( ٣٨/٢ ) .  
(٩) التكوين ( ٢٥-١ ) ، قاموس الكتاب المقدس ( ٢٢١/٢ ) .  
(١٠) التكوين ( ٢٥-١ ) ، اخبار الايام الاول ( ١-٢٢ ) فما بعدها .  
(١١) التكوين ( ٢٥-٣ ) .



ويرى كثير من علماء التوراة أن قطوراء هي « قطورة » التوراة (١) ، خاصة بين أسماء أبناء قطورة أسماء قبائل معروفة يرجع علماء التوراة أصلها الى العرب مثل : شبا ، وددان ، ومدين (٢) . وقد ذهب « كلاسر » الى أنها من بقايا المعينيين ، والى أن القطوريين كانوا يقطنون على امتداد الطريق القديم الممتد من اليمن الى الشام : الطريق الذي كانت تسلكه القوافل التجارية التي كانت تعود محملة بالبخور . ويرى من معنى كلمة « قطورة » ، وهو البخور ، ما يؤيد رأيه أن مواطن القطوريين كانت في هذه المواضع التي تجتازها قوافل البخور (٣) .

وقد حاول ايجاد صلة بين أسماء بعض المواضع في هذا المكان وبين الأسماء المذكورة في التوراة على أنها من نسل قطورة ، فذكر مثلاً أن من المحتمل أن يكون موضع « عفار » - وهو مكان بين مكة والطائف - هو « عفر » من ابناء مديان ( مدين ) (٤) ، وموضع « الحنكية » - وهو موضع في منطقة المدينة - هو « حنوك » (٥) ، كما أن هنالك أسماء وردت في النصوص المعينية والسبئية تشبه هذه الأسماء الواردة في التوراة قد يكون لها علاقة بها . ويظهر من هذا أن التوراة كانت ترى وجود فرع آخر للقبائل العربية هو فرع قطورة زوجة ابراهيم ، وهو فرع لم يعرفه النسابون (٦) ، كما أن المستشرقين وعلماء التوراة لم يتمكنوا من معرفته حتى الآن .

وهذا الفرع يحتاج الى دراسة ، ولم يثبت حتى الآن أنه كان يقيم على طريق التجارة الشهير الذي يمر من اليمن الى الشام حسب ، فبين بعض القبائل « القطورية » قبائل كانت تقيم - على ما يظهر من انكسابات الآشورية وغيرها - في بادية الشام ، وبعضها في طور سيناء . وبينها قبائل لا يعرف أصلها ولا صلاتها بالقبائل العربية ؛ لذلك يجب الحذر من التسرع في الحكم .

وانتقل الملك - على رأى الأخباريين - من يعرب الى ابنه يشجب ، ويقال له « يمن » ، ومن ولده عبد شمس ، ويقال له عامر ويلقب بسبأ ، زعموا أنه هو الذي بنى

Hastings. P. 514. Ency. Bibl. P. 2660 Ritter, erdkunde 12, 29. (١)

Glaser. Skizze. 2. P. 449. (٣)

Hastings. P. 514. (٢)

Glaser. Skizze. 2. P. 449. (٥)

Glaser. Skizze. 2. P. 449. (٤)

(٦) الهلال : العدد المتقدم (ص ٧٧٦) .

قصر سبأ ومدينة مأرب ، وأنه فتح مصر وبنى بها مدينة عين شمس ، وأنه أول من سن السبى ؛ ولذلك عرف سبأ<sup>(١)</sup> ، وغير ذلك مما يقصه علينا أهل الأخبار .

ونسئل « سبأ » عددا من الأولاد أشهرهم : حمير المعروف عند النسابين « بالعرنج » ، و « كهلان » ، و « الأشعر » ، و « بابلون » الذى ولى مدينة عين شمس بمصر ، و « زيدان » ، و « عمرو » ، و « عاملة » ، و « أنمار » ، و « مر »<sup>(٢)</sup> . وقد أولد كل واحد من هؤلاء عددا من الأولاد نسلوا أولادا ، ثم نسل أولادهم أولادا ، وهكذا . ومن مجموع هؤلاء الأجداد والآباء والحفدة تكون القحطانيون .

وقد أوردت كتب الأنساب أسماء هذه القبائل وطبقاتها ، لذلك لا أرى الحديث عنها فى هذا المكان ، بل أترك ذلك الى الجاهلية القريبة من الاسلام ، حيث يرد ذكرها وكذلك ذكر القبائل العدنانية هناك .

#### العرب المستعربة :

وأحدث طبقات العرب عهدا بالعربية هى طبقة « العرب المستعربة » على رأى الأخباريين ويقال لهم العدنانيون أو النزاريون أو المعديون . وهم من صلب اسماعيل بن ابراهيم وامراته « رعدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى »<sup>(٣)</sup> . قيل لهم « العرب المستعربة » لانهم انضموا الى العرب العاربة من الأمم المجاورة ، وليسوا عربا فى الاصل<sup>(٤)</sup> ، فهم فى المنزلة الثالثة فى العربية<sup>(٥)</sup> . وهذا القول هو من وضع النسابين القحطانيين ولا شك . ولد اسماعيل من زوجته « رعدة » اثنى عشر رجلا هم : نابت وكان أكبرهم ، وقيدر ، وأذبل ، ومبشا ، ومسمعا ، وماشى ، ودما ، وأذر ، وطيماء ، ويطور ، ونبش ، وقيدما<sup>(٦)</sup> . وأكثر هذه الأسماء ورودا فى الكتب العربية نابت

(١) ابن خلدون (٤٧/٢) ، التيجان ( ص ٤٩ ) .

Ency. 4-II60. Wüstenfeld, Register. P. 388.

(٢) المصادر المذكورة .

(٣) سيرة ابن هشام ٣/١ ( طبعة محمد محيى الدين عبدالحميد ) . السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى ابن خلدون (٣٧/٢) ، الطبرى (١/١٦١) ، الكامل لابن الاثير (٤٩/١) . الطبقات ١/١ ص ٢٥ . تاج العروس ١/٣٧٥ ، « ونابت بن اسماعيل عليه السلام ولى بعد ابيه ، أمه السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى » تاج العروس ١/٥٩٠ .

(٤) خلاصة ( ص ٤١ ) . (٥) فجر الاسلام ( ص ٧ ) .

(٦) سيرة ابن هشام (٣/١) . ابن خلدون (٣٩/٢) مع اختلاف فى ضبط الأسماء .

الطبرى (١/١٦١) ، الكامل (٤٩/١) .



وقيدر • وقد أخذ النسابون هذه الأسماء من التوراة <sup>(١)</sup> ، جاء في التوراة : « هذ  
 أسماء بنى اسماعيل بأسمائهم على حسب مواليدهم نبايوت بكر اسماعيل ،  
 وقيدار ، وأدبيل ، ومبسام ، ومشماع ، ودومة ، ومسا ، وحدار ، وتيما ، ويطور ،  
 ونافيش ، وقدمه » <sup>(٢)</sup> •

ولم تذكر التوراة اسم المرأة التي تزوجها اسماعيل ، فأولدها هؤلاء الأولاد  
 الذين انتشروا فسكنوا في منطقة تمتد من « حويلة » الى « شور » <sup>(٣)</sup> •

وقد سبق أن تحدثت عن « حويلة » وقلت ان آراء العلماء غير متفقة على تعيين مواضعها ،  
 اذ ذهب بعضهم الى أنها في الاقسام الشمالية الشرقية من بادية الشام ، ورأى  
 آخرون أنها في وسط أو في القسم الشمالي الشرقي من شبه الجزيرة <sup>(٤)</sup> ، أى في  
 « العربية السعيدة » • وعندى أن الموضع يجب أن يكون قريبا من فلسطين ؛ اذ ورد في  
 أسفار « صموئيل الأول » أن « شاول » ضرب « العماليق » من « حويلة » الى  
 « شور » <sup>(٥)</sup> ، ولا يعقل وصول « شاول » الى مكان بعيد عن فلسطين فلم تكن للاسرائيليين  
 قوة كبيرة تصل الى موضع يقع في شمال شرقي بادية الشام أو شمال شرقي العربية  
 السعيدة ، اى على رأس سواحل الخليج الفارسي في الكويت او في مناطق تقع في شمال  
 نجد في جبل شمر مثلا ، لذلك ارى ان هذا الموضع يجب ان يكون في مكان يقع في  
 المملكة الاردنية أو في أعلى الحجاز •

وأما « شور » ، فموضع في البرية الى الجنوب الغربي من فلسطين ، ويسمى برية  
 « ايثام » ، وهو برية تيه بنى اسرائيل <sup>(٦)</sup> على رأى غير ان أكثر علماء التوراة لم يتفقوا على  
 تعيين موضعه حتى الآن <sup>(٧)</sup> •

ويعترف العبرانيون بقربتهم من « الاشماعيليين » ، والظاهر أنهم كانوا قد أمضوا  
 عهدا كبيرا في تاريخ شبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين ، ويظهر من التوراة أنهم كانوا

(١) ابن خلدون (٣٩/٢) • (٢) التكوين (٢٥ ، آية ١٢ فما بعدها) •

(٣) التكوين : اصحاح ٢٥ ، آية ١٨ (٤) Hastings. P. 333.

(٥) صموئيل الأول : اصحاح ١٥ ، آية ٨ •

(٦) قاموس الكتاب المقدس (١/٦٤١) •

(٧) Hastings. P. 852, Ency, Bibl. P. 4498. راجع رأى موسل في « شور » في كتابه

The Northern Hegaz, P. 261, 265 ff.

يعيشون في البوادي عيشة الاعراب<sup>(١)</sup> . بالقياس الى «القطانيين» ، وقد ذكروا على أنهم كانوا في أيام « داوود » ، ونظر اليهم العبرانيون نظرة عداة ؛ لأنهم أخذوا يتعرضون لهم ويهاجمونهم كما يظهر ذلك من التوراة .

ونحن لا نعرف شيئا ثابتا عن « الاشماعيليين » ولا عن لهجاتهم وان كان بعض العلماء يرون أنها قريبة من اللهجات العربية الشمالية والأرامية<sup>(٢)</sup> استنادا الى ما ورد في النصوص الآشورية من أسماء أصنام بعض قبائلهم مثل قبيلة « قیدار » التي حاربت الآشوريين ، فاستولى الآشوريون على صنمها « عتر سمائين » ، ووجود أسماء « يطورية » قريبة من الأسماء العربية<sup>(٣)</sup> . غير أن هذه الأمثلة قليلة جدا ، ولا يستطيع الانسان أن يصدر حكما على قواعد لغوية استنادا الى حفنة من الأسماء .

و « نبايوت » هو بكر اسماعيل ، ونحن لا نعرف طبعاً الأسباب التي جعلت التوراة تعده أسن أولاد « اسماعيل » ، أراعت في ذلك بعد القبيلة أم قريها من العبرانيين ، أم ضخمها وكثرة عددها بالقياس الى القبائل الاسماعيلية الأخرى ، أم أمورا أخرى جعلت العبرانيين ينظرون اليهم على أنهم أقدم تلك القبائل ؟ فليس في التوراة قواعد ثابتة تمشي عليها كتبة العهد القديم في تدوين الأنساب . وقد جعل الأخباريون « نبايوت » أيضا الابن البكر لاسماعيل ، ولا تنتظر بالطبع حدوث غير ذلك . وقد أخذوا روايتهم هذه من التوراة .

وقد جعل بعض الأخباريين « نبايوت » « نبتا » أو « نابتا » ، وجعلوه والدا « ليشجب »<sup>(٤)</sup> ، و « يشجب » هو ابن « يعرب » على رواية أكثر الأخباريين ، أو والد « يعرب » على رأى بعضهم<sup>(٥)</sup> .

وقد عدت التوراة « نبايوت » من اهم القبائل « الاشماعيلية »<sup>(٦)</sup> ، والظاهر أنهم كانوا من القبائل القوية ، وقد ورد اسمهم في الكتابات الآشورية « Nabaitu » مع قبيلة « قیدار » « Kidru » و « أربي »<sup>(٧)</sup> ، ويدل ذلك على أنهم من القبائل

(١) Ency. Bibl. P. 2211 ff. Hastings. P. 392.

(٢) Ency. Bibl. P. 2214. (٣) Ency. Brita. Vol. 12. 706.

(٤) سيرة ابن هشام (٥/١) . (٥) ابن خلدون (٢/٤٦-٤٧) .

(٦) Hastings. P. 648.

(٧) Ency. Bibl. P. 2213. 3365. Schrader, KAT. 2. 147. Delitzsch, wo lag das Paradies ?, 296.



الشمالية ، ويدل ورود اسمهم فى التوراة وفى الكتابات الآشورية مقرونا باسم « قيدار » على أنهم كانوا متجاورين • ولم تعين التوراة مواضعهم ولا النصوص الآشورية ، غير أن ورود اسمهم مع « قيدار » وفى مطلع قائمة « الاشماعيليين » واقرانه بالأدوميين عن طريق المصاهرة<sup>(١)</sup> ، ووقوف العبرانيين على أخبارهم ، يدل كله على أنهم كانوا يقيمون فى المناطق الواقعة فى جنوب شرقى فلسطين وفى الأقسام الجنوبية الغربية من بادية الشام •

وقد ظن بعض العلماء أنهم « النبط »<sup>(٢)</sup> ، ويظهر أنهم ذهبوا الى ذلك من تشابه « نبايوت » Nabaioth « و » نبط « Nabataens » ، غير أن هذا رأى غير صحيح فى نظر أكثر علماء التوراة<sup>(٣)</sup> ، وفرق بين « نبايوت » و « نبط » • وقد كانت « نبايوت » مملكة مستقلة حكمت - على رأى كلاسر - فى « التقسيم »<sup>(٤)</sup> ، وقد كانت معاصرة لمملكة « عربى » ، وكانت لانزال مستقلة فى أيام الفرس<sup>(٥)</sup> •

وقد كان بين الأوس قوم يقال لهم « النبيت » افتخر بهم الشاعر قيس بن الخطيم من شعراء الجاهلية ، وقد قتل قبل الهجرة ، ومدحهم ووصفهم بالشدة والبأس<sup>(٦)</sup> • كما كان فى اياد قوم يقال لهم النبيت<sup>(٧)</sup> •

وكان نبيت الأوس يتألفون من « ظفر » رهط الشعاعر قيس بن الخطيم ، ومن عبدالأشهل ، وحاتثة<sup>(٨)</sup> • وقد وقعت بينها حروب ومعارك ، فانضمت حارثة الى الخزرج وتحالفت معها ودخلت فيها • وأما ظفر وبنو عبدالأشهل ، فقد اضطروا أخيراً

(١) التكوين : اصحاح ٢٨ ، آية ٩ •

(٢) Ency. Bibl. P. 2213. Hastings. P. 648. « النبط » « النبيط » « الانباط »

« نبطى » « قال ابن عباس : نحن معاشر قريش من النبط » تاج العروس ٢٣٩/٥ •

(٣) Ency. Bibl. P. 2213. Hastings. P. 648-649.

(٤) Glaser, Skizze. 2. P. 266-267.

(٥) Schrader, KAT, P. 151. Hommel, AHT. 275.

(٦) شعر قيس ( ص ٩ ، ١٠ ، ٣٨ ) :

ويشرب تعلم أن النبيت ست رأس بيثرب ميزانها  
وقد علموا أن ما فلهم حديد النبيت وأعيانها

فلا اعرفنكم بعد عز وثروة يقال الا تلك النبيت عساكر

(٧) شعر قيس ( ص ٩ ) • « والنبيت أبو حى ، وفى الصحاح حى من اليمن » اللسان

٤٠٢/٢ ، تاج العروس ٥٨٩/١ •

(٨) شعر قيس : القسم الألماني ( ص XX ) •

الى ترك ديارهم والذهاب الى مكة للتحالف معهم أو مع اليمن أو الغساسنة أو المناذرة ،  
لمساعدتهم على الخزرج ، ولاسترداد ملكهم<sup>(١)</sup> . والظاهر أنهم كانوا قديما من القبائل  
القوية ، وكانت في الحرار الشرقية ، ثم أفل نجمها ، وتشتت شملها بسبب الحروب التي  
وقعت بين بطونها . ولعلها من القبائل التي كانت تقيم في الشمال في العربية الحجرية  
أو العربية الصحراوية ، ثم اضطرت الى الهجرة الى الجنوب والاستيطان في مناطق  
الحرار . والظاهر أنها كانت على اتصال باليهود ، وقد تحالف معها يهود خيبر .

ويذكرنا هذا الاسم باسم « نبت » أو « نابت » في الكتب العربية ، وهو ابن  
اسماعيل ، و « بنباوت » التوراة .

والولد الثاني من أولاد اسماعيل هو « قيدار » ، وهو في الكتب العربية « قيدر »  
و « قيدار » و « قيدر »<sup>(٢)</sup> . وهو كناية عن قبيلة عربية ورد اسمها في النصوص  
الآشورية بصورة « Kidru » و « Kadru »<sup>(٣)</sup> ، كما ورد اسمها في المؤلفات  
« الكلاسيكية » ، فقال لهم « بلينيوس » « Cedrei » ، وذكر أنهم قبيلة عربية كانت تقيم  
على مقربة من « النبط »<sup>(٤)</sup> . وقد حاربهم « آشوربنبال » ، وكان ملك « قيدار » في  
ذلك العهد الملك « أوأيطع Uaite » ابن « خزاعيل Hazael »<sup>(٥)</sup> ، وقد ذكرهم  
« آشوربنبال » مع « عربي » « أريبي » ، وكانت مملكة يحكمها ملوك ، كما ذكرهم  
« حزقيال » حيث جمع بينهم وبين العرب « العرب وكل رؤساء قيدار »<sup>(٦)</sup> مما يشير الى

(١) شعر قيس : القسم الألماني ( ص XXII ) .

(٢) الطبرى (٢/١٩٣) ، « قيدر » منتخبات ( ص ٨٤ ) ، مروج الذهب (١/٣٩٤) ،  
ابن خلدون (٢/٢٩٨) . « وقدار بن سالف الذي يقال له أحيمر ثمود عاقر الناقة ناقة صالح  
عليه السلام » تاج العروس ٤٨٣/٣ « وقيدار بن اسماعيل بن ابراهيم عليهما وعلى نبينا  
أفضل الصلاة والسلام ، وهو ابو العرب وقد قيل في نبوته أيضا ، وله مشهد يزار قريبا  
من السلطانية بالعجم ، وأعقب من ولده حمل بن قيدار وله ابن آخر يقال له سوارى ،  
ويقال له قيدر كحيدر ، وقادر ففي حديث كعب قال الله لرومية : انى اقسام بعزتى لاهبن  
سبيك لبني قادر أى بنى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام يريد العرب . » تاج  
العروس ٤٨٥/٣ .

Schrader KGF. 101 KAT. 147 f. Delitzch, wo lag das Paradies ? 299. (٣)

Pliny 5, 21, §. 65. Ency. Bibl. P, 2213. Forster, Vol, 1, P. 238 ff. (٤)

Musil, Deserta. P. 485. (٥)

(٦) حزقيال اصحاح ٢٧ آية ٢١ .



أن أرضى « قيدار » كانت تجاور أرض « عريبي » ، كما يدل ذكرهم بعد « نبايوت » فى التوراة على أنهم كانوا يقطنون فى شرق « نبايوت » .

يظهر من الكتابات الآشورية ومن التوراة والكتب « الكلاسيكية » أن القيداريين

كانوا شعباً قويا ، تغلب عليهم البداوة ، ويعيشون فى الخيام ، عيشة الأعراب (١) . وقد وصفت خيامهم فى التوراة بأنها خيام سود ، « أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم كخيام قيدار كشق سليمان » (٢) . وكانوا يعتنون بتربية المواشى ، وقد اشتهروا بأن فيهم رعاة يملكون ماشية كثيرة (٣) .

وكان من القيداريين حضر يسكنون المدن ، ومنهم من يقيم فى مناطق صخرية .

وقد أطلقت التوراة على المخيمات والأماكن التى أقاموا فيها كلمة « حصور » ، Hasor ،

وتعنى هذه الكلمة ما تعنيه كلمة « حيرتا » Herta فى « الارمية » و « الحيرة » فى

العربية (٤) . وقد تحدثت عنهم فى معرض الكلام على « حضورا » ، وقلت : ان التوراة

تحدثت عن ارسال « بختنصر » حملة عليهم ، ويظهر من أخبار الحملة الواردة فى

التوراة أنها أوقعت خسائر جسيمة بالقيداريين ، وحولت المناطق التى كانوا يقيمون بها

الى خراب كما جاء ذكر ذلك فى اسفار أرميا : « وتكون حاصور مسكن بنات آوى وخربة

الى الابد لا يسكن هناك انسان ولا يتغرب فيها ابن آدم » (٥) .

يظهر من اخبار حملة « آشوربنبال » على قيدار ومن الروايات الواردة فى التوراة

عنهم أن « القيداريين » كانوا شعباً قويا ، ولا بد أن تأريخهم يرجع الى ما قبل هذه الحملة ،

وقد يصل الى الألف الثانية قبل الميلاد . ويظهر أنهم كانوا يهاجمون مع « نبايوت »

و « عريبي » وقبائل عربية أخرى حدود المملكة الآشورية وقوافل الآشوريين ، لذلك

اضطروا الى تجريد حملات عليهم ، وقد شهدوا نهاية حكومة « اسرائيل » ، وعاشوا الى

ما بعد ذلك (٦) .

ويرى علماء التوراة أن « أدبيل » Adbeel « كناية عن قبيلة عربية أخرى

كانت تقيم فى جنوب غربى « البحر الميت » (٧) ، ويظن أنهم قبيلة Idiba'ila

(١) قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣٠) .

(٢) نشيد الأنشاد ، الاصحاح الأول ، آية ٥ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣٠) .

(٤) Musil, Deserta, P. 490.

(٥) أرميا : اصحاح ٤٩ ، آية ٢٢ . Montgomery, Arabia and the Bible, P. 45.

(٦) Schrader, KAT, P. 151. (٧) Ency. Bibl. P. 2213.

أو « Dibi'ila »<sup>(١)</sup> التي ورد اسمها في كتابة تعود الى « تغلاتيلزر الثالث »<sup>(٢)</sup> . وقد ذكر هذا الملك أنه عين نائبا عنه أو « مندوبا ساميا » « قيو Kepu » على خمسة عشر موضعا في أرض « عسقلان » ، وكان اسمه « أدبيل idibi'il » ، وهو شيخ قبيلة تدعى بهذا الاسم أيضا ، وهي القبيلة التي نتحدث عنها الآن ، وتقع منطقة هذه القبيلة على مقربة من الحدود المصرية وفي الجنوب الغربي من « غزة »<sup>(٣)</sup> . والظاهر أنه فوضه أمر حماية الحدود والمحافظة عليها من الغزو<sup>(٤)</sup> . ويظهر من أقوال المؤرخ اليهودي « يوسفوس Josephus » أن هذه القبيلة كانت من القبائل « الاشماعيلية » الموجودة في أيامه<sup>(٥)</sup> .

وبلى « أدبيل » في تسلسل أولاد « اسماعيل » « ميسام » « Mibsam » ، وقد قيل له في بعض الكتب العربية « ميسا » . ولا نعرف من أمر هذه القبيلة شيئا<sup>(٦)</sup> ، ولا نعرف من أمر « مشماع » أو « مسمع » كما ورد في بعض الكتب العربية شيئا كذلك ، ويتصور بعض العلماء أن لهذا الاسم علاقة بقبيلة « بنى مسماع »<sup>(٧)</sup> أو « جبل مسماع » « جبل مسمع » قرب تيماء<sup>(٨)</sup> .

ويرى « فورستر » أن « مشماع » هي قبيلة « Masmaos » التي ذكرها « يوسفوس » على أنها من القبائل العربية التي كانت تعيش في أيامه في شبه جزيرة العرب<sup>(٩)</sup> . ويرى « فورستر » أيضا أن قبيلة « Masaemanes » التي ذكرها « بطلميوس » هي هذه القبيلة كذلك<sup>(١٠)</sup> .

و « دومة » هو « دوما » في بعض الكتب العربية ، وهو كناية عن موضع دومة

(١) Hastings, P. 12. Delitzch, Paradies, P. 301. Ency. Bibl, P. 65.

(٢) « تغلاتيلزر الرابع » عند « ألويس موسل » Musil, Hegaz, P. 291. Deserta, P. 278-279.

(٣) Musil, Hegaz, P. 291. Deserta, P. 478.

(٤) Schrader, KAT, P. 58. (٥) Forster, I, P. 266.

(٦) Forster, Vol, I, P. 273 ff. Ency. Bibl, P. 3067. Musil, Deserta, P. 479.

(٧) قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٤٤) . « ومنسى وهو منشى ومسمع وهو مشماعة » الطبقات ١/١ ص ٢٥ .

(٨) Ency. Bibl, P, 3154. (٩) Forster, I, P, 274.

(١٠) Forster, Vol, I, P, 274.



الجنبدل (١) ، وقد أطلق عليه « بليئوس » اسم « Domatha » (٢) ، وعرفه بطلميوس كذلك وسماه « Dumaetha » (٣) ، وهو موضع « أدومو Adumu » الذي ورد في كتابات اسرحدون وسنحريب على رأى بعض العلماء (٤) . وسيأتي الحديث عنه .

وقد ورد اسم « مسا » « Massa » في النصوص الآشورية مقرونا بـ « تيماء » الواحة الشهيرة . ورد في تلك النصوص على صورة « Mas'a » ، ويرى « ألويس موسل » أنه كناية عن قبيلة كانت منازلها في شرق وجنوب شرقي « موآب » (٥) . ويظهر من الكتابات الآشورية أنها كانت تقيم في الأرضين الجنوبية من وادي السرحان ، وفي غرب منازل « عريبي » (٦) . وجاء في كتابة أرسلها أحد « المقيمين » الآشوريين إلى ملك آشوري لم يرد اسمه في الكتابة ، وصف فيها الحالة السياسية ، أن « ملك قمرو » « مالك قمرو » ابن « عميطع » شيخ قبيلة « مسا » « Mas'a » غزى قبيلة « Niba'ati » وقتل عددا منها (٧) . والظاهر أن هذه القبيلة هي القبيلة المذكورة في التوراة .

ويعرف « حدد » « Hadad » أو « حدار » « Hadar » في الكتب العربية بأد (٨) . وأما « تيماء » ، فإنه « طما » ، وهو كناية عن « تيماء » ذات الموقع الممتاز في التجارة العالمية القديمة (٩) ، وستحدث عنها فيما بعد . ويقصد « بيطور » وهو « وطور » في الكتب العربية ، قبيلة عرفت في الكتب « الكلاسيكية » بـ « ituraca » (١٠) ، وقد حاربت العبرانيين ، وكانت تقيم شرقي نهر الأردن في أيام الملك « شاؤول » ، ويظهر أنها هاجرت نحو الشمال فسكنت في الأقسام الجنوبية من لبنان وفي الحافات الشرقية من جبال لبنان . وقد أوجب الملك اليهودي « أرسطوبولس الأول » « Aristobulus I »

(١) « ودما وهو دوما وبه سميت دومة الجنبدل » الطبقات ١/١ ص ٢٥ .

(٢) Pliny, 6, 28 §. 157. Forster, I. P. 281. (٣) Forster, I. P. 281.

(٤) Ency. Bibl. P. 1142. 2213. Musil, Deserta, P. 480. ff

(٥) Musil, Hegaz. P. 288. Hastings, P. 591 Ency. Bibl. P. 2213. 2972.

(٦) Musil, Deserta, P. 478.

(٧) Musil, Deserta, P. 478. Delitzsch, wo lag das Paradies ?. P. 302.

Rawlinson, Cuneiform Inscriptions, Vol. 4. Pl. 54. No 1.

(٨) Hastings, P. 323. Ency. Bibl, P. 1930.

(٩) Hastings, P. 897. Ency. Bibl, P. 2213

(١٠) Forster, Vol, 1, P. 310. Ency. Bibl, P. 2213.

« ١٠٧ قبل الميلاد » قسما من اليطوريين الذين احتل العبرانيون أرضهم على اليهود (١) ، وكان لهم ملوك وفي أيام ملكهم « Sohumus » لعله « سخيم » او « سخيم » أدخلت أرضهم في مقاطعة « سورية » في سنة ٥٠ بعد الميلاد ، وكانت دمشق قد كابدت مصائب شديدة من غزوات اليطوريين (٢) .

و « نافش » « Naphish » هو « نفيس » عند الأخباريين (٣) . وأما « قدمة » ، فهو آخر أبناء « اسماعيل » ، وهو « قيدمان » في بعض الكتب العربية (٤) . ولا يعرف من أمره شيء ، ويرى بعض العلماء أن لهذا الاسم « Kedemah » علاقة بالقدمونيين « Kedmon » و « بنى قديم » « Bene Kedem » أي « أبناء الشرق » ، وذلك بالنسبة الى سكانهم في شرق « العبرانيين » وفي بادية الشام (٥) . وزعم « فورستر » أنه « كاظمة » « رأس كاظمة » الواقع الى جنوب العراق على رأس الخليج (٦) .

#### عدنان :

وعدنان في نظر العدنانيين هو الجد الأعلى لهم (٧) ، كما أن قحطان هو الجد الأعلى للقحطانيين . وحيث ان الطبقة الأولى من العرب قد بادت وذهبت ، تكون العرب الباقية وكلها من ولد عدنان وقحطان ، استوعبا شعوب العرب كلها . وقد رأينا أن « قحطان » هو « يقطن » أو « يقطان » في التوراة . أما « عدنان » ، فلا نجد له اسما فيها ، وقد رأينا أن بين « يقطان » و « سام » ثلاثة آباء أو أربعة . أما بين عدنان وسام ، فعدد كبير من الآباء .

وقد اختلف النسابون في عدد من كان بين اسماعيل وعدنان من الآباء ، فرأى بعضهم أنهم أربعون ، وروى غيرهم أنهم عشرون ، وقال آخرون انهم خمسة عشر شخصا ، وقالت جماعة ان المدة طويلة بين عدنان واسماعيل بحيث يستحيل في العادة أن

(١) Ency. Bibl, P, 2213. Josephus, Anti, XIII, II, 3.

(٢) Ency. Bibl, P, 2213.

(٣) Ency. Bibl., P. 3331. Hastings. P. 645.

(٤) الطبري (١/١٦١) و « قيدما » الطبقات (١/١ ص ٢٥) .

(٥) Ency. Bibl., P. 2654. Hastings. P. 512.

(٦) Forster, Vol, I, P, 313. (٧) تاج العروس ٢٧٥/٩ .



يكون بينهما هذا العدد من الآباء (١) .

وقد اختلف الاخباريون وأصحاب الأنساب في نسب عدنان اختلافًا كبيرًا (٢) ، واختلفوا بينهم حتى في كيفية النطق بتلك الأسماء ، على حين أننا لا نرى اختلافًا بينهم في نسب قحطان ، ولا في كيفية النطق بتلك الأسماء . وقد علل محمد بن سعد الواقدي ذلك بقوله : « وكان رجل من أهل تدمر يكنى ابا يعقوب من مسلمة بنى اسرائيل قد قرأ من كتبهم ، وعلم علمهم ، فذكر أن بورخ بن ناريا كاتب أرميا أثبت نسب معد بن عدنان عنده ، ووضعه في كتبه وأنه معروف عند أجبار أهل الكتاب وعلمائهم مثبت في أسفارهم ، وهو مقارب لهذه الأسماء . ولعل خلاف ما بينهم من قبل اللغة ؛ لأن هذه الأسماء ترجمت من العبرانية » (٣) .

ويقول الواقدي في موضع آخر : « وهذا الاختلاف في نسبه يدل على انه لم يحفظ وانما أخذ ذلك من أهل الكتاب ، وترجموه لهم ، فاختلفوا فيه . ولو صح ذلك لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس به . فالأمر عندنا على الانتهاء الى معد بن عدنان ، ثم الامسك عما وراء ذلك الى اسماعيل بن ابراهيم » (٤) . ونقل ابن خلدون رأى من تقدمه في هذا الاختلاف ، فقال : « ونقل القرطبي عن هشام بن محمد فيما بين عدنان وقيدار نحوًا من أربعين أبا وقال سمعت رجلا من أهل تدمر من مسلمة يهود وممن قرأ كتبهم يذكر نسب معد بن عدنان الى اسماعيل من كتاب ارمياء النبي عليه السلام ، وهو يقرب من هذا النسب في العدد والأسماء الا قليلا ، ولعل الخلاف انما جاء من قبل اللغة لأن الأسماء ترجمت من العبرانية » (٥) .

(١) الطبري (٢/١٩١) ، سيرة ابن هشام (١/٣ وما بعدها) ، مروج الذهب (١/٣٩٤) ، الطبقات القسم الأول من الجزء الأول (٢٨-٢٩) ، ابن خلدون (٢/٢٩٨) ، نسب عدنان وقحطان للمبرد (ص ٢) ، صبح الأعشى (١/٣٠٧) . Ency. Vol. I. P. 142. Wüstenfeld, Register zu den Geneal. Tabellen der Arab. Stämme, P. 47. Caussin de Perceval, Essai I, 8. 175. J.D. Bate, An examination of the Claims of Ishmael, 1884. P. 109. Sprenger, Life Of Mohammad, 57 Note. 3 and 4. Mills, History of Mohommadanism, 7. Pocock, Specimen, 40.

(٢) نهاية الأرب (٢/٣٠٦) . (٣) الطبقات (١/١ ص ٢٩) .

(٤) الطبقات الكبير (١/١ ص ٢٩) « ما وجدنا في علم عالم ولا شعر شاعر أحدا يعرف ما وراء معد بن عدنان بثبت » (ص ٣٠) .

(٥) ابن خلدون (٢/٢٩٨) « وانتسب النبي صلى الله عليه وسلم الى عدنان وقال : كذب النسابون . فما بعد عدنان فهي أسماء سريانية لا يوضحها الاشتقاق . » كتاب الاشتقاق (١/٢٠) .

ويخيل الى أن أصحاب الأَنْساب رَغِبُوا فِي تَكْوِينِ نَسَبٍ مَتَّصِلٍ غَيْرٍ مُنْقَطِعٍ يَرْبِطُ بَيْنَ الْعَدْنَانِيِّينَ وَاسْمَاعِيلِ ، لِذَلِكَ لَجَأُوا إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ يَلْتَمِسُونَ مِنْهُمْ الْعَوْنَ ، وَقَدْ اسْتَفْلَ ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَفِيهِمْ نَاسٌ مِنَ الْأَدْعِيَاءِ فَأَخَذُوا يَعْطُونَهُمْ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ قِصَصٍ وَاسْرَائِيلِيَّاتٍ ، وَتَحَدَّثُوا لَهُمْ أَنَّ لَهُمْ عِلْمًا بِنَسَبِ عَدْنَانَ وَأَنَّهُ مَوْجُودٌ عِنْدَهُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَأَعْطَوْهُمْ أَنْسَابَ مَا بَيْنَ آدَمَ وَاسْمَاعِيلِ (١) وَأَنْسَابَ مَا بَيْنَ اسْمَاعِيلِ وَعَدْنَانَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . وَأَمَّا أَنْسَابُ مَا تَحْتَ عَدْنَانَ مِنْ أَوْلَادٍ ، فَجَدَّ أَنَّهَا أَنْسَابٌ عَرَبِيَّةٌ صَحِيحَةٌ لَا عِلَاقَةَ لَهَا بِالتُّورَةِ . وَهِيَ أَسْمَاءٌ لَيْسَتْ قَدِيمَةٌ كَمَا تَتَوَصَّرُ ذَلِكَ عِلْمَاءُ النَّسَبِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، لَمْ يَتَنَاوَلُونَهَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .

ويقول بعض النسابين : ان لديهم علما باسم والد «عدنان» ، وانه كان يسمى «أدد» (٢) ، ولكنهم لم يتحدثوا بشيء عنه . ونحن لانعرف كيف وصل هذا الاسم الى علمهم ، ولعل هنالك صلة بين «أدد» و «أد» . وقد ذكر بعض الرواة أن والد «عدنان» هو «أد» (٣) . وقال علماء اللغة : ان هذا الاسم من «أد» وهو فعل من المودة ، «قلبت الواو ألفا لانضمامها» (٤) . ونجد بين آلهة الشعوب السامية اسم صنم يقال له «أدد» «Adad» و «أدو» «Addu» (٥) ، فلعل لاسم هذا الصنم علاقة باسم «أدد» .

وقد ذكر الاخباريون أن «ودا» ، وهو الصنم الشهير الذي تغلب على دومة الجندل وتعبدت له «كلب» و «قريش» ، كان يهمز أيضا ، فيقال «أد» ، وبه سمي عبد ود ، كما سمي أد بن طابخة وأدد جد معد بن عدنان (٦) .

(١) «واتفق أهل العلم بالنسب كما وجدوه في التوراة ، وكما حملوه عن علماء أهل الكتاب ٠٠٠٠» نهاية الأرب (٢/٣٠٦) .

(٢) الطبري : - طبعة أوربة - (١/٦٧٣-٦٧٤ ، ١١١٢-١١١٤ ، ٣٢٠٣) «عدنان ابن أد بن يري بن أعراق الثرى» الطبقات (١/١ ص ٢٨) . «عدنان بن أد بن الهيميسع ابن سلامان بن عوص بن يوز بن قموال بن أبي بن العوام بن ناشد بن حزا بن بلداس ابن تدلاف بن طابخ بن جاحم بن ناحش بن ماخي بن عيفي بن عبقر بن عبيد ابن الدعا ٠٠٠ الخ ٠٠٠» وهي سلسلة طويلة مفتعلة رواها ابن الكلبي ، ويظهر أنها من وضعه . «وعدنان بن أد بن أد بن الهيميسع» تاج العروس ٢٧٥/٩ .

(٣) نهاية الأرب (٢/٢٧٦ ، ٣٠٨) ، سيرة ابن هشام (١/٥) .

(٤) لسان العرب (٤/٤٦٩) . Schrader, KAT, P. 443 ff. (٥)

(٦) لسان العرب (٤/٤٦٩) .



فألظاهر اذن أن اسم « أدد » والد عدنان إنما أخذ من اسم الصنم ود ، ولم تقل الرواة متى وضع هذا الاسم ، ولا فائدة من قولهم هذا بالنسبة لنا ، فلو قالوه ، لذكروا بالطبع أن ذلك كان في الجاهلية البعيدة ، وأنه كان اسم شخص حقيقي عاش وتزوج وأولد ومات .

وقد حذف محمد بن اسحاق اسم « أدد » من شجرة نسب عدنان ، ووضع شخصا آخر مقامه دعاه « مقوما » ، وساق نسبه على هذه الصورة : « عدنان بن مقوم بن ناحور ابن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل » (١) ، وساق نسبه في مكان آخر بصورة أخرى . والغريب أن الرواة الذين رووا هذه الأنساب التي تنتهي بهم في الغالب كابن الكلبي ومحمد بن اسحاق ، هم أنفسهم يروون هذا النسب بأشكال مختلفة ومتضاربة ، وطالما حرقوا الأسماء العبرانية ، ورووها بصور متعددة ، وقد يحشون بينها أسماء عربية ، وقد روى رواياتهم هذه أناس متعددون ، ولكنهم متفقون على أنهم سمعوا منهم . ولما كان أكثر هذه الأسماء الواردة في عمود نسب « عدنان » محرقة ، وكانت غير موجودة في التوراة ، فإن هذا يدل على أن رواة يهود الذين كانوا يتحدثون بمثل هذه الأمور إلى ابن الكلبي ومحمد بن اسحاق وغيرهما ممن مال إلى الأخذ منهم ، كانوا إما جهلة بما يتحدثون به ، وإما أنهم كانوا يكذبون أو أنهم كانوا يحاولون التقرب إلى المسلمين بهذه التلفيقات لما رب خاصة . غير أننا لا نستطيع أن نبرى هؤلاء الرواة أنفسهم من وصمة الجهل أو الكذب ، ولا سيما ابن الكلبي الذي تفرد برواية معظم هذه الأخبار . فمن الجائز أنه كان يلجأ إلى أهل الكتاب ليأخذ منهم ما عندهم ، ومن الجائز أنه كان يضيف إليها أو يخترع من عنده ، ليتحدث به إلى الناس . والافان من الصعب صدور هذا الخلط من رجل ثقة يعنى ما يقول .

ولم يرد اسم « عدنان » في النصوص الجاهلية وفي الشعر الجاهلي الا قليلا (٢) ، ولم يرد

(١) الطبقات ١/١ ص ٢٨ .

(٢) ممن ذكر عدنان من شعراء الجاهلية ، لبيد . قال :

فان لم تجد من دون عدنان والدا ودون معد فلتزعك العواذل

وعباس بن مرداس ، قال :

وعك بن عدنان الذين تلعبوا بمدحج حتى طردوا كل مطرد

طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ( ص ٥ ) . وفي رواية بغسان بدلا من مدحج .  
« ولم يجاوز أبناء نزار في انسابها وأشعارها عدنان اقتصرنا على معد ولم يذكر عدنان جاهلي قط غير لبيد . . . وقد يروي لعباس بن مرداس بيت في عدنان » .  
ابن هشام (٦/١) .

في المؤلفات «الكلاسيكية» كذلك، ولو كان «عدنان» جدا كبيرا في الجاهلية كما صوره أصحاب الأخبار والأنساب، لوجب عقلا تردد اسمه بكثرة في الكتابات الجاهلية أو في المؤلفات «الكلاسيكية» أو في الشعر الجاهلي • والغريب أننا نجد اسم «معد» المذكورا عند «بروكوبيوس» وفي القديم من الشعر الجاهلي، مع أنه ابن «عدنان» • ونجد اسم «نزار» على أنه اسم قبيلة المذكورا في نص «امرئ القيس» مع أنه ابن «معد»، أي حفيد عدنان، ولا نجد اسم جده في هذا النص • وهذا مما قد يبعث الظن في نفوسنا أن فكرة «عدنان» لم تظهر الا في الجاهلية القريبة من الاسلام وفي الاسلام •

ولد عدنان عددا من الأولاد أشهرهم: معد، وعك • وقد زعم الأخباريون أن معدا عاش في أيام «بختنصر»، وأن معدا خلص الى «حاران» حينما هاجم ملك بابل أهل «حضورا» في اليمن • أما «عدنان» والده، فلقب «بختنصر» فيمن اجتمع اليه من «حضورا» وغيرهم «بذات عرق»، فهزمهم «بختنصر»، ومات «عدنان» في أيامه • فلما هلك «بختنصر»، خرج «معد» من «حاران» الى مكة، فوجد أخويه وعمومته قد لحقوا بطوائف اليمن وتزوجوا فيهم، فرجع بهم الى بلادهم (١) •

ونجد لمعد ذكرا في الشعر الجاهلي في شعر «امرئ القيس» (٢) وفي شعر النابغة الذبياني (٣) وزهير بن أبي سلمى (٤) وقيس بن الخطيم (٥) وغيرهم، كما

(١) ابن خلدون (٢/٢٩٩) •

(٢) فأبلغ معدا والعباد وطينا وكندة أني شاكر لبني ثعل

شرح ديوان امرئ القيس: تأليف حسن السنديوي (ص ١٦٠) Ency. Vol. 3, P. 58.

(٣) علوت معدا نائلا ونكاية فانت لغيث الحمد أول رائد

ديوان النابغة شرح البطلوسى (ص ٣٤، ٧٨) •

(٤) وان الغدر قد علمت معد بناه في بنى ذبيان بانى  
عظيمين في عليا معد هديتما ومن يستبح كنزا من المجد يعظم

.....

أبي الشهداء عندك من معد فليس لما تدب به خفاء

.....

بلاد بها عزوا معدا وغيرها مشاربها عذب وأعلامها ثمل

.....

شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، للامام أبي العباس ثعلب: طبع دار الكتب المصرية ١٩٤٤

(ص ١٧، ٨١، ١٠٩) •

(٥) ورثنا المجد قد علمت معد فلم نغلب ولم نسبق بوتر

شعر قيس (ص ٣٣) •



ورد اسم معد في شعر المخضرمين<sup>(١)</sup> . وقد استعملت كلمة « الحى المعدى » في شعر  
 لحاجب بن زرارة<sup>(٢)</sup> ، كما ورد « حى في معد »<sup>(٣)</sup> مما ينبيء أن « معدا » كانت مؤلفة من  
 أحياء لا من حى واحد ، وجاء في شعر عمرو بن كلثوم « وقد علم القبائل من معد »<sup>(٤)</sup> ،  
 ويدل ذلك على أن « معدا » كانت مؤلفة من قبائل ، وأنها لم تكن قبيلة واحدة . غير أننا  
 نلاحظ ان شعراء الجاهليين القدماء كانوا يستعملون « قد علمت معد »<sup>(٥)</sup> . ويقول  
 علماء اللغة : ان « معدا » « غلب عليه التذكير ، وهو مما لا يقال فيه من بنى فلان ، وما كان  
 على هذه الصورة فالتذكير فيه أغلب . وقد يكون اسما للقبيلة »<sup>(٦)</sup> . ويستتج من هذا  
 أن « معدا » لم تكن في الاصل اسم علم لرجل تنتمي اليه قبيلة معينة ، وانما كانت كلمة  
 عامة تشمل قبائل تشترك في طراز الحياة وان كانت تعتقد أنها ترتبط بعضها ببعض برباط  
 النسب والاصل .

وقد استعمل « حسان بن ثابت » كلمة « معد » في مقابل كلمة « الانصار » ،  
 وذكر أن « الانصار » لها في كل يوم من « معد » قتال أو سباب أو هجاء<sup>(٧)</sup> ، وان  
 « الانصار » نصروا رسول الله على رغم أنف « معد »<sup>(٨)</sup> ، وأورد اسم « معد » في  
 أحد الابيات مع قحطان<sup>(٩)</sup> ، كما قال عن « بنى أسد » انها « تذبذب في معد »<sup>(١٠)</sup> ،

(١) نال أبو ذؤيب :

فان تك أنثى في معد كريمة  
 ديوان الهذليين ، طبعة دار الكتب المصرية (٣٧/١) .

(٢) وقد علم الحى المعدى أننا  
 على ذلك كنا في الخطوب الاوائل  
 الاغانى ، طبعة دار الكتب المصرية (١١٠/١١) .

(٣) قال زهير بن أبى سلمى :

هم خير حى فى معد علمتهم  
 لهم نائل فى قومهم وفضائل  
 ديوان زهير بن أبى سلمى لشعلب ( ص ١٠٦ ) .

(٤) بيت ٩٤ من معقلة عمرو بن كلثوم . Muh. Stud. Vol, I. P. 91.

(٥) Muh. Stud. Vol, I P. 91. (٦) تاج العروس ٥٠٣/٢ .

(٧) ديوان حسان ، طبعة هرشفيلد ( ص ١ ) .

(٨) ديوان حسان ( ص ٥ ، ٦ ، ٢٥ ) .

(٩) فلو سئلت عنه معد بأسرها  
 وقحطان او باقى بقية جرهما

ديوان حسان ( ص ٤٤ ) .

(١٠) ديوان حسان ( ص ٤٧ ) .

فأستخدم كلمة « معد » فني شعره للدلالة على خصوم الأنصار ، كما استخدمها في مقابل قبائل معينة . وخصوم الأنصار هم قریش والمهاجرون . ولما كان هذا الشاعر يعد نفسه من اليمن ، وأن أهل مدينته من أصل يمانى ، فإن من الجائز أن نقول انه عبر عن فكرة « معد » وقحطان في هذا الوقت .

وبينما يستخدم « حسان بن ثابت » كل فنه لهجاء خصوم الأنصار أهل « مكة » ، والدفاع عن أهل المدينة ، والافتخار بقومه على « معد » وعلى « بنى نزار » (١) - نرى أنه لا يسمى خصومه « عدنانيين » ، ولم أجد في ديوانه المطبوع اسم « عدنان » - ، فلم أغفل « حسان » اسم « عدنان » ؟ أليس « عدنان » والد « معد » ؟ ألم يكن من الأجدد ذكر « عدنان » وتقديمه على « معد » ؟ ألم يقسم علماء النسب العرب الى أصلين أصل « قحطاني » وأصل « عدناني » ؟ ألسنا نجد في كتب الأنساب والتاريخ اسم عدنان مقدما على معد وأن قبائل « معد » تعد نفسها « عدنانية » كما أن قبائل « قحطان » تعد نفسها « قحطانية » ؟ لا يعقل بالطبع أن يكون « حسان » قد ترك « عدنان » و « العدنانية » ولجأ الى استخدام « معد » لو لم تكن لفظة « معد » أشهر وأعرف وأكثر استعمالا في أيامه من « عدنان » . وهذا هو ما نلاحظه أيضا في سائر الآثار التي تعود الى الجاهلية وصدر الاسلام .

ويستتج من أقوال علماء اللغة أن لفظة « معد » تعنى الشظف فى العيش ، والغلف فى المعاش والقشف (٢) ، وأنها كانت تعنى حياة بدوية بعيدة عن كل وسائل الحضرة وترف أهل المدر ، وهذا بالنظر لأهل المدن والمستقرين نوع من الخشونة لا يحمده الانسان عليه . وقد وصفت ملابسهم بالخشونة كذلك فميزت عن غيرها ، جاء : « عليكم باللبسة المعدية » أى خشونة اللباس ، وروى : « اخشوشنوا وتمعددوا » (٣) . وبهذا المعنى ورد : « تسمع بالمعدي خير من أن تراه » (٤) . فالظاهر أن كلمة « معد » كانت تعنى ما تعنيه « عريبي » « أريبي » عند الآشوريين ، أى « البدو » و « الأعراب » ،

(١) وكل محارب وبنى نزار تبين فى مشافره الرضاع

ديوان حسان ( ص ٣٦ ) .

(٢) لسان العرب (٤/٤١٤-٤١٥) . الاشتقاق ٢٠/١ ، تاج العروس ٥٠٣/٢ .

(٣) لسان العرب (٤/٤١٤-٤١٥) ، ديوان النابغة مع شرحه للبطلبيوسى ( ص ١٠ )

الأمثال ، طبعة حيدر آباد الدكن ( ص ٢٧ ) . مجمع الأمثال للميدانى (١/١٣٦) .

(٤) تاج العروس ٥٠٣/٢ .



غير أنها خصصت بعد ذلك لقبائل خاصة هي القبائل التي تشب نفسها الى اسماعيل ،  
وأكثرها في مكة وحولها ، ثم تغلبت عليها « العدنانية » في العصر الأموي فما بعده .  
وترى الروايات العربية أن « تهامة » هي موطن العدنانيين ، ومكة من تهامة .  
ولكن ظروف القاهرة أحاطت بالقبائل العدنانية فاضطرتها الى التفرق والهجرة . وكانت  
قضاة بن معد أول من ظعن عن اليمامة بسبب قتال وقع بينها وبين نزار (١) ، فخرجت  
قضاة متفرقين ، ثم أعقب هجرة قضاة هجرات أخرى وقعت بين العدنانيين ، فانتشروا  
في مناطق واسعة من شبه جزيرة العرب حتى وصلوا العراق والشام ، واختلطوا بالقبائل  
الأخرى ، وتفرقوا في كل مكان (٢) .

وولد معد بن عدنان أربعة نفر على رأى بعض الرواة : نزار بن معد ، وقضاة بن  
معد ، وقنص بن معد ، وإياد بن معد (٣) . ومنهم من يخرج قضاة من صلب معد فيضيفها  
الى القحطانيين ، ويضيف ملوك الحيرة - وهم من اليمانيين - الى قنص بن معد (٤) .  
ومنهم من يضيف الى هؤلاء عددا آخر ، منهم عبيد الرماح بن معد ، وقد دخل أبناؤه  
في بني مالك بن كنانة . والضحاك بن معد ، قالوا : انه أغار على بنى اسرائيل (٥) ،  
وقناسة بن معد واخوة آخرون ذكرهم الطبرى ، وهم : سنام ، وحيدان ، وحيدة ،  
وحيدة ، وجنيد ، وجنادة ، والقحم ، والعرف ، وعوف ، وشك (٦) . وزعموا أن  
الإمارة كانت لقنص بعد أبيه على العرب . وأراد اخراج اخيه نزار من الحرم ، فأخرجه أهل مكة

(١) الاغانى ( ١١ / ١٥٤ فما بعدها ) . ابن خلدون ( ٢ / ٢٤٠ ) .

(٢) قال البجلي في تفرق بجيلة :

لقد فرقتم في كل أوب كتفريق الاله بنى معد

البكرى : معجم ( ١ / ٥٧ ) .

(٣) ابن هشام ( ٧ / ١ ) وأكثر النسابين على أن إيادا من نسل نزار بن معد .

(٤) جمهرة ابن حزم ( ص ٨ ) . لسان العرب ( ٨ / ٣٥٢ ) .

(٥) جمهرة ابن حزم ( ص ٨ ) . « بنو قنص بن معد » لسان العرب ( ٨ / ٣٥٢ ) .

ابن خلدون ( ٢ / ٣٠٠ ) .

(٦) الطبرى : الطبعة الأريية ( ١ - ٦٧١ ، ٢ / ١٩٠ ) . « قال هشام بن محمد بن  
السائب الكلبي عن أبيه ، قال : ولد معد بن عدنان نزارا وفي ولده النبوة والثروة  
والخلافة وقنصا وقناسة وسناما والعرف وعوفا وشكا وحيدان وحيدة وعبيد الرماح  
وجنيدا وجنادة والقحم وإيادا وأهمهم معانة بنت جوشم بن جلهمة بن عمرو بن دوة بن  
جرهم وأخوهم لامهم قضاة وبعض القضاعيين وبعض النساب يقول قضاة بن معد وبه  
كان يكنى معد . » الطبقات للواقدي ( ١ / ١ ص ٣٠ ) .

وقدموا عليه نزارا (١) . وهذه الأسماء هي أسماء قبائل معروفة انتشرت في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة .

عك :

ومن أخوة معد ، على رواية الأخباريين وأصحاب الأنساب ، « عك » ، وتقع أرضه في جنوب أرضي معد . وقد زعموا ان « بختصر » لما هاجم حضورا انطلق عك الى بعض ارض اليمن فأستقر بها (٢) واختلط نسب عك باليمنيين . وقد سكن العكيون في تهامة اليمن الى جدة ، ولهذا السبب قال علماء اللغة : ان من معاني عك الحر الشديد (٣) ، وقد جاءهم هذا التفسير على ما أتصور من شدة حر تهامة .

وورد في جغرافية بطليموس اسم شعب من الشعوب العربية قال له « Akkita » ، أو « Achitae » (٤) ، وفي بعض النسخ « Anchitae » (٥) . ويرى بعض العلماء أن هذا الشعب هو عك (٦) ، وخاصة أن المكان الذي كانت تقطن فيه هذه القبيلة التي ذكرها بطليموس ينطبق مع مواضع عك الواردة في الكتب العربية . وقد تصور جماعة من النسابين وجود صلة نسب بين عك والأزد (٧) . والظاهر أن ذلك انما وقع لهم لاختلاط منازل القبيلتين . وزعم بعض الأخباريين أن نسب عك كان في اليمن في الأصل ، ثم انتقل الى معد بعد قتال وقع بين عك وغسان في تهامة تغلبت فيه غسان على عك فأجلتها

(١) ابن خلدون (٢/٣٠٠) .

(٢) تركنا الديث اخوتنا وعكا الى سمران فانطلقوا سراعا

وكانوا من بني عدنان حتى أضاعوا الأمر بينهم فضاعا .

الطبرى (٢/١٩١) ، البكري : معجم ما استعجم (١/٥٣ فما بعدها) .

(٣) « يوم عك الك » أى شديد الحرارة : مجالس ثعلب ( ص ٢٤٨ ) القسم الأول

دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٨ تحقيق عبدالسلام محمد هارون . لسان العرب

(٢/٢٥٣) ، تاج العروس (٧/١٦٣) .

(٥) Forster, Vol. I. P. 89.

(٤) Glaser, Skizze, 2. P. 256.

(٦) Ency. Vol. I. P. 241.

(٧) « فمواطن عك في نواحي زبيد ويقال عك بن الديث بن عدنان ويقال ان عكا هذا

هو ابن عدنان بن عبدالله من بطون الأزد ، ومن عك بن عدنان بنو غافق بن الشاهد بن

علقمة بن عك » . ابن خلدون (٢/٢٩٩) ، ابن حزم (٣٠٩) . « الشاهد » والصحار . تاج

العروس (٧/١٦٣) ، لسان العرب (١٢/٣٥٧) .



عن أوطانها ، فمن ثم انتفت عك من اليمن واتسبت في معد (١) .

نزار :

وهو جد القبائل « النزارية » المنحدرة على رأى النسابين من نزار بن معد من زوجته « معانة بنت جوشم بن جلهمة » ، أو « معانة بنت جهلة » من جرهم (٢) . وهو على رأى النسابين والد أربعة أولاد ، هم : ربيعة ، ومضر ، وأنمار ، وايباد (٣) . وهم أجداد قبائل كبيرة في الوقت نفسه . وقد انتشرت هذه القبائل في أواسط بلاد العرب وشمالها ، وهناك اسطورة رواها المؤرخون والنسايون عن اختصاص كل ولد من أولاد نزار وعن المناطق التي نزلت بها قبائلهم واحتكامهم الى « الأفعى الجرهمي » (٤) أو « أفعى نجران » (٥) . ويقال للنزاريين أيضا « نزارية » و « بنو نزار » و « أبناء نزار » (٦) .

ويرى « ليفي ديلا فيدا Levi Della Vida » في بحث كتبه في « دائرة المعارف الاسلامية » عن « نزار » أن ما ذهب اليه النسايون من وجود أصل « نزارى » لا يستند

(١) وهذه الرواية اليمنية تتمثل في شعر نشوان بن سعيد الحميرى الذى يقول :

الم تر عكا هامة الأزد أصبحت مذبذبة الأنساب بين القبائل  
وعقت أباهما الأزد واستبدلت به أبا لم يلد لها فى القرون الأوائل  
منتخبات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من  
الكلوم لنشوان بن سعيد الحميرى بعناية عظيم الدين أحمد ، ليدن ١٩١٦ (ص ٧٤) .  
قارن ذلك برواية الطبرى (١٩١/٢) .

(٢) تاج العروس (٥٦٣/٣) روض الأنف للسهيلي (٨/١) الطبرى (١٩٠/٢) ،  
الواقدي : الطبقات الكبير (١/١ ص ٣٠) « وكان يقال لمضر الحمراء » ، ولايباد « الشمطاء »  
و « البلقاء » ولربيعة « الفرس » ، ولانمار « الحمار » ، « والتنزير : الانتساب الى نزار  
ابن معد . ويقال : تنزر الرجل اذا تشبه بالنزارية ، أو أدخل نفسه فيهم ٠٠ لسان  
العرب (٥٩/٧) . Wüstenfeld, Geneal. Tab., A. 3. Ency., Vol, 3, P, 939.

(٣) الطبرى (١٨٩/٢) ، ابن خلدون (٣٠٠/٢) ، وزعم الطبرى ان أم ربيعة  
وأنمار « جدآلة بنت وعلان بن جوشم بن جلهمة بن عمرو من جرهم وان ام « مضر »  
« سودة بنت عك » الطبرى (١٩٨/٢) ، وعند بعض المؤرخين أن ايبادا وأنمارا هما من  
ابناء معد وأما نزار فقد كان من عقبه البطنان ربيعه ومضر راجع ابن خلدون (٣٠٠/٢) .

(٤) « حكم الأفعى » المفضل بن سلمة . الفاخر (ص ١٥٥ - ١٥٦) ، الطبرى ،  
( طبعة اوردية ) ( ١١٠٨/١١١٠ ) لقد تأثر بهذه القصة الفيلسوف الافرنسى  
« فولتير » « Voltaire » « فى » « Zadig » . Ency, Vol, 3, P, 940.

(٥) ابن خلدون (٣٠٠/٢) .

(٦) ديوان حسان (ص ٣٦) . Ency. Vol, 3, P. 940. طبقات الشعراء : لمحمد

ابن سلام الجمحي (ص ٥) .

الى علم ، وأن « النزارية » هي فكرة سياسية تبلورت في العصر الأموي ، في وسط ذلك الصراع الحزبي المعروف ، وعلى الأخص ما بعد معركة مرج راهط ، وأنها لا تمثل حقيقة تاريخية ، فهي لاتعني قبيلة معينة ، ولا مجموعة قبائل أصول بعضها متباينة ، ولكنها كانت مع ذلك تجتمع كلها في معشر واحد هو « معد » . ومن رأيه أن هذا الموضوع لم يدرس دراسة كافية ، وأن المواد اللازمة لدراسته غير متوافرة كذلك (١) .

وقد ذهب جماعة من المستشرقين الى أن كلمة « نزار » لم ترد في الشعر الجاهلي المتقدم ، وانها وردت متأخرة جدا بالنسبة الى كلمة « معد » (٢) . وقد أشرت الى أن بعض الكتب « البيزنطيين » مثل « Procopius » و « Nonnosus » قد ذكروا اسم « معد » ، ولكنهم لم يسيروا الى اسم « نزار » ، وذكر « ليفي ديلافيدا » أن أقدم من ذكر اسم « نزار » من الشعراء « بشر بن أبي خازم » (٣) ، من الجاهليين والشاعر « كعب بن زهير » من المخضرمين (٤) ، ويرى أن « بني نزار » الواردة في شعر « حسان بن ثابت » (٥) لا تعني « النزارية » أبناء نزار بن معد بن عدنان على نحو ما يراه النسابون ، بل عنى الشاعر بذلك جماعة أخرى هي من نسل نزار بن معيص بن عامر بن لؤي من قريش (٦) .

وعند « ليفي ديلافيدا » أيضا أن ما ورد في شعر « أمية بن أبي الصلت » من شعر زعم أن هذا الشاعر قائله ، وقد جاء فيه نسبة ثقيف الى نزار (٧) . وما ورد في قصة « الأقرع بن

(١) Ency, Vol, 3,P, 940—941.

(٢) Ency, Vol, 3, P,940. Roberston Smith, Kinship and Marriage in Early

Arabia, P. 5. 283—289. Muh, Stud. Vol 1,P. 78 ff.

(٣) Ency, Vol, 3, P. 940. المفضليات ( ص ٦٦٧ ) .

(٤) صدموا عليا يوم بدر صدمة ذلت لوقعتها جميع نزار

محمد بن سلام الجمحي : طبقات الشعراء ص ٢١ ، تاريخ الطبرى ( طبعة أوربية )  
١١٠٦/١ .

(٥) ديوان حسان بن ثابت ص ٣٦

(٦) Ency, Vol, 3, P. 940 Wüstenfeld, Genea, Tabellen, S. 15.

(٧) Ency, Vol, 3 P. 940 . ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٦٩ وهو من الشعر

المنسوب اليه : U. I. 10

وقد رجع بعض النسابين نسب ثقيف الى « اياذ » ، وبعضهم الى « مضر » ، ونسبهم جماعة آخرون وهم خصوم « ثقيف » وعلى الاخص خصوم « الحجاج بن يوسف » الى « قوم ثمود » ، ووضعت بعض الاحاديث على لسان الرسول في ذم ثقيف ، وضعت =



حابس التميمي ، ، وهي في مصلحة « جرير بن عبدالله البجلي » وقد أشير فيها الى « نزار » قبل الاسلام <sup>(١)</sup> ، لا يمكن أن يبعث الثقة الى النفوس ولا الاطمئنان الى القلوب ، بل يظهر أن ذلك وضع لأغراض واضحة هي الحاق نسب ثقيف بنزار ، وقد كان ذلك موضع جدل في ذلك العهد ؛ واثبات نسب بجيلة ، وهو موضوع كان مثار جدل أيضا <sup>(٢)</sup> .

وعندى أن عدم ورود اسم « نزار » في النصوص « الكلاسيكية » أو في الشعر الجاهلي المتقدم ، ووجود شكوك في بعض الأشعار أو الأخبار التي ورد فيها ذكر « نزار » ، لا مودر معروفة معلومة الغرض منها الحاق انساب بعض القبائل « بنزار » . وما ورد في كتب اللغة من أن « التنزر الانساب الى نزار بن معد ، ويقال تنزر الرجل اذا تشبه بالنزارية او أدخل نفسه فيهم .. » <sup>(٣)</sup> . كل هذا وغيره لا يكفي في اثبات اسم

= نكايه بهم في أيام العباسيين ورويت على لسان ابن عمر ، كما تمتعت ثقيف بسمعة طيبة وبذكر حسن في أيام الحجاج ، ولعل الحاق ثقيف بنزار كان في ذلك العهد راجع اليعقوبى ( ٢٥٨/١ ، ٢٦٠ ) ، ياقوت : معجم البلدان ( ٤٩٦/٣ ) الاغانى ( ٧٤/٤ ) ، عن « أبى رجال » وهو ثقيف وحارب في أيام غزو الاحباش لملكة قيل عنه « عالج من ثمود » الاغانى ( ١٥٩/٥ ، ١٣/٢٠ ) ، انساب الاشراف ( ص ٥٨ ، ٦١ ) راجع الاغانى شعر الأعشى في الحجاج والمختار : ان ثقيفا فيهم الكذابان كذابها الماضى وكذاب ثان

تجد الحديث في صحيح مسلم ( ٢٢٤/٥ ) ، والبغوى مصابيح السنة ( ١٩٣/٢ ) ، ولم يطعن الفرزدق في « ثقيف » مع انه كان من خصوم الحجاج . راجع ديوان الفرزدق طبع « Boucher » ( ص ٤٤ ) Goldziher, Muh, Stud, Bd, I, S, 97—100 Nöldeke, Gesch. der Perser, S, 208 .

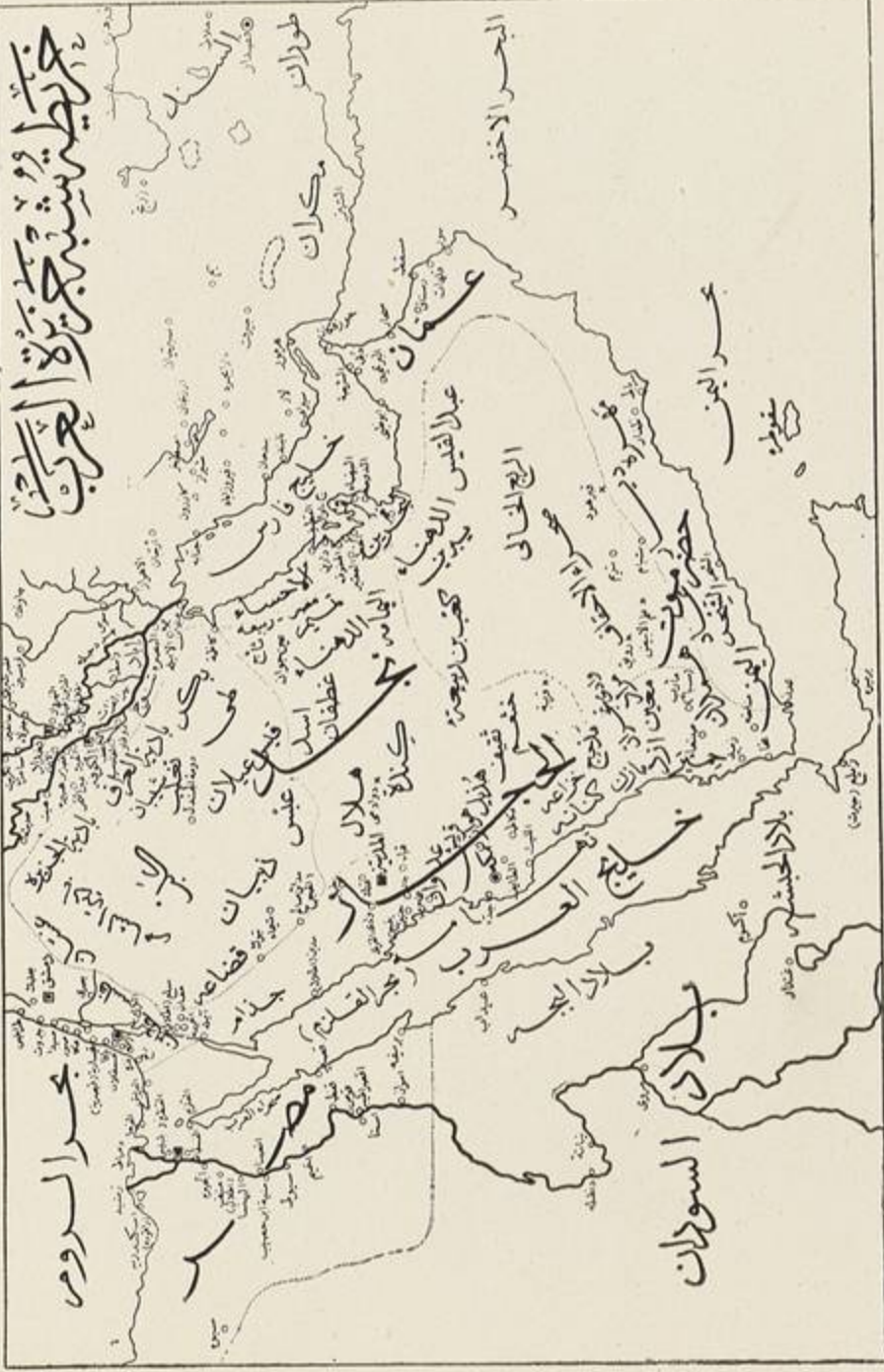
ثقيف قسى بن النبيت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أقصى بن دعوى بن اياد ابن نزار بن معد بن عدنان . ابن هشام ( طبعة الابيارى ) ( ٤٨/١ ) ، وقيل ثقيف قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان . سيرة ابن هشام ( ٤٩/١ ) ( طبعة الابيارى ) .

( ١ ) Ency. Vol, 3 P. 940 ( طبعة بيفان ) ص ١٤٢ ( ص ١٤٢/١٤١ ) « ياابنى نزار انصرا أخاكما » . « فزعمت مضر أن الأقرع بن حابس انما نفر جريرا وبجيلة على خالد بن أرطاة وكتب لانه زعم ان انمارا بن نزار ، وأنه لقرابته بمضر وربيعه أفضل واكثر عددا باخوته من قضاة لان قضاة بن معد وهو عم هؤلاء » . سيرة ابن هشام : طبعة وستنفلد ( ص ٥٠ ) .

( ٣ ) لسان العرب ( ٥٩/٧ ) .

( ٢ ) Ency. Vol, 3.P. 940 .

# خريطة شبه الجزيرة العربية



البحر الاحمر

البحر الابيض

بلاد السودان

البحر البن

حضرة مكة

علا القيس العنبر

البحر الحجازي

نجد

مكة

المدينة المنورة

البحر الاحمر

بلاد السودان

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

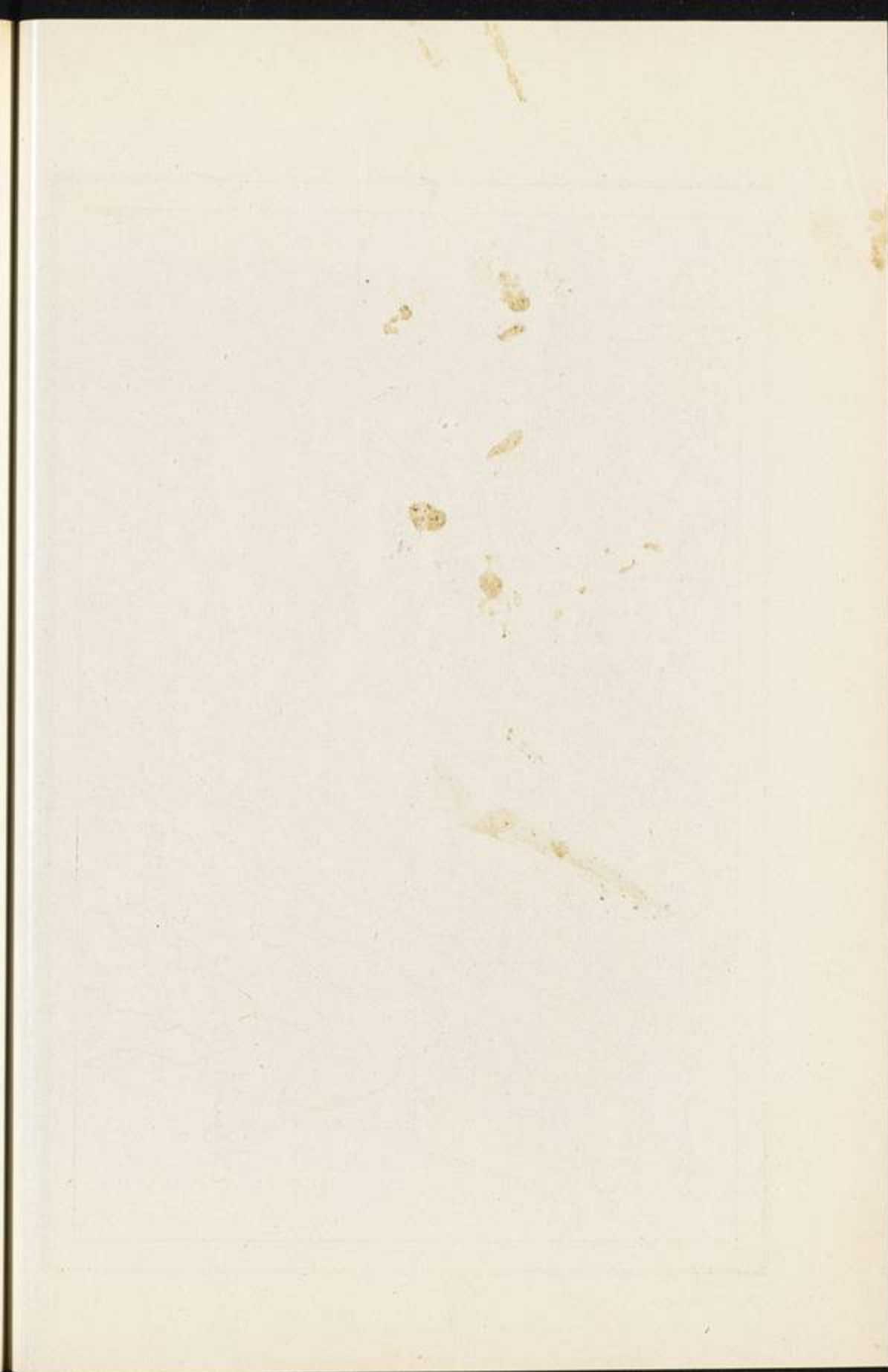
البحر الابيض

البحر البن

البحر الاحمر

البحر الابيض





« نزار » واسم « عدنان » أيضا أو نفيهما في الوقت الحاضر ، مادامت مواد البحث غير مكتملة . ولكن هذا لا ينعني أن أقول ان اسم « نزار » قد ورد في نص جاهلي ، هو نص « امرىء القيس الكندي » الذي مر الحديث عنه في صفحات سابقة ، وقد أشار فيه الى أنه « أسر التاج وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو » أي « حاز التاج وملك الاسدين ونزارا وملوكهم وهزم مذحجا » . ويعود تأريخ هذا النقش الى سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة بعد الميلاد ، فنزار في هذا النص قبيلة ذكرت مع « أسد » لها مشايخ ، وهي نزار التي تبحث عنها الآن . ولكني لا أستطيع أن أدعي بالطبع أنها « نزار » أصحاب الأنساب ، أي أنها من صلب شخص يقال له « نزار بن معد بن عدنان » ، وأنها كانت تمثل عددا كبيرا من القبائل تعتقد هذا الاعتقاد . فهذا في الواقع شيء آخر لم يرد في نصوص الجاهليين . وهذه الأنساب هي من صنع معاصر علماء النسب الذين كانت تنقص معاملهم « خامات » جاهلية على كل حال . وتتألف القبائل النزارية من ربيعة ومضر وايد وأنمار (١) . على رأى من جعل أنمارا ابنا من أبناء نزار . فأما أيداء، فقبيلة كانت مواطنها تهامة الى حدود نجران، ثم انتشرت بسبب حروب وقعت بينها وبين ربيعة ومضر ، فارتحل قسم منها الى العراق ، وانضم قسم آخر الى قضاة وأقام بالبحرين وسكن قسم منها في وادي بيشه وهاجر آخرون الى بلاد الشام (٢) .

وقد تناسل أولاد نزار على زعم الأخباريين ، فأولد كل واحد منهم عددا من الأولاد تكون من ذرياتهم عدد من القبائل ذكرت أسماءها كتب الأنساب والتاريخ ، وسنبحث عنها في الجاهلية القريبة من الاسلام .

#### الدراسات « الأنتروبولوجية » :

لم تدرس النواحي « الأنتروبولوجية » لشبه جزيرة العرب دراسة كافية حتى الآن ، وقد أخذ بعض السياح والعلماء يدون اهتماما بهذه الناحية من البحث في القرن العشرين فأرسلوا بما عثروا عليه من عظام في القبور العادية الى المتخصصين لدراسته ، كما قام بعضهم بدراسة أجسام الأحياء واجراء فحوص عليها وتسجيل قياسات

(١) ابن خلدون (٢/٣٠٠) ، أيام العرب (ص ٤١٣) . ابن حزم « ص ٩ » .

(٢) خلاصة الكلام (ص ٥٨) . Wüstenfeld, Register, Ency, Vol, 2.P.565.



الرؤوس وملامح الأجسام وما الى ذلك مما يتعلق بموضوع « الأجناس البشرية » .  
وإذا قبل العلماء على هذه الدراسة وتوسعوا فيها ، فسيكون لها شأن في تاريخ أجناس  
الشرق الأدنى القديم .

وممن بحث في « انثروبولوجية » الشرق الأدنى « كبرس Ariens Kappers » ،  
وقد وضع مؤلفا قيما في دراسة شعوب الشرق الأدنى<sup>(١)</sup> ؛ و « الدكتور سلكن  
Dr. Seligman »<sup>(٢)</sup> و « شنكلن W. Shanklin » الذي عني بدراسة « أنثروبولوجية »  
سكان شرقي الأردن<sup>(٣)</sup> ، و « A. Mochi »<sup>(٤)</sup> ، و « برترام توماس » الذي  
قام بدراسات علمية عديدة من هذه الناحية لنماذج من افراد القبائل العربية الجنوبية<sup>(٥)</sup> ،  
والبعثة الامريكية التي أرسلها متحف « فيلد » بشيكاغو لدراسة « انثروبولوجية » القبائل  
العراقية النازلة على مقربة من « كيش »<sup>(٦)</sup> ، عدا دراسات أخرى عديدة قام بها  
علماء آخرون .

وقد أجرى أكثر هذه البحوث في مناطق عرفت باتصالها منذ القديم بالعالم  
الخارجي ، فهي لذلك لا يمكن أن تعطينا فكرة علمية عن « انثروبولوجية » العرب ؛ فلابد  
من القيام بدراسات دقيقة في قلب شبه الجزيرة . وقد أظهر هذا الاتصال أثره في دماء  
سكان السواحل . وقد لاحظ الفاحصون وجود تشابه كبير بين جماجم أهل عمان  
وسكنة السواحل الهندية المقابلة لبلاد العرب ، كما لاحظوا تشابها كبيرا في الملامح  
الجسمية بين العرب الجنوبيين وسكان افريقية الشرقية . وقد اتخذ القائلون ان أصل  
العرب الجنوبيين من افريقية هذا التشابه حجة يتدعون بها في اثبات نظرياتهم هذه<sup>(٧)</sup> .

(١) C. U. Ariens Kappers, An Introduction to the Anthropology of the  
near East in Ancient and Recent times, Amsterdam, 1934. P. 73.

(٢) Seligman, The Physical Characters of the Arabs, in Journal of the  
Royal Anthropol. Institute, Vol, 47, 1917. P. 217. The Races of Africa, 1930.

(٣) W. Shanklin. The Anthropology of the Transjordan Arabs, Psychiatrische  
en neurologische bladen, 1934. anniversary book for the Central Institute of  
Brainresearch Amsterdam.

(٤) A. Mochi, Sulla Anthropologia Giuffrida Ruggeri in Crani egiziani  
antichi, ed. Arabo-egiziani, Atti della Soc. Romana d'Anthropol. T. 15, 1915.

(٥) راجع الفصل الذي كتبه (Dr. Wilton Marion Krogman) في كتاب Arabia  
Felix لبرترام توماس (ص ٣٠١)

(٦) Henry Field, The Anthropology of Iraq, Field Museum of Natural History,  
Chicago 1940.

(٧) Arabia Felix, P. 302.

غير أن هذه الفحوص أشارت من جهة أخرى الى حقيقة تخالف النظرية الافريقية ، اذ بينت أن أشكال جماجم العرب الجنوبيين ورؤوسهم هي من النوع الذي يقال له «Brachycephaly»<sup>(١)</sup> . أما أشكال جماجم سكان افريقية الشرقية ورؤوسهم ، فمن النوع الذي يعرف باسم «Dolichocephaly»<sup>(٢)</sup> في الغالب . وهذا التباين لا يشير الى وحدة الأصل . وقد تبين من هذه الفحوص أيضا أن أشكال جماجم العرب الشماليين ورؤوسهم هي من نوع «Dolichocephaly» كذلك ، أي من نوع مشابه لأشكال جماجم الافريقيين الشرقيين ورؤوسهم<sup>(٣)</sup> .

وقد حملت هذه النتائج بعض العلماء على التفكير في آسية في المواطن التي تكثر فيها الرؤوس المستديرة ، فرأوا أن هذا المكان هو من آسية الصغرى الى الأفغان ، فزعموا أن العرب الجنوبيين كانوا في الأصل من هذه الأماكن<sup>(٤)</sup> ، وأن سكان عمان قد تأثروا تأثرا كبيرا بالدماء «ال دراويدنية Dravidian» الهندية ؛ لهذا نجد أنهم يختلفون بعض الاختلاف عن بقية العرب الجنوبيين<sup>(٥)</sup> .

وعلى أن تذكر دائما أن هذه البحوث هي دراسات أولية لم تستكمل الشروط العلمية بعد ، وأنها بحوث فردية أجريت في أماكن اختلطت فيها الأجناس ، وهي قليلة ، فلا يصح الاعتماد عليها ، ولا بد من الانتظار ليحكم المستقبل في مثل هذه المعضلات .

#### الانساب :

كان للنسب شأن خطير في حياة العرب ، وهو أمر ضروري جدا بالنسبة الى النظام الذي كان سائدا يومئذ . وقد تخصص بمعرفة جماعة يقال لهم «النسابون» ، وأحدهم «نسابة» ، ويعرفون أيضا بأصحاب الانساب ، وأصبح عند العرب في الجاهلية علما من العلوم ، وبلغ ذروته في الاسلام ، وقد بدى بتسجيل الانساب وتبويبها في أيام

(١) اصطلاح يطلق في علم «الانترولوجي» على الجماجم التي يبلغ عرضها حوالي «٨٠/٠» أو أكثر من مقدار طول الجمجمة من الأمام الى الخلف . ويقال لهذه الرؤوس رؤوس قصيرة . Ency. Brita. Vol, 3 P. 1003 18. P. 865.

(٢) ويعنى أصحاب الرؤوس الطويلة ، وهي الجماجم التي تكون أبعادها من جانب الى جانب تساوي «٧٥/٠» أو أقل من طول المسافة بين جبهة الجمجمة والمؤخرة . Ency. Brita. Vol, 7. P. 506.

(٣) Dr. C. G. Seligman, The Races of Africa, 1930. Arabia Felix, P. 308.

(٤) Arabia Felix, P. 304. 322.

(٥) Dr. Wilton Marion Krogmann, in Arabia Felix, P. 316.



عمر ، فاستقرت منذ ذلك الحين أنساب القبائل ، اذ دونت في الدواوين وتعينت صلوات القبائل بعضها ببعض ، وانتظمت جميعها في مجموعتين : قحطانية ، وعدنانية . وتتسب القبيلة عادة الى جد ترجع نسبها اليه .

ونجد بين الشعوب السامية تقاربا كبيرا في الرأي بالنسبة الى تصنيف الأنساب ، وما نجده عند النسابين المسلمين من أصول نجده عند العبرانيين كذلك ممثلا خاصة في التوراة ، في أسفار التكوين وفي أسفار أخبار الأيام الأول وغيرها<sup>(١)</sup> .

كان من عادة الشعوب والقبائل القديمة أنها ترجع أنسابها الى آباء واجداد تتخذهم رمزا لها ، تسمى اليهم ، وتتفاخر بهم . ولا يعنى ذلك آباء أو أجدادا حقيقيين عاشوا وماتوا ، فقد يكون اسم الأب أو الجد اسم مدينة أو قرية أو أرض ، وقد يكون اسم صنم ، أو طوطما ، يستوى في ذلك اليونان والرومان والعبرانيون والعرب وغيرهم . وانا لنرى بين الأسماء المذكورة في جدول أنساب التوراة أسماء هي أسماء أمكنة ومواضع تسمت بها تلك الشعوب وجعلتها أباء أو ابنا أو أما وأحيانا بنتا<sup>(٢)</sup> ، كما أننا نجد في كتب الأنساب العربية أسماء آباء قبائل أو أجداد قبائل هي في الواقع أسماء مواضع وأمكنة ، مثل سبأ وغسان وحضرموت وما شابه ذلك من أسماء أصبحت بمرور مئات السنين أسماء رجال أنسلوا وتوالدت أنسالهم وصارت من ذرياتهم قبائل وبطون ، فأولد « مصرايم » مثلا « لودا » في التوراة وأصبح « اللود » ذرية ونسل<sup>(٣)</sup> ، وأولد سلمى « Salma » « بيت لحم »<sup>(٤)</sup> ، وهكذا .

وقد تصبح المحالفات والمؤاخاة ، وهي من العادات المألوفة عند الشعوب السامية ، وكذلك رابطة الجوار نسبا ، وفي التوراة وفي كتب الأنساب العربية أمثلة كثيرة على هذا النوع من الأنساب ، كما أن العلاقات قد تسوء بين قبائل تعد نفسها من نسب واحد ، وقد تنفصم فتفصم بذلك رابطة النسب أيضا ، وتكون رابطة نسب جديدة .

(١) راجع مادة مواليد في قاموس الكتاب المقدس ٤٨٢/٢ و Hastings. P. 286.

Ency. Bibl. P. 1657.

(٢) Hastings. P. 285. Ency. Bibl. P. 1657.

(٣) التكوين : اصحاح ١٠ ، آية ١٣ حزقيال : اصحاح ٢٧ آية ١٠ ، اصحاح ٣٠

آية ٥ . Ency. Bibl. P. 1657.

(٤) أخبار الأيام الأول : الاصحاح الثاني ، آية ٥١ .

ومن العبرانيين انتقل جدول أنساب البشر الى النصارى والى المسلمين . وقد جعلت التوراة بين أبى البشر « آدم » وزوجه « حواء » Eve فى العبرانية « Chawwäh » (١) وبين نوح « Noah » (٢) أبناء ، و « نوح » هو الابن التاسع بعد آدم ؛ وجعلت لنوح ثلاثة أولاد ، هم : سام ، وحام ، ويافث (٣) . ومن هؤلاء تكونت شعوب العالم . فهم على رأى التوراة اما من سام واما من حام واما من يافث . ونجد بين أسماء هذه الشعوب أسماء هى فى صيغة الجمع أو التثنية مثل « مصرايم » Mizraim ، و « لوديم » Ludim ، و « غناميم » Anamim (٤) وأسماء هى فى الواقع أسماء مواضع مثل « ترشيش » Tarshish (٥) و « صيداء » « صيدون » « Zidon » (٦) و « أوفير » Ophir (٧) . وأسماء هى أسماء شعوب مثل « اليوسيين » « Jebusite » (٨) و « العموريين » Amorite (٩) . وقد جعلت بعض الشعوب قريبة من العبرانيين ، وهى الشعوب المنحدرة من صلب ابراهيم .

والذى يعنينا من جدول أنساب الشعوب فى التوراة هو القسم الخاص منه بأبناء سام ؛ لان كتاب العهد القديم أدخلوا فيه أنساب العرب وشعوبها ، على أنهم أدخلوا فرعا من العرب فى جماعة « كوش » و « كوش » هو الابن البكر لحام (١٠) . وقد ذكرت التوراة أبناء « كوش » على هذا الترتيب « سبأ » و « حويلة » و « سبته » و « رعمة » و « سبتكا » وبنو رعمة « شبا » و « ددان » (١١) . والمتعارف عليه بين علماء

(١) وهو الاسم الذى دعا به آدم امراته ، ويظن أنه مشتق من معنى « الحياة » . قاموس الكتاب المقدس ( ٣٩٧/١ ) « Heva. » Hastings P. 247 ff. Ency. Bibl. P. 58 . M. Gottfried Büchner's, Biblische Real und Verbal Hand Concordanz. P. 580.

(٢) نوح « NOAH » « Noach » « راحة » . قاموس الكتاب المقدس ( ٤٣٧/٢ ) Hastings. P. 657.

(٣) التكوين : الاصحاح الخامس ، آية ٢٢ .

(٤) التكوين : اصحاح ١٠ ، آية ١٣ . Hastings. P. 285.

(٥) قاموس الكتاب المقدس ( ٢٨٤/١ ) Hastings. P. 895 .

(٦) Hastings. P. 989. (٧) Hastings. P. 669.

(٨) أخبار الأيام الاول : اصحاح ١١ ، آية ٤ . Hastings. P. 428.

(٩) Hastings. P. 285. (١٠) التكوين : الاصحاح العاشر ، آية ٦ .

(١١) التكوين : الاصحاح العاشر آية ٧ .



التوراة أن المقصود بكوش « الحبشة » والأرضون الواقعة الى جنوب مصر ، وتشمل « نوبيا » والسودان (١) .

وقد ورد في التوراة أن الملك « زارح » « Zareh » ملك « كوش » زحف على « يهوذا » « Judah » في أيام الملك « آسا » « Asa » ، وقد تقابل مع ملك « يهوذا » في وادي « صفاتة » عند « مريشة » (٢) ، فهرب الكوشيون بعد ذلك الى « جرار » (٣) ، فنهب جنود « آسا » كل المدن التي حول « جرار » ؛ « لانها كان فيها نهب كثير ، وضربوا أيضا خيام الماشية ، وساقوا غنما كثيرا وجمالا ، ثم رجعوا الى اورشليم » (٤) . وورد في التوراة أيضا تنبؤ « اشعيا » بخضوع « كوش » للآشوريين (٥) ، كما ورد اسم « كوش » مع « صور » (٦) . وتشعر هذه المواضع أن « كوشا » ليست في افريقية بين مصر السفلى والحبشة ، بل في مكان آخر يجب أن يكون غير بعيد عن العبرانيين ؛ فان « وادي صفاتة » الواقع على مقربة من « مريشة » هو الوادي الذي ينحدر الى بيت « جبرين » على رأى بعض العلماء (٧) . وأما « مريشة » « Mareshah » ، فتقع في المنطقة الجنوبية « ليهوذا » « Judah » ، وقد وصفها المؤرخ اليهودي « يوسفوس » « Josephus » (٨) ، ووجدها « أوسيوس » « جيروم » في القرن الرابع للميلاد خربة (٩) . ويرى جماعة من المتقين أنها عند خربة « المواشي » على بعد ميل ونصف ميل الى جنوب الجنوب الشرقي من « بيت جبرين » (١٠) . وأما « جرار » « Jerar » ، المنطقة التي طرد اليها الكوشيون ، فالظاهر

(١) قاموس الكتاب المقدس ( ٢٧٨/٢ ) Hastings, P. 171. Ency. Bibl. P. 967.

(٢) أخبار الأيام الثاني : الاصحاح الرابع عشر ، آية ٩ .

(٣) أخبار الأيام الثاني : الاصحاح الرابع عشر ، آية ١٣ .

(٤) أخبار الأيام الثاني : الاصحاح الرابع عشر ، آية ١٤ وما بعدها .

(٥) أشعيا ، الاصحاح العشرون : آية ٤ وما بعدها .

(٦) مزامير الزمور السابع والثمانون : آية ٤ .

(٧) قاموس الكتاب المقدس ( ٧/٢ ) Ency. Bibl. 5409.

(٨) Josephus, Ant, XII, viii, 6.

(٩) قاموس الكتاب المقدس ( ٣٢٨/٢ ) Ency. Bibl. P. 1706.

(١٠) قاموس الكتاب المقدس ( ٣٢٨/٢ ) Hastings, P. 578.

أنها « أم الجرار » الواقعة على مسافة ستة أميال من غزة<sup>(١)</sup> في موضع يقال له « جرف الجرار »<sup>(٢)</sup> ، كما أن ماورد في « أخبار الأيام الثاني » عن نهب الغنم والجمال يشير الى أن هذا الموضع في منطقة يكثر فيها الأعراب ، يضاف الى ذلك أن « الكوشيين » لم يكونوا في هذا الوقت أقوياء بحيث تتصور أنهم كانوا قد احتلوا مصر وكونوا فيها حكومة هاجمت العبرانيين ووصلت الى فلسطين<sup>(٣)</sup> .

وإذا أضفنا الى ما تقدم اقتران اسم « صور » و « كوش » في موضع من التوراة<sup>(٤)</sup> ، وصعوبة تصور غزو الآشوريين للكوشيين اذا كانت أرض « كوش » تمتد من جنوب مصر الى الحبشة ، وما ذهب اليه أكثر علماء التوراة من أن أسماء أبناء « كوش » المذكورة في التوراة هي أسماء قبائل عربية . وجب التفكير في منطقة أخرى تقع في شبه جزيرة العرب لا في افريقية . وقد اتجهت أنظار العلماء أخيرا الى هذا الاتجاه ، ولا سيما بعد أن وضع « ونكلر Winckler » نظريته : أن « مصرى Musri » أو « Musr » هي مقاطعة تقع في المناطق الشمالية من شبه جزيرة العرب ، وأن كوش تقع في بلاد العرب أيضا . وقد ورد اسم « مصرى » مع اسم آخر هو « ملوخة Meluhha » ، فرأى كثير منهم أن أرض « كوش » في بلاد العرب<sup>(٥)</sup> ، وقد ورد في النصوص الآشورية كذلك اسم أرض سميت « كوش Kush »<sup>(٦)</sup> . يظن أنها « كوش » المذكورة في التوراة ، وهي في بلاد العرب . ولا يمكن بالطبع أن نتصور أن أرض « كنعان » و « ددان » وسبأ الواردة في سلسلة أبناء « حام » هي في افريقية ، فهي أسماء واضحة معلومة في بلاد العرب ، اللهم الا اذا قلنا أن كتبة العهد العتيق لم يكونوا على علم بمواضع هذه الأماكن ، وهو شيء يصعب قوله ، أو اذا قلنا ان هذه الشعوب كانت قد أنشأت لها مستعمرات في افريقية ، وأن التوراة قصدت هذه المستعمرات . وهذا قول يحتاج أيضا الى تأييد .

(٢) Ency. Bibl. P. 1705.

(١) Hastings. P. 290.

(٣) Hastings. P. 171.

(٤) مزامير المزمور السابع والثمانون : آية ٤ .

(٥) Winckler, Musri Meluhha Ma'in, Ency. Bibl. P. 967. « ملوخة »

(٦) Ency. Bibl., P. 967. E. Schrader, KAT. P. 69. 71. 91. 94. 137. 144.

147. 172. Hastings. P. 171.



وقد ورد في النصوص المعينة اسم موضع هو « مصر » أو « مصران » (١) يرى « ونكلر » أنه « معين المصرية » (٢) . وهذا يشير الى أن مصر في المناطق الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب ، وأن « مصر » هذه هي المقصودة في النصوص الآشورية وفي التوراة ، وأن « برعو » Pir'u لم يقصد به « فرعون » بل ملكا من ملوك « مصر » العربية هو « برعو » أو « الفارع » « فرع » « فرعو » (٣) . وقد أثار هذا الرأي جدلا كبيرا بين علماء التوراة لما يترتب على هذا التفسير من آراء تخالف ماورد ظاهرا في العهد العتيق عن « مصر » وعن خروج العبرانيين منها وعن يوسف وغير ذلك مما ورد في التوراة .

وقد تحدثت عن الفرع العربي اليقطاني ، وذكرت القبائل المتفرعة من صلب « يقطن » . وقد اعترفت التوراة بقراية العبرانيين من « اليقطانيين » فجعلت « يقطان » أخا « لعابر » جد العبرانيين ، وعابر الابن الاكبر والبكر « لشالح » بن « أرفكشاد » بن « سام » (٤) . وذكرت التوراة فرعا آخر له صلة بالعرب هو فرع « قطورة » زوجة « ابراهيم » التي ولدت له أولادا ، هم : زمران ويقشان ومدآن ومديان ويشباق وشوحا . فولد يقشان شبا وددان ، وكان بنو ددان آشوريم ولطوشيم ولأميم ، وبنو مديان عيفة زعفر وخنوك وأبيداع والدعة (٥) . وهذه القبائل هي قبائل عربية : ستة منها من صلب « قطورة » ، والباقي من صلب أولادها . وقد ذكر أن قبيلة عربية كانت تسكن مع جرحم تعرف بقطورة عند « مكة » (٦) ، ويعتقد أن « القطوريين » هم من الشعوب العربية القديمة أو أنهم من بقايا « المعينين » (٧) .

ويلاحظ أن بين أسماء قبائل « قطورة » أسماء وردت في أسماء قبائل « يقطان » وفي أسماء أبناء « كوش » . ويرى « موسل » أن هذا يعني أن « شبا » أو « سبا » و « ددان » كاتتا في هذا العهد على اتصال وثيق بالكوشيين ، أي الاقسام الشرقية من

Winckler, Musri, Meluhha, Ma'in. (٢) Hal. 535. (١)

Winckler, Musri, Melluhha, Ma'in. Ency, Bibl, P. 3165. (٣)

التكوين الاصحاح العاشر آية ٢١ وما بعدها . (٤)

التكوين الاصحاح الخامس والعشرون ، آية ١ وما بعدها . (٥)

Hastings, P. 514. Ency. Bibl, P. 2660 Ritter, Erdkund, 12,19. (٦)

Glaser, Skizze, 2. P. 450. (٧)

أفريقية ، وهى : الصومال والحبشة والسودان ، وكذلك الأقسام الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب وجنوب الشام حيث مواطن أبناء « ابراهيم » « أبرام » ، وأن « سبأ » خاصة كانت ذات نفوذ كبير على « حويلة » ، و « حويلة » على رأيه هى « نجد » (١) .

ان ذكر التوراة لاسم « قطورة » على أنها زوجة ابراهيم ثم ذكر أولادها ، يشير - على ماأرى - الى أن « قطورة » كانت شعبا كبيرا ذا شأن فى شبه جزيرة العرب ، وكان يتألف من مجموع قبائل تعتقد أنها من أصل واحد ، وأن مواطن القطوريين كانت بين قبائل الاسماعيليين التى ترجع أنسابها الى اسماعيل و ابراهيم ، وبين « اليقطنيين » أبناء « يقطان » ؛ لهذا كان لها اتصال وثيق بالمجموعتين ، ويظهر هذا الاتصال فى أسطورة التوراة عن زواج « قطورة » بابراهيم : هذا الزواج الذى هو كناية عن اختلاط القبائل الاسماعيلية بالقطورية ، وتزاوجها بعضها مع بعض ، كما أنه يظهر من جهة أخرى فى ذكر « سبأ » فى مجموعة « يقطان » وفى قبائل « قطورة » . وكان للقطوريين اتصال وثيق آخر « بالكوشيين » سواء أكانوا فى افريقية أم فى شمال غربى شبه جزيرة العرب يرى أثره فى ذكر التوراة « شبا » و « ددان » فى أولاد « كوش » وفى نسل « قطورة » .

ولايجاز التوراة كعادتها فى الحديث عن هذه الشعوب وعن غيرها ، وسكوتها عن يمين مواضعها ، ولعلها هى لم تكن تعرف شيئا آخر أكثر مما ذكرته ووصل إلينا ، لم يتمكن العلماء من تشخيص أكثر هذه الشعوب تشخيصا تاما ، فلا نعرف اليوم شيئا يقينا عن « زمران » « Zimran » . وقد ورد لدى « بلينيوس » اسم قبيلة عربية دعاها « Zamareni » (٢) يظهر أنها كانت تسكن فى داخل شبه الجزيرة (٣) ، كما ورد اسم موضع يقال له « Zabram » يقع غرب « مكة » على ساحل البحر الأحمر (٤) ، غير أننا لانستطيع أن نؤكد أن أحد هذين الموضعين هو « زمران » (٥) . وأما « يقشان » « Jokshan » ، فىرى « كلاسر » أنه موضع « وقشة » ، وهو مكان من السراة فى عسير (٦) . ويرى « أوسيندر » أنه « يقش » فى اليمن (٧) . ورأى بعض العلماء

Pliny, N. H. 6, 32. (Grotius) (٢)

Musil, Hegaz, P. 287 (١)

Ency. Bibl. P. 5419. (٤)

Ency. Bibl. P. 5419. (٣)

Skizze. 2. P. 451. : فى كتابه « عن زمران » (٥)

Glaser, Skizze., 2. P. 453. (٦)

Osiander, in ZDMG, 10 31. Ency, Bibl. P. 2564. (٧)



أنه محرف « يقطان » (١) . وقد ذكر الهمداني اسم قبيلة سماها « بنى وقشة » من قبائل الجنب (٢) .

وأما « مدان Medan » ، فقد ذكر بعد « يقشان » وقبل « مديان » ، وذلك يشير الى أنه وسط بين المكانيين . ويظن أنه « وادي مدان » على مقربة من خرائب « ددان » (٣) . وذهب « أوسيندر » الى أنه اسم صنم من أصنام اليمن عرف باسم « مدان » (٤) . وقد شك بعضهم في وجود شعب بهذا الاسم ، كما ذهب بعضهم الى أنه تصحيف « مدين » « مديان » وأن النساخ قد أخطأوا في الكتابة فظن أنه اسم شعب جديد (٥) . ولم يتمكن « كلاسر » من تشخيص هذه القبيلة أو المكان ، وقال ان من الجائز أن يكون اسم قبيلة صغيرة من قبائل « مدين » ، أو أنه « ودن » في الحجاز ، حرفه العبرانيون فصار عندهم « مدن » أو « مدان » (٦) ، وذكر غيره أن من المحتمل أن يكون موضع « معدن النقرة » هو أحد مواضع الحجاز هو مكان « مدان » وأن العبرانيين حرفوا كلمة « معدن » الى « مدان » ، وهذا في نظري رأى ضعيف (٧) . وورد اسم بطن يقال لهم « بنو المدان » كما ورد ذكر « مدان » في غزوة زيد بن حارثة بنى جذام . ويقال له « فيفاء مدان » (٨) . والأمر ليس صعبا بالنسبة لتعيين « مديان » « Midian » ، فانه « مدين » . وقد ورد ذكر « مدين » و « أصحاب مدين » في مواضع من القرآن (٩) . ويرى « كلاسر » أن أهل مدين والاشماعيليين هم من فرع واحد ، وأن النسابين المتأخرين هم الذين حرفوا بين نسب « مدين » ونسب « الاشماعيليين » ، ويرى أيضا أنهم جماعة من « الهكسوس » وأنهم في الأصل من المعينيين (١٠) ، وقد كانوا من الشعوب العربية القديمة التي بادت في عهد مبكر من عالم الوجود (١١) .

(١) Ency. Bibl., P. 2564. Hasting., P. 490. Montgomery, Arabia and the Bible, P, 44.

(٢) صفة ( ص ١١٦ ) . (٣) Ency. Bibl. P. 3002

(٤) Ency. Bibl. P. 3002. « والمدان صنم ، وبنو المدان بطن » اللسان ٢٨٩/١٧

(٥) Hastings. P. 596. (٦) Glaser, Skizze, 2 S. 453

(٧) Forster, Vol, I, P. 336. (٨) اللسان ٢٨٩/١٧

(٩) الاعراف ٧ ، آية ٨٥ . التوبة ٩ ، آية ٧٠ . هود ١١ ، آية ٨٤ ، ٩٥ . طه ٢٠ آية ٤٠ . الحج ٢٢ آية ٤٤ . القصص ٢٨ آية ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٥ . العنكبوت ٢٩ ، آية ٣٦ .

(١٠) Glaser, Skizze. 2. P. 449.

(١١) Hastings. P. 616. Ency. Bibl. P. 3081.

وفى التوراة أن « المديانيين » كانوا برفقة « الاشماعيليين » لما بيع « يوسف » (١) ، وأن « موسى » نزل عندهم وتزوج فيهم : أخذ ابنة « يثرون » « يثرو Jethro » كاهن « مديان » « مدين » (٢) . وفى موضع آخر أن « يثرون » من « بنى القينى » « Kenite » (٣) ، ويظن أن « بنى القينى » هم فرع من فروع « مديان » « مدين » (٤) ، وقد اتحد المديانيون مع « موآب » ضد اسرائيل (٥) . وفى أيام « جدعون » « Gideon » كان « المديانيون » قد ضايقوا العبرانيين مضايقة شديدة ، وكانوا قد اتفقوا مع « العمالقة » و « بنى المشرق » فتمكن « جدعون » من اخراجهم . وقد ورد فى سفر « القضاة » اسم أميرين من أمراء « المديانيين » ، هما « غراب » « Oreb » ، و « ذئب » « Zeeb » (٦) . وورد فى الاصحاح الثامن من « القضاة » اسم ملكين أو شيخين من « مديان » ، هما : « زبج » « Zebah » ، والآخر « صلمناع » « Zalmunna » (٧) . والظاهر أنه لم يعد للمديانيين شأن منذ هذا العهد ، فلم يرد عنهم شيء يذكر ، ولعلهم ذابوا فى القبائل العربية الأخرى (٨) . ويفهم مما جاء فى « القضاة » أنهم كانوا فرعا من « الاشماعيليين » (٩) . والذى يفهم من مواضع متعددة من أسفار التوراة أن مواطن « المديانيين » كانت تقع شرق العبرانيين (١٠) . والظاهر أنهم توغلوا فى المناطق الجنوبية لفلسطين واتخذوا لهم هناك مواطن جديدة ، عاشوا فيها أمدا طويلا بعد هذا التاريخ حيث يرد ذكرهم فى القرون الوسطى (١١) . وقد ذكر « بطليموس » اسم موضع سماه « Modiana »

(١) « فمر قوم مدينيون تجار فجدبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوه للاشماعيليين بعشرين من الفضة فأتوا بيوسف الى مصر » . التكوين : الاصحاح السابع والثلاثون ، آية ٢٨ .

(٢) الخروج : الاصحاح الثالث ، آية ١ وما بعدها . « وكان موسى يرعى غنم يثرو حيه كاهن مدين فساق الغنم الى ماوراء البرية حتى افضى الى جبل الله حوريب » .

(٣) القضاة : الاصحاح الاول ، آية ١٦ .

(٤) Hastings. P. 616. Ency. Bibl. P. 3080.

(٥) القضاة : الاصحاح السادس ، آية ٢٣ .

(٦) القضاة : الاصحاح السابع ، آية ٢٥ . الاصحاح الثامن : آية ٣ .

(٧) القضاة : الاصحاح الثامن ، آية ٦ وما بعدها .

(٨) Hastings. P. 616.

(٩) القضاة : الاصحاح الثامن ، آية ٢٤ . Ency. Bibl. P. 3081.

(١٠) Ency. Bibl. P. 3081. Hastings. P. 616.

(١١) Ency. Bibl. P. 3081.



على ساحل البحر الأحمر يرى العلماء أنه موضع « مدين »<sup>(١)</sup> ، وهو ينطبق على موضع أرض « مدين » المعروفة في الكتب العربية .

وروى « يوسفوس » أن موسى ذهب إلى مدينة «Madiana»<sup>(٢)</sup> ، ويعني هذا أن مدينة كانت موجودة في القرن الأول للميلاد تعرف باسم «مدين» «Madiana»<sup>(٣)</sup> ، وذكر « بطلميوس » اسم مدينة أخرى سماها «Madiama»<sup>(٤)</sup> . وقد أشار « أوسيبوس Eusebius » إلى مدينة دعاها « مديم Madiam»<sup>(٥)</sup> قال إنها سميت بهذا الاسم نسبة إلى ولد من أولاد « قطورة » زوجة إبراهيم<sup>(٦)</sup> ، وهي تقع في بادية الـ «Saracens» إلى شرق البحر الأحمر . ويرى « موسل » أن «Madiama» أو «Madiam» هي « مدين »<sup>(٧)</sup> .

وقد ورد ذكر « أهل مدين » في القرآن الكريم : ورد على سبيل العظة والتذكير بمصير يشبه مصير « مدين » ، وأشار إلى نبيهم « شعيب » : « وإلى مدين أخاهم شعيباً »<sup>(٨)</sup> . وقد ورد اسمهم في سورة « التوبة » مع قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم<sup>(٩)</sup> ، وورد مثل ذلك في سورة الحج<sup>(١٠)</sup> . ومما جاء في القرآن على لسان شعيب قوله يخاطب أهل مدين : « يا قوم ، اعبدوا الله مالكم من آله غيره ، قد جاءكم بينة من ربكم ، فاقفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين »<sup>(١١)</sup> . وورد في سورة هود ما يشير أيضاً إلى أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان<sup>(١٢)</sup> مما يشير إلى ترهيب أهل

(١) Ency. Bibl. P. 308r. Hastings. P. 616. Ptolemy, VI, 7. 27. Ency., Vol. 3. P. 104.

(٢) Josephus, Archaeologia (Naber), II, 257.

(٣) Musil, Hegaz. P. 278.

(٤) Ptolemy, Geography, VI, 7. 27. Ency, Bibl, 308r

(٥) Eusebius, Onomasticon (Klostermann) P, 124.

(٦) Musil, Hegaz., P.279.

(٧)

(٨) الأعراف ٧ آية ٨٥ .

(٩) « ألم يأتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب

مدين و . . . التوبة ٩ آية ٧٠ .

(١١) الأعراف ٧ آية ٨٥ .

(١٠) الحج ٢٢ آية ٤٤ .

(١٢) هود ١١ آية ٨٤ .

مكة وكانوا تجارا من نقص المكيال والميزان لثلاثيهم ما أصاب قوم شعيب حيث أصابهم الهلاك ، ويظهر من ذكر « الرجفة »<sup>(١)</sup> أن حدثا أرضيا كهزة أو هياج حرة أصابهم ، فآثر فيهم . وهذا ممكن جدا ؛ لأن أرض مدين من مناطق الزلازل والحرار .

ولورود اسم « مدين » وقصة « شعيب » في القرآن الكريم ، عنى المفسرون وأصحاب قصص الأنبياء بجمع ماورد عن أهل مدين وأخيهم شعيب من أخبار ، غير أنهم لم يجدوا في ذاكرة من تقدمهم شيئا ، فاستعانوا بما ورد عند يهود . وقد أضاف الأخباريون الى ذلك شيئا من القصص الشعبي ، وشيئا ابتكروه ، فأصبح « شعيب » « شعيب بن نويت بن رعويل بن مر بن عنقاء بن مدين بن ابراهيم »<sup>(٢)</sup> . وقد ذكر الطبرى وغيره من المفسرين أو المؤرخين أن اسم « شعيب » « يترون » « يثرون »<sup>(٣)</sup> وقد أخذوا ذلك من أهل الكتاب ولا شك ، ففي التوراة أن « موسى » نزل على أهل « مدين » ، بعد هربه من « فرعون » ، وتزوج ابنة كاهن « مدين » « مديان » « يثرون » ، وهى « صفورة » ، فولدت له ولدا دعاه « جرشوم »<sup>(٤)</sup> .

فرأى المفسرون والأخباريون أن « شعيبا » المذكور فى القرآن هو « يثرون » التوراة . ويرى « بول » « Buhl » أن ذلك لم يكن معروفا فى صدر الاسلام ، وانما حدث هذا بعد هذا العهد<sup>(٥)</sup> .

وقد جعل الناس لشعيب قبرا زعموا أنه على مقربة من « حطين » فى موضع سماه « ياقوت » « خيارة »<sup>(٦)</sup> . وقال له « بول » « خربة مدين »<sup>(٧)</sup> .

ذكرت أن « يوسفوس » أشار الى وجود مدينة فى أيامه عرفت « بمدين » ، وقد ذكر من جاء بعده اسم هذه المدينة أيضا . وتحديث الكتب العربية عنها كذلك فورد

(١) العنكبوت ٢٩ آية ٣٦ . (٢) مروج ( ٢٨/١ ) .

(٣) تاريخ الطبرى (١٦٧/١) « شعيب يثرون بن ضيعون بن عنقا بن نابت ابن ابراهيم ، وقيل هو شعيب بن ميكيل من ولد مدين . وقيل لم يكن شعيب من ولد ابراهيم ، وانما هو من ولد بعض من آمن بابراهيم ، وهاجر معه الى الشام . ولكنه ابن بنت لوط ، فجدة شعيب ابنة لوط » ابن الأثير الكامل (٦١/١) .

(٤) خروج : الاصحاح الثانى آية ١٦ وما بعدها .

(٥) Ency. Vol, 4. P. 389. J. Horovitz, Koranische Untersuchungen, Berlin

und Leipzig. 1916. S, 110ff.

(٦) البلدان ( ٢٩٩/٣ ) (٧) Ency, Vol, 4, P, 389.



خبرها في غزوة « زيد بن حارثة » لجذام في حسمى<sup>(١)</sup> . ويظهر من بعض الكتب أنها كانت في صدر الاسلام من مناطق « جذام »<sup>(٢)</sup> ، وأنها كانت أكبر من « تبوك » وبها بُر زعم أنها البئر التي استقى منها موسى<sup>(٣)</sup> . ويظهر من شعر « لكثير عزة » أنه كان في أيامه بمدين جماعة من الرهبان يتبعون ويكون من حذر العقاب<sup>(٤)</sup> .

لم تعين التوراة المناطق التي كان يقيم بها « المديانيون » . والظاهر من بعض آياتها أنهم كانوا قد غيروا مواضعهم مرارا ، وأنهم كانوا على اتصال « بنى قديم » والعمالقة والكوشيين<sup>(٥)</sup> . لذلك لا نستطيع أن نستخلص منها وجود أرض خاصة بشعب « مدين » . ويظهر أن المدينيين استقروا بعد ضعفهم في المنطقة التي ذكر « يوسفوس » وجود مدينة « Madiana » فيها ، أي في القرون الأخيرة قبل الميلاد . ويرى « موسل » أنها تقع في جنوب « وادي العربية » وإلى جنوب وجنوب شرقي « العقبة »<sup>(٦)</sup> .

ويرى « كلاسر » أن « المدينيين » « مديانيين » هم دوحه من « الهكسوس » أو قبيلة من قبائل « المعينيين » . ويستدل على ذلك بوجود اسم قريب من « عيفة » في النصوص العربية الجنوبية . و « عيفة » هو في نظر التوراة ولد من أولاد « مديان »<sup>(٧)</sup> .

ومن الصعب تعيين « يشباق »<sup>(٨)</sup> ابن « قطورة » الذي يلي « مديان » في الترتيب ، فقد رأى بعضهم أنه « يسبق » ، وهو موضع في شمال « سورية » ذكر في كتابات

- (١) سيرة ابن هشام : طبعة وستنفلد ( ١ / ٩٩٤ ) .  
(٢) صفة ( ١٢٩ ) . « ومدين اسم قرية شعيب على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام » . اللسان ٢٨٩ / ١٧ .  
(٣) البلدان ( ٤١٨ / ٨ ) ، راجع أيضا المسالك لابن خردادبة ( طبعة دي غوية ) ١٢٩ ، الاعلاق ابن رسته ، ( طبعة دي غوية ) ص ١٧٧ أحسن التقاسيم ، ( طبعة دي غوية ) ص ١٥٥ ، البلدان اليعقوبي ( طبعة دي غوية ) ٣٤١ . ومعجم ما استعجم ، البكري ( طبعة وستنفلد ) ٥١٦ / ٢ - ٥١٧ .  
(٤) البلدان ( ٤١٨ / ٨ ) .  
(٥) التكوين : الاصحاح الخامس والعشرون آية ٦ . الاصحاح السابع والثلاثون ، آية ٢٥ ، ٢٨ . العدد : الاصحاح الثاني عشر آية ١ ، حبقوق : الاصحاح الثالث آية ٧ .  
(٦) Musil, Hegaz., P. 287. (٧) Glaser, Skizze, 2. P. 449.  
(٨) Hastings, P. 392.

« شلمنصر الثاني » (١) . وقد أيد هذا الرأي « كلاسر » أيضا ، ويرى أن هنالك منطقة ورد اسمها في فتوحات « تغلابيلزر الأول » اسمها « Sukh » أو « شوح » أو « Schukh » ، وهي تقع شرق « حلب » لاتبعد كثيرا عن منطقة « يسبق » « Jasbuk » ، واسم هذه المنطقة قريب جدا من « شوح » الوارد في التوراة ، لذلك يرى أن « يشباق » « شوحا » في منطقة « تدمر » (٢) . ويرى « فورستر » أن « يشباق » هو موضع « الشبك » ، وهو على طريق « السكة الرومانية » الموصلة الى العقبة (٣) .

وقد ذهب أكثر الذين بحثوا في « شوح » الى أن هذا الاسم هو اسم موضع « سوخ » « Sukh » أو « Suhu, Suchu » « سوخو » الذي ورد في نص آخر يعود الى « آشوربنال » « ٨٦٠ قبل الميلاد » (٤) ، ويقع على الجانب الأيمن من نهر الفرات (٥) . وقد نسب أحد أصحاب « أيوب » ، الثلاثة وهو « بلدد » المعروف « بالشوحي » (٦) الى « شوح » ، ويظن كثير من العلماء أنه من قبيلة « شوح » (٧) .

وأظن أن موضع « شوح » ، وكذلك موضع « يشباق » ، يجب أن يكونا قريبا من المنطقة التي تصورتها التوراة لأبناء « قطورة » ، كأن يكونا في موضع لايبعد كثيرا عن شرق فلسطين وأرض « مدين » ، ولايبعد كثيرا عن أرض « كوش » التي ذكرت التوراة في جملتها « شبا وددان » . وقد رأيت أن جماعة من علماء التوراة رأيت أن « بلدد الشوحي » الذي زار مع زميلين له هما « اليفاز التيماني » و « صوفر النعماني » « أيوب » إنما كان من « شوح » . وحيث أن « اليفاز » هو من « تيمان » . وقد رأى العلماء أن « تيمان » تقع الى الجنوب الشرقي من أرض أدوم ، وهي أرض « أبناء الشرق » ، وتبعد مسافة « ١٥ » ميلا عن « البتراء » على رأي بعضهم (٨) ، وأن « صوفر النعماني »

(١) Ency. Bibl. P. 2210. Fr. Delitzch, in Zeitschrift für die Keilschriftforschung und Verwandte Gebiete, 2. 91 f. (1885). W. Smith, A Dictionary of the Bible, Comprising its Antiquities, Biography, Geography, and natural History, 2nd ed Glaser, Skizze, 2, P. 445.

Forster, I.P. 352—353.

(٢) Glaser, Skizze, 2, P. 445—446. (٢)

Ency. Bibl., P. 4495. (٤)

Hastings, P. 852. Ency. Bibl; P. 4495. (٥)

(٦) أيوب : الاصحاح الثاني ، آية ١١ .

(٧) Ency. Bibl; P. 4495. Hastings, P. 852. قاموس الكتاب المقدس ( ١ / ٢٤٥ ) ، P. 852.

(٨) قاموس الكتاب المقدس ( ١ / ١٤٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ) .



هو من « أدوم » (١) أو « تيمان » (٢) ، أو من « نعمة » ، وهي أحد مدن « يهوذا » (٣) ، أو من قبيلة كانت تقطن عند حدود « أدوم » Idumaea (٤) ، وأن « أيوب » من أرض « عوص » • والأرجح أنها شرقي « أدوم » (٥) ، لهذه الأسباب أرى أن أرض « يشباق » و « شوح » يجب أن تكون متجاورة ولا تبعد كثيرا عن شرق وجنوب فلسطين ، ويجب أن تكون متاخمة لأرض « مديان » وهي « مدين » •

#### أولاد يقشان :

وقد نسل يقشان « شبا » و « ددان » • أما « شبا » فيظهر من اقتران اسم « شبا » « بددان » في السفر العاشر من أسفار التكوين أنهما بنو « رعمة » (٦) من « كوش » وفي السفر الخامس والعشرين من التكوين أيضا أنهما شقيقان من نسل « يقشان » (٧) ، على أن التوراة إنما تقصد من ذلك تجاوز الموضعين ، ولا تعني « شبا » هنا مملكة « شبا » ، وإنما تعني أرضا كان يسكنها جماعة من السبئيين ، فالموضع اذن على مقربة من « ددان » أو « العلا » في الحجاز (٨) •

ولم تهب التوراة « لشبا » أولادا ، بل جعلته عقيما • إنما وهبت شقيقه « ددان » عددا من الأولاد هم : « اشوريم » و « لطوشيم » و « لايم » (٩) • أما « اشوريم » « Asshurim » ، فيرى بعض العلماء أنه « أشور » « Ashur » الذي ورد في النصوص المعينية مقرونا مع اسم موضع « عبر نهران Ibr nahran » ، وتقع هذه المنطقة من « طور سيناء » الى « بئر السبع » « Beersheba » و « حبرون » (١٠) ، وتحاذي « مصرى » الواقعة في شبه جزيرة العرب على رأى « ونكلر » (١١) •

(١) قاموس الكتاب المقدس ( ٣١ / ٢ ) • Ency. Bibl; P. 5427.

(٢) Ency. Bibl; P. 5427.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ( ٣١ / ٢ ) • (٤) Hastings, P. 991.

(٥) قاموس الكتاب المقدس ( ١٨٨ / ١ ) • Ency. Bibl P. 5238.

(٦) التكوين : الاصحاح العاشر ، آية ٧ •

(٧) التكوين : الاصحاح الخامس والعشرون ، آية ٢ •

(٨) Glaser, Skizze 2. S, 454.

(٩) التكوين : الاصحاح الخامس والعشرون ، آية ٣ •

(١٠) Ency. Bibl; P. 346. Glaser, 1155. Winckler, AOF. 28 f. ZDMG, 1895.

(١١) P. 527. Winckler, Musri; Heft, 2, P. 51 ff.

(١١) Winckler, Musri, 2, Hefte. Berlin.

ولا نعرف شيئا عن « لوطشيم » و « لأميم » ، ويظن « كلاسر » أنهم من سكنة « طور سيناء » (١) .

وأما « مديان » ، فكان له - على رأى التوراة - عدد من الأولاد ، هم : عيفة وعفر وحنوك وايداع والدعة (٢) . أما « عيفة » ، فقد ورد ذكره فى موضع من التوراة على أنه اسم قبيلة كانت تحمل الذهب واللبان على الجمال من « شبا » وتبعها فى فلسطين (٣) ، ولا نعرف من أمرها شيئا . وأما « عفر » ، فاسم قبيلة يرى « كنبول Knobel » و « ديلج » « Fr. Delitzch » أنها قبيلة « بنو غفار » من « كنانة » (٤) . ورأى آخرون أنه اسم موضع يعرف « بعفر » يقع على مقربة من « الحنكية » بين تهامة وأبان (٥) . ورأى « كلاسر » أنه موضع « Apparü » الذى ورد فى كتابة تعود الى « آشوربنبال » (٦) .

هنالك موضع يعرف « بعفار » و « عفر » قرب « مكة » ، وموضع يعرف « بعفاريات » بنواحي العقيق (٧) ، ومواقع أخرى على مقربة من مدين والأردن وفلسطين هى أقرب الى « عفر » من الموضع الذى تصوره « كلاسر » . وذكر الهمداني اسم موضع « عفار » . وموضع آخر سماه « الحنقة » (٨) واسما هذين الموضعين قريبان من « عفر » « وحنوك » . ويرى بعض العلماء أن « حنوك Hanoch » هو موضع « الحنكية » فى شمال « المدينة » (٩) . وأما « ابيداع » « Abida » ، فيرى « كلاسر » أنه موضع من هذه المواضع الواقعة فى الحجاز (١٠) . وقد ورد اسم فى النصوص السبئية قريب من هذا الاسم (١١) . ولا نعرف كذلك من امر « الدعة Eldaah » شيئا حتى الآن (١٢) .

وقد عرفت الكتب العربية أن « قطورة » هى زوج ابراهيم تزوجها بعد وفاة سارة ، وقد قالوا لها « قطوراء » و « قطورا » كما قالوا لها « قنطوراء » . ونلاحظ أن

(١) Glaser, Skizze. 2. P. 460. Ency, Bibl; P. 2768. Hastings, P. 541.

(٢) التكوين : الاصحاح الخامس والعشرون ، آية ٤ .

(٣) اشعيا : اصحاح ٦٠ ، آية ٦ . Ency. Bibl; P. 1300-1301. Hastings, P. 231 .

(٤) Ency. Bibl P. 1301.

(٥) Ency. Bibl, P, 1301.

(٦) Glaser, Skizze; Vol. 2. P. 449.

(٧) البلدان ( ١٨٧/٦ وما بعدها ) . (٨) صفة ( ص ٢٥٣ ) .

(٩) Glaser, Skizze; 2. P. 449. Ency. Bibl; P,1960.

(١٠) Glaser, Skizze; 2. 449. (١١) Ency. Bibl, P. 14.

(١٢) Ency. Bibl, P. 1255.



أكثر الذين قالوا لها « قطوراء » و « قطورا » ذكروا أولادها على نحو ما جاء في التوراة .  
 وأما الذين قالوا لها « قنطوراء » ، فقد ذكر أكثرهم أنها ولدت أولاداً هم الترك والصين ،  
 ويضيفون اليهم السودان في بعض الأحيان<sup>(١)</sup> . وهو من وضع الأخباريين ، إذ لم يرد  
 اسم الترك والصين في جدول أنساب التوراة ، ولعله من وضع أواخر الدولة  
 الأموية وأوائل الدولة العباسية ، وضع لمحاولة ربط نسب الترك بالعرب عن طريق  
 إبراهيم . ولم ينس أصحاب الملاحم والتنبؤات أن يرووا بعض الأحاديث أدخلوا  
 فيها اسم « بنو قنطوراء »<sup>(٢)</sup> .

ولم تتعرض التوراة لنسب « قطورة »<sup>(٣)</sup> ، ولم تصرح أنها من العرب أو من غيرهم ،  
 ولم تجعل لها اسماً ثانياً . أما الأخباريون ، فقد جعلوا لها والداً كما جعلوا لها اسماً آخر  
 قالوا أنها كانت تعرف به . أما والدها ، فزعموا أنه « يقطن »<sup>(٤)</sup> ، فهو اذن قحطان .  
 وزعموا أيضاً أنه « يكفور » أو « مفلور »<sup>(٥)</sup> . وأما اسمها ، فهو « انموتا » أو  
 « أنمتلى »<sup>(٦)</sup> . وزعم بعض الأخباريين أنها من ولد « افراهم بن أرغو بن فالغ » .  
 وذكروا أيضاً أنها كانت عربية من العرب ، وتكلمت بهذا اللسان العربي المعروف .

وقد ذكر أكثر الأخباريين أسماء أبناء « قطورة » على نحو ما وردت في التوراة .  
 ووردت محرقة ومشوهة عند بعضهم ، أو صحيحة في موضع مشوهة في موضع آخر .  
 وقد ولدت « قطورا » على رأى « ابن اسحاق » ستة نفر : يقسان ، وزمران ، ومديان ،  
 ويسبق ، وسوح ، وبسر . وتزوج يقسان رعوة بنت زمر بن يقطن بن لوزان بن جرهم  
 ابن يقطن بن عابر ، فولدت له البربر . وولد لزمران المزامر الذين لا يعلمون ، وولد  
 لمديان أهل مدين قوم شعيب بن مكائيل النبي<sup>(٧)</sup> . أخذ ابن اسحاق هذا الخبر كما  
 ورد إليه ، ولو راجع التوراة لما وجد فيها ليقشان « زوجا » اسمها « رعوة بنت زمر بن

(١) القاموس ( ١٢٣/٢ ) ، اللسان ( ٤٢٢/٦ ) .

(٢) « يوشك بنو قنطوراء أن يخرجوكم من أرض البصرة . » « إذا كان آخر

الزمان جاء بنو قنطوراء » . اللسان ( ٤٢٢/٦ ) .

(٣) معنى « قطورة » « بخور » قاموس الكتاب المقدس ( ٢٢١/٢ ) . Hastings. P. 514.

(٤) الطبرى ( ١٥٩/١ ) ، الكامل ( ٤٨/١ ) .

(٥) الطبرى ( ١٦٠/١ ) ، الطبقات ( ١/١ ص ٢٢ ) .

(٦) الطبرى ( ١٥٩/١ ) . (٧) الطبرى ( ١٥٩/١ ) .

يقطن « ، ولا أية زوج أخرى . لقد وهبت له التوراة ولدين هما : شبا و ددان ،  
 ووهبت له حفدة من ددان هم : أشوريم ولطوشيم ولأميم<sup>(١)</sup> . ولكنها سكنت عن  
 ذكر اسم زوجه . ولم تهب له ولدا آخر كان من نسله « البربر » . ولعل الأخباريين  
 اخترعوا هذا الولد ترضية « للبربر » الذين كانوا عنصرا مهما في شمال افريقية  
 يخشى منه . فأوجدوا هذا النسب الذي أوصل أسباب نسبهم بقحطان و ابراهيم ، وهو  
 نسب له قيمته في نظر مجتمع ذلك اليوم .

وليس في التوراة ولد « لزمران » يقال له « المزامير » . وأولاده هم « المزامير  
 الذين لا يعلمون » . وهذا التعبير الذي يدل على أن قائله لا يعلم شيئا في هذا الموضوع  
 غريب . و « المزامير » Psalms هي أغان أو تواشيح ترتل على صوت المزمار لتمجيد  
 الله . وتقسم الى خمسة كتب ، يختم كل منها بتسبيحة وتكرر لفظة « أمين » مرتين  
 أضافها جامعو الكتاب لأمؤلفو المزامير<sup>(٢)</sup> . وهي من لفظة « Mizmor » في العبرانية  
 و « Mazmor » في السريانية و « Mazmur » في « الأنثوية » ، وتقابل « الزبور »  
 و « الزبر » التي وردت في القرآن الكريم<sup>(٣)</sup> . وقد ذكر « ابن النديم » على  
 لسان أحمد بن عبدالله بن سلام من مترجمي التوراة والانجيل . أن المزامير  
 هي « الزبور » وهي خمسون ومئة مزمور<sup>(٤)</sup> . وقد ذكر بعض  
 المؤرخين أسماء أبناء « قنطوراء بنت مفلور »<sup>(٥)</sup> ، على هذا الشكل : مدن ومدين  
 ويقسان وزمران ويسبق وسوح<sup>(٦)</sup> ، أو مدن ومدين ويقشان وزمران وأسبق  
 و شوخ<sup>(٧)</sup> . وجاء أن أبناء « يقشان » لحقوا بمكة وأقام أبناء « مدن » و « مدين »

(١) التكوين : الاصحاح الخامس والعشرون آية ٣ . أخبار الايام الاول : الاصحاح  
 الاول ، آية ٣٢ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ( ١/٥١٣ وما بعدها ) . Hastings, P. 769.

(٣) الاسراء : ١٧ ، الآية ٥٥ ، آل عمران ٣ ، الآية ١٨٤ ، النحل ١٦ ، الآية ٤٤ ،

الشعراء ٢٦ الآية ١٩٦ ، فاطر ٢٥ الآية ٢٥ ، انقمر ٥٤ الآية ٤٣ ، ٥٢ .

(٤) الفهرست ( ص ٣٤ ) .

(٥) القاموس ( ٢/١٢٣ ) ، اللسان ( ٦/٤٢٢ ) .

(٦) الطبرى ( ١/١٦٠ ) . (٧) الطبقات ( ١/١ ص ٢٢ ) .



بأرض « مدين » (١) . وزعم الأخباريون أن ابراهيم تزوج بزوجة عربية أخرى هي : حجور بنت أهرير ، وقد نسلت منه خمسة بنين هم : كيسان وشورخ وأمير ولوطان ونافس (٢) . وليس في التوراة لابراهيم زوج عربية اسمها « حجور بنت أهرير » وليس فيها هؤلاء الأبناء . وقد عرفت أسماء بعضهم سوى أسماء سماها الأخباريون أسماء أولاد ابراهيم من هذه الزوج التي تفضلوا بها عليه .

وليس في التوراة ذكر لهذه الزوج التي تفضل بها الأخباريون على ابراهيم ، وليس فيها أيضا هؤلاء الأولاد الذين تفضل بهم الأخباريون على ابراهيم . والظاهر أنهم أخذوها من هنا وهناك ، فأضافوها الى ابراهيم ، فلوطنان « Lotan » في التوراة هو بكر سعي الحورى ورئيس عشيرته في أرض أدوم (٣) وأعتقد أنهم أرادوا « بلوطان » « لوطا » « Lot » ابن « هاران » « Haran » شقيق ابراهيم « ابرام » (٤) ، فهو ابن أخى « ابراهيم » لا ابن ابراهيم .

وأما « نافس » ، فهو - على ما أرى - « نافيش » ابن اسماعيل بن ابراهيم (٥) . وقد تصور الأخباريون أنه ابن ابراهيم ، وإنما هو حفيده . وأما « أميم » ، فمن الجائز أنهم قصدوا « لاميم » ابن « ددان » وشقيق « لوطوشيم » . وقد تحدثت عنه ، فمن الجائز أيضا أن يكون « لوطان » تحريفا « للوطوشيم » . و « شورخ » تحريف « آشوريم » ، و « كيسان » تحريف « يقشان » .

والخلاصة ان العرب - على رأى التوراة - هم من نسل سام بن نوح ، وقد انتقل هذا الرأى منها الى الأخباريين فقالوا به . وقد ولد سام بن نوح من الأولاد : عيلام

(١) الطبرى ( ١٦٠/١ ) .

(٢) الطبرى ( ١٦٠/١ ) « حجور ابنة أمير » الكامل ( ٤٨/١ ) « تزوج ابراهيم امرأة من الكنعانيين يقال لها قنطورا ، فولدت له أربعة نفر ماذى وزمران وسرحج وسبق . قال : وتزوج امرأة اخرى يقال لها حجورى ، فولدت له سبعة نفر نافس

ومدين وكيشان وشورخ وأميم ولوط ويقشان » . الطبقات ( ١/١ ص ٢٢ ) .

(٣) التكوين : الاصحاح السادس والثلاثون ، الآية ٢٠ و ٢٢ ، ٢٩ ، أخبار الأيام

الأول : الاصحاح الأول ، آية ٣٨ ، ٣٩ .

(٤) التكوين : الاصحاح الحادى عشر ، آية ٣١ ، ٣٢ .

(٥) التكوين : الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ١٥ ، وأخبار الأيام الأول :

الاصحاح الأول ، آية ٣١ .

وأشور وأرفكشاد ولود وأرام . ومن أرفكشاد ولود وأرام تفرع العرب على رأى الأخباريين . أما « أرفكشاد » ، وهو « أرفخشذ » فى الكتب العربية ، فقد ولد ولدا قيل له فى التوراة « شالح » ، ويعرف فى الكتب العربية « بشالغ » . وولد « لشالغ » « عابر » ، وولد لعابر ابنان هما : « فالج » ويعرف فى الكتب العربية « بفالغ » وهو الابن البكر ، و « يقطان » وهو الابن الثانى والجد الذى أولد « ١٣ » ولدا تحدثنا عنهم ، وقد اتخذهم النسابون الجد الأكبر للقحطانيين .

وأما « فالج » « Peleg » ، فقد كان له ولد يقال له « رعو » « Re'u » وفى الكتب العربية « أرغو » ، وهو والد « سروج » « Serug » « ساروغ » . وقد ترك « سروج » له ولدا هو « ناحور » « Nahor » و « ناحور » هو جد « ابراهيم » ووالد « تارح » « Terah » وقد ترك « تارح » له من الأولاد ثلاثة أولاد ، هم : « ابرام » وهو « ابراهيم » و « ناحور » و « هاران » .

أما ابراهيم ، فقد كان ابنه البكر من جاريته « هاجر » وهذا الابن هو « اشماعيل » اسماعيل الذى ترك له اثنى عشر ولدا تحدث عنهم ، وهو جد « العدنانيين » فى نظر الأخباريين . وكان له « اسحاق » من زوجه « سارة » ، ومنها جاء « العبرانيون » . وكان له ستة أولاد من زوجه « قطورة » تحدث عنهم .

وأما « لود » ، وهو « لاوذ » عند الأخباريين ، فقد أوجد الأخباريون له أولادا هم : « عمليق » وهو أبو « العمالقة » و « طسم » و « أميم » (١) ، ولم تذكر التوراة كما سبق أن ذكرت له ولدا ، ولا يزال علماء « الكتاب المقدس » لا يعرفون من أمره شيئا ، فذهب بعضهم الى أنه كناية عن « اللوديين » الذين ذكروا مع « كوش » و « فوط » ، ويعنون بذلك شعبا من الشعوب الأفريقية (٢) . لذلك لانعرف كيف أنعم الأخباريون عليه بولد جعلوهم فى الطبقة الأولى من العرب : أكان ذلك من عندهم أم ورد ذلك اليهم من الشروح والتفاسير التى كانت فى أيدي يهود شبه جزيرة العرب ، أو هو من وضع أولئك اليهود ؟ .

أما « أرام » أو « ارم » و « آرام » كما يقال له فى الكتب العربية ، فكان له

(١) الطبرى ( ١٠٥/١ ) ، الكامل ( ٣١/١ ) و « جديس » فى روايات أخرى الطبرى ( ١٠٤/١ ) .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ( ٣٠٠/٢ ) .



ولد • هم: عوص وحول وجائر وماش<sup>(١)</sup> • وقد ذكر الأخباريون أن لعوص ولدا منهم « عاد » وعييل<sup>(٢)</sup> • ولم تجعل له « التوراة » ولدا ، ولا يزال العلماء يختلفون في موضع أرض عوص • ولا ندرى كذلك كيف وضع الأخباريون عادا وعيلا في نسل « عوص » • ولعل أهل الكتاب هم الذين أشاروا عليهم بهذا الرأي • وقد كان على الأخباريين ادخال « نمود » في هذا النسب كذلك قياسا على الحاقهم في أخبارهم نمودا بعد عاد • ولكنهم لم يأخذوا به ، بل وضعوا نمودا في نسل « كاتر » ابن « ارم »<sup>(٣)</sup> أي « جائر » التوراة ، ويضيفون اليهم أحيانا طلسما وجديسا على أنهما ابنا « كاتر » •

ومن أولاد « لاوذ » وولدى « ارم » وهما « عوص » و « كاتر » أو « غائر » كون الأخباريون طبقة من طبقات العرب • وقد رأينا أن هنالك ثلاث طبقات أخرى هي طبقة اليقطانيين أي « القحطانيين » ، وطبقة « الاشماعليين » أي « العدنانيين » ، وطبقة « القطوريين » أبناء « قطورة » أي « قطوراء » • فيكون للعرب اذن أربع طبقات أقدمها طبقة أبناء « لاوذ » و « ارم » ، تليها طبقة « اليقطانيين » فالاشماعليين فالقطوريين • وذلك بحسب هذه النظرية الواردة في التوراة • وقد كان على الأخباريين تقديم أبناء « لاوذ » على أبناء « عوص » و « غائر » ؛ لأن « لاوذ » هو ابن سام فهم اذن حفدة « سام » • وأما « عاد » و « نمود » ، فهم أبناء حفدة سام ، فلا حق لهم في التقدم على الحفدة • ولكن أهل الأخبار والانساب غضوا النظر عن هذا الحق الطبيعي المكتسب ، وقدموا عادا ونمودا على أبناء « لاوذ » في البحث •

ولم يكن لهذه الطبقة عند ظهور الاسلام وتثبيت الأنساب بقية تدافع عن نسبها وحقوقها ، لذلك عدها النسابون طبقة بائدة ، وقالوا لها الغرب الأولى • أما أبناء « يقطان » ، فقد كانت لهم بقية باقية قوية كثيرة العدد ، كانت لها عصية • فقد كانت هذه البقية من « سبأ » ، و « سبأ » من يقطان ؛ لذلك تمسكت بأهدابه ، وجعلته جدها المحظوظ • وقد كان لليهودية والنصرانية اللتين ثبتتا أقدامهما في اليمن قبل الاسلام أثر كبير في ظهور هذا الجذ ، واختصاصه باليمن • مع أنه لاوجود له

(١) التكوين : الاصحاح العاشر ، آية ٢٣ •

(٢) الطبرى ( ١٠٥/١ ) •

(٣) الطبرى ( ١٠٥/١ ، ١١٥ ) خلاصة ( ص ٤٣ ) •

عند اليمانيين في الكتابات الجاهلية . والظاهر أن اليهود الذين عاشوا بين العرب لم يرتاحوا من هذا النسب الذي أشاعوه هم في الأصل بين اليمانيين . فكان سببا لتمسك اليمانيين به ، وعد أنفسهم من حفدة ذلك الجد « يقطان » الذي هو أقدم عهدا من ابراهيم جد الاسماعيليين والعبرانيين على السواء . أليسوا هم من « سبأ » و « سبأ » « شبأ » ولد من أولاد « يقطان » . ؟ لذلك كان الحقد يدفع نسابي يهود العرب على نكران هذا النسب وعد « سبأ » الذي يتبجح به اليمانون « سبأ » آخر هو من ولد « كوش » أى الأجباش والزنوج لا من « شبأ » ابن « يقطان » (١) . وصادفت هذه الدعوى بالطبع هوى في نفوس حزب آخر عرف بعذائه لليمن ولقبائل اليمن هو حزب العدنانيين .

لقد تمسك أهل اليمن ومن انتسب اليهم على كل حال بأهداب « قحطان » وأصروا على أنه هو جدهم الحقيقي ، وأنهم ظهروا من صلبه ، وجل النساين منهم ، فكان لابد من تقديم طبقتهم على الطبقة الأخرى التي كانت تليهم في القدم ، وكانت تنافسهم منافسة شديدة ، وأعنى بها طبقة أهل مكة خاصة والقبائل التي كانت تنسب اليها وكانت بسبب العداء السياسى والاقتصادى الذى ظهر فى الجاهلية القريبة من الاسلام بينها من جهة وبين يثرب وأهل اليمن من جهة أخرى قد احتكرت هى أيضا « اسماعيل » وعدته أباهما خاصة ، وجدها ابراهيم لا يشاركهم فيها خصومهم اليمانون . فانحصر النزاع بهذا فى الاسلام فى طبقتين : طبقة قحطان ، وطبقة أهل مكة أبناء اسماعيل وشعارها « عدنان » .

ومن حق « قحطان » بحسب نظرية القدم هذه أن يتقدم أبناؤه على أبناء عدنان . وقد قدمهم نسابوهم بالفعل على الطبقة الثانية التي نعتوها بأنها « مستعربة » ، وأن العربية لم تكن عندها أصيلة ، وروجت دعائيتهم هذه الدعوى وثبتها حتى فى كتب نسابي العدنانيين .

وأما الطبقة الرابعة ، وهم أبناء « قطورة » ، فلم يكن لهم من يدافع عنهم أيام أخذ الناس بتدوين الأنساب وتثبيتها فى الدواوين . وقد رأيت أن كتبة التوراة أنفسهم كانوا فى حيرة من أمرهم ، فطبيعى أن يرث الأخباريون هذه الحيرة وأن يسقطوا

(١) ابن خلدون ( ٤٦/٢ ) .



اسمهم من الحساب • والظاهر أنهم كانوا ضعافا حتى فى أيام تدوين الأنساب فى التوراة • لذلك ذكروا فيها على أنهم ستة قبائل بينما ذكر « اليقطانيون » على أنهم أصحاب ثلاثة عشر قبيلة والاسماعيليون اثنى عشر قبيلة أى الضعف • ولهذا السبب - على ما أرى - نظر كتبة الأسفار التى دونت الأنساب اليهم نظرة لانتهم الى الخوف منهم أو التقدير ، فجعلت أهمهم « سرية » لابراهيم •

لقد اعترفت التوراة بوجود وشائج قريبي بين العرب والعبرانيين ، واعترفت ضمنا بأن اليقطانيين أقدم منهم عهدا ، وأن الاسماعيليين أقدم عهدا منهم كذلك ، ولكنهم شاؤوا أن يجعلوا اسماعيل ابن جارية مصرية ، فنسله أبناء جارية • وهم أبناء زوج حرة ، والصفوة المختارة ، على عادتهم فى تقديم أنفسهم على جميع شعوب العالم • والظاهر أنهم فعلوا ذلك نكاية بالاسماعيليين الذين صاروا أخيرا من ألد أعداء اليهود ، وأعتقد أن العلاقات لو كانت سيئة منذ أول التقاء الاسماعيليين بالعبرانيين لما جعلوهم من صلب اسماعيل ، ومن يدري فلعلهم كانوا ينقلونهم الى قائمة أبناء « كوش » كما فعلوا بنسب الكنعانيين •

#### القحطانية والعدنانية :

استعملت فى الكتب العربية « يمن » مقابل « معد »<sup>(١)</sup> ، وورد فى كتاب « تاريخ الحروب » « لبروكوبيوس Procopius المتوفى سنة « ٥٦٥ م » ذكر قبيلة من قبائل « السركينوى » « Sarakenoi » سماها « Maddeni » ، وأشار الى أنها كانت خاضعة لحكم « Homeritae » وأن « يوسطنيانوس » « جستيناس »<sup>(٢)</sup> « ٥٢٧-٥٦٥ م » أرسل رسولا الى ملك « Homeritae » ليتوسل اليه بالانضمام الى الروم وبالموافقة على تعيين شيخ اسمه « Caisus » على « Maddeni » وتأليف جيش مشترك من « هوميريته » و « مدينى » لمهاجمة الفرس وشن الغارات على حدودهم • وقد نصب « Caisus » ملكا على « مدينى » ، فرجع الرسول ليخبر القيصر ، غير أن الملكين لم يغزوا أرضى الفرس<sup>(٣)</sup> •

وقصد « بروكوبيوس » بـ « Maddeni » « معدا » و بـ « Homeritae » « حميرا » ، ويعنى

(١) اللسان ٧٧/٢ •

(٢) « يوسطنيانوس » الطبرى - الطبعة الاوربية - (١/٧٤٣ - ٧٤٤ ) •

(٣) Procopius , History of the wars, P. 181 (H.B. Dewing) .

بذلك « اليمن » • وكانت معد - كما يظهر من قوله - خاضعة لنفوذ « حمير » ، غير أنها استقلت عنها • ويظهر أن ذلك حدث قبيل هجوم الأحباش على اليمن واستيلائهم عليها حيث لم يعد لحمير بعد ذلك نفوذ ما في الشمال • و « Caisus » الذي نصب ملكا على « معد » هو « قيس » ، وكان صاحب كفايات ، شجاعا محاربا ، وكان قد قتل أحد أقرباء ملك « Homeritae » وهو « Esimiphaeus » « السميغ أشوع » الذي نصبه النجاشي ملكا على اليمن • والظاهر أن وساطة القيصر لدى « السميغ » إنما كانت لإصلاح ذات البين ، ولتسوية ذلك الحادث • وقد تم على ما يظهر ، وتلقب « قيس » - وهو من أسرة نوارثت المشيخة - بلقب « ملك » • ولا أستبعد أن يكون « قيس » هنا هو « قيس » الذي تفاخر به « القيسيون » واتخذوه جدا يتسبون إليه •

وقد ذكر « بروكوبيوس » أن « معدا » هم جماعة من « السرسين » ، مثل جماعات أخرى كانت في فلسطين وفي جنوب موطن « معد » • وهذا مما يشير بوضوح إلى أن « معدا » لم تكن تعنى في أيام هذا الكاتب الذي توفي في وقت ليس بعيد عن ميلاد الرسول وظهور الاسلام هذا المعنى الذي نجده في الكتب الاسلامية • وكل ما في الأمر أنها قبيلة أو مجموعة قبائل كانت تسمى بمعد ، وأنها كانت خاضعة لحمير أي اليمن ، ثم استقلت عنها •

وقبيل ظهور الاسلام كان بين « يثرب » أي « المدينة » وبين « مكة » نزاع شديد • ولما هاجر الرسول إلى « يثرب » ، عرف أصحابه الذين تبعوه « بالمهاجرين » • وقد دامت الهجرة إلى عام الفتح « فتح مكة » (١) • وأما أهل المدينة الذين آووا الرسول ونصروه ، فهم « الأنصار » • وللقضاء على الخصومة ، آخى الرسول بين الأنصار والمهاجرين • غير أن العداء عاد فتجدد بين الأنصار والمهاجرين ، بعد وفاة الرسول ، ويمثل هذا العداء في شعر حسان بن ثابت والنعمان بن بشير (٢) والطرماح بن حكيم ، وهم شعراء « يثرب » والسنتها ، وفي الأشعار الأخرى التي جمعت في دواوين الأنصار (٣) •

- (١) اللسان (١١١/٧) « فلما فتحت مكة صارت دار سلام كالمدينة وانقطعت الهجرة • وفي الحديث : لاهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » •  
 (٢) الاغانى (١٤٢/١٣ ، ١١٤/١٤ وما بعدها ) •  
 (٣) الاغانى ( ١١٧/٢٠ ) « كان نهيك بن أساف يهاجى أبا الحضراء الأشهلى في الجاهلية ، وأشعارهم موجودة في أشعار الأنصار » •



و « الأنصار » صفة غلبت على أهل المدينة وجرت مجرى الأسماء وصارت كأنها اسم الحي<sup>(١)</sup> ، كما غلبت كلمة « المهاجرين » ، وهي صفة على مكة جرت عليها مجرى الأسماء . وقد اصطبلت دعوة الأنصار بصيغة يمانية ، فوجد في شعرهم فخرا باليمن ، واعتزازا بأصلهم اليماني ، ومجاهرة بأنهم يمانون صرحاء وبأنهم من أقرباء العساسنة ومن ذوى رحمهم . وقد استخدم شعراؤهم كلمة « الأنصار » مقابل « معد » ، أى أنها قامت مقام « يمن »<sup>(٢)</sup> . كما استخدموا تلك الكلمة مقابل « مضر »<sup>(٣)</sup> ومقابل « نزار »<sup>(٤)</sup> ، وأطلقوا على لسانهم « حسان بن ثابت » شاعر الأنصار ، وشاعر اليمن وشاعر أهل القرى<sup>(٥)</sup> . ويدل هذا الاستعمال بالطبع على أن هذه الكلمات تؤدى معنى واحدا ، وأن الأنصار جميعهم من أصل يمانى . وأن أهل القرى كانوا من اليمن أيضا ، كما استعملت كلمة « الأنصار » مقابل « قریش »<sup>(٦)</sup> .

ولم يكن الأنصار بالطبع من قبيلة واحدة ، ومع ذلك فقد أصبحوا وكأنهم من قبيلة واحدة تربط بينهم عصبية شديدة كادت تكون نسا ، وعرفت وفودهم التي كانت تند على الحلفاء بوفود الأنصار<sup>(٧)</sup> ، أو « الأنصار » . وقد قال عمرو بن العاص لمعاوية حين قال له حاجبه « الأنصار بالباب » : « ما هذا اللقب الذى قد جعلوه نسا ؟ أرددهم الى نسا » . فقال له

(١) اللسان ( ٦٦/٧ ) .

هم الأنصار عرضتها للقاء  
قتال أو سباب أو هجاء  
ونضرب حين تختلط الدماء

(٢) وقال الله قد يسرت جندا  
نسا فى كل يوم من معد  
فنهكهم بالقوافى من هجانا

ديوان حسان ( طبعة هرشفلد ) ص ١ .

على أنف راض من معد وراغم

نصرنا وآوينا النبي محمدا

ديوان حسان ( ص ٢٥ ) .

اذ حزبت بظر أشياعها مضر

(٣) ونحن جندك يوم النغف من أحد

ديوان حسان ( ص ٥٧ ) .

(٤) Muh . Stud . Vol , I,P.94. ZDMG. XVIII. P.239

(٥) مجالس ثعلب . القسم الثانى تحقيق عبد السلام محمد هارون سنة ١٩٤٩

( ص ٤٢٩ ) .

(٦) ذهب قريش بالكارم والعلا واللوم تحت عمائم الأنصار

الأغاني ( ١٤٢/١٣ ) .

(٧) الأغاني ( ١٤٢/١٣ ) « وفد الأنصار » .

معاوية: « ان علينا في ذلك شناعة » . قال : « وما في ذلك ؟ انما هي كلمة مكان كلمة ولا مرد لها » . فقال معاوية لحاجبه : « أخرج ، فناد : من كان بالباب من ولد عمرو بن عامر ، فليدخل » . فخرج فنادى بذلك ، فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار ، فقال له : « أخرج ، فناد : من هنا من الأوس والخزرج ، فليدخل » ، فخرج فنادى ذلك ، فوثب النعمان بن بشير فأشأ يقول :

ياسعد ، لاتعد الدعاء ، فما لنا  
نسب تخيرم الآله لقومنا  
ان الذين ثوروا ببدر منكم  
نسب نجيب به سوى الأنصار  
أثقل به نسبا الى الكفار  
يوم القليب هم وقود النار

وقام مغضبا . فبعث معاوية ، فرده ، وترضاه وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من « الأنصار »<sup>(١)</sup> . وكان النعمان بن بشير حامل لواء الأنصار قد غضب في مجلس من مجالسه مع معاوية ، ولاحظ معاوية عليه الغضب فضاخكه طويلا ، ثم قال له : « ان قوما أولهم غسان ، وآخرهم الأنصار ، لكرام »<sup>(٢)</sup> .

افتخر « الأنصار » بيمين ، فافتخر المكيون عليهم بمعد وبقريش وبالنبوة وبأن الرسول منهم . وقد أجابهم الأنصار بأن أم الرسول من بنى النجار أخوال النبي ، وهم من المدينة ، وبأنهم كانوا أول من آمن به ، وبأن المنتبين كانوا من قبائل معد<sup>(٣)</sup> . ويلاحظ أن هل مكة أو الأنصار لم يستخدموا كلمة « المهاجرين » كثيرا في مقابل « الأنصار » ، ولم تستعمل في الحياة العامة استعمال هذه الكلمة ، مع أنها وضعت في الاصل في مقابل « المهاجرين »<sup>(٤)</sup> . بل استعملت « الأنصار » في الأكثر في مقابل قريش<sup>(٥)</sup> ، كما استعملت « قريش » في مقابل « يمين »<sup>(٦)</sup> .

عرف نزاع « يثرب » و « مكة » بنزاع « الأنصار » و « المهاجرين » ، وعرف بنزاع « الأنصار » و « قريش » أو « الانصار » و « معد » أو « الأنصار » و « نزار » . وقد تحزبت فيه « يثرب » ليمين ، ومكة لقريش ؛ ولذلك قيل « يمين » في مقابل « قريش » . وقد استمر هذا النزاع طويلا ، ثم سمي في العصر الأموي بأسماء أخرى جديدة لمسمى واحد هو

- |                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| (١) الاغانى (١٢٠/١٤ ، ١٢٢)  | (٢) الاغانى (١١٩/١٤)        |
| (٣) Muh. Stud., Vol. I.P.96 | (٤) Muh. Stud., Vol. I.P.96 |
| (٥) Muh. Stud., Vol. I.P.96 | (٦) الاغانى (١٠٠/٢٠)        |



هذا النزاع الذي تحدث عنه نزاع « يمن » و « قريش » .  
 وفي وسط هذه المعركة دونت الأنساب ، وثبتت في الديوان ، وأمر عمر بفرض  
 العطاء للمسلمين في سنة خمس عشرة للهجرة ، وقد راعى في ذلك « القرابة » والسابقة  
 في الاسلام (١) ، ووضع قاعدة في تسجيل القبائل تلخص فيما يأتي : « أن أيما حي  
 من العرب كانوا في حي من العرب أسلموا معهم فهم معهم » (٢) . إلا أن يعترضوا فعليهم  
 البينة ، كالذي فعله مع بجيلة رهط جرير بن عبدالله بن جابر ، وكانوا قد تفرقوا واعتربوا  
 بسبب حروب وقعت بينهم وألحقوا بقبائل أخرى (٣) ، وروى أن عوف بن لؤى بن غالب  
 ألحق نسبه بغطفان ، والتحق نسب بنيه « بنى مرة » بغطفان ، وأن عمر بن الخطاب قال :  
 لو كنت مستلحقا حيا من العرب لاستلحقت بنى مرة ، لما كنا نعرف فيهم من الشرف البين ، مع  
 ما كنا نعرف من موقع عوف بن لؤى بتلك البلاد . ثم قال لبعض أشرافهم : ان شتم أن  
 ترجعوا لنسبكم من قريش ، فافعلوا . ولكنهم كرهوا أن يتركوا نسبهم في قومهم ،  
 ولهم فيهم من الشرف والفضل ما ليس لغيرهم (٤) . وهناك أمثلة أخرى من هذا  
 القبيل وقعت في العصر الأموي .

ولم نجد في الأخبار التي رواها الرواة عن « فرض العطاء وعمل الديوان » ما يفيد  
 أن عمر راعى في فرض العطاء انقسام العرب الى أصليين ، ولم نجد فيها إشارة ما الى  
 قحطانية أو عدنانية ، وكل ما هنالك أنه أخذ بالقرابة من الرسول وبالسابقة في الاسلام  
 وبالطبقات التي تستند الى اساس الغزوات والفتوح (٥) . كما لانجد في الفتوحات  
 وفي الحروب التي وقعت بين جيوش على ومعاوية ما يشير الى قحطانية أو عدنانية ،  
 ولم يكن « ليمن » هذا المدلول الذي توسع في العصر الأموي . وهذا مما يدل على أن  
 دعوى أهل الأخبار والأنساب بوجود أصليين للعرب : أصل كان يقال له منذ القديم  
 « قحطاني » ، وأصل آخر يقال له « عدناني » ، هي دعوى لا تستند الى دليل .

وأرى أن هذه التسمية انما عرفت في العصر الأموي بعد تحزب الخلفاء والحكومة  
 والناس الى حزبين : يمن وقيس ، أو يمن ومضر ، أو قحطان وعدنان ؛ وبعد شيوع

(١) الكامل (٢١٢/٢) وعند اليعقوبي سنة عشرين . تاريخ اليعقوبي (١٣٠/٢)

الطبري (١٦٢/٤) .

(٣) المفضليات (ص ١١٦) .

(٢) المفضليات (ص ١١٦) .

(٥) الطبري (١٦٢/٤) .

(٤) المفضليات (ص ١٠١) .

نظرية التوراة فى الأنساب بين المسلمين ، ورجوع النسابين الى أهل الكتاب للأخذ منهم كما رأيت .

ويعتقد بعض الباحثين أن جذور هذا التقسيم انما ترجع الى هذا النزاع الذى تحدثت عنه نزاع « يثرب » و « مكة » قبل الاسلام ، ويرجع آخرون هذا النزاع الى التنازع الطبيعى الذى كان بين البداوة والحضارة . وأهل اليمن أو يثرب كانوا أصحاب حضارة وملك . وأما « مكة » ومن والاهم ، فقد كانت البداوة غالبية عليهم ؛ لذلك كان من الطبيعى تنازع الجماعتين (١) .

وقد يكون هذا التقسيم هو التقسيم الطبيعى الذى يستند الى أسس تاريخية ، فقد كان سكان شبه الجزيرة من حيث المعيشة على نوعين : بدو أى أعراب ، وحضر وهم المستقرون . وقد قيل للأعراب « أهل الوبر » ؛ لانهم يتخذون من الوبر بيوتا ، وقيل للمستقرين « أهل المدر » ؛ لأن مبانهم من المدر كما قيل لهم « بنو مدراء » (٢) . وهو تقسيم قديم يرجع الى الجاهلية ، ويقابل « الأعراب » و « عرب » . روى أن الرسول قال حين وفد عليه قيس بن عاصم : « هذا سيد أهل الوبر » ، ونجد مثل ذلك فى النصوص اليمانية حيث أشارت الى أهل البادية « بأعراب » أو « أعراب » ، كما ورد فى نص « معد يكر ب يعفر » « يعفور » (٣) ، وفى نصوص أخرى أشير اليهم بعد ذكر الأرضين التى كانت خاضعة لهذا الملك ، فقيل : « معد يكر ب يعفر ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات » يمنة ، وأعرابها فى الهضاب « طودم » وفى تهامة . « أى والأعراب الذين يقيمون فى الهضاب أى النجاد وفى المنخفضات أى تهامة . وفى التصريح بذكر « الأعراب » دلالة على أنهم كانوا فى نظرهم طبقة خاصة قائمة بذاتها تمتاز عن المستقرين الذين لانعرف ماذا كان يقال لهم عند العرب الجنوبيين .

ونجد فى كتب اللغة ما يؤيد هذا التقسيم ، ففيها « أهل القارية » للحاضرة

(١) Sprenger, Das Leben und die Lehre des Mohammad Vol.3,P.CXXVIII.

فجر الاسلام القاهرة ١٩٢٨ (٧/١) .

(٢) اللسان (٧/١٣٣) ، الأغانى (١٢/١٤٥) .

(٣) Le Museon, LXIII, 3 - 4. (1950). P.271 Ph. 228. (Wadi Masil)



و « أهل البادية » لأهل البدو ، وفيها « قار » أى الذى ينزل القرية ، و « باد » أى الذى ينزل البادية (١) ، وفيها « الحضر » وهم خلاف البدو ، و « الحاضر » وهم خلاف « البادى » . وفيها « أهل الحاضرة » و « أهل البادية » . و « الحاضرة خلاف البادية » وهى المدن والقرى والريف (٢) الى غير ذلك من مصطلحات تشعر أن العرب كانوا يقسمون أنفسهم من حيث طراز المعيشة الى طبقتين .

ويلاحظ أن غالبية من حشرهم النسابون فى القحطانية هم من المستقرين الذين مالوا الى انشاء حكومات مستقرة ، أو كونوا لهم أمارات ، ومن أهل القرى والمدن . أما من حشروهم فى العدنانية ، فهم من القبائل التى كانت تميل الى البداوة ، أو من القبائل البدوية . فهل نرى فى هذا التقسيم الطبيعى أساس التقسيم الذى وضع النسابون عليه القحطانية والعدنانية وأنساب كل فريق ؟ . ذلك سؤال أتركه الى المستقبل ليجيب عنه .

لقد قلت من قبل : ان القرآن الكريم لم يشر الى وجود جدين أو أكثر للعرب ، لقد خاطبهم الرسول على أنهم من نسل اسماعيل و ابراهيم ، لم يفرق بين عرب قحطانيين وعرب يمانين ، وانما لم نجد فيه اشارة ما الى قحطان وعدنان ، أو اشارة يفهم منها أن الجاهليين كانوا يرون أنهم من أصلين « وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبىكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ، ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، واعتصموا بالله . هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير » (٣) . فأبراهيم فى القرآن أبو العرب عامة لم يختص بقسم . وهذه الآية مدنية نزلت فى « المدينة » مقر الأنصار . وقد قلت : انها كانت شديدة العصبية لليمانيين الذين سماهم النسابون « القحطانيين » . وأما آراء المفسرين فى تفسير معنى « أبىكم ابراهيم » ؛ فانها قد تأثرت برأى أهل الأنساب ، ولذلك تحاول أن توفق بين الآية ورأى أصحاب النسب ، فأولتها تأويلا يتفق مع رأى القحطانيين الذين لم يربطوا نسبهم بابراهيم ، وانما ربطوه

(١) اللسان ( ٣٨/٢٠ ) . (٢) اللسان ( ٢٧٢/٥ ) ، بلوغ الأرب ( ٤٢٥/٣ ) .  
(٣) سورة الحج ٢٢ الآية ، ٧٨ ، لمعرفة آراء المفسرين عن هذه الآية تستحسن مراجعة تفسير الكشاف ( ٤١/٣ ) ، تفسير روح المعانى ( ٢١٠/١٧ ) ، تفسير الطبرى ( ١٤٤/١٧ ) .

بما فوق ابراهيم متأثرين برواية أهل الكتاب وبمصيبتهم التي تحملهم على اعتداد أنفسهم  
أقدم عهدا من نسل العدنانيين أبناء اسماعيل وابراهيم .

ولتكوين نظرة صحيحة عن كلمة « قحطان » وكلمة « عدنان » ، لابد من جمع كل  
ماورد فيه هاتين الكلمتين من شعر ونثر ، وترتيبه ترتيبا زمنيا ، وهذا ما لم يحدث حتى  
الآن ، ولا يمكن أن يحدث في الوقت الحاضر لقلّة ما في أيدينا من موارد . وأقوال  
أبواق القحطانية والعدنانية خير مورد نافع يفيدنا في هذا الباب ولا شك ؛ فانها تترجم  
عن آراء الناس وعواطفهم في ذلك العهد . ففي أشعار « حسان بن ثابت » أو ابنه  
« عبدالرحمن » (١) أو الأخطل (٢) أو « النعمان بن بشير » (٣) أو « عبدالله  
ابن الزبير » (٤) المتوفى سنة « ٧٠ » للهجرة (٥) ونجد في شعره إشارة الى  
« بنى حام بن نوح » و « آل حام » (٦) تدل على أنه كان قد سمع بهذه الأنساب الواردة  
عند أهل الكتاب ، أو لعله سمعها في الكوفة أو في الشام من أهل الكتاب أو من النسابين  
وأصحاب الأخبار ، كما نرى أنه يشير الى اليمن « بقحطان » (٧) . ونجد عند  
« الفرزدق » أو « الكميّ » أو « دعبل الخزاعي » وأمثالهم من الشعراء الذين حفظوا  
لنا في شعرهم صوراً عن تطور فكرة « عدنان » و « قحطان » (٨) .

وقد ورد في أخبار يزيد بن معاوية أن كلمة « معد » كانت معروفة في أيامه على  
نحو ما يعرفه أهل الأنساب ، وأن « قحطان » كانت تعنى هذا المعنى المفهوم عند النسابين  
كذلك ، أى تشير الى « يمن » (٩) ويظهر من الدراسات العامة لما هو متوافر بين أيدينا  
من مؤلفات أن هذا التخصص انما ظهر في العصر الأموي . ويرى « كولدزهير » أنه  
ظهر في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة ، ففي هذا الوقت ظهر هذا الشعور

(٢) الاغانى (١٣/١٤١ ، ١٤/١١٩) .

(١) الاغانى (١٣/١٤١) .

(٣) الاغانى (١٤/١١٤) .

(٤) عبدالله بن الزبير بن الأشيم شاعر من شعراء الدولة الأموية ومن المتعصبين لهم ،  
مات في خلافة عبد الملك بن مروان .

(٥) Muh. Stud, Vol, 1.P.98

(٦) الاغانى (١٣/٣٢) .

(٧) فلو كان من قحطان أسماء شمريت كتائب من قحطان صعر خدودها

الايغانى (١٣/٣٦) .

(٩) الاغانى (٩/٣١٤) .

(٨) Mnh. Stud, Vol, 1.P. 97 - 98 .



بوجود أصل عربي عدناني وأصل آخر قحطاني<sup>(١)</sup> .

### دراسة أسماء القبائل :

بين أسماء القبائل العربية عدد كبير من الأسماء هي أسماء حيوانات ، كما أن بينها أسماء موشة ، والعرب لا يفردون بالطبع في هذا الأمر ، بل نجد عند الشعوب السامية الأخرى مثل ذلك في الأسماء المتعارفة ، وفي التوراة أمثلة عديدة من هذا القبيل<sup>(٢)</sup> .

وقد اعتنى « روبرتسن سمث » بدراسة أسماء القبائل العربية ، ووضع نظرية عنها ، خلاصتها : أن هذه الأسماء تشير إلى دور « الطوطمية » « Totemism » و « دور الأمومة » عند العرب . وقد أشار « نولدكة » إلى أهمية تأنيث أسماء القبائل<sup>(٣)</sup> ، فاتخذ القائلون بنظرية « الأمومة » من هذه الأسماء دليلاً على أهمية هذا العهد في التاريخ العربي القديم .

ويقصد « روبرتسن سمث » من نظريته عن الطوطمية في الجاهلية أن هذه القبائل التي تسمى بأسماء هي أسماء «حيوانات» كانت قد اتخذت ذلك الحيوان الذي تسمت به « طوطما » ، و « الطوطمية » مرت على جميع الشعوب ، ولا تزال موجودة حتى اليوم بين الشعوب البدائية . ويكون اتباع الطوطم رابطة قوية متماسكة بينهم تستند إلى أسس دينية واجتماعية<sup>(٤)</sup> . ويصبح ذلك الطوطم أباً أو جداً أعلى لأصحابه ، والقبائل العربية المنتمية إلى آباء وأجداد أسماؤهم أسماء حيوانات هي قبائل « طوطمية » على رأي « روبرتسن سمث » فكلب وأسد وقريش وما شاكل ذلك من أسماء هي أسماء « طوطم » تسمى بها أصحابها وصارت تدل على نسب<sup>(٥)</sup> .

وقد اتبته علماء المسلمين إلى أصل هذه التسمية ، فذكر بعضهم أن هذه الأسماء

(١) Muham. Stud. 1.S, 98.

(٢) مثل « كلب » « Caleb » « كالب » أخبار الأيام الأول : الاصحاح الثاني الآية ٤٢ .

(٣) Nöldeke, in, Ostr. Zeitschr. F. Orient. S. 302. 1884. Nöldeke, in ZDMG.40 (٣) S, 169.

Ency. Brita. Vol, 22. P. 315 ff (٤)

Smith, W. R., Kinship and Marriage in Early Arabia, Camb. 1885. (٥)

الهلل : السنة الرابعة عشر ( ١٩٠٦ ) الأجزاء : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ .

هي في الأصل القاب لوحظ في أصحابها التشابه الذي بينهم وبين الحيوان الذي سموا به (١) . وقال آخرون : انهم انما كانوا يسمون أولادهم بأسماء الحيوان ، ظلنا منهم أنه يحفظهم من أعين الانس والجن ، وهذا ما يقال له «التفجير» (٢) . وكانوا يسمون أولادهم بشر الأسماء اعتقادا منهم أن ذلك يدعو الى طول العمر (٣) . وهي عادة لاتزال جارية حتى الآن . ولاعتقاد الناس بالجن وبالحيوانات المؤذية التي تجلب النحس على من يراها ، أو بالحيوانات المسعدة التي تجلب السعد لمن يراها ، وللوسم وشعار الحيوانات علاقة بهذه العقيدة (٤) . وقد ورد في الشعر وفي النثر أسماء كثير من الحيوانات للجاهليين مذاهب فيها ، مثل الديك والغراب والحمامة والقنفذ والأرنب والظبي واليربوع وغيرها ، ويعتقد أن لبعضها علاقة بالجن (٥) .

وقال « روبرتسن سمث » : ان الأسماء المؤنثة للقبائل مثل « خندف » و « ظاعنة » و « قيلة » و « جديلة » و « مرة » وأمثالها ، تشير الى « دور الأمومة » عند العرب ، حيث كان الأولاد ينتسبون الى أمهاتهم ؛ لأنهم لم يكونوا يعرفون فيه آباءهم . وقد وافق « ويلكن » بعض آراء « روبرتسن سمث » ، وخالفه في بعض الآراء (٦) . ونحن نجد عند العبرانيين وعند غيرهم من الساميين والآريين أسماء مؤنثة تنسب اليها القبائل والجماعات . وأرى أن هذا الانتساب لا يدل حتما على أنها من نتائج « الأمومة » ، إذ أننا نشاهد في الوقت الحاضر بطونا أو أسرا تنسب لأمهاتهم أو أمهات أمهاتهم لشهرتهن وانخفاض أسماء بعولتهن ، وربما لا يكون هنالك لهذا الانتساب حقيقة . فمن الجائز أن تكون تلك الأسماء الجاهلية من هذا القبيل .

#### القحطانية والعدنانية في الاسلام :

الحق أن ما نسميه قحطانية أو عدنانية انما هو صفحة من صفحات النزاع الحزبي

(١) الأساطير العربية قبل الاسلام ( ص ٦٨ ) .

(٢) بلوغ الأرب ٣٢٥/٢ « وتسمى هذه الأشياء التي تعلق على الصبي النفرات » .

(٣) الأساطير ( ص ٦٩ ) .

(٤) Fritz Hommel Explorations in Arabia, in, Hilprecht, exploration in Bible

Lands, S. 698 .

(٥) بلوغ الأرب (٢/٣٦٠) .

(٦) G. A. Wilken, Het Matriarchaat bij de Aude. Arabieren Oestr Monatschrift

F. D. Orient. 1884 .راجع كتاب « الأمومة عند العرب » : تعريب بندلي صليبا الجوزي .

قازان ١٩٠٢ .



عند العرب في الاسلام ، شاء أصحابه ومثروده ارجاعه الى الماضي ، ووضع تاريخ قديم له ، فجعلوا له أصولا زعموا أنها ترجع الى ما قبل الاسلام بكثير ، وزعموا أن نزاع قحطان وعدنان نزاع قديم جدا يعود الى العهد الذي ولد فيه قحطان وعدنان ، ورووا في ذلك شعرا على لسان القحطانيين والعدنانيين ، هو في نظرهم قديم جدا قدم أصحابه ، وهو لا يخرج في نظرنا عن هذا الشعر الذي يحفظه الرواة على لسان آدم وهابيل وقايل والجن .

لقد حارب الاسلام العvisية الجاهلية ، وآخى بين الأنصار والمهاجرين ، وحالف بين قريش والأنصار ، ونهى الرسول عن الحلف فروى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لالحلف في الاسلام » لما ينتج عنه من أضرار لوقوع الفتن والقتال بين القبائل والغارات<sup>(١)</sup> . وعد « التعرب » بعد الهجرة كبيرة من الكبائر ، أي أن يعود الى البادية ويقيم مع الأعراب حتى عد من يعود الى موضعه من البادية بعد الهجرة كالمترد<sup>(٢)</sup> . وجاء القرآن بأحكام نسخت كثيرا من أحكام الجاهلية . ولكننا نجد - وبالأسف - أن الروح الأعرابية عادت الى الظهور بعد وفاة الرسول ، فتجدد نزاع مكة ويثرب نزاع المهاجرين والأنصار . وشجعت الفتن التي وقعت في أيام عثمان وفي عهد علي ومعاوية على ظهور العvisيات بين القبائل ، فتجزبت وتكتلت ، فكانت تحارب على أنها

---

(١) اللسان (١٠/٣٩٩ وما بعدها) . « اختلف أهل التأويل في معنى النصيب الذي أمر الله أهل الحلف أن يؤتى بعضهم بعضا في الاسلام ، فقال بعضهم : هو نصيبه من الميراث ؛ لأنهم في الجاهلية كانوا يتوارثون ، فأوجب الله في الاسلام من بعضهم لبعض بذلك الحلف ، وبمثله في الاسلام من الموارثة مثل الذي كان لهم في الجاهلية ، ثم نسخ ذلك بما فرض من الفرائض لذوي الأرحام والقربات . . . . . كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب ، فيرث أحدهما الآخر فنسخ الله ذلك في الإنفال . . . . . تفسير الطبري (٥/٣٣) « كان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل ، فيقول : « هدمي هدمك ، ودمي دمك ، وترثني وأرثك ، وتطلب بي وأطلب بك » « كان الرجل يقول للرجل : « ترثني وأرثك ، وتنصرني وأنصرك ، وتعقل عني وأعقل عنك » . تفسير الطبري (٥/٣٤) « لالحلف في الاسلام ، وما كان من حلف في الجاهلية لم يزد الاسلام الا شدة . . . . . تفسير الطبري (٥/٣٦) .

(٢) « وفي الحديث ثلاث من الكبائر ، منها التعرب بعد الهجرة ، هو أن يعود الى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرا . وكان من رجع بعد الهجرة الى موضعه من غير عنذر يعدونه كالمترد . . . . . اللسان (٢/٧٦) .

عدنان<sup>(١)</sup> أو ربيعة<sup>(٢)</sup> أو طى<sup>(٣)</sup> أو مضر<sup>(٤)</sup> أو قريش<sup>(٥)</sup> أو قيس<sup>(٦)</sup> أو الأزد ، أو ربيعة<sup>(٧)</sup> ، أو تميم<sup>(٨)</sup> ، أو غير ذلك . وقد استعملت « مضر » في مقابل « الأزد »<sup>(٩)</sup> ، كما استخدمت « الأزد » في مقابل « تميم » ، وورد « أهل اليمن »<sup>(١٠)</sup> أو « اليمانية » . ولكننا قلما نسمع في نداء القبائل وأخبار هذه القطن أو الحروب التي وقعت في هذا العهد استعمال كلمة « عدنان » في مقابل « قحطان » ، ويقال مثل ذلك في الأشعار أيضا ، في مثل شعر الفرزدق الذي استعمل كلمة « قحطان » ، في مقابل كلمة « نزار » ، وكلمة « يمن » في مقابل « نزار » أو « الأزد » في مقابل « نزار »<sup>(١١)</sup> ، كما استعمل الحكم بن عبدل « قحطان » في مقابل « معد »<sup>(١٢)</sup> . وقد ذكر الأعمش في شعره : « ومن معد قد أتى ابن عدنان » وذلك في مقابل « قحطان »<sup>(١٣)</sup> .

وفي العصر الأموي كانت كلمة « قيس » ترادف كلمة « مضر » و « معد » و « نزار »<sup>(١٤)</sup> . وقد عرفت بعدائها « لكلب » التي نالت مركزا ساميا في أيام معاوية وابنه « يزيد » و « مروان بن الحكم » لتزوج « معاوية » امرأة من « كلب » هي « ميسون بنت بحدل » ، فأصبحت هي والقبائل التي تؤيدها مقربة عند الخلفاء ، مع أن الخلفاء من « قريش » ، و « قريش » من « قيس » . وهذا مما أغضب « قيسا » ، فانتحزت إلى

(١) مروج (٢٢/٢) .

(٢) مروج (٢٢/٢) .

(٤) « فقال الأشعث وأصحابه : والله لا يحكم فينا مضرى » مروج (٢٨/٢) ، « فقال الأشعث بن قيس ان معاوية يوجه بعمر بن العاص ولا يحكم فينا مضرين » . تاريخ اليعقوبي (١٦٥/٢) الكامل (٥٨/٤) .

(٥) تاريخ اليعقوبي (٣/٣) ، الكامل (٦١/٤) .

(٦) الكامل (١٤/٤ ، ٦٣) .

(٧) الكامل (٥٨/٤) .

(٨) الكامل (٥٨/٤) .

(٩) الكامل (٦١/٤) .

(١١) Muh. Stud. Vol. I. P. 98 ، ص ٢٨ ، ٥٩ ، ٦٨ (Boucher) ، ديوان الفرزدق (طبعة

(١٢) فما صادفت في قحطان مثلي

كما صادفت مثلك في معد

الإغاني (١٤٨/٢) .

(١٣) سار بجمع كالقطا من قحطان

ومن معد قد أتى ابن عدنان

الإغاني (١٥١/٥) .

Ency. Vo., 2. P. 655. (١٤)



تأييد « ابن الزبير » فى نزاعه مع « مروان » . وقد عرفت معركة « مرج راهط » بأنها معركة وقعت بين « قيس » و « كلب » ، و « كلب » من اليمن ، وقد انتصرت فيها « كلب » على « قيس » . وقد خلق هذا الانتصار حقدا كبيرا بين « قيس » وأنصارها من القبائل وبين « كلب » وأنصارها من القبائل التى ادعت أنها من اليمن<sup>(١)</sup> ، ف وقعت حروب بين « قيس » و « كلب » هلك فيها خلق كثير من الفريقين .

وقد أسهم الخلفاء الذين جاؤوا بعد « عبد الملك » ، وبالألسف ، فى هذا النزاع متأثرين بعاطفتهم وبدمهم من الأمهات ، فكان بعضهم يؤيد القيسيين اذا كانت أهمهم من قيس وكان آخرون يؤيدون « كلبا » أو اليمن اذا كانت أهمهم من اليمن . وسار على هذه السياسة الولاة والعمال ، فكانت النتيجة تكتل القبائل وانقسامها الى معسكرين : قيس ، ويمن . وتزعمت « أزد عمان » فى البصرة وخراسان حزب « يمن » فى مقابل « قيس » و « تميم »<sup>(٢)</sup> . و وقعت وقائع دموية بين المعسكرين أدت الى سقوط حكومة « بنى أمية » ، وإضعاف العرب عموما قيسيين ويمانيين .

وقد استغل أعداء الحكم الأموى هذه الفرصة ، وسعوا لتوسيع شقة الخلاف ، وحرصوا شعراء الفريقين على المهاجاة ، وفى وسط هذه المهاجاة تمثلت فكرة « قحطان » و « عدنان » . فلما نظم « الكميت » قصيدته التى تعرض فيها باليمانية ، هاج اليمانون وانبرى « دعبل الخزاعى » بالرد عليه ، فكان مما جاء فيه قوله :

فان يك آل اسرائيل منكم	وكنتم بالأعاجم فأخرينا
فلا تنس الخزازير اللواتى	مسخن مع القروذ الخاسينا
بأيلة والخليج لهم رسوم	وآثار قدمن وما محيننا
لقد علمت نزار أن قومى	الى نصر النبوة فأخرينا <sup>(٣)</sup>

.....

هم كتبوا الكتاب بباب مرو	وباب الصين كانوا الكاتينا
وهم جمعوا الجموع بسمرقند	وهم غرسوا هناك التبتينا <sup>(٤)</sup>

ويشير شعر دعبل هذا الى تفاخر « النزاريين » بالأعاجم وبآل اسرائيل ، وهى

(١) Ency. Vol. 2. P. 655

(٢) Wellhausen, Das Arabische Reich Und Sein Sturz. P. 40. 44. Ency. Vol. 2.

P. 655

(٤) مروج ٣٠٠/١

(٣) مروج (٢/١٩٦ - ١٩٧) .

نظريّة ظهرت في العصر الأموي ترى قرابة الفرس للعرب العدنانيين فضلا عن قرابة الاسرائيليين لهم . وقد قويت هذه النظريّة ، ولا شك ، لأسباب سياسية في العصر العباسي ورسخت جذورها ، وكان لها بالطبع مؤيدون طمعا في ضم الفرس اليهم ومقاومة للنصرة الشعبية السافرة التي انتشرت بين الأعاجم والموالي وطغنت العرب جميعا من عدنان وقحطان .

ومما جاء على لسان شعراء عدنان في التباهي بإبراهيم والفرس قول جرير بن عطية ابن الخطفي التميمي :

أبونا خليل الله لاتكرونا	فأكرم بإبراهيم جدا ومفخرا
وأبناء اسحاق اللبوث اذا ارتدوا	حمائل موت لابسين السنورا
اذا افتخروا عدوا الصهبذ منهم	وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
أبونا أبو اسحاق يجمع بيننا	أب كان مهديا نبيا مطهرا
ويجمعنا والفر أبناء فارس	أب لابالي بعده من تأخرا
أبونا خليل الله ، والله ربنا	رضينا بما أعطى الآله وقدرنا (١)

ومن هذا القبيل قول اسحاق بن سويد العدوي :

اذا افتخرت قحطان يوما بسؤدد	أتى فخرنا أعلى عليها وأسودا
ملكناهم بدءا باسحاق عمنا	وكانوا لنا عوننا على الدهر أعيدا
ويجمعنا والفر أبناء فارس	أب لابالي بعده من تفردنا (٢)

وقول بعض النزارية :

واسحاق واسماعيل مدا	معالي الفخر والحسب اللبابا
فوارس فارس وبنو نزار	كلا الفرعين قد كبرا وطابا (٣)

ولم يقف النزاريون عند هذا الحد ، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك فزعموا أن هذا النسب قديم ، وأن قرابة الفرس بالعدنانيين قديمة ، وأن الفرس كانت في سالف الدهر تقصد الى البيت الحرام بالتذور العظام تعظيما لإبراهيم الخليل بنائه ، وأنه عندهم أجل الهياكل السبعة العظيمة والبيوت المشرفة في العالم ، وأن رجلا تولاه وأعطاه العدة والبقاء ، واستشهدوا على صحة دعواهم بشعر زعموا أن قائله هو أحد شعراء الجاهلية :

(١) التنبيه (ص ٩٥) .  
 (٢) التنبيه (ص ٩٥) . مروج ٢٠٢/١  
 (٣) التنبيه (ص ٩٥)



زمزمت الفرس على زمزم      وذاك في سالفها الأقدم (١)  
وترتب على هذا وضع نسب للفرس يتصل بنسب العرب العدنانيين فرعموا أن  
« منوشهر » الذي ينتسب إليه الفرس هو « منشخر بن منشخر باغ » ، وهو « يعيش بن  
ويزك » ، و « ويزك » هو اسحاق بن ابراهيم الخليل ، ولذلك قال شاعرهم في الاسلام :  
أبونا ويزك وبه أسامي      اذا افتخر المفاخر بالولاده  
أبونا ويزك عبد رسول      له شرف الرسالة والزهاده (٢)

أما « يعيش بن ويزك » جد الفرس الجديد فهو « عيسو » « Esau » ، وفي العبرانية  
« Usu » ، ومعناها « مشعر أو خشن » ، وهو شقيق يعقوب وجد الأدميين في التوراة  
وابن اسحاق (٣) . وأما « ويزك » فهو « يزك » أو « ايزك » « Icaak » « Isaac » ، وهو  
« اسحاق » ، وهو في العبرانية « يصحاك » أو « يصحك » « Yishak » أي « الضحاك » .  
ويرى علماء التوراة أن الأصل هو اسم قبيلة كان يقال لها « يصحكيل » « Yishakil »  
« Yishakèl » ، وهو والد « عيسو » ويعقوب (٤) .

ولم يكتف العدنانيون بقرابتهم للفرس وللإسرائيليين ، بل زعموا أن الأكراد  
من أقرانهم كذلك وأنهم من نسل ربيعة بن نزار بن بكر بن وائل (٥) ، أو أنهم  
من نسل مضر بن نزار ، أو من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن ، وأنهم انفردوا  
في قديم الزمان لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان ، وأنهم اعتصموا بالجبال فحدوا  
عن اللغة العربية لما جاورهم من الأمم . وقد لقي هذا النسب الجديد للأكراد تشجيعا  
من بعض الأكراد (٦) الذين سرهم بالطبع أن يكون لهم نسب يتصل بنسب الخلفاء ،  
وأن تكون لهم قرى ووشائج دم تربطهم بالسادة الحاكمين .

(٧) وإذا كان العدنانيون قد جعلوا الفرس من ذوى ارحامهم ، فطبعي أن يجعل  
القحطانيون أعداء الفرس من ذوى ارحامهم ، وهم اليونان فقال بعضهم : يونان أخ  
لقحطان ، وانه من ولد عابر بن شالخ ، وانه خرج من أرض اليمن في جماعة من ولده

(١) التنبية (ص ٩٥) .

(٢) التنبية (ص ٩٦) .

(٣) Ency. Bibl. P, 1333. Budde, Urgeschi; S, 217. Hastings. P, 235.

قاموس الكتاب المقدس (١٢٨/٢) .

(٤) Ency. Bibl. P. 2175. Hastings, P. 386.

(٥) مروج (٣٠٨/١) .

(٦) مروج (٣٠٧/١) .

وأهله ومن انضاف الى جملته حتى وافى أقاصى بلاد المغرب فأقام هناك ، وانسل في تلك الديار ، واستعجم لسانه ووازي من كان هناك في اللغة الأعجمية من الافرنجة ، فزالت نسبه ، وانقطع نسبه وصار منسيا في ديار اليمن (١) .

وذهب القحطانيون الى أبعد من ذلك فزعموا أن الأتراك سكان هضبة « تبت » منهم ، وأن التبع « شمر يرعش » هو الذي أمر ببناء سمرقند ، وأنهم حكموا تلك الديار وتركوا بها بقية من حمير ، وأن لهم من الفضل ما ليس لمعد بن عدنان .

هم كتبوا الكتاب بباب مرو      وباب الصين كانوا الكاثينيا  
وهم جمعوا الجموع بسمرقند      وهم غرسوا هناك التبتينا (٢)

وساهم في هذا النزاع القحطاني العدناني الموالي ، وقد كان من مصلحتهم بالطبع اتساع شقة الخلاف طمعا في عودة ملكهم وأملا في انتقال الحكم اليهم ، فمنهم ابو نواس مولى بنى حكم بن سعد العشيبة ، وقد تعصب للقحطانية ، وأوجع العدنانيين بهجائه فشكوه الى الخليفة هارون الرشيد ، فأمر بحجسه . وكان من جملة ما قاله :

واهج نزارا وافر جلدتها      وكشف الستر عن مثالبها (٣)

وقد أنتج هذا النزاع القحطاني العدناني قصصا وحكايات وشعرا دون في الكتب ، وأنتج « حديثا » زعم أن قائله هو الرسول ، قاله في مدح قحطان أو في مدح « عدنان » ، وأحيانا في مدح القبائل مثل : « حمير » و « مذحج » و « همدان » و « غسان » (٤) وقبائل أخرى أو في مدح بيوتات معينة من هذه القبائل (٥) .

لقد تلون هذا النزاع بلون أدبي زاه لا يخلو من طرافة وان كان قد أساء من الناحية السياسية الى هذه الامة أيما اساءة . فقد لون اليمانون تأريخهم القديم بالوان

(١) مروج (١/١٧٨) ، وقالوا : ان الاسكندر من تبع . وقد رد على هذا الزعم العدنانيون ردا شديدا ، وقال أبو العباس الناشي :

تخلط يونان بقحطان ضلة      لعمرى لقد باعدت بينهما جدا  
ابن خلدون (٢/١٨٤) .

(٢) مروج (١/٣٠٠) .

(٣) مروج الذهب (١/٣٠٧) ، التنبيه ( ص ٧٧ ) ، الحصرى (٢/٢٧٧) .

(٤) Muh. Stud. Bd, I, S, 84.

(٥) صحيح مسلم (١/١٣) . مناقب الأنصار : باب التوحيد .



زاهية جميلة من القصص والحكايات والأخبار ؛ فهم الذين زعموا أن قحطان هو ابن هود النبي فأوصلوا نسبهم بالأنياء ، وهم الذين أوصلوا نسب قحطان الى اسماعيل فنفوا بذلك أى فضل كان للعدنانيين على القحطانيين فى الآباء والأجداد ، وهم المسؤولون عن هذا التقسيم المشهور المعروف للعرب وجعل القحطانيين فى الطبقة الأولى من العربية بالنسبة للعدنانيين<sup>(١)</sup> ، وهم الذين نظموا تلك الأشعار والقصائد التى ذكرها الرواة على أنها من نظم التبابعة ومشايخ القحطانيين ، وهم الذين ساقوا تلك الحكايات عن الفتوحات العظيمة للملك اليمن وعن حكم القحطانيين للعدنانيين واستدلالهم اياهم .

لقد استغل العدنانيون ظهور الرسول بينهم ، فاتخذوا من هذا الشرف ذريعة للتفاخر والتباهى على القحطانيين . وقد أجابهم اليمانيون على ذلك بأنهم هم الذين كان لهم شرف نصره الرسول واعلاء كلمة الله ، وهم الذين كونوا مادة الجيش الاسلامى ، وهم الذين آووا الرسول وفتحوا مكة . وتمسك العدنانيون بأذيال اسماعيل وعدوه جدهم الخاص بهم ، مع أنه جد العرب عامة ، كما هو فى القرآن الكريم<sup>(٢)</sup> ، ونفوا كل مشاركة للقحطانيين فى هذا النسب الشريف . وقد كان لهم مايساعدهم فى تقوية حججهم ، فقد كان الرسول من صلب اسماعيل والرسول منهم ، فابراهيم هو أبوهم المختص بهم . ولرد دعوى الاسماعيليين هذه من اختصاص اسماعيل وابراهيم بهم ، أوصل بعض روايتهم نسب قحطان باسماعيل وابراهيم ، ولم يكتفوا بذلك فلا بد لهم من شرف زائد ، ورجحان على العدنانيين الذين لم يبدأ ملكهم على رأيهم الا فى الاسلام ، فاختصوا هودا بهم ، وجعلوه نبيا . ثم لم يقبلوا نبى واحد زيادة على الأنبياء الذين اختص بهم العدنانيون ، فأضافوا اليهم صالحا النبى وقالوا : انه من صميم حمير ، وانه صالح بن الهميسع بن ذى ماذن نبى حمير من آل ذى رعين ، وزعموا أن ثقيفا كان غلاما له<sup>(٣)</sup> ، وحصلوا بذلك على نبى ، وطعنوا فى ثقيف ، وهم من العدنانيين فى الوقت نفسه ، وأضافوا اليهم نبيا آخر من صميم حمير سموه أسعد تبع الكامل بن ملكى كرب ابن تبع الأكبر بن تبع الأقرن ، وقالوا انه ذو القرنين الذى قال الله تعالى فيه ( أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكتهم انهم كانوا مجرمين )<sup>(٤)</sup> . وذكروا

(١) فجر الاسلام (٧/١) .

(٢) راجع البيان والتبيين (١٦٨/٣) من طبعة السندوبى .

(٣) منتخبات ( ص ٦٢ ) (٤) سورة الدخان : ٤٤ ، الآية ٣٧ .

أنه كان من أعظم التبابعة وأفصح شعراء العرب ، ولذلك قال بعض العلماء فيه : ذهب ملك تبع بشعره ، ولولا ذلك لما قدم عليه شاعر من العرب • وقالوا : نهى النبي عن سببه ؛ لأنه آمن به قبل ظهوره بسبع مئة عام ، وليس ذلك الا يوحى من الله عز وجل • وهو أول من كسا البيت ، وجعل له مفتاحا من ذهب ، وأوردوا له أشعارا لايات ايمانه بالرسول تمنى فيها لو أدرك أيامه اذن لا آمن به ، ولكن له وزيراً وابن عم ، ولا لزم طاعته كل من على الأرض من عرب وعجم ؛ ورووا له آياتا فى البيت الحرام ، وكيف كان يقصده فيمكث فيه تسعة أشهر ، وكيف كان ينجر فى العام سبعين الفا من البدن<sup>(١)</sup> • وزعموا فوق هذا كله أنه تنبأ بعودة ملك حمير حيث يظهر المهدي منهم ، وهو رجل حميرى سبئى الأبوين ، يعيد الملك الى حمير بالعدل ، فى هذه الأبيات التى رواها عبيد بن شريفة الجرهيمى :

ومن العجائب أن حمـ	ير سوف تعلى بالقهور
ويسودها أهل الموا	شى من نضير أو نضير
يعنى النضر بن كنانة ، وهو قريش •	
ويثيرها المنصور من	جنبى أزال كالصقور
وهو الامام المرتضى المـ	ذكور من قدم الدهور
وأنه قال :	

بمنصور حمير المرتضى	يعود من الملك ماقد ذهب
ويرجع بالعدل سلطانها	على الناس فى عجمها والعرب
وقالوا : ان المنصور هو لقب القائم المنتظر الذى سيظهر ليعيد ملك حمير المسلوب <sup>(٢)</sup> •	
وذكروا أنه كان فى جملة ما قاله من شعر قوله :	
واعلم بنى بأن كل قبيلة	ستدل ان نهضت لها فحطان <sup>(٣)</sup>

الى غير ذلك من أشعار نسبت اليه والى غيره من التبابعة تتحدث عن حقد القحطانيين على العدنانيين ، وعن المهم الشديد لفراق ملكهم وانتقال الحكم منهم الى المكيين من عدنان ، وقد كانوا من اتباعهم بالأمس • فعللوا أنفسهم بالتحدث عن الماضى ، ثم صبروا أنفسهم

(٢) منتخبات ( ص ١٠٣ ) •

(١) منتخبات ( ص ١٣ ) •

(٣) منتخبات ( ص ٨٣ ) •



بالحديث عن ملك سيعود ، وعن دولة ستأتي ، وعن مهدي يأخذ بالشأز ، كالذي يفعله المغلوبون .

وجعلوا ذا القرنين الذي ورد اسمه في سورة الكهف منهم<sup>(١)</sup> ، فقالوا : هو الهيمسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان ، أو الصعب بن عبدالله بن مالك بن زيد ابن سدد بن حمير الأصغر<sup>(٢)</sup> ، أو تبع الأكبر بن تبع الأقرون ، أو تبع الأقرون ، وكان ملكا مؤمنا عالما عادلا ملك جميع الأرض وطافها ، ومات في شمال بلاد الروم حيث يكون النهار ليلا إذا انتهت الشمس الى برج الجدى . وقد كان يقول الشعر ، وهو الذي بشر بالنبي عليه السلام في شعره<sup>(٣)</sup> وطبعي أن يكون واضع هذه الأشعار أناس من الأنصار ومن بقية فروع قحطان<sup>(٤)</sup> .

وأضافوا اليهم لقمان الحكيم ، زعموا أنه لقمان الحميري ، قالوا انه كان حكيما عالما بعلم الأبدان والأزمان ، وهو الذي وقت المواقيت وسمى الأشهر بأسماء مواقيتها<sup>(٥)</sup> . وزعموا أن ياسر بن نعم ملك بعد سليمان بن داود عليهما السلام ، وسمى نعم ؛ لأنه رد الملك الى حمير بعد ذهابه<sup>(٦)</sup> ، وأن الضحاك ملك من الأزد كان في وقت ابراهيم فصره<sup>(٧)</sup> . وبذلك كانت للقحطانيين منة قديمة على ابراهيم وعلى العدنانيين بصورة خاصة . وقالوا أشياء أخرى كثيرة قد يخرجنا ذكرها من صلب هذا الموضوع من أعمال وفتوحات شمر يرعش وغيره من التبايع<sup>(٨)</sup>

وقد لون العدنانيون تاريخهم فاستعانوا بعدد من الشعراء كالذي قاله ابن سلام :  
" نظرت قريش فاذا حطها من الشعر قليل في الجاهلية ، فاستكرت منه في الاسلام " <sup>(٩)</sup> ،

(١) سورة الكهف : ١٨ ، الآية ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٤ .

(٢) منتخبات ( ص ٦١ ، ٨٤ ) .

(٣) منتخبات ( ص ٨٤ ) .

(٤) قال النعمان بن بشير :

كرام فذو القرنين منا وحاتم  
بأيماننا ، هل يهدم السد هادم ؟

فمن ذا يفاخرنا من الناس معشر  
ونحن بيننا سد يأجوج فاستوى

وقال لبيد :

بالخنو في جدث هناك مقيم

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا

منتخبات ( ص ٨٤ - ٨٥ ) .

(٦) منتخبات ( ص ١١٧ ) .

(٥) منتخبات ( ص ٩٦ ) .

(٨) منتخبات ( ص ٥٦ ) .

(٧) منتخبات ( ص ٦٥ ) .

(٩) طه حسين في الأدب الجاهلي ( ص ١٢٣ ) .

وجاؤوا بقصص وحكايات وشعر ، فنسبوا ذلك كله الى العدنانيين في العصر الجاهلي ،  
وعقبوا على الروايات القحطانية . فلما ادعى اليمانيون مثلاً أن تبعهم « أبا كرب » فتح  
العراق والشأم والحجاز ، وأنه امتلك البيت الحرام ونكل بالعدنانيين شر تكييل ، وأنه  
قال شعراً منه :

لست بالتبع اليماني ان لم      تركض الخيل في سواد العراق  
أو تؤدى ربيعة الخرج قسراً      أو تعقسي عوائق العواق<sup>(١)</sup>

قال العدنانيون : نعم ، وقد كانت بين تبع هذا وبين قبائل نزار بن معد وقائع  
وحروب ، واجتمعت عليه معد بن ربيعة ومضر واباد وأنمار فانتصرت عليه وأخذت النار  
منه ، وفي ذلك قال أبو دواد الأيادي :

ضربنا على تبع حربيه      جبال البرود وخرج الذهب  
وولى أبو كرب هاربا      وكان جباناً كثير الرهب  
وأبعته فهوى للجبين      وكان العزيز بها من غلب<sup>(٢)</sup>

الى غير ذلك من القصص والحكايات التي وضعها الرواة في صدر الاسلام حين احتدم  
الخلاف بين الأنصار وقريش . والتي سجلت في الكتب ورويت للناس وانتشرت بينهم  
على أنها أمور واقعية ، وأن العرب كانوا من أصلين ، فاما قحطان واما عدنان .  
وقد كان التوفيق حليف أهل اليمن في نشر مثل هذه القصص بين الناس حتى بين  
العلماء وطبقة المتقنين . وهذه الأشعار المدونة على ألسنة التبابعة ، وهذه القصص اليمانية  
التي ملأت بطون الكتب ، وهذه الأخبار التي سارت بين الخاصة والعامة ، هي دليل  
على تفوق الرواة الذين نسبوا أنفسهم الى أهل اليمن على رواة عدنان وعلى المؤيدين  
الرسميين الذين جهزتهم الحكومة للرد على ألسنة قحطان .

وقد وضعت أكثر الأشعار المنسوبة الى التبابعة في أيام « معاوية » وابنه « يزيد » ،  
أى في أيام نزاع « قيس » و « كلب » ، وضعا « عبيد بن شربة الجرهمي » و « يزيد  
بن ربيعة بن مفرغ » المتوفى سنة « ٦٩ » للهجرة ، وهو شاعر متعصب ليمن حملته تعصبه  
هذا ولا شك على وضع قصص « تبع »<sup>(٣)</sup> جاء في كتاب الأغاني : « سئل الأصمعي

(٢) مروج (١/٣٠٠) .

(١) مروج (١/٣٠١) .

(٣) Muh. Stud, Vol, I, P. 97.



عن شعر تبع وقصته ومن وضعهما ، فقال : ابن مفرغ • وذلك أن يزيد بن معاوية لما سيره الى الشام وتخلصه من عباد بن زياد ، أنزله الجزيرة وكان مقيما برأس عين ، وزعم أنه من حمير ، ووضع سيرة تبع وأشعاره • وكان النمر بن قاسط يدعى أنه منهم ••• (١) .

لقد بدأ هذا النزاع في الجاهلية القريبة من الاسلام ، واستمر في الاسلام فقوى فيه واتخذ هذا الشكل الذي دون في الكتب ورواه الرواة على أنه أمر واقع وحقيقة لا شك فيها ، حقيقة قحطان وعدنان ، فسجلوها في الكتب ، وسجل التاريخ العربي على هذا الأساس • ويظهر مما سجلوه أن هذه الفكرة هي فكرة اسلامية محضة لانجد لها أثرا في الجاهلية • نعم ، كان التكل معروفًا كما سبق أن ذكرت عندهم ، وقد كانت القبائل التي ترجع أصلها الى العربية الجنوبية تعد نفسها « يمانية » ومن « أهل اليمن » أو من « اليمن » ، ولا يشير ذلك بالطبع الى أصل يمانى بالمعنى الجغرافى ؛ فقد كان بعضها من « عمان » كأزد عمان الذين كان لهم الأثر الأكبر في النزاع اليماني القيسي في البصرة وخراسان ، كما كان بعضها من حضرموت أو تهامة الحجاز والخلاصة اننا نرى أثرا لتحزب « الأزد » ضد « مضر » أو « ربيعة » أو قيس أو ما شاكل في الحروب والفتن التي وقعت في صدر الاسلام وفي الدولة الأموية • ولكننا لا نجد في كل هذه الأخبار اجتماع القبائل كلها في الحرب أو في السلم تحت رايتين راية قحطان أو راية عدنان على نحو ما يذكره الأخباريون ، ويتبين من طبيعة ما ذكره أصحاب الأنساب والأخبار أن هذا التقسيم وهذه الأنساب المتسلسلة انما وضعت في الاسلام وضعت في وسط هذه المعركة السياسية التي تحدثت عنها • وقد أوجد مادتها خاصة أولئك الرواة المتعصبون المتحزبون الذين عرفوا بميلهم الى الاسرائيليات والشعبيات •

حاولت « القيسية » و « اليمانية » ضم أكبر عدد ممكن من القبائل اليها • ويظهر أثر ذلك في تحجير النسابين في أصول بعض القبائل ، وقد أوردت الكتب امثلة عديدة في هذا الشأن (٢) • ومن أبرز الأمثلة على ذلك « قضاة » ، فقد عدها بعضهم من « عدنان » ، وعدها آخرون من « قحطان » (٣) •

عك :

لم يذكر النسابون لعك ولدا كثيرا كما ذكروا لشقيقه معد • والظاهر أن أمره كان

(١) الاغانى (٥٢/١٧) • (٢) Muh. Stud. Bd, I. S. 58. 181.

(٣) اللسان (١٠/١٤٩) ، منتخبات (ص ٨٧) •

ضعيفا قبيل الاسلام ، لذلك لم يكتسب له مكانة كبيرة عند النسابين كمكانة « معد » و « عك »  
هو شقيق معد في رأى غالبية النسابين ، فهو ابن عدنان <sup>(١)</sup> . وقيل : هو عك بن  
الديث بن عدنان <sup>(٢)</sup> .

وذكر بعض النسابين أن نسب عك هو عك بن عدنان بن عبدالله بن الأزد <sup>(٣)</sup> .  
وذكروا أن عكا كانت تنزل مع الأشعريين ، وكانت صلاتها بهم قوية ، واشتركوا في  
أكثر الأحداث ، ولهذا زعم أن القبيلتين من أصل واحد <sup>(٤)</sup> . ولما كان الأشعريون  
يمانيين ، أى من أصل قحطاني ، عدت عك من قحطان . وقد سبب تشابه « عدنان » و  
« عدنان » تشويشا كبيرا للنبابين .

و « عك » من القبائل العربية العتيقة ، ويظهر أنهم « Akkitaia »  
الذين أشار اليهم بطليموس ، والظاهر أن « معدا » و « عكا » عاشتا متجاورتين ،  
ولهذا عدتا عند النسابين شقيقتين . وأرى أن « عدنان » أو « عدنان » أخذتا من أصل واحد  
في وقت ربما لا يكون بعيدا عن الاسلام ، وليس بمستبعد أن تكون « عدنان » أو « عدنان »  
اسم أرض كانت تنزل بها « عك » و « معد » ثم نسي اسم الأرض ، وصار اسم والد « عك »  
أو والد « معد » ، وقد تحرف الاسم قليلا فتولد منه « عدنان » أو « عدنان » .  
ويلاحظ أن وزن هذا الاسم من أوزان الأسماء التى يكثر وجودها عند اليمانيين .

#### من الحياة الاجتماعية :

ولعل من أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية عند القبائل المفاخرة والشعار والتحالف <sup>(٥)</sup>  
فأما المفاخرة ، ويقال لها المنافرة والمخاجلة <sup>(٦)</sup> ، فهى المباهات بالأشياء الخارجة عن  
الإنسان والتمدح بالخصال <sup>(٧)</sup> . وفى الكتب العربية أمثلة كثيرة من المفاخرات التى

(١) الاغانى (١١/١٥٤) . Ency Vol, I, P. 240.

(٢) جوهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٠٩ ، وتاريخ الطبرى ١/١١١-١١٢ ،  
(الكامل ١٢/٢) .

(٣) اللسان (١٢/٣٥٧) . Ency. Vol, I, P. 240.

(٤) Ency Vol, I, P. 240. (٥) Muh. Stud, Bd, I, S, 54.

(٦) أمثال العرب ص ١٨ ، الاغانى (١٤/١٠٠) ، القاموس المحيط (٢/١٠٨) .

(٧) Muh. Stud, Vol, I, P. 54 « تفاخر القوم فخر بعضهم على بعض » لسان العرب .

(٦/٣٥٤) .

(٧) بلوغ الأرب (١/٢٧٨) .



وقعت في الجاهلية بين القبائل والأسر والأفراد . وتكون المفاخرة بالفخر بالآباء والأجداد ، وبالسيادة والأشراف ، وبالكثرة ، وبالحسب والنسب ، حتى انهم انطلقوا في بعض الأوقات الى القبور فكانوا يشيرون الى القبر بعد القبر ، ويقولون : فيكم مثل فلان ومثل فلان<sup>(١)</sup> ؟ وفي ذلك نزلت الآية « الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ، كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون<sup>(٢)</sup> » .

وطالما كانت تؤدي هذه المفاخرات الى وقوع حروب وسفك دماء<sup>(٣)</sup> ؛ ولذلك أبطلها الاسلام ، ونهى عن تعاطيها بالكلية<sup>(٤)</sup> . ودم القرآن الفخور بقوله « والله لا يحب كل مختال فخور<sup>(٥)</sup> » . ونهى عن المعاودة اليها<sup>(٦)</sup> .

وتكون المفاخرة في السلم والحرب . أما في الحرب فتكون بتباهي المحارب بنفسه ، ونسبه ونسب قبيلته ، وبمركزه ، فيثير ذلك حماسة قومه ، والجانب المعادي الذي يخرج له رجلا يفتخر بنفسه أيضا ، وبقبيلته ، وبأنه كفء له بل أكفأ منه ، ثم يقع القتال بين الرجلين<sup>(٧)</sup> . ويكون ذلك رجزا في الغالب ، ويصحبه هجاء يقوله شعراء الطرفين ويوقدون به نار الحماسة في قلوب المتحاربين<sup>(٨)</sup> .

أما في سائر الأيام فقد كانت المفاخرات من القضايا المألوفة التي يكثر وقوعها بين الأفراد والأسر والقبائل وفروعها . وتقع بحضور محكمين في الغالب ، أو طرف ثالث محترم ، وعلى الطرفين قبول الحكم واطاعته<sup>(٩)</sup> . وبحضور جماعة من الناس

(١) بلوغ الأرب (١/٢٧٩) .

(٢) سورة التكاثر ١٠٢ ، الآية ١ فما بعدها .

(٣) العقد الفريد طبعة العريان (١٠١/٦) . الأزرقي ( ص ٤٨٣ ) .

Muh. Stud. Vol, I, P. 56.

(٤) بلوغ الأرب (١/٢٧٨) .

(٥) سورة لقمان ٣١ ، الآية ١٨ ، سورة الحديد ٥٧ ، الآية ٢٣ « ان الله لا يحب

من كان مختالا فخورا » سورة النساء ٤ الآية ٣٦ .

(٦) « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم » سورة الحديد

٥٧ ، الآية ٢٠ ، سورة التكاثر ١٠٢ ، الآية ١ فما بعدها .

Mnh. Stud. Bd, I, S, 54. (٧)

Muh. Stud. Vol, I, P. 46 (٨)

استعان المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة

بعدد من الشعراء لهجاء الحارث بن جبلة الغساني في حروبه التي وقعت معه ، ولائارة

الحماس في نفوس محاربيه . أمثال العرب للمفضل الضبي ( ص ٥٠ ) فما بعدها .

Muh. Stud. Vol, I, P. 56. Caussin de Perceval. 2. P. 565. Freytag, (٩)

Einleitung in das Studium der Arabischen Sprache, P. 184.

يستمعون قول الطرفين من شعر ونثر ، يختلف عددهم باختلاف أهمية المتنافرين ومنزلتهم الاجتماعية، ويقال لمثل هذه الأيام يوم المفاخرة ويوم الفخار و «يوم النفورة» (١) أو المنافرة، ويتأنق المتنافرون في تمييق كلامهم وفي تجميله ، وترتب مثل ذلك على المحكمين الذين يجب أن تكون أحكامهم فضلا عن ذلك دقيقة مسبوكة سبكا محكما قصيرة . وقد حفظت الكتب نماذج منها ، وأصبح بعضها مصرب الأمثال (٢) . ولا يتتخب بالطبع لمثل هذه المهمة الشاقة الا وجهاء القوم الذين يسمع قولهم ولهم علم بأحوال الناس والانساب والأحساب وبنون القول .

ومن هذه المفاخرات مفاخرة وفود ربيعة ومضر ابني نزار عند التعمان بن المنذر (٣) ، ومفاخرة آل حذيفة بن بدر وآل ذي الجدين وآل الاشعث بن قيس بن كندة عند كسرى (٤) ، ومفاخرات أخرى مدونة في الكتب منها جاهلية ومنها ما وقع في الإسلام ولا سيما في عصر بنى أمية حيث كان لها منزلة عندهم ومكانة .

والمنافرة هي التنازع في الحسب والشرف والمحاكمة فيهما . قال ابن سيده : « وكأنا جاءت المنافرة في أول ما استعملت أنهم كانوا يسألون الحاكم أينأ أعز نفرا » (٥) . وكان لكل قبيلة حكام يتحاكمون اليهم ، وقد اشتهر منهم جماعة مثل أكنم بن صيفي ابن رياح وحاجب بن زرارة والأقرع بن حابس وهاشم بن عبد مناف وآخرون . وقد اشتهرت أحكامهم، وعنى العلماء بجمعها ، وجمع المنافرات (٦) ، وتجد منها نماذج كثيرة في كتب الأدب خاصة (٧) . وكانوا يقيمون لها وزنا عظيما ؛ لأنها ترفع من القدر ، وتحط من شأنه ، وتثبت المنزلة أو تخفضها ، وقد قال زهير بن أبي سلمى :

واما أن يقولوا قد وفينا  
فان الحق مقطعه ثلاث  
بذمتنا وعادتنا الوفاء  
يمين ، أو نفار ، أو جلا . (٨)

(١) قال ابن هرمة :

يبرقن فوق رواق ابيض ماجد  
لسان العرب (٨٤/٧) .

(٢) Muh. Stud. Vol. I. P. 57. (٣) بلوغ الأرب (٢٨٠/١) .

(٤) بلوغ الأرب (٢٨١/١) .

(٥) لسان العرب (٨٤/٧) ، القاموس (١٤٦/٢) .

(٦) بلوغ الأرب (٢٨٨/١) ، الفضليات (ص ٧٠٥) .

(٧) الأغاني (٥٠/١٥) « أنافرك على . . . . . بلوغ الأرب (٢٨٨/١) .

فما بعدها .

(٨) لسان العرب (٨٤/٧) ، شرح ديوان زهير بن ابي سلمى صنعة ثعلب (ص ٧٥) .



يريد أن الحق ينفذ بكل واحدة منها : اما تنافر الى رجل يتبين حجج الخصوم ويحكم بينهم ، واما يمين ، واما جلاء وهو أن ينكشف الأمر وينجلي فتعلم حقيقته فيقضى به لصاحبه دون خصام ولا ويمين<sup>(١)</sup> .

### الشعار :

والشعار العلامة في الحرب والسفر وغيرها<sup>(٢)</sup> ، فكانوا يضعون للعساكر شعارا ، أى علامة يعرف الرجل بها رفقته ، كما كانوا يضعون لأنفسهم شعارا في السفر . واذا حمى وطيس القتال ينادى القوم بالشعار . وقد كان ذلك متبعا حتى في الاسلام ، جاء : أن شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الغزو « يامنصور أمت أمت » . وهو تفاعل بالنصر بعد الأمر بالامامة<sup>(٣)</sup> . وكانوا يتصايحون في النفي وفي الحرب بشعار القبيلة مثل : بالربيعة ، بالخزيم ، بالنزار ، أو ياللازرد<sup>(٤)</sup> . وعلى أفراد القبيلة أو القبائل تلبية الدعاء . وتعد التلبية من أهم مفاخر الرجال والقبائل وواجبا من الواجبات .

### الأحلاف :

ويرى كثير من المستشرقين الذين عنوا بدراسة موضوع « الأنساب » أن أكثر أسماء أجداد القبائل أو أسماء آبائها هي أسماء « أحلاف » ضمت عددا من القبائل ، توحدت مصالحها فاتفقت على عقد حلف فيما بينها ، فانسبت القبائل الضعيفة منها الى القوية . ويستشهدون على ذلك بما ورد في المؤلفات العربية الاسلامية مما يؤيد هذا الرأي . قال البكري : « فلما رأَت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة ، وتنافس الناس في الماء والكلأ ، والتماسهم المعاش في المتسع ، وغلبة بعضهم بعضا على البلاد

(١) شرح ديوان زهير ( ص ٧٥ الحاشية ٣ ) .

(٢) لسان العرب (٦/٨١) ، البستان تأليف الشيخ عبدالله البستاني ، بيروت ١٩٢٧ (١/١٢٣١) ، « الشعار العلامة التي يتعارفون بها في الحرب ، وهي أن يذكر الرجل أشرف من في قومه ويدعوه باسمه » ديوان التباغة الذبياني شرح البطليوسي ص ١٢ ، القاهرة ١٢٩٣ هـ .

(٣) لسان العرب (٦/٨١) ، وكان شعار أصحاب رسول الله يوم فتح مكة وحنين والطائف شعار المهاجرين : يابنى عبدالرحمن ، وشعار الخزرج : يابنى عبدالله ، وشعار الأوس : يابنى عبيدالله . ابن هشام (٤/٢٨) .

(٤) Muh, Stud. Vol, 1. P. 61. Kinship. P. 44. يال ساعد ، يال كعب .

الأغاني (١٥/٧١) ، يالطي . شرح ديوان الحماسة (١/١٦٨) .

والمعاش، واستضعاف القوى الضعيف، انضمام الذليل منهم الى العزيز، وحالف القليل منهم الكثير، وتباين القوم في ديارهم ومحلهم، وانتشر كل قوم فيما يليهم» (١) .

لقد دفعت الضرورات قبائل شبه الجزيرة على تكوين الأتحلاف، للمحافظة على الأمن والدفاع عن مصالحها المشتركة كما تفعل الدول . واذا دام الحلف أمداً، وبقيت هذه الرابطة التي جمعت شمل تلك القبائل متينة، فإن هذه الرابطة تنتهي الى نسب حيث يشعر أفراد الحلف أنهم من أسرة واحدة تسلسلت من جد واحد، وقد يحدث ما يفسد هذه الرابطة، أو ما يدعو الى انفصال بعض قبائل الحلف، فتتضم القبائل المنفصلة الى أتحلاف أخرى، وهكذا نجد في شبه الجزيرة أتحلafa تتكون، وأتحلafa قديمة تتحل أو تضعف (٢) .

ولم يكن في مقدور العشائر أو القبائل الصغيرة المحافظة على نفسها من غير حليف قوى يشد أزرها اذا هاجمتها قبيلة أخرى أو أرادت الأخذ بالنار منها. لقد كانت معظم القبائل داخلة في هذه الأتحلاف، الا عدداً قليلاً من القبائل القوية الكثيرة العدد، وكانت تتفاخر بنفسها، لأنها لا تعتمد على حليف يدافع عنها، بل كانت تأخذ بأرأها وتنال حقها بالسيف (٣) . ويشترك المتحالفون في الغالب في المواطن، وقد تنزل القبائل على حلفائها، وتكون الهيمنة بالطبع في هذه للقبائل الكبيرة (٤) .

وقد عرفت مثل هذه الأتحلاف عند سائر الشعوب السامية كالعبرانيين مثلاً، وطالما انتهت تلك الأتحلاف كما انتهت عند العرب الى نسب حيث يشعر المتحالفون أنهم من أسرة واحدة يجمع بينهم نسب واحد (٥) . ويقال للحلف أيضاً « تحالف » ، وعند

(١) معجم ما استعجم ٥٣/١ ( طبعة السقا ) .

(٢) Muh. Stud. Vol, I, P. 64. (٣) Muh. Stud. Vol, I, P. 65.

(٤) « وكانوا نزولاً على حلفائهم » الاغانى ١٢/١٢٣ ، ١٢٤ « كان ناس من بطن من قضاة يقال لهم بنو سلامان بن سعد بن زيد بن الحاف بن قضاة وبنو سلامان بن سعد أخوة عذرة بن سعد ، وكانوا حلفاء لبني صرمة بن مرة ونزولاً فيهم . وكان الحرقة وهم بنو حميس بن عامر بن جهينة حلفاء بنى سهم بن مرة ، وكانوا قوما يرمون بالنبل رمياً شديداً ، فسموا الحرقة لشدة قتالهم ، وكانوا نزولاً في حلفائهم بنى سهم بن مرة » .  
الاجانى ١٢/١١٨ « تحقيق الشنقيطى » .

(٥) Keunen, De Godsdienst Van Israel, I, P. 113. Noldeke, in ZDMG, XI, P. 15.7



اليمنين « تكلع » (١) .

ويرى « كولد زهير » أنه لفهم الأنساب عند العرب ، لابد من معرفة الأحلاف والتحالف ، فانها أساس تكون القبائل ، فان هذه الأحلاف التي تجمع شمل عدد من البطون والعشائر والقبائل الصغيرة هي التي تكون القبائل والأنساب ، كما أن تفكك الأحلاف وانحلالها يسبب تفكك الأنساب وتكوين أنساب جديدة . ويرى أيضا أن الدوافع التي تكون هذه الأحلاف لم تكن ناشئة عن حس داخلي بوجود قرابة وصلة رحم بين المتحالفين وشعور بوعى قومي ، بل كانت ناشئة عن المصالح الخاصة التي تهتم العشيرة كالحماية والاخذ بالتأمر وتأمين المعيشة . ولذا نجد أن الضعيف منها هو الذي يفنئ عن حليف قوى ، فانضمت « كعب » مثلا الى « بنى مازن » وهم أقوى من « كعب » ، وانضمت « خزاعة » الى « بنى مذليج » كما تحالفت « بنو عامر » مع « اباد » . وأمثلة أخرى عديدة (٢) .

ولما كانت المصالح الخاصة هي العامل الفعال في تأليف الأحلاف ، كان أمد الحلف يتوقف في الغالب على دوام تلك المصالح . وقد تعقد الأحلاف لتنفيذ شروط اتفق عليها ، فمتى نفذت أو تلكأ أحد الطرفين في التنفيذ انحل الحلف . وتعد هذه الناحية من النواحي الضعيفة في التاريخ العربي ، فان تفكير القبائل لم يكن يتجاوز عند عقدهم هذه الأحلاف مصالح العشائر أو القبائل الخاصة ، لذلك نجدها تتألف للمسائل الداخلية التي تخص قبائل شبه الجزيرة ، ولم تكن موجهة للدفاع عن شبه الجزيرة ومقاومة أعداء العرب . ولا يمكن أن نطلب من نظام يقوم على العصبية القبلية أن يفعل غير ذلك . فان وطن القبيلة ضيق بضيق الأرض التي تنزل فيها ، فاذا ارتحلت عنها ونزلت في أرض جديدة ، كانت الأرض الجديدة الموطن الجديد الذي تبالغ القبيلة في الدفاع عنه . ولما كانت هذه النزعة الفردية هي هدف سياسة مشايخ القبائل ، أصبحت حتى اليوم من أهم العوائق في تكوين الحكومات الكبيرة في شبه جزيرة العرب ، ومن أبرز مظاهر الحياة السياسية قبل الاسلام .

ونظرا الى ماللحلف من قدسية في النفوس ، أصبح من المعتاد عقده في مراسم مؤثرة

(١) صفة ١٠٠ ، الاشتقاق لابن دريد ص ٣٠٧ . النقائض ص ٤٦ (ليدن ١٩٠٥) .

(٢) Muh. Stud. I, P. 64. ابن دريد الاشتقاق ص ١٢٤ ، هذليين ص ٢٢٤ ،

ورد وصف بعضها في المؤلفات الاسلامية مثل « حلف المطيين » الذي عقد في مكة بعد اختلاف بني عبدمناف وهاشم والمطلب ونوفل مع بني عبدالدار بن قصي ، واجماعهم على أخذ ما بأيدي بني عبدالدار مما كان قصي قد جعله فيهم من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ، فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا ، على ألا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضا ، ما بل بحر صوفة . فأخرج بنو عبدمناف جفنة مملوءة طيبا ، فيزعمون أن بعض نساء بني عبدمناف أخرجنها لهم ، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ؛ ثم غسس القوم أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم ، فسموا المطيين ، وتعاقد بنو عبدالدار ، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا على ألا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضا ، فسموا الأحلاف<sup>(١)</sup> .

ومن هذا القبيل حلف الفضول حيث تداعت قبائل من قريش الى حلف وتعاهدوا وتعاقدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عنه مظلّمته ، فسنت قريش ذلك الحلف حلف الفضول<sup>(٢)</sup> . وهو من الأحلاف التي ظل الناس يحترمونها أحكامها حتى في الاسلام<sup>(٣)</sup> . وقد عقد على هذه الصورة : اجتمعت بنو هاشم وأسد وزهرة وتيم في دار عبدالله بن جدعان ، وصنع لهم طعام كثير ، ثم « عمدوا الى ماء من ماء زمزم فجعلوه في جفنة ، ثم بعثوا به الى البيت فغسلت به أركانها ، ثم أتوا به فشرّبوه<sup>(٤)</sup> » .

ومن تلك الأحلاف حلف لعقة الدم ، وقد عقد على أثر تخاصم القبائل من قريش في وضع الحجر الأسود في موضعه ، فلما استعدت للقتال « قربت بنو عبدالدار جفنة

(١) ابن هشام ١٤٣/١ فما بعدها . ابن الأثير ١٨٣/١ ، تاريخ الطبري ١١٣٨/١ ( طبعة أوربة ) لسان العرب ٤٠٠/١٠ . والأحلاف ست قبائل : عبد اندار ، وجمع ، ومخزوم ، وبنو عدى ، وكعب ، وسهم . المعارف ص ٢٠٤ ( طبعة وستنفلد ) . اليعقوبي ٢٨٧/١ ( طبعة هوتسما ) التنبيه ص ١٨٠ ( طبعة الصاوي ) .

Caetani, Annali, Vol. I, Intro., §§. 120 2. I. anno. 8, §§. 20—21. Ency. 2. P. 307.

(٢) ابن هشام ١٤٥/١ ( الطبعة نفسها ) . الأغاني ٦١/١٦ فما بعدها . المعارف ٢٠٤ ( طبعة هوتسما ) . ابن دريد الاشتقاق ص ١١١ ( طبعة وستنفلد ) . العقد الفريد ٤١/٢ ( القاهرة ١٣١٦ هـ ) .

(٣) لسان العرب ٣٩٩/١٠ ابن هشام ١٤٥/١ وما بعدها .

(٤) الأغاني ٦٤/١٦



مملوءة دما ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة ، فسموا لعقة الدم « (١) » . ويظهر أن عقد الحلف بادخال الأيدي فى الدم كان من المراسيم المعروفة . جاء فى قصة قتل الهجرس لجساس بن مرة بن ذهل بن شيان ، وهى من قصص قتال بكر وتغلب : أن جساسا حينما طلب من الهجرس تناسى الماضى والدخول فيما دخل فيه الناس من الصلح ، أخذه الى قومه وقص عليهم قصته ، ثم قال لهم : « وهذا الفتى ابن أختى ، قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ، ويعقد ما عقدتم . فلما قربوا الدم ، وقاموا الى العقد ، أخذ الهجرس بوسط رمحه ، ثم قال : أما وفرسى وأذنيه ، ورمحى ونصليه ، وسيفى وغراريه ، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه . ثم طعن جساسا فقتله » (٢) . وقد عرف قوم من بنى عامر بن عبد مناة بن كنانة بلعقة الدم . وكانوا ذوى بأس شديد (٣) . وجاء أن ختعا انما سموا ختعا لانهم غمسوا أيديهم فى دم جزور (٤) .

والغالب عند القبائل عقد الأحلاف على النار ، فكانوا اذا أرادوا الحلف ، أوقدوا نارا ، وعقدوا حلفهم عندها ، ودعوا بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد ويحل العقد . وكان سدنة النيران يطرحون فيها ملحا ، وأحيانا ملحا وكبريتا ، يهلون بها على الحالف ، فاذا استشاطت قالوا للحالف « هذه النار تهددك » فان كان مبطلا نكل وان كان بريئا حلف ولهذا سموها « نار المهول » (٥) . أو « نار الهولة » أو « المهولة » (٦) . وقد يطرحون فى النار البخور ، أو يلقون الأخشاب النفيسة ذات الروائح الطيبة الزكية (٧) .

**قال أوس بن حجر يصف حمار وحش :**  
 اذا استقبلته الشمس صد بوجهه  
 كما صد عن نار المهول حالف (٨)

(١) ابن هشام ٣١٣/١ ، Muh. Stud. Bd. I, Vol. 67.

(٢) الاغانى ١٥٠/٤ « لاق الدم » الاغانى ١٥٦/١٨ .

(٣) الاغانى ٢٦/٧ . (٤) المفضليات ( ص ٧٠٥ ) .

(٥) بلوغ الأرب ١٦٢/٢ ، ١٦٦ . لسان العرب ٢٣٨/١٤ .

(٦) Muh. Stud. Vol. I, P. 66. Goldziher, in Literaturblatt Für Orient. Philologie.

1886. P. 24. Kinship. P. 58.

(٧) Muh. Stud. Bd. I, S. 66. Robertson Smith, Kinship. P. 46 F. Goldziher, in

Literaturbla. Für Orient. Philologie. 1886. P.24.

(٨) لسان العرب ٢٣٨/١٤ ، « روى أبو الحسن أنه كان يزيد بن أبي حارثة بن =

وهناك أسماء يظهر منها أنها كانت أسماء أحلاف عقدت في مراسيم خاصة مثل « الرباب » ، وهم خمس قبائل تجمعوا فصاروا يدا واحدة : ضبة وثور وعكل وتيم وعدى . قال الأصمعي : سموا بذلك لأنهم أدخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا وتحالفوا عليه (١) . ولعل من هذا القبيل الحلف الذي كان بين بنى بغيض بن عامر بن لؤي وبني محارب بن فهر ، ويقال لهما « الأجران » (٢) . قال صاحب الأغانى : « وإنما قيل لهما الأجران من شدة بأسهما وعرهما من ناوأهما كما تعر الجرب » (٣) .

وقد تعقد بعض الأحلاف لغايات معينة مثل ذلك الحلف الذي كان بين أسد وغطفان ، ويقال لهما الحليفان لأنهما تعاقدا وتحالفا على التناصر (٤) . والحلف الذي كان بين عبس وذبيان وبين عبس وبني سعد من تميم (٥) . وقد عقد هذا الحلف الثاني بعد اختلاف عبس وذبيان ووقوع القتال بينهما حتى كادا يتفانيان بالحرب . وقد تحالف قوم منهم فأدخلوا أيديهم في عطر على أن يقاتلوا حتى يموتوا (٦) حتى تدارك عقلاء

= سنان ، وهو أخو هرم بن سنان الذي مدحه زهير ، يمحش المحاش ، وهم بنو خصيلة بن مرة وبنو نسيبة بن غيظ بن مرة على بنى يربوع بن غيظ بن مرة رهط النابغة ، فتحالفوا على بنى يربوع على النار ، فسموا المحاش بتحالفهم على النار . ديوان النابغة مع شرحه للبطلبيوسى ص ٦٩ « وكانوا تحالفوا عند نار حتى أمحشوا أى احترقوا » ص ٧٠ « حلف المحرقين » . Muh. Stud. Bd. I, S, 67.

(١) لسان العرب ١-٣٨٨ ، الأغانى ٩/١٤ ، العقد ٢/٥٩ ، تاج العروس ١/٢٦٤ .  
Muh. Stud. Vol, I. P. 67.

(٢) Muh. Stud. Bd. I, S, 67. (٣) الأغانى ٤/١٥٤ .

(٤) لسان العرب ١٠/٤٠٠ ، قال زهير :

فمن مبلغ الاحلاف عنى رسالة وذبيان هل اقسمت كل مقسم  
وفى رواية « ألا أبلغ الاحلاف عنى رسالة » . والاحلاف أسد وغطفان . شرح ديوان زهير ص ١٨ .

(٥) Muh. Stud. Vol, I. P. 67.

(٦) شرح ديوان زهير ص ١٥ ، تاج العروس ٩/٧٦ .

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم  
زعم الأصمعي أن منشما امرأة عطارة من خزاعة ، فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا ، فصار هؤلاء مثل أولئك في شدة الأمر . وقيل :  
هى امرأة من خزاعة كانت تببع عطرا ، فإذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم ، فتشاهموا بها وكانت تسكن مكة . وقيل هى من حمير أو من همدان أو من جرهم .



القوم ذلك فتصالحوا . وكان يقال لهذا الحلف الذى انضمت اليه قبائل أخرى الأُحلاف<sup>(١)</sup> . وطالما كانت هذه الأُحلاف سببا من أسباب الضغطة والظلم على القبائل الصغيرة التى كانت تضطر عندئذ الى التفتيش عن حليف ليأخذ بثأرها من المعتدين<sup>(٢)</sup> .

ويقال لقوم من ثقيف «الأُحلاف»، والظاهر أنهم كانوا فى الأصل طوائف لم تتمكن من البقاء وحدها فى وسط عالم لا يعيش فيه الا القوى ، فتحالفت للدفاع عن نفسها ، ويقال لأسد وطىء الحليفان وفزارة وأسد حليفان ، لأن خزاعة لما أجلت بنى أسد عن الحرم خرجت فحالفت طيا ، ثم حالفت بنى فزارة<sup>(٣)</sup> ، وقد كانت هذه الأُحلاف تدوم مادامت المصالح متشابهة فاذا اختلف التوازن بين المتحالفين ، أو وجد أحد الطرفين أن مصالحه تقتضى الانضمام الى حلف آخر ، فسخ ذلك العقد ، وعقد حلفا آخر ، وحالف قبائل جديدة قد تكون معادية لقبائل الحلف السابق ، ويقال لفسخ الأُحلاف «الخلع»<sup>(٤)</sup> . وهكذا كانت الحياة السياسية أُحلاف ، تتكون وأخرى قديمة تنحل . ولا سيما اذا كانت قد تكونت من قبائل لارابطة دموية بينها ولا اشتراك فى المواطن ، وانما كانت عوامل مؤقتة وأحوال طارئة اقتضت تكلفتها ، ثم اقتضت انحلالها لزوال تلك الأسباب<sup>(٥)</sup> .

وخير مثال للقبائل التى اقتضت مصالحها التكتل والتحالف بينها هو الحلف الذى قيل له «تنوخ»<sup>(٦)</sup> . فقد اجتمع بالبحرين قبائل من العرب ، وتحالفوا وتعاهدوا على التناصر والتساعد والتآزر ، فصاروا يدا واحدة ، وضمهم اسم تنوخ<sup>(٧)</sup> . وحلف «فرسان» ، وهو حلف آخر قديم تكون من انضمام قبائل عديدة بعضها الى بعض للتناصر والتآزر<sup>(٨)</sup> . ولما لم يعرف أهل اللغة والأخباريون شيئا من تلك الأمور العادية أوجدوا تلك القصص والأخبار والأنساب المدونة عن تنوخ وأمثال تنوخ<sup>(٩)</sup> .

(١) لعمري لقد حالفت ذبيان كلها وعيسا على مافى الأديم الممدد  
«الأديم الممدد» يعنى الكتاب الذى قد مد قال أبو عمرو كتبوا كتباً وتحالفوا على مافى الصحف «شعر قيس ص ٢١»  
(٢) تحملت ماكانت مزينة تشتكى من الظلم فى الأُحلاف حمل التغمد شعر قيس ص ٢١

(٤) Muh, Stud. Vol, I. P. 68.

(٣) لسان العرب ٤٠١/١٠

(٦) Muh, Stud. Vol, I. P. 66.

(٥) Muh, Stud. Vol, I. P. 67.

(٧) ابن الأثير ١٣٥/١ ، الطبرى ٧٤٦/١ (أوربة) . الاغانى ١١/١٥٥ .

(٨) ابن دريد ص ٨ . Muh, Stud. Vol, I. P. 66.

(٩) Muh, Stud. Vol, I. P. 66.

وقد ورد في معلقة الحارث بن حلزة اليشكري اسم « حلف ذي المجاز » الذي عقد بين بكر وتغلب بوساطة عمرو بن هند ، وقد أخذ فيه عمرو بن هند اليهود والمواثق والكفلاء من الطرفين حذر الجور والتعدي (١) ، كما قيل لعدد من القبائل الأحاليف لعقدهم حلفا (٢) .

وكانت قريش وكنانة وخزاعة قد تحالفت على التناصر والتعاقد على سائر الناس ، فكونت بهذا الحلف قوة هائلة هابتها القبائل ، وقد سموها « حمسا » (٣) لتشددهم في أحوالهم دينا ودينا ، وقد وضعوا لهم جملة طقوس وأمور ميزوا أنفسهم بها عن غيرهم ، فكانوا إذا أحرموا لا ياقطون الاقط ، ولا يسلطون السمن ، أي لا يصفونه من الزبد ، ولا ينتفون الشعر ولا الوبر (٤) وعفوا أنفسهم من بعض الواجبات التي كان يقوم بها الوافدون على مكة ، وخفضوا من بعض شعائر الحج بالنسبة لهم (٥) . وهكذا اكتسب هذا الحلف صبغة دينية سياسية ، وعدت مقرراته قوانين محترمة تطبق على قبائل الحلف هذه ، ثم توسعوا بعض التوسع في ذلك فتمتع بهذه الامتيازات من ولد بين الحمس من ساكن الحل والحرم ، فحل لهم ما حل للأحمسي ، وحرم عليهم ما حرم على الأحمسي (٦) ، وقد تمتعت قريش التي تفوقت على القبائل الأخرى بالنفوذ بمميزات

(١) Wyndham Knatchbull, Harethi Mallakah, Cum Scholüs Zouzenü Oxonii (١) MD, CCCXX, P. 8, 26.

(٢) « الأحاليف غطفان وبنو أسد وطينا شهدوا يوم النصار بعد ما تحالفت الأحاليف » . قال ربيعة بن مقروم :

إذا حل أحياء الأحاليف حوله بنى لجب هداته وصوامله  
المفضليات ص ٣٦٤ .

(٣) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/١٩٩ ، ويروى أن بني عامر بن صعصعة دخلوا معهم في ذلك أيضا وقيل لهم الأحماس . بلوغ الأرب ٢-٢٨٩-٢٩٠ ، « وليس كل بني عامر من الحمس ولكن من ولده مجد بنت تميم بن غالب بن فهر من بني عامر وهم كلاب وكعب وكليب وعامر والحارث » . المفضليات ص ٢٥٩ .

(٤) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١-٧ ، الاقط : يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يमصل وهو بفتح الهمزة وكسر القاف وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمزة وكسرها . بلوغ الأرب ٢-٢٩٠ ، الواقدي الطبقات الكبير ١/١ ص ٤١ .

(٥) بلوغ الأرب ٢/٢٨٩ ، ابن هشام ١/٢١٦ ، لسان العرب ٧/٣٥٨ .

(٦) بلوغ الأرب ٢/٢٨٩ ، ابن هشام ١/٢١٦ « الحمس قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس وهم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان وبنو عامر بن صعصعة هؤلاء الحمس » لسان العرب ٧/٣٥٨ .



كثيرة • فلما ظهر الاسلام ، كان أمر مكة وما جاورها في يديها • والظاهر أن هذا الحلف لم يكن قديما ، فلا يتجاوز عهده عهد الفيل بكثير ، وربما كان بعد عام الفيل (١) •

كذلك ذكر أنه كان بين كنانة وخزاعة حلف على التناصر والتعاقد على سائر الناس • انقسمت عراه على أثر القتال الذي وقع بين خزاعة وبنى أسد ، فاعتلت بنو أسد خزاعة ، وطلبت خزاعة نجدة كنانة فلم تنجدها (٢) ، فانحلت رابطة الحلف • وظلت علاقات خزاعة بقريش وكنانة وأحلاف قریش على غير ما يرام • فلما كان صلح الحديبية ، دخلت خزاعة في عقد رسول الله ، فأمنت بذلك نفسها من اعتداء قریش عليها • ولما تظاهرت بنو بكر وقریش عليها ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده وعهده ، أمر رسول الله بالخروج الى مكة ، فكان عام الفتح (٣) •

ويسمح النظام القبلي للغريب بالانضمام الى قبيلة غريبة ، فيصبح واحدا منها وعليه عندئذ أن يقوم بالواجبات المترتبة على افراد القبيلة ، ويقال لهذا الحليف «مولى اليمين» (٤) • ويعز هذا الحليف بعز القبيلة ، ويذل بذلها ، وهو «مولى العصبة» (٥) • وهناك «المولى المعتق» وهو الذي أنعم عليه صاحبه بالعتق • ومولى الموالاة والمولى الحليف ، وتطبق أحكام الحماية على الجار والشريك • ويقال لابن العم والعم والأخ والابن والعصبات كلها «مولى قرابة» و«مولى ولادة» (٦) لوجود نسب يربط بينهم ودم يجري في العروق •

وقد وصف «هيرودوتس» طريقة من طرق التحالف والمؤاخاة والمحافظة على العهود عند العرب ، فذكر أن العرب يحافظون على العهود والمواثيق محافظة شديدة ، لا يشاركونهم في ذلك أحد ، من الأمم ولها قداسة خاصة عندهم ، حتى تكاد تكون من الأمور الدينية المقدسة • واذا ما أراد أحدهم عقد حلف مع آخر ، أوقفا شخصا ثالثا بينهما ليقوم باجراء المراسيم المطلوبة في عقد الحلف ، ليكتسب حكما شرعيا ، فيأخذ ذلك الشخص حجرا له حافة حادة كالسكين يخدش به راحتي الشخصين قرب الاصبع الوسطى • ثم يأخذ قطعة من ملابسهما فيغمسهما في دمي الراحتين ، ويلوث بها سبعة أحجار • ويكون مكان هذا

(١) ابن هشام ٢١٦/١ • (٢) ابن هشام ١٩١/١

(٣) ابن هشام ٤/٤ فما بعدها • (٤) Muh. Stud., Vol. I. P. 63.

(٥) اللسان ٢٨٩/٢٠ • تاج العروس ٣٩٩/٢٠

(٦) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٣٦٠/١ • تاج العروس ٣٩٩/١٠ وما بعدها •

الشخص الذي يقوم باجراء هذه الطقوس في الوسط يتلو أدعية وصلاة الى الوثنيين «Bacchus» و «Urania» . وبعد الانتهاء منها يقود الحليف حليفه الى أهله وعشيرته لاخبارهم بذلك ، وللإعلان عنه<sup>(١)</sup> . فيصبح الحليف أخاه وحليفاً أمرهما واحد بالوفاء . وقريب من هذا ما كانت تفعله قريش حين تعقد حلفاً ، حيث يأخذ الحليف حليفه الى الكعبة ، وبعد اجراء بعض المراسيم يطوفان حول الأصنام لاشهادها على ذلك ، ثم يعود الحليف بحليفه لاشهاد قريش ومن يكون في الكعبة أنثذ على صحة هذا الحلف ، وقوله مخالفة الحليف ، حيث أصبح له ماله وعليه ماعليه ، وعلى قومه حمايته حمايتهم له . وقد ذكرت كتب السيرة والأخبار والأدب طرفاً من أخبار المحالفات التي كانت تعقد بمكة وكيفيتها وبعض المراسيم التي تمت فيها .

وفي كلمة الحلف شيء من الدلالة على الطقوس والأيمان والمعاني الدينية ، ولذلك قيل للحلف اليمين ، لأن من عادتهم عند عقد الحلف بسط أيمانهم اذا حلفوا وتحالفوا وتعاهدوا وتبايعوا<sup>(٢)</sup> . وكانوا ينظرون اليها على أن لها قداسة خاصة وحرمة ، والحائت بذلك ينظر اليه بأشد أنواع التحقير والازدراء .

لقد تركت «الأحلاف» أثراً مهماً في الحياة السياسية والاجتماعية عند العرب قبل الاسلام وعند العرب في الاسلام كذلك على الرغم من الأحاديث المنسوبة الى الرسول التي تناهض فكرة «الأحلاف» : «لاحلف في الاسلام»<sup>(٣)</sup> . وقد أدرك الرسول ولاشك ضررها في المجتمع العربي حيث كانت واسطة من وسائل التفريق ، فحل الأحلاف وأحل الدولة مكانها ، وحثم على القبائل اطاعة الرسول أو من يقوم مقامه من المسلمين . وأما ما رواه قيس بن عاصم من أن الرسول قال : «لاحلف في الاسلام ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية»<sup>(٤)</sup> ، فالظاهر أنه قصد بذلك الجوار . وقد أكد الاسلام احترام

(١) وذكر هيرودوتس أن العرب تقول لـ «Urania» في لغتها «Alilat» ولـ «Bacchus» «Orotal» و «Alilat» هو «اللوات» . . Herodotus. Vol. 1. P. 213. (ed. Rawlinson) .

(٢) لسان العرب ١٧/٣٥٦ .

(٣) راجع عن الحلف والأحلاف عند الساميين .

Muh. Stud. Bd, 1, S, 69 Joh. Pedersen, Den Semitiche Ed, Copenhagen 1912.

Der Eid bei den Semiten 1914. Ency. Vol. 2. P. 307 Nallino, Raccolta., Vol, 3.P.39.

(٤) الاغانى ١٢/١٥١ .



الجار ، ووجوب الدفاع عنه<sup>(١)</sup> ، ونهى عن الأحلاف التي كانت تدعو الى الهلاك والضرر .

### طبقات القبائل :

ورتب علماء الأنساب قبائل العرب على مراتب ، هي : شعب ، ثم قبيلة ، ثم عمارة ، ثم بطن ، ثم فخذ ، ثم فصيلة . فالشعب النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان ، والقبيلة مثل ربيعة ومضر ، والعمارة مثل قريش وكنانة ، والبطن مثل بنى عبدمناف وبنى مخزوم ، ومثل بنى هاشم ، وبنى أمية ، والفصيلة مثل بنى أبي طالب وبنى العباس<sup>(٢)</sup> . وجعل ابن الكلبي مرتبة بين الفخذ والفصيلة هي مرتبة العشيرة ، وهي رهط الرجل<sup>(٣)</sup> . وبنى النويرى طبقات الأنساب على عشر طبقات هي : الجذم ، والجماهير ، والشعوب ، والقبائل ، والعمائر ، والبطون ، والأفخاذ ، والعشائر ، والفصائل ، والأرهاط<sup>(٤)</sup> . وعند نشوان بن سعيد الحميرى أن الشعب أعظم من القبيلة ، ثم قبيلة ، ثم عمارة ، ثم بطن ، ثم فخذ ، ثم جيل ، ثم فصيلة . وجعل مضر مثال الشعب ، وكنانة مثال القبيلة ، وقريشا مثال العمارة ، وفهرا مثال البطن ، وقصيا للفخذ ، وهاشما للجيل ، وآل العباس للفصيلة<sup>(٥)</sup> . وأكثر العلماء يقدمون الشعب على القبيلة ، والظاهر أن هذه الفكرة كانت قد اختمرت فى رؤوس الجاهليين الذين عاشوا فى الجاهلية القريبة من الاسلام حيث ظهرت عندهم الفكرة القومية بمعنى واسع ، وحيث نجد عندهم ظهور الكلمات التي تشير الى هذا المعنى مثل عرب اصطلاحا على سكان شبه جزيرة العرب يمانين وغيرهم ، وحيث أخذ الحس القومى يظهر بين القبائل بوجود التكلل لمكافحة الغرباء ، كالذى حدث فى معارك اليمن مع الأجباش ، وفى معارك العراق مع الفرس . وقدم القرآن الكريم الشعوب على القبائل قال الله تعالى : « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »<sup>(٦)</sup> . والشعوب هنا فوق القبائل . وتعبر عن هذا المعنى الواسع الذى اتحدث عنه . ورد فى

(١) Muh. Stud. Vol, I, P, 69. Note. 3.

(٢) بلوغ الأرب ١٨٧/٣ فما بعدها . اللسان ٥٧/١٤ ، البطن دون القبيلة ،

وقيل : هو دون الفخذ وفوق العمارة اللسان ١٩٩/١٦ .

(٣) العقد الفريد ٢٨٣/٣ فما بعدها .

(٤) نهاية الأرب ، السفر الثانى (ص ٢٦٢) فما بعدها .

(٥) منتخبات (ص ٥٥) . (٦) سورة الحجرات رقم ٤٩ آية ١٣ .

شعر حسان « شعوب العمائر » حيث قال :

وشعب عظيم من قضاة فاضل  
أولئك قومي أن دعوت أجنبي  
على كل شعب من شعوب العمائر  
ثمانون الفا في الحديد المظاهر (١)

وزاد بعض العلماء الجذم قبل الشعب ، وبعد الفصيلة العشيية ، ومنهم من زاد بعد العشيية الأسرة ، ثم العترة . ورتبها آخرون على هذه الصورة : جذم ، ثم جمهور ، ثم شعب ، ثم قبيلة ، ثم عمارة ، ثم بطن ، ثم فخذ ، ثم عشيرة ، ثم فصيلة ، ثم رهط ، ثم أسرة ، ثم عترة ، ثم ذرية . وزاد غيرهم في أثنائها ثلاثة هي : بيت ، وحى ، وجماع (٢) . وقد بحث « روبرتسن سمث » بحثا مفصلا في الحى ؛ إذ هو فى نظره وحدة سياسية واجتماعية قائمة بذاتها (٣) . وأعضاء الحى يطلق عليهم لفظ قوم (٤) ، أو أهل (٥) . وينظر أبناء الحى الواحد بعضهم الى بعض كأقرباء من نسل واحد وتربط بينهم روابط الدم . وقد استدل من معنى « الحى » على وجود معنى الحياة فى الكلمة فى الأصل . كما هو الحال فى اللغات السامية ورأى لذلك أنها رابطة قرابة وصلة رحم عند سائر الشعوب السامية . ويكون أعضاء الحى الا حرار « صرحاء » ، وفى العبرية « Ezrah » « أزراح » . أما الذين ينتمون اليه بالولاء ، فهم « الموالى » (٦) والذين يستجرون به أو بالقبائل أو الأفراد ، فيلقون حماية من يستجرون بهم ، ويكون « الجار » فى رعاية مجيره (٧) . والبطن فى نظر « روبرتسن سمث » هو أقدم أوضاع المجتمع السامى القديم ، ويقوم على أساس الاعتقاد بوجود القرابة والرابطة الدموية . ويرى أن مفهومه عند قدماء الساميين كان يختلف اختلافا بينا عنه عند العرب المتأخرين ، أو عند العبرانيين ، أو غيرهم (٨) . وقد فهم من الكلمة معنى المجموع الأكبر عند العرب ، أى بمعنى شعب أو جذم أو قبيلة (٩) ، ورأى أن هذا المعنى هو المعنى القديم للكلمة عند العرب .

(١) منتخبات (ص ٥٥) .

(٢) بلوغ الأرب ١٨٩/٣ ، « الحى الواحد من أحياء العرب ، والحى البطن من بطون العرب . ويقع على بنى أب كثروا أم قلوا » اللسان ٢٣٥/١٨ . « والعمارة الحى العظيم يقوم بنفسه » . المفضليات (ص ٤١٤) .

(٣) Kinship. P. 41 ff. « الحى » ديوان الطرماح ٩٥ ، ١١٤ .

(٤) حتى ص ٣٣ .

(٥) Kinship. P. 26. (٥)

(٦) Kinship. P. 47. (٦)

(٧) Kinship. P. 49. (٧)

(٨) Kinship, P. 46 (٨)

(٩) الهلال : الجزء الثامن من السنة الرابعة عشرة ، أيار ١٩٠٦ ص ٤٧٨ .

Kinship. P. 4



أما المعاني التي اوردوها لها فيما بعد ، فهي معان متأخرة وضعت في الجاهلية القريبة من الاسلام ، ومن جملة هذه المعاني اختصاصها بالاماكن التي تقيم فيها القبيلة أو العشيرة ، وتتألف من جملة عدد من الدور<sup>(١)</sup> . وهذا التعميم الذي ذهب اليه « روبرتسن » لا يتفق مع ماذهب اليه علماء الأنساب من جعل الحي وحدة صغيرة بالنسبة للقبيلة ، وهو رأى يظهر أنه أصوب من رأى « روبرتسن سمث » . وتكون الرابطة الدموية في الحي حسب رأى النسابين أقرب وأمتن منها في الرابطة التي تصورها هذا العالم .

وقد استدل « روبرتسن سمث » من وجود بعض الكلمات في تسلسل أسساب القبيلة مثل البطن والفخذ على مرور العرب في دور الأمومة ، وأن القبائل كانت قد أخذت أنسابها القديمة وأسماءها من الأمومة والطوطمية . وظن أن كلمة البطن في الأصل كانت تعنى معنى آخر غير الذي يذهب اليه علماء الأنساب ، ودليله على ذلك استعمال كلمة «رحم»<sup>(٢)</sup> . وقد تأثر بنظريته هذه جماعة من المستشرقين<sup>(٣)</sup> ، ومن أجل ذلك قال « روبرتسن سمث » ان البطن والحي هما أساس أقدم اشكال المجتمعات السياسية عند الساميين ، كما استدل من أسماء بعض القبائل التي تحمل أسماء بعض الحيوانات مثل بنوأسد ، وبنوكلب ، وبنوبدن ، وبنو ثعلب ، وبنو ثور ، وبنوبكر ، وبنوضب ، وبنوغراب ، وبنوفهد ، وما شاكل ذلك من أسماء جماعة من القبائل ، وبعضها عمائر ، وبعضها بطون أو فصائل على وجود فكرة «الطوطمية» عند العرب ، وعلى أن هذه الأسماء هي من ذكريات الطوطمية القديمة<sup>(٤)</sup> . وقد عد بعض العلماء الذين تأثروا بنظرية « مكلنن » « McLennan » صاحب نظرية الطوطمية «Totemism»<sup>(٥)</sup> و « سير جيمس فريزر » (Sir James G. Frazer) أن الطوطمية هي مفتاح يوصلنا الى حل كثير من المسائل

(١) Kinship. P. 44.

(٢) Kinship. P. 37ff. Robertson Smith, Religion of the Semites. 2 nd. ed.

London 1894. P. 35.

(٣) Barton., Semi. and. Hami Origins P. 95 ff.

الأمومة عند العرب تأليف «G.A. Wilken» تعريب بندلي الجوزي قازان ١٩٠٢ .

(٤) الهلال : الجزء التاسع من السنة الرابعة عشرة ، حزيران ١٩٠٦ (ص١٥٥)

Kinship. 217ff.

(٥) McLennan, in Fortnightly Review, Octo., nov, 1869, Febr. 1870. Reprinted in Studies in Ancient History. 2 nd Ser., appendix, PP. 491—569. Barton. P. 95

الغامضة من تاريخ البشرية القديم (١) .

غير أن هاتين النظريتين : نظرية الأمومة ، ونظرية الطوطمية عند العرب أو عند الشعوب السامية ، في حاجة الى دراسات عميقة ، ولم تنهياً مثل هذه الدراسات للعلماء حتى الآن ، ولا يكفي في نظري الاستشهاد بهذه الأسماء أو بما ورد في الكتب الإسلامية للحكم بتعيين الطوطمية أو دور الأمومة عند العرب في عهود يعود بعضها الى ما قبل المسيح بعدة قرون . فلا بد من دراسات الشعوب السامية الأخرى والبحث عن النصوص المدونة قبل الإسلام لابتداء أحكام قاطعة في هذا الموضوع .

### العصية :

وأساس النظام القبلي العصبية ، العصبية للأهل والعشيرة وسائر متفرعات الجذم أو الشعب ، أو القبيلة . ومن شروطها وفاء المرء لأبناء العشيرة ، والنصرة لأخيه ظالماً أو مظلوماً ، وليس له أن يتساءل : أهو ظالم أم مظلوم (٢) ؟ والعصية هي القومية المتطرفة بالمعنى الحديث (٣) . وهي ضرورية للقبائل ؛ لأنها لا تستطيع أن تدافع عن نفسها الا اذا كانت ذات عصبية ونسب ؛ وبذلك تشتد شوكتها ، ويخشى جانبها ، كما أنه لا يمكن وقوع العدوان على أحد مع وجود العصبية . وتقوم العصبية على النسب ، وهي تختلف لذلك باختلاف درجات التحام الانساب ، ولذلك نجد عصبيات مختلفة (٤) . وتشمل العصبية الصرحاء والموالى والجيران . وبفضل هذا القانون تمكن من لاقبيلة له ، أو من قام بعمل استوجب فراره من قبيلته وخلعه من تأمين حقوقه والحفاظة على حياته وأمواله .

ويبقى الفرد متمتعاً بعطف قبيلته عليه ، وبحمايتها له مادام قائماً بواجباته المترتبة عليه ، شاعراً بعظم التبعة . فاذا اقترف جرماً ، أو قام بعمل ينافي شرفه أو شرف قبيلته ، فقد حماية قبيلته له ، وهام على وجهه « طريدا » يلتمس مجاورة رجل من قبيلة أخرى

(١) Barton, P.96.

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة نبيه أمين فارس ومينير البعلبكي ( دار العلم للملايين (١/١٦) ) . « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » الامثال ص ٢٢ ( طبعة حيدرآباد الدكن ) .

(٣) Hitti, P. 27.

(٤) راجع بحث العصبية في مقدمة ابن خلدون (ص ١٠٨ فما بعدها) .



أو قبيلة بعيدة . وتكون هذه الفترة من حياة الانسان شر فترة تمر في حياته ، ولا يهدأ للطريد بال الا اذا وجد له حليفاً أو جاراً يتعهد له بحمايته والدفاع عنه (١) .

ويقال للرجل الذي تغضب عليه قبيلته وتحرمه عطفها « الخليع » ، وربما خلعوا الواحد من القبيلة ولو كان من صميمها (٢) ، ويسقط عن القبيلة كل واجب يترتب عليها اذا قام بعمل يستحق اذانة ، كما تسقط عن القبائل التي قد تتعرض للخليع بشر كل تبعة تقع عليها من نتائج الاعتداء عليه ، لخلع القبيلة الاصلية له وتبرئها منه ، فلا يطالبوا بنأره (٣) . وقد يقال له « الرجل اللعين » . واللعين هو المطرود ، وهو الذي خلعه أهله لكثرة جنائياته ، ويلعنه كل أحد ولا يؤويه انسان . واذا كان جرمه كبيراً كان يكون قد غدر أو أخفر ذمة ، جعل له مثال من طين ، فيقال : ألا ان فلانا قد غدر فالعنوه (٤) . وتعلن القبيلة عن خليعها ليكون ذلك معلوماً عند أفراد القبيلة أو القبائل الأخرى ، كأن تقول : انا خلعنا فلانا ، فلا نأخذ أحداً بجناية تجنى عليه ، ولا نؤخذ بجناياته التي يجنيها (٥) . كما يعلن الأب عن ابنه الخليع بأن يعلن في المواسم ويقول : ألا ، اني قد خلعت ابني هذا ، فان جر لم أضمن ، وان جر عليه لم أطلب . فلا يؤخذ بجرائره (٦) .

واذا ارتكب انسان جريمة القتل ، فيطالب أهل المقتول بالقود ، وهو القصاص وقتل القاتل بدل القتل (٧) . ويجوز في بعض الحالات وبرضاء القوم دفع الدية ، وهي حق القتل (٨) . ويشترك في دفعها ذوو القربى والعشيرة ، أو أفراد القبيلة تبعاً لظروف أهل القاتل المالية ومقدار الدية . واذا لم يتم القود ، أو لم يحدث التراضي على الدية ، أو اذا فر القاتل ، فلا بد من الأخذ بالنار . ولا يستقر لأهل القتل قرار الا بعد الأخذ بنأر القتل . وقد يتركون الخمر والطيبات طيلة طلبهم للنار ، فاذا تمكنوا منه

(١) حتى : (ص ٣٣ فما بعدها) .

(٢) بلوغ الأرب (٢٨/٣) ، « طريد » « بواق » عند أهل نجد .

Nallino, Raccolta, Vol. 3, P. 36.

(٣) بلوغ الأرب (٢٧/٣) . (٤) بلوغ الأرب (٢٨/٣) .

فلنقتلن بخالد سرواتكم ولنجعلن لظالم تمثالا

(٥) لسان العرب (٩/٤٩٠) . (٦) بلوغ الأرب (٢٧/٣) .

(٧) لسان العرب (٤/٣٧٤) . (٨) لسان (٢٠/٢٦١) .

استراحوا واستقروا<sup>(١)</sup> . وقد يقع عدد كبير من القتلى من أجل المطالبة بالنار كالذى روى فى قصة طلب امرىء القيس الكندى نأر أبيه من بنى أسد ، وقد آلى على نفسه أن لا يمس رأسه غسل ولا يشرب خمرا حتى يشأر بأبيه . فلما ظفر بنى أسد قتلته وأدرك نأره حل له ما حرم على نفسه<sup>(٢)</sup> . وكالذى روى أيضا فى قصة طلب قيس بن الخطيم نأر أبيه<sup>(٣)</sup> .

وقد يستغرق طلب الأخذ بالنأر عشرات السنين ، لا يكل فى خلال هذه المدة أصحاب القتل عن ادراك النأر . فعندهم أن القتل تخرج من رأسه هامة تنادى على قبره « أسقونى ، فانى صدىة » ولا ينقطع نداؤها الا حين الأخذ بالنأر<sup>(٤)</sup> . وينادى أهل القتل أو أبناء القبيلة بندااء النأر ، مثل : يانارات فلان !<sup>(٥)</sup> ومتى أدرك أهل النأر نأرهم ، ووجدوا المقتول كفؤا لدم القتل ورضوا عن ذلك ، قالوا لهذا النوع من النأر « النأر المنيم »<sup>(٦)</sup> . وينظر الى الذين يتوانون عن ادراك النأر نظرة ازدراء واحتقار ،

(١) بلوغ الأرب (٢٤/٣) .

عن الخمر حتى زاركم بالمناكب

ومنا الذى آلى ثلاثين ليلة  
شعر قيس ص ١٤ بعناية (Kowalski)

(٢) شرح ديوان امرىء القيس (ص ١٥٦) :

حلت له من بعد تحريم لها أو أن يمس الرأس منه غسولا

(٣) « قيس بن الخطيم بن عدى بن عمرو الأوسى الشاعر المشهور من أهل يثرب من شعراء الطبقة الثانية وسمى أبوه الخطيم لضربة كانت خطمت أنفه وقتل أبوه وهو صغير قتله رجل من الخزرج فشببت بذلك حروب بين قومه وبين الخزرج يطول شرحها حتى ظفر بقاتل أبيه فقتله . . . » بلوغ الأرب (٢٤/٣) .

Thaddäus Kowalski, Der Diwan des Kais ibn al — Hatim, Leipzig

شعر قيس بن الخطيم (ص ١) ، (ص ١٥) .

ولما هبطنا الحرث قال أميرنا  
حرام علينا الخمر ما لم نضارب  
فسامحه منا رجال أعزة  
فما برحوا حتى احلت لشارب

(٤) بلوغ الأرب (٣١١/٢) ، ديوان الطرماح ( طبعة كرنكو ) ( ص ٧٠ ) .

(٥) لسان العرب (١٦٦/٥) .

(٦) لسان العرب (١٦٧/٥) ، لما قتل بنو حارثة قيس بن الخطيم نقله رهطه الى منزله وقرروا الأخذ بنأره « ولم يروا له كفوا الا أبا صعصعة يزيد ، فاندس اليه رجل حتى اغتاله فى منزله ، فضرب عنقه وقطع رأسه ، فأتى به قيسا وهو على آخر رمق فلقاه بين يديه ، وقال : يا قيس ، أدركت بشأرك ، هذا هو رأسى أبى صعصعة ، فطابت نفسه ، ومات بعد ذلك بقليل . » شعر قيس بن الخطيم (ص ١ - ٢) .



وقد يلحق بهم وينسلهم العار من هذا الاهمال ، وقد يلحق ذلك العشيرة أو القبيلة برمتها ويكون لها سبة ، لهذا لا يتهاون أهل القتل عن تتبع آثار القاتل أو أقرباء القاتل أو أفراد القبيلة التي ينتمى إليها لغسل هذا العار ؛ فإن الدم لا يغسل الا بالدم . قتل رجل من بني حارثة بن الحارث يقال له مالك « الحطيم بن عدى ، وقيس بن الخطيم غلام صغير ، فلما بلغ غير بذلك وغير أيضا نار عدى وكان قتله رجل من عبدالقيس ، فلم يزل يلتمس غرة مالك حتى قتله ، وسأل عن قاتل جده العبدى فلم يزل يلتمسه في المواسم حتى وافقه بذى المجاز ، فلما أصابه وجده في ركب عظيم من قومه وليس معه الارهط من الأوس ، فخرج حتى أتى حذيفة بن بدر الفزاري ، فاستجده ، فلم ينجده ، فأتى خدش بن زهير ، فنهض معه بنى عامر حتى أتوا قاتل عدى ، فاذا هو واقف على راحلته بالسوق ، فطعنه قيس بحربة حتى أنفذ حوضه فقتله ، ثم استمر ، فأراده رهط الرجل ، فجالت بنو عامر دونه حتى نجا . . . . . (١) .

وتختلف الدية باختلاف درجات القبائل ومنازل الناس . ولكن الذي جرى عليه عامة العرب أنهم يأخذون في دية النفس مئة من الأبل (٢) ، وكانت دية الأشراف تزيد عن هذا . أما الملوك ، فكانت لهم دية خاصة يقال لها دية الملوك وهي ألف بعير (٣) . وقد يرفض أهل القتل أخذ الدية ، ويأبون الا الأخذ بالنار كالذي حدث حينما قتل رجل من بنى مازن بالولاء (أصله عبد حبشي) عبدالله بن معد يكرب أخا عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وكان هذا الحبشي قد شيب بامرأة من بنى زبيد ، فلطمه عبدالله ، فنأدى الحبشي : يا آل مازن ! فقاموا الى عبدالله فقتلوه ، فجاءت بنو مازن الى عمرو فقالوا : ان أخاك قتله رجل مناسفيه ، وهو سكران ، ونحن يدك وعضدك ، فسنألك الرحم ألا أخذت الدية ما أحبيت . فهم عمرو بذلك ، وقال : « احدى يدي أصابتنى ولم ترد » . فلما بلغ الخبر أخته ، قالت أبياتا تعير بها أخاها ، فاضطر الى ترك الدية وأخذ النار (٤) .

(١) شعر قيس (ص ٥) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١/١٨٠) ، ذكر القصة بتفصيل وبشكل آخر .

(٢) بلوغ الأرب (٣/٢٢) « قال ابن اسحاق : وحدثني رجل من بنى الدليل قال : كان بنو الأسود بن رزن يودون في الجاهلية ديتين ديتين ونودي دية دية لفضلهم فينا » ابن هشام (٤/٤) .

(٣) بلوغ الأرب (٣/٢٢) .

(٤) الأغانى (١٤/٣٢) فما بعد . Fares, P. 74, Muh. Stud. Vol, I, P. 107.

وقد تتفق القبائل على تسوية الثارات وحقن الدماء ، فتنسحب مجلس تحكيم لإصدار قرار يضمن المحكمون تنفيذه من المتنازعين ، وقد يصدرن أحكاما بإبطال المطالبة ببعض الدماء باعتبارها باطلة لاستوجب دفع الدية ، ويقال لذلك « الشدخ » ، ومنه جاء لقب أحد حكام العرب على رأى الأخباريين ، وهو يعمر بن عوف بن كعب من كنانة المعروف بالشداخ ؛ لأنه شدخ الدماء بين قريش وخزاعة ، أى أبطلها ، فلم تعط قريش الدية لخزاعة (١) .

وقد كان العرب ينفون الخلاء الى أماكن معينة مثل «حصوصى» ، وهو جبل فى الغرب كانت العرب فى الجاهلية تنفى اليه خلاءها (٢) . وكان هؤلاء يتكلمون أحيانا ، وينضم اليهم من طردتهم قبائلهم أو هاموا فى الصحارى يعترضون القوافل والمارة مثل الضليلين ، وهم الذين فضلوا الغواية على الرشاد ، والذؤبان والصعاليك (٣) وأمثالهم ، فيهددون الأمن ويعترضون سبل المارة ، يتقلون من مكان الى مكان . وكان الشاعر عروة ابن الورد يجمع حوله الصعاليك ويغزو بهم ويرزقهم مما يغممه ، ولذلك سمي عروة الصعاليك (٤) . وقيل للصعاليك واللصوص ذؤبان ؛ لأنهم كانوا كالذئاب (٥) بالنسبة لنظم المجتمع .

والغدر من الصفات الذميمة التى تلحق العار بالفرد وبالجماعات . فإذا أعطى رجل رجلا عهدا ، فلا يسعه أن يغدر به ، ولا بد له من المحافظة على العهد . وما زال العرب يحافظون على عهودهم حتى اليوم . وقد يضحي الانسان بنفسه على أن يخدش سمعته فيوصم بالغدر . وكانوا فى الجاهلية اذا غدر الرجل رفعوا له بسوق عكاظ لواء يعرفوه الناس (٦) . واذا غدر الرجل بجاره أوقدوا النار بنى أيام الحج على أحد الأخشين ، ثم صاحوا : هذه

(١) شرح ديوان الحماسة (١/١٨٩) ، ابن هشام (١/١٣٦) ، فما بعدها ، لسان العرب (٣/٥٠٣) ، الواقى الطبقات الكبير (١/١ ص ٣٨) .

(٢) البلدان (٣/٢٩٦) .

(٣) الصعاليك : الفقراء . اللسان (١٢/٣٤٢) .

(٤) اللسان (١٢/٣٤٢) ، ومن الشعراء الصعاليك جعفر بن عتبة بن ربيعة بن الحرث بن عبد يغوث بن الحرث بن معاوية بن صلاة كان فارسا شاعرا صنعوا كما أخذ فى دم ، فحيس بالمدينة ثم قتل صبيرا . الاغانى (١٥/٧٠) .

(٥) لسان العرب (١/٣٦٤) .

(٦) المفضليات (ص ٥٦) . « ان لكل غادر لواء » .



غدره فلان ، ليحذره الناس (١) .

### الحرية :

والعربي مجبول على الحرية ، وهو لا يطبق الخضوع لأحد سوى قبيلته على أن لا يؤثر ذلك في حرته الشخصية ، وقد أعجب «هيرودوتس» وغيره من كتبة اليونان والرومان بحب العرب للحرية ولقاومتهم للاسترقاق ، فذكروا أنهم كانوا الشعب الوحيد من بين الشعوب الآسيوية الذي لم يخضع لحكم الفرس ، فلم يتمكن ملوك الفرس من استعبادهم . وإنما اضطروا إلى معاملتهم معاملة أصدقاء حلفاء ، فقاموا لهم بخدمات جليلة سهلت لهم فتح مصر ، ولو كان العرب حربا على الفرس لما تمكنوا قط من حملتهم هذه على مصر (٢) . والعربي من هذه الناحية شديد التعلق بالحرية ، والأعرابي يشعر ، وهو في الحضر بين سكان القرى أو المدن ، أنه في سجن لا يطاق لكثرة القيود التي تقتضيها عادات المتحضرين ، ويسعى للعودة إلى وطنه حيث ينطلق حرا كما يشاء . والقبائل تشعر هذا الشعور نفسه ، فهي تعيش متمتعة بأعظم قسط من الحرية ، لا تضحى بها إلا لمقتضيات المحافظة على الحياة حيث ترتبط بواجبات التحالف مع القبائل الأخرى للدفاع عن النفس وتأمين ضروريات الحياة .

ولما كان لكل شيء حد ونهاية ، غدت هذه الحرية أنانية شديدة ، وفردية مطلقة حالت بين تعاون الأفراد ، ومنعت من مساعدة القبائل بعضها بعضا مع وجود خطر أجنبي داهم (٣) ، وحالت دون تكون المجتمعات الكبرى وهي الحكومات ، واقتصرت التنظيمات السياسية على القبائل ، وأصبحت العصبية للقبيلة تعنى القومية . وزاد في حدة هذه الأنانية القبلية اعتقادهم بالرابطة الدموية التي تربط الأُسُر بالعشائر ، والعشائر بالقبائل ، وأرجاع ذلك إلى الأنساب (٤) ، فلا تتعصب القبائل إلا لتلك القبائل التي تعتقد أنها وإياها من

(١) بلوغ الأرب (١٦٢/٢) قال زهير :

وتوقد ناركم شررا ويرفع لكم في كل مجمعة لواء

المفضليات (ص ٥٦) . تاج العروس ٣/٤٤٠ .

(٢) Herodotus. Vol, I. P. 254.

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية (١٦/١) . « روى أبو هريرة عن أعرابي جاء

يزور النبي قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة وقمنا معه فقال أعرابي

في الصلاة : اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا » . حتى (ص ٣٠ - ٣١) .

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية (١٥/١) .

شجرة واحدة وأصل واحد .

وقد جابهت الحكومات العربية متاعب كثيرة من الروح القبلية العنيفة ، ومن الفردية المتطرفة، فكانت هذه من أهم عوامل هدم المجتمعات السياسية الكبرى في بلاد العرب، وكانت من أعنف اعداء القومية العربية، وكانت موطن ضعف اتخذه الحُصوم والشعوبيون سببا لاحداث الفرقة ، ومقاومة كل مشروع لتوحيد كلمة العرب . وستجد في الفصول القادمة نماذج لهذا التدخل والصراع بين فكرتين : فكرة عامة ترمى الى التكلل على أساس تأسيس حكومات كبيرة ، وفكرة قبلية ترمى الى التمسك بسُلطان القبيلة والمحافظة على حرية الفرد ، وكانت ولا تزال أشد فعالية من الفكرة الأولى ، كما كانت - يا للأسف - من أهم عوامل اسقاط الحكومات ، وتأسيس الحكومات ، واثارة الحروب المستمرة التي أتت على حضارة العرب قبل الاسلام ، وسببت تدخل الأُجانب في حكومات الاسلام . ان الحياة الصحراوية - كما يقول « فرانس شتولن » - التي طبعت أصحابها بطابع الافراط في حب الحرية والفردية ، قد أثرت كثيرا في الحياة السياسية والتفكير السياسي في بلاد العرب ، فاقصرت كل الفعاليات السياسية على فعاليات القبيلة ، وتراجع الفرد بل حتى الأهل والعشيرة تجاه القبيلة ، وأثرت حتى في أشكال الحكومات التي تكونت في الأماكن الخصبه وبين المتحضرين ، فجعلت منها اتحادا من قبائل جمعت بينها مصالح متشابهة ومنافع مشتركة . فاذا ماشعرت بزوال مصلحتها أو أن من مصلحتها الانفصال عن هذا الاتحاد لا تتوانى عن تنفيذ رغباتها وتحقيقها بالقوة . وهذا ما يجعل مفهوم الحكومة عندهم يختلف اختلافا بينا عن مفهوم الحكومة عندنا (١) .

ويصعب في الحقيقة التوفيق بين الفكرة القبلية الضيقة والفكرة القومية التي تسمو فوق القبائل ، التي تعد القبائل كلها من قومية واحدة ، يصعب اقناع البدوي الذي لا يعرف قومية سوى قومية قبيلته ، ولا وطنا ثابتا سوى الوطن الذي ينزل فيه ، بوجود قومية فوق قومية القبيلة ، ووطن واحد ثابت عام هو وطن جميع القبائل . ان وطن البدوي هو الأرض التي ينزل فيها ، الأرض التي تعلن قبيلته حمايتها عليها ، فاذا ارتحلت عنها ، وحلت قبيلته في أرض أخرى ، أصبحت هذه الأرض وطنه الذي يدافع عنه ويوجود بنفسه في سبيله ما دام وطن القبيلة . أما الأوطان الأخرى ، فليست بأوطانه .

Franz Stuhlmann, Der Kampf um Arabien. Hamburg. 1916. P, 5. (١)



وأهم ما يعوز العرب قديما وحديثا في نظر « جوزيف هيل » الشعور بالقومية العربية التي هي فوق القوميات القبلية ، والشعور بلزوم الحد من حرية الفرد الجامحة ، واطاعة أوامر المجتمع في سبيل المصلحة العامة . لقد كان هذان الأمران من أهم النواقص التي اتصف بها المجتمع البدوي في شبه جزيرة العرب (١) .

وابناء البادية على جانب عظيم من الذكاء ، ولهم مقدرة فائقة على التكيف بحسب الأحوال ، وعلى هضم الثقافات الأخرى متى تهيأت لهم الفرص وتيسر لهم الموجهون والمرشدون ، فبرز عندئذ الصفات الكامنة والذكاء المكبوت تعمل بحيوية ونشاط (٢) .

وطالما كانوا لقاها يبعث دما جديدا في حياة الحضرة الخاملين . والفرد العربي مع استماتته في الدفاع عن حريته ، يطيع الأحكام والأوامر التي يصدرها رؤساء الحي أو القبيلة ، وقد كان الرؤساء يتمتعون بسلطان محترم ، ولهم سجايا وصفات تميزهم عن سائر الأفراد مثل الحنكة ، والتبصر في الأمور والشجاعة ، والكرم والسخاء ، وللرئيس امتيازات وحقوق محترمة مثل المربع ، وهو حق الرئيس في أخذ ربع الغنائم اذا حدث الغزو، وحق الصفايا وهو ما يصطفيه الرئيس، والنشيطه وهو مأصاب من الغنيمه قبل أن يصير الى مجتمع الحي ، والفضول وهو ما عجز أن يقسم لقلته فيخصص به .

لك المربع منا والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول (٣)

#### الخلاصة :

جعلت هذه الفصول المقدمة تمهيدا للفصول القادمة عن تاريخ العرب قبل الاسلام ، هذه الفصول التي سترينا صورة جديدة غير مألوفة عند الكثير منا عن تاريخ العرب ، سترينا أن ما قيل عن جهل العرب ، وعزلة شبه جزيرتهم وانكماشها عن بقية أجزاء العالم ، وعن عدم مشاركتها في التاريخ العالمي وفي الثقافة الانسانية قبل الاسلام ، هو شيء لا يستند الى أساس . سترينا هذه الفصول شبه جزيرة العرب بقعة من بقاع العالم كان لها شأن عظيم في العالم الاقتصادي ، كانت على اتصال دائم بمصر وحوض البحر المتوسط وبالمحيط

(١) Joseph Hell, Die Kultur der Araber, 2 nd.ed. Leipzig, 1919. P. 23.

(٢) حتى : (٣٧) .

(٣) لسان العرب (٤٥٧/٩) ، تاج العروس ٥/٢٣٢ .

الهندي ، وأنها نشأت منها حضارات أصيلة ، وأنها وضعت نظما للرأى دقيقة ، وتحكمت فى استخدام القوى الطبيعية والثروة الطبيعية قبل المسيح بقرون عديدة ؛ وسترينا أن شعوبها الذين عاشوا فيها قبل الميلاد بنوا معابد ضخمة ، وهياكل كبيرة ، وبيوتا ، وسيروا تجارتهم الى اسواق العالم القديم ، وسفنههم الى البحار فى الوقت الذى كان فيه العبرانيون مثلا يكفر بعضهم بعضا لاتخاذهم بيوتا ، ولتركهم خيمة « يهوه » واستبدالهم بها هيكلا من الحجارة على طريقة الوثنيين .

وسأبدأ فى الفصول القادمة بالحديث عن حكومات «معين» و «قبتان» و «حضر موت» و «سبا» وغيرها ، لآتنا نملك نصوصا عديدة كتبها ملوك هذه الحكومات ، أو قادتها أو مشايخها أو أفرادها فى أمور متفرقة ، أكرها - وبالأسف - شخصى ، ويرجع تاريخ بعضها الى الألف الثانية قبل الميلاد ، وقد اعتمدت - فى الدرجة الاولى - فى تدوين تاريخها على أصول النصوص المدونة ، فهى المنبع الأول الذى يجب أن يستقى منه تاريخ العرب قبل الاسلام ، ثم رجعت الى ترجمات عدد منها عند تعذر وجود صور النصوص الأصلية المدونة بالمسند لدى ، واضطرت فى أكثر الأحيان الى مطابقة الأصل بالترجمة ، اذ وجدت أن بعض الترجمات ولاسيما القديمة منها غير متقنة بل سقيمة أحيانا . وقد دفعتنى هذه الدراسات الى الاشتغال فى وضع كتاب فى نحو هذه اللهجات يكون أوسع من الكتاب الذى وضعه «اغناطيوس غويدى» وسماه «المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية» وعلمى أنه الكتاب الوحيد الذى وضع فى اللغة العربية فى هذا الباب<sup>(١)</sup> ، عسى أن تدارك حكومات الدول العربية هذا التقصير الشائن فتهتم بتاريخ العرب قبل الاسلام اهتمامها بالاشوريات والبابليات والسوريات والفينيقيات والمصريات واليونانيات والرومانيات والعبرانيات على الأقل .

هذا وانى أعتقد أن الوقت قد حان لقيام العرب أنفسهم بالبحث فى تاريخهم القديم ، وقد أصبح لديهم نفر من المتخصصين لا يريدون من حكوماتهم الا مؤازرتهم ومعاضدتهم فى اعداد وسائل النشر والبحث والسفر الى مواطن الآثار للكشف عن آثار الأجداد ، وهو واجب قومى انسانى معا ، ومن العار أن يوسم هذا

(١) من نشریات الجامعة المصرية مجموعة الأبحاث التى تقوم بنشرها كلية الآداب ،

الجزء الثانى ، القاهرة سنة ١٩٣٠ م ١٣٤٩ هـ .



الشعب بالجهل والبداءة ، وأن يقال عنه انه شعب ساذج بسيط ظهرت الحضارة عنده  
في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي ، مع أن له تاريخا حافلا قديما ،  
وأن تفضل أوربة أو أمريكا عليه بارسال بعثاتها الى شبه الجزيرة للكشف عن كنوز  
الأجداد ، ويكون لها منة في اعناقنا ، وفي استطاعتنا القيام بهذا العمل القومي الخطير •  
وما أحوجنا الى يوم نسمع فيه أصوات المتخصصين من العرب ترتفع لتحكم في تاريخ  
شبه جزيرتنا حكما علميا منطقيا ، يفهم التاريخ خيرا من فهم الغرباء له •

## الفصل الخامس

# تاريخ شبه جزيرة العرب

أشرت في ثنايا كتابي الى أن شبه الجزيرة لم تحظ بالعناية اللازمة من العلماء ، وأنها لاتزال مجهولة حتى الآن ، وأن أرضها لم تسهل استقبال البعثات التنقيبية الكبيرة التي تقوم بأعمال الحفر العميق . وقلت : ان بعض الجامعات والجمعيات العلمية أخذت توجه أنظارها نحو شبه جزيرة العرب ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية . ولهذا فاننا لانستطيع الآن - وبالأسف - الصعود بتاريخ شبه الجزيرة الى عهود بعيدة ، وان كنت على يقين من أن العلماء سيتمكنون في المستقبل ، أى بعد ارسال البعث العلمية والقيام بأبحاث عميقة ، من صعود درجات كثيرة في سلم تاريخ شبه الجزيرة .

لقد قلت : ان من رأى العلماء أن شبه الجزيرة كانت تتمتع ، في العصر الجليدى « Ice Age » « Glacial Epoch » ، أو « Pleistocene ice Age » ، بجو دافئ بالنسبة الى أجواء أوربة والأقسام الشمالية من آسيا الواقعة شمال ايران ، وكانت تغطيها الثلوج ، وان الأمطار كانت تتساقط بغزارة على شبه الجزيرة وشمال افريقية ، فكانت تنمو لذلك فيها الأشجار ، وتغطي سطوح سهولها النباتات والأعشاب ، على عكس ما نراه الآن حيث تقل الأمطار ، ويكثر الجفاف ، والتربة في الغالب ذات طبيعة صحراوية (١) . وقد ذكروا أيضا أن الثلوج حين أخذت تنحسر بالتدريج ، أخذ الجفاف يظهر في هذه الأجواء التي كانت تتمتع بنعيم المطر ، فصار من تعود من البشر المعيشة على حافات المناطق الثلجية يزحف معها نحو الشمال ويحتل الأرضين التي تحررت من رق الثلوج ، متعبا طريق الثلج متبعا السبل التي تسلكها الحيوانات التي تميل الى العيش في الأجواء

Ency. Brita. Vol. 15 P. 463. (١)



الباردة ليستفيد من لحومها وجلودها . وأخذ سكان شمال افريقية وشبه جزيرة العرب في الوقت نفسه يزحفون الى مناطق أكثر ملاءمة لهم ، حيث تعسرت الإقامة في جنتهم القديمة التي أبدلتها الطبيعة صحارى ، قليلة الأمطار ، وحدثت لذلك الهجرات (١) .

وكانت مناطق الشرق الأوسط ترفل بنعيم الأمن والسلام على رأى « Ellsworth Huntington » طوال تلك العهود . فلما تبدل الجو ، تبدلت أخلاق الناس ، فجلب الجفاف عليهم الفقر ، والفقر آفة من شر الآفات التي تحل بالانسان ، وأخذت شعوب شبه الجزيرة تحارب بعضها بعضا ، للتسابق الى المراعى والمناطق الخصبة ، وأخذت شعوب شبه الجزيرة تفتش عن مناطق جديدة فذهب « الهكسوس » الى مصر ، واتجه الفينيقيون نحو لبنان ، وغزا الارميون بلاد الشام ، وحملت الضائقة الاقتصادية القبائل على ترك منازلها التي أصبحت غير قادرة على تقديم القوات اللازم للناس (٢) .

ويصعب بالطبع بقاء العاديات مدة طويلة في مناطق مكشوفة سهلة ، وفي أرضين صحراوية لاحماية فيها لحفظ تلك الأشياء ، ومع ذلك فقد عثر على أدوات حجرية يرى من فحصها أنها تعود الى العصر « Palaeolithic » المتأخر (٣) . وقد وجدت بين هذه الأدوات فأس طولها سبعة عقد ونصف عقدة ولها لون يميل الى الخضرة ، عثر عليها في موضع يقال له « دوادمى » (Dawadami) ، وهو يبعد ٣٧٥ ميلا عن ساحل خليج فارس ، وقد وجدت فيه مدفونة تحت سطح التربة (٤) . وعثر على مثل هذه الأدوات الحجرية في مناطق أخرى من شبه جزيرة العرب وفي جملتها الأحساء ، ويظهر أن قسما منها استورد من الاقسام الغربية من شبه جزيرة العرب ؛ لأنها تتكون من حجارة لا توجد في العروض . ووجد بين هذه الأدوات ما هو مكون من حجارة بركانية ، وبعضها من حجارة « الكوارتز » وغيرها من أنواع الصخور .

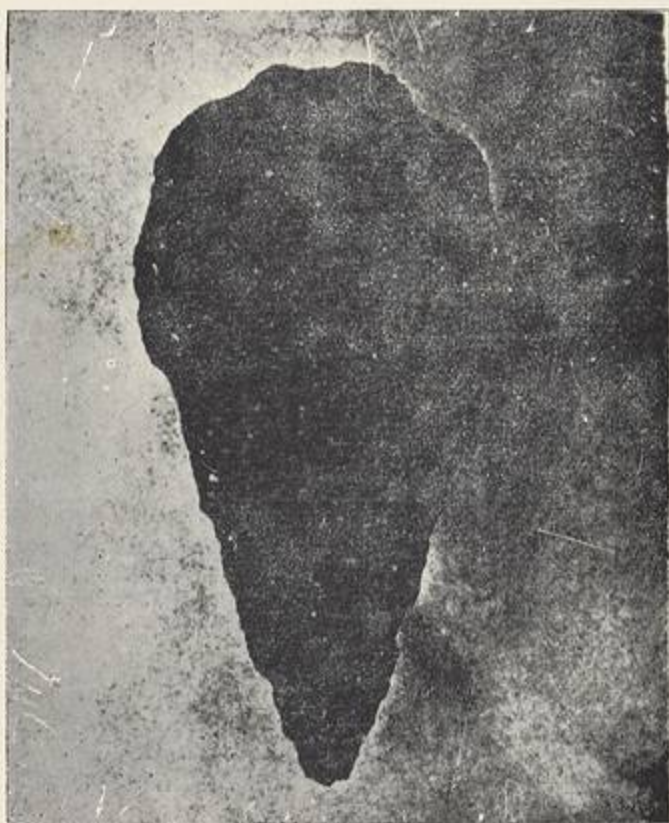
ولا نعرف اليوم شيئا عن حياة الانسان في شبه الجزيرة ، في أثناء اقامته في الكهوف ، « Caves » . وقد وجد السياح عددا من الكهوف في الحجاز وفي اليمن والعربية الجنوبية اتخذها أسلاف سكان شبه الجزيرة بيوتا لهم ، التجأوا اليها ، وعاشوا فيها أمدا طويلا ، ولا تزال

(١) Ency. Brita, Vol, 15 P. 463. (٢) المصدر نفسه (٤٦٤) .

(٣) P. B. Cornwall, Ancient Arabia : explorations in Hasa, 1940 -- 1941.

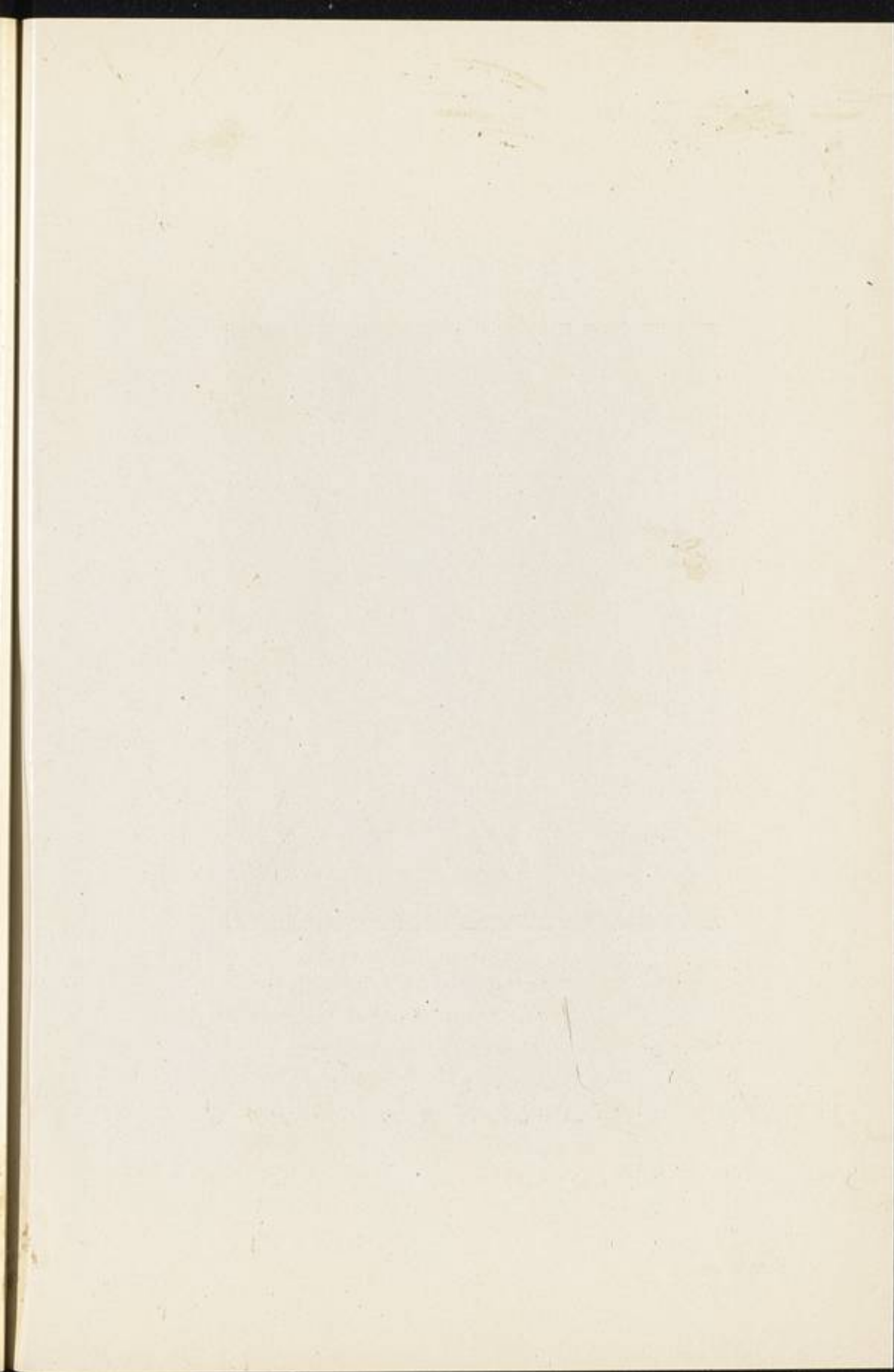
P, 39 in : Geogr. Journ. CVII, Febr, 1946.

(٤) المصدر نفسه .



فأس من الحجر تعود الى عصر الـ « Palaeolithic » المتأخر ،  
عثر عليها في « دواامي » .  
صنعت هذه الصورة عن صورة نشرت في مجلة :  
« The Geographical Journal » جزء شباط سنة ١٩٤٦ ارسلها  
الى صديقي الدكتور جورج ماثيوس من انظهران .





بعض القبائل الى وقتنا هذا تتخذ منها بيوتا (١) . وقد تركت هذه الكهوف أثرا كبيرا في القمص العربي كما أشار اليها الكتبة الكلاسيكيون . وقد اتخذها الانسان مساكن قبل عصر هؤلاء الكتبة بألاف السنين . غير أننا لانعرف - بالأسف - من أمرها شيئا ، فلا نعرف من فن انسان أهل الكهف وطرق معيشته والأدوات التي استعمالها شيئا يذكر ، فلم يكن السياح الذين وجدوها من أهل التخصص بهذا الموضوع ، كما أن الفرص لم تتح لهم لدراستها دراسة دقيقة والولوج في داخلها والبحث عما فيها من أدوات أو عظام ، لهذا فاننا نتظر المستقبل كذلك .

ولشبه جزيرة العرب أهمية عظيمة بالنسبة الى موضوعات « دراسات ما قبل التاريخ » ، وذلك لما لهذه الأرض من علاقة بالنظريات التي وضعها العلماء عن البشر وعن عصر الـ « Pleistocene » ، وعن الهجرات وغير ذلك . وقد وجد الباحثون آثارا تعود الى الـ « Acheulian » ، « Acheulean » المتأخر في المملكة الأردنية الهاشمية (٢) ، وهذا العهد هو القسم الأول من العهد الثالث المتأخر « Lower Palaeolithic » من عهود الـ « Palaeolithic » (٣) . وقد عثر في حضرموت على آثار صناعات تعود الى عهود الـ « Palaeolithic » ، على ما يقال (٤) ، ومن المحتمل العثور على آثار أخرى في شبه الجزيرة ولا سيما في مناطق الهضاب والجبال حيث يمكن بقاء هذه الأشياء مدة طويلة . وقد نشرت السائحة G. Caton Thompson ، والباحثة « E. W. Gardner » خلاصة عن أعمالهما « الجيولوجية » والآثرية في حضرموت ، فبين منها أنهما قد توصلتا من الناحية « الجيولوجية » الى عصر الـ « Palaeolithic » حيث درستا طبيعة طبقات القشرة الأرضية وتكون الصخور (٥) ، وكان « ليتل » O. H. Little ، الذي أرسل بأمر من الحكومة المصرية لدراسة « جيولوجية » حضرموت قد كتب له سبق الى بحث هذا الموضوع (٦) .

(١) Van der Meulen, Aden to the Hadhramaut P, 120 - 121, 200, 203.

(٢) Ency. Brita. Vol, 2, P, 238. (٣) Cornwall, Anc. Arab. P, 38.

(٤) Cornwall, Anc. Arab. P, 38 - 39.

(٥) The Geographical Journal, Vol. XCIII No 1 January 1939. P, 18.

« Climate, irrigation, and Early Man in the Hadhramaut » . by G. Caton — Thompson and E. W. Gardner.

(٦) O. H. Little « The Geography and Geology of Makalla » Geological Survey of Egypt, Cairo, 1925.



وأما من الناحية الأثرية ، فقد عثرنا على أدوات حجرية تعود الى العصر الحجري ، وعلى معبد لعبادة الاله « القمر » في « الحريضة » وعلى جماجم بشرية وعظام وخرز تعود الى أيام « الأخمينيين » أو « الرومان » وجدت في مقبرتين على مسافة ليست بعيدة من المعبد . وعلى الجملة فإن هذا المعبد والمقبرتين وما وجد فيهما وفيه ليس بقديم عهد ، ولا يرتقى الى أكثر من العشرين الخامس او السادس قبل الميلاد (١) .

يرى من فحص بعض الأدوات الحجرية التي عثر عليها في حضرموت ، وهي تعود الى العصور الحجرية ، أنها ليست محكمة دقيقة الصنع ، وأنها غير متقنة بالقياس الى ما عثر عليه في شمال شبه الجزيرة وفلسطين وأفريقية ، وقد عزا بعضهم ذلك الى طبيعة أحجار حضرموت ، وعزا ذلك آخرون الى تأخر حضارة الانسان القديم في هذه المنطقة بالقياس الى الحضارات التي ظهرت في شمال شبه الجزيرة أو افريقية (٢) .

والخلاصة ، فإن ما عثر عليه قليل ، وقد وجد في بقعة محدودة من حضرموت ، ولم يدرس دراسة كافية حتى الآن .

وعثر الدكتور حزين رئيس البعثة العلمية المصرية التي أوفدها جامعة فؤاد الأول في أبريل سنة ١٩٣٦ م الى اليمن وحضرموت على أدوات حجرية ، يرى بعضهم أنها وصلت الى اليمن من بلاد الشام أو فلسطين ؛ لأنها تشبه الأدوات الحجرية التي عثر عليها هناك (٣) .

والجماجم والعظام مادة مفيدة جدا في دراسة التأريخ ، ولكن الباحثين لم يتمكنوا حتى الآن من الحصول على مقدار كاف منها لاعطاء فكرة علمية عن العصور التي ترجع اليها وعن أشكال أصحابها ، وقد عثر رجال « الجيولوجية » التابعون لشركة « أرمكو »

---

Geogr. Journ. Vol XCIII No 1 January 1939 P, 33. Royal Central Asian (١)  
Journal. Vol XXVI January, 1939 Part 1, P. 91.

Hugh Scott, in the High Yemen, P, 195 . (٢)

Geogr. Journ., Vol XCIII No. 1. January 1939. « An exploration in the Hadhramaut and Journey to the Coast » by Freya Stark.

راجع أيضا ( ص ٣٠ ) من هذا الجزء .

Geogr. Journal Vol XCIII No 1 January 1939. PP, 30. (٣)

على بقايا عظام وأسنان تعود الى بعض الحيوانات « الحلمية » « Mastodon » وعلى قسم من  
جمجمة حيوان قديم فى موضع يبعد « ٩٠ » ميلا الى الغرب من « الدمام » (١) ، ووجدت  
مثل هذه البقايا الحيوانية فى أنحاء أخرى من شبه الجزيرة ، ولكن ما عثر عليه لا يكفى  
لاعطاء فكرة علمية دقيقة فى هذا الموضوع .

ان التلال التى عثر عليها فى مواضع متعددة من شبه الجزيرة وظهر من فحصها أنها كانت  
مقابر ، هى من نوع المقابر التى يقال لها « Tumuli » ، وهى تشبه بصورة عامة المقابر  
التى عثر عليها فى نهاية القرن التاسع عشر فى جزيرة البحرين ، ويرى بعض العلماء  
أنها من مقابر « الفينيقيين » ، وذلك قبل هجرتهم الى لبنان . وتشأ هذه القبور فى الغالب  
من قطع من الصخور توضع بعضها فوق بعض ، فتكون غرفة أو غرفتين ، وأحيانا غرفة  
فوق أخرى يوضع فى داخلها الموتى ويصنع سقف الغرف من ألواح من الصخور ، ثم  
تعلق باب القبر ويهال عليه التراب ، فيتخذ شكل تل (٢) .

وجد رجال شركة « أرمكو » عددا كبيرا من هذه المقابر على حافات « جبل المذرى  
الشمالى » يقدرها « كورنول » بالألوف ، ووجدوا كذلك عددا آخر من هذه المقابر  
فى جبل « المذرى الجنوبى » (٣) . وقد حافظت بعض هذه القبور على أشكالها محافظة  
جيدة ، ويشبه بعضها القبور التى عثر عليها « فلبى » فى الأقسام الغربية الجنوبية من شبه  
الجزيرة (٤) . ووجد « كورنول » مقابر أخرى فى موضع « الرديف » الواقع على  
بعد « ١١٠ » أميال من شمال غربى « الدمام » ، وفى موضع يقع شمال « عين السبخ »  
بمسافة أربعة أميال ، حيث بلغ قطر أحد تلك المقابر « ٣٣ » ياردة وارتفاعه « ١٣ » قدما .  
وقد تمكن من الحصول على هيكل عظمى وعلى فخار وقطع من العاج وقشور بيض للنعام  
وأسلحة مصنوعة من البرنز (٥) .

وترجع هذه المقابر الى العصر « البرنزى » فى الغالب ، ويرى « كورنول » أن  
أصحاب هذه المقابر التى عثر عليها فى الاحساء هم من رجال عصر الـ « Chalcolithic »  
المتأخر أو أوائل العصر البرنزى . وكان قسم منهم ، وهم أصحاب المقابر العالية المؤلفة

Cornwall, Ancient Arabia, P, 39. (١)

Ency. Brita, Vol, 2. P. 245. Vol, 22. P. 547. (٢)

Cornwall, P, 36 (٣)

Cornwall, P, 36, Sheba's Daughters, P, 373 ff. (٤)

Cornwall, P, 37 . (٥)



من الصخور الموضوعه على المرتفعات ، من الصيادين أو الرعاة • وأما أصحاب المقابر في المناطق المنبسطة السهلة ، فانهم من المزارعين المستقرين • وأما أهل مقابر البحرين ، فقد كانوا من رجال العصر البرنزي المتقدم ، ويرجع تاريخهم الى الألف الثاني قبل الميلاد ، ويظن « كورنول » أيضا أنهم جاؤوا الى العروض في الألف الثالثة قبل الميلاد ، وردوا من الأقسام الجنوبية الغربية من بلاد العرب حيث موطن الهجرات السامية (١) •

ولعل الأيام ستكشف عن تاريخ هذه المقابر وعلاقة الكائن منها في البحرين والعروض بتلك التي عثر عليها « فلبى » في « الخرج » وفي « الأفلاج » وفي الأقسام الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة ، ومع تلك المقابر التي قيل انه عثر عليها في موضع « المويه » الواقع على « ١٤٣ » ميلا من شمال شرقي مكة (٢) • وقد وصف « فلبى » المقابر التي عثر عليها في « الرويق » وفي مرتفعات « العلم الأبيض » و « العلم الأسود » ، وقال : ان اكثرها قد عثت به العاثون ، وأخذوا ما كان في داخل الغرف التي كان يوضع فيها الموتى • وهي مختلفة الأحجام والارتفاع • ويظهر من وجود هذه المقابر في محلات صحراوية بعيدة عن مواضع العمران وفي أماكن لا يقيم فيها الناس أن هذه المناطق كانت مأهولة قبل الاسلام ، وأنها كانت ذات تاريخ قديم جدا ربما يرجع على رأى « فلبى » الى أيام قدماء « الفينيقيين » ، وربما كان « الفينيقيون » على رأى « فلبى » أيضا من الأفلاج والخرج ، حيث هاجروا بعدئذ الى البحرين (٣) •

ويظهر من وصف « دى كورى Gerald de Gaury » و « فلبى » لمقابر الخرج أنها كثيرة العدد ، وأنها في مواضع متعددة من هذه الأيالة عند « فرزان » و « السلمية » و « الدلم » ، وهي متفاوتة الأحجام والارتفاع ، (٤) ولم يتمكن « دى كورى » من تعيين تاريخها ، ولا يمكن التثبت من ذلك بالطبع الا بعد القيام بحفريات دقيقة وفحوص للعظام ولحوتيات القبور لمعرفة مكانها في التاريخ •

Cornwall, P. 38. (٢)

Cornwall, P. 37. (١)

(٣) راجع وصف هذه المقابر ورأى فلبى فيها وفي أصل « الفينيقيين » في كتاب

فلبى « Sheba's Daughters » ( ص ٣٧٣ وما بعدها ) •

Geogr. Journ, Vol CVI Numb. 3,4, Sept— Oct. 1945. 152 — 153. Philby. (٤)

Heart of Arabia Vol, 2 PP, 26.

## الدولة المعينية

تعد الدولة المعينية من أقدم الدول العربية التي وصل إلينا خبرها ، وقد عاشت في اليمن وازدهرت بين سنة ١٣٠٠ - ٦٣٠ للميلاد تقريباً<sup>(١)</sup> ، ووصلت أخبارها إلينا من الكتابات المدونة بالمسند والكتب الكلاسيكية . أما المؤلفات العربية الإسلامية ، فلا علم لها بهذه الدولة . ولكنها عرفت اسم « معين » على أنه محفد من محافد اليمن<sup>(٢)</sup> وحصن ومدينة ، وذكرت أنها وبراقش من أبنية التابعة<sup>(٣)</sup> . وأقدم من ذكر اسم « المعينين » من الكتاب « الكلاسيكين » « ديودورس الصقلي »<sup>(٤)</sup> و « سترابون » وقد سماهم « Minaeci » وقال : ان مدينتهم العظمى هي « Karna » ، « Carna »<sup>(٥)</sup> ويقصد بها « قرن »<sup>(٦)</sup> و « بلينوس »<sup>(٧)</sup> و « بطلميوس »<sup>(٨)</sup> وهو آخر من ذكرهم من هؤلاء الكتاب<sup>(٩)</sup> .

ويرى جماعة من العلماء أن Maon « ماعون » « معين » أو « Meunini » « معونيم » السوادة في التوراة إنما يقصد بها « المعينون »<sup>(١٠)</sup> ، وهم سكان « النقب » إلى طورسيناء<sup>(١١)</sup> ، أو هم سكان « معان » الواقعة إلى الجنوب الشرقي من « البتراء » « Petra »<sup>(١٢)</sup> ، أو هم أهل « العلا » « الديدان » حيث عثر في هذا الموضع على عدد وافر من الكتابات المعينية ، وقد كان من المواضع التابعة لدولة معين<sup>(١٣)</sup> . وأرى أن

(١) Hitti, P. 52. Philby, The Background of Islam. Alexandria. 1947. P. 141

وسيكون رمزه : Background

(٢) الصفة ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٠٣ .

(٣) اللسان ٢٩٨/١٧ ، البلدان ٩٨ / ٢ وما بعدها ، ١٠٢/٨ .

(٤) O'Leary, P. 94. Diod. Sicu., 3. 42.

(٥) Strabo, XVI. 768. (16,4,2). Glaser, Skizze., 2. P. 14. O'leary, P. 93.

(٦) Sprenger, Alte. Zeogr. Arabiens. P. 211.

(٧) البلدان (٧/٦٤ وما بعدها) .

(٨) Pliny, Nat. Histo. 6. 28.32. 12. 30. 14., BOASOOR., Num.73. February. 1939. P. 4

(٩) Ptolemy, Geography., VI. 7, 23. (1939). P. 4. BOASOOR., Num. 73.

(١٠) Ency. Bibl. P. 3065. James Montgomery, Arabia and the Bible, P. 183.

(١١) Hastings. P. 619. (١٢) حتى (ص ٧٠) . Montgomery, Arabia, P. 183.

(١٣) Montgomery, Arabia, P. 183.



الحكومة المعنية كانت قد انقرضت أو ضعف أمرها حينما سجل كتاب التوراة الأسفار ،  
لذلك لم يعرفوا من أمرهم شيئا يذكر ، وإنما أدركوا حكومة « سبأ » التي حلت محل  
المعنيين ، ولهذا نجد للسبئيين ذكرا في مواضع متعددة من التوراة .

لم يتحدث أحد عن المعنيين بعد « بطلميوس » الى أن دخل السياح اليمن فعثروا  
على كتابات ورد فيها اسم «معين» ، وفي مقدمة هؤلاء « يوسف هاليفي Joseph Halevy »<sup>(١)</sup> ،  
و « أدورد كلاسر Eduard Glaser » و « أويتك Euting »<sup>(٢)</sup> و « جوسن Jaussen »  
« Savignac »<sup>(٣)</sup> وغيرهم ممن سترد أسماؤهم ، حصلوا على نقوش معينة نشرت ترجمت  
بعضها ، ونشر بعض آخر بغير ترجمة<sup>(٤)</sup> ، ولا يزال بعض آخر ينتظر النشر .

لم يتفق علماء العربيات حتى الآن على تأريخ مبدأ هذه الدولة ولا منتهاه ،  
ف « كلاسر » مثلا يرى أن الأجدية التي استعملها المعينيون في كتاباتهم وهي « المسند »  
ترجع الى الألف الثانية أو الألف الثالثة قبل الميلاد<sup>(٥)</sup> ، وهذا يعنى بالطبع أن تأريخ  
هذا الشعب يرجع الى ما قبل هذا العهد ، فالمعينيون على هذا الاعتبار هم أقدم عهدا من  
العبرانيين . ويعارض هذا الرأي « هاليفي » و « مولر D. H. Müller »<sup>(٦)</sup> و « موردتمن  
Mordtmann »<sup>(٧)</sup> و « ماير E. Meyer »<sup>(٨)</sup> و « شبرنكر Sprenger »<sup>(٩)</sup> و « ليدزبارسكى  
Lidzbarski » وغيرهم<sup>(١٠)</sup> ، ويرون أن في نظرية « كلاسر » هذه مبالغة وأن مبدأ

Halevy, in, Journal Asiatique, 1872, 129 — 266, 489 — 547, 1873. Tome. (١)

1, 434 — 521, Tome II, 305 — 365; 1874. — 497 — 585. "Inscriptions Sabeennes".

(٢) نشرت مجموعة "Euting" في مؤلف "D. H. Müller" المعنون :  
Epigraphische Denkmäler aus Arabien, 1889.

Beiträge Zur Minâischen Epigraphik, 1897. في "Mordtmann"

Mission archéologique en Arabie, 1917. (٣)

Corpus Inscriptionum Semiticarum, Tome IV. Part 1, II, III, IV. and (٤)

d'épigraphie Semitique, Tomes V and VI Boasor, 73 (1939). P. 5.

Glaser, Skizze. 2. P. 110, 330 (٥)

D. H. Müller, Beilage Zur Münch. Allgem. Zeitung, 1890, Nov. 24. (٦)  
and 31. Ency. Vol, 4., P. 13.

(٧) Mordtmann, ZDMG. XIVII. 400. Beitrage. P. 105, 115.

E. Meyer, Gesch. d. Altertums., 2, S, 382. (٨)

Sprenger, Bemerkungen, S, 502. Ency. Vol, 4. P. 13. (٩)

Ephemeris. 2, S, 101. (١٠)

هذه الدولة لا يمكن أن يتجاوز الألف الأولى قبل المسيح بكثير . ويرى « هومل Hommel » أن من الممكن أن يكون مبدأ تأريخ دولة « معين » ما بين « ١٥٠٠ - ١٢٠٠ » قبل الميلاد ، ونهاية حكومتها في عام ٧٠٠ قبل الميلاد <sup>(١)</sup> . وجعل « فلبى » مبدأ حكم أول ملك من ملوكها في عام ١١٢٠ قبل الميلاد وحكم آخر ملك نعرفه من ملوكها في عام ٦٣٠ قبل الميلاد <sup>(٢)</sup> . ويعارض « ونت Winnett » رأى « كلاسر » و « ونكلر » و « هومل » في تقدير مبدأ تأريخ دولة معين ، ويرى أن في ذلك مبالغة وأن « شبا » أى « سبأ » وكذلك « ددان » أقدم الدول العربية مستدلا على ذلك بما ورد في التوراة ، ويرى أن مبدأ دولة « معين » لا يمكن أن يتجاوز عام « ٥٠٠ » قبل الميلاد ، وأما نهايتها ، فقد كان بين عام ٢٤ قبل الميلاد وعام ٥٠ بعد الميلاد <sup>(٣)</sup> . ويرى معارضو نظرية « كلاسر » عن قدم الدولة المعينية أن هذه النظرية لاستتقيم مع ما هو معروف عن تأريخ ظهور « الألفباء » عند البشر ، فإن ارجاع تأريخ معين الى الألف الثانية أو الألف الثالثة قبل الميلاد معناه ارجاع « المسند » الى أقدم من ذلك ، وهذا يتعارض مع النظريات الشائعة عن قدم الخط عند البشر ؛ فإن الخط « الفينيقى » لا يتجاوز عهده ألف سنة قبل الميلاد ، وليس « المسند » كما يظهر من أشكاله وصوره الهندسية أقدم عهدا منه <sup>(٤)</sup> . ويعارض « هوارت Huart » فى ارجاع مبدأ تأريخ « معين » الى سنة « ١٥٠٠ » قبل الميلاد مستندا الى هذه الحجة . ويرى أن تأريخها لا يمكن أن يتجاوز القرن الثامن قبل الميلاد <sup>(٥)</sup> .

وقد ظهرت هذه الدولة فى « الجوف » ، و « الجوف » منطقة سهلة بين نجران وحضرموت أرضها خصبة منبسطة . وقد زارها السائح « نيور Niebuhr » <sup>(٦)</sup> . وقد

(١) Ency. Vol, 4. P. 13. BOASOOR., Numb. 73 (1939). P. 5. Handbuch der altarabischen Altertumskunde, I. P. 67.

BOASOOR. Num. 73 (1939). P. 8. (٣) Background, P. 141. (٢)

Lidzbarskei, Ephemeris., II, P. 101. Ency. Vol, 4. P. 13. Hilprecht, (٤) Explorations in Bible Lands, P. 731.

Huart, Geschichte der Araber, Bd. I, S, 45. (٥)

Ency., Vol, 1. P. 1026. (٦) الصفة ( ص ٢٧ ، ٨١ وما بعدها ) .

البدان ( ١٧٤/٣ وما بعدها ) .



ذكر الهمداني جملة مواضع في الجوف ، ولم يعرف بالطبع شيئا عن أصحابها • ومن هذه المدن : معين ، ونشق ، وبراقش ، وكمنا ، وغيرها<sup>(١)</sup> • وقد كانت عاصمتها مدينة « القرن » « قرن » • وقد حصل « هاليقي » على عدد كبير من الكتابات المعينية اكتشفها في أثناء سياحته في الجوف • ويظهر من وصف « هاليقي » له أنه غنى جدا بالمواضع العادية ، ولعله أغنى بقعة في شبه جزيرة العرب بالآثار<sup>(٢)</sup> • وفي القسم الجنوبي من الجوف تقع خرائب « معين »<sup>(٣)</sup> • ويقع على مقربة منها آثار معابد ومباني وخرائب كثيرة ولاسيما في جهة الشرق<sup>(٤)</sup> • وقد حصل « هاليقي » على الكتابات « المعينية » التي سميت باسمه ورقمت من عدد « ١٨٧ » الى عدد « ٢٦٦ » - ومجموعها « ٨٠ » كتابة - من خرائب « معين » ، وحصل على الكتابات المرقمة من رقم « ٤٢٤ » حتى رقم « ٥٧٨ » من « يثل » ويبلغ مجموعها « ١٥٥ » كتابة ، كما حصل على عدد آخر من « كمنا » ومن « السوداء » • ويبلغ مجموع الكتابات المعينية التي استسخها هذا المستشرق زهاء « ٧٠٠ » كتابة ، ولكنها قصيرة ، وبعضها يتضمن بضع كلمات ما خلا « ٥٠ - ٦٠ » كتابة تتألف من بضعة أسطر<sup>(٥)</sup> •

والكتابات المعينية أقدم عهدا من الكتابات السبئية ومن سائر الكتابات العربية الأخرى في نظر من جعل « معيننا » أقدم شعب عربي ورد في النساب خبره • أما الذين يعارضون هذا الرأي ، فيرون أن الكتابات السبئية ليست أحدث عهدا من الكتابات المعينية ، بل ان من الكتابات السبئية ما يمكن عده أقدم عهدا من الكتابات المعينية<sup>(٦)</sup> • وقد استخرجت هذه الكتابات من الجوف ، ومن « ديدان »<sup>(٧)</sup> أيضا حيث كانت من أهم مواطن المعينين خارج الجوف ، كما عثر على كتابات معينية في مصر في « الجيزة »<sup>(٨)</sup> ، وفي جزيرة « ديلوس » Delos

(١) الصفة ( ص ١٦٧ ) •

(٢) O'leary, Arabia before Muhammad, P. 95.

(٣) Sheba's Daughters, P. 380.

(٤) Scott, in The High Yemen, P. 207.

(٥) Hommel, Grundriss., Bd, I, S, 135.

(٦) BOASOOR., Num. 73. (1939). P. 7

(٧) « الديدان : مدينة حسنة كانت في طريق البلقاء من ناحية الحجاز خربت »

D. H. Müller, Epigraphische Denkmäler aus Arabian. 1889 • (١١٩/٤)

(٨) BOASOOR., Num, 73. (1939). P. 7.



مبخرة حجر « مذبح » مكتوبة بالسنند يحرق عليها البخور  
في المعابد • وقد عثر على عدة مبخار منها • نقل بعضها الى برلين •





مذبح معینی

من جزر اليونان ، وتعود الى القرن الثاني قبل الميلاد<sup>(١)</sup> . وقد أفادت هذه الكتابات  
بالطبع فائدة عظيمة في كتابة تاريخ معين .

وقد حصل المستشرقون من قراءتهم الكتابات « المعينة » على عدد من أسماء ملوك  
معين ، غير أنها لم ترد مؤرخة على وفق تقويم من التقاويم ، لذلك صعب تنظيم هذه  
الأسماء وترتيبها ووضع تاريخ لها . ومع ذلك جاهد علماء العربيات الجنوبية لترتيبها  
وتنظيمها تنظيمًا زمنيًا ، وفي طليعتهم المستشرق « مولر Müller »<sup>(٢)</sup> و « هومل Hommel »  
وغيرهما ، فرجعوها الى مجموعات ووضعوا لها تواريخ تقريبية ، وقد استدلوا من تكرار  
بعض الأعلام على وجود قرابة بين أصحابها . واذ لم يستند المستشرقون في تقدير مدة  
حكم كل ملك الى وثائق ، وانما بنوا أحكامهم على تخمين وتقدير ، اختلفت عندهم قوائم  
الملوك ومدد حكم كل ملك .

#### ملوك معين :

لا تمثل أسماء ملوك « معين » التي عثر عليها في الكتابات كل ملوك معين ، فمن  
الجائز أن يكون هنالك عدد آخر قد يعثر على أسمائهم في المستقبل بعد القيام بحفريات  
في المناطق المعينة وفي غيرها . وقد جعل « هومل » من أسماء ملوك معين التي عرف  
من أمرها شيئًا ثلاث طبقات ، كل طبقة تتألف من أربعة أشخاص ، وطبقة أخرى  
تتألف من ثلاثة أشخاص ، وطبقة تتألف من شخصين<sup>(٣)</sup> . وقد حاول  
« اوتووير »<sup>(٤)</sup> مثل « هومل » تنسيق أسماء ملوك معين وجعلهم على طبقات تمثل كل  
طبقة أسرة من الأسر ، وكذلك حاول هذه المحاولة « مولر D. H. Müller » كما قلت  
و « موردتمن J. H. Mordtmann »<sup>(٥)</sup> ورتب « كليمان هوار Cl. Huart » هؤلاء الملوك سبع  
طبقات ، الطبقة الأولى تتألف من أربعة ملوك ، والطبقة الثانية من خمسة ، والطبقة الثالثة  
من أربعة ، والرابعة من شخصين ، والخامسة من ثلاثة وأما الطبقتان

(١) BOASOOR., Number, 73 (1939). P. 7.

(٢) Müller, Die Burgen. 2. S, 60 — 67. ( بيروت ١٩٤٩ ) ص ١ ، ٧١ .

(٣) Hommel, Grundriss. I. S, 136. Chrest S, 90 .

(٤) Grundriss, I. S, 136.

(٥) Mordtmann, in ZDMG. 47. 1893. S. 397 — 417.



السادسة والسابعة فتألف كل واحدة منهما من ملكين . ويبلغ مجموع ملوك هذه الطبقات السبع اثنين وعشرين ملكا (١) . ويتقص هذا العدد أربعة ملوك عن قائمة « مولر » الذي حقق هوية ستة وعشرين ملكا . وأما « فليبي » ، فقد ذكر اسم اثنين وعشرين ملكا نظمهم خمس سلالات ، جعل على رأس السلالة الأولى « اليقع وقه » ، وفي آخر السلالة الخامسة الملك « تبع كرب » الذي حكم على رأيه من سنة ٦٥٠ الى سنة ٦٣٠ قبل الميلاد (٢) .

وأرى أن الوقت لم يحن بعد لترتيب أسماء ملوك معين ترتيبا زمنيا ، ولم يحن الوقت كذلك لتعيين مدة حكم كل ملك ، ووضع مايقابل ذلك من التاريخ الميلادي ، فقد سبق أن بينت أن النصوص المعينية لم تؤرخ على وفق التقاويم المعروفة ، ولا الحوادث المشهورة ، وإنما أرخت بحكم الملوك ، ولم يرد في نص ، ذكر أسماء الملوك بحسب تسلسلهم وترتيبهم ، أو مدة حكم كل ملك منهم ، ولم تصل جميع الكتابات المعينية الينا حتى الآن ، فلا يمكن اذن وضع قائمة بأسمائهم يمكن أن تبعت العثمانية الى النفوس . نعم ، يمكن مقارنة أزمنة بعض ملوك معين مع بعض ملوك « قبان » الذين كانوا يعاصرونهم أو غيرهم ممن ستحدث عنهم ، لورود ذلك في النصوص القبطانية أو المعينية أو السبئية ، غير أن تلك النصوص لم تؤرخ على وفق حادثة معينة أو تقويم ، وإنما أرخت أيضا بأيام الملوك . ويرى « هومل » أن السلالة التي وضع في أولها الملك « اليقع وقه » هي أقدم أسر ملوك معين (٣) . وأما « مورتسن » ، فيقدم الأسرة التي جعل على رأسها الملك « تبع ايل صديق » (٤) . وقد جراه في ذلك « كليمان هوار » (٥) . ويرى « ونت F. V. Winnett » أن الأسرة التي فيها « أب يدع تبع » هي أقدم عهدا من الأسرتين (٦) . والخلاصة ، ان هذه الأسر لاتعنى أنها كل الاسراتي

Cle Huart, Geschi, der Araber Bd., I. S. 56. (١)

Background., P. 141 (٢)

Ditlef Nielsen, Handbuch der Altarb. Altertumskunde, PP. 67. 71. Le. (٣)

Muséon, LXII, 3 — 4, (1949). P. 234.

Mordtmann, in ZDMG., XLVII. 409. BOASOOR, Num. 73. P. 7. (1939). (٤)

Geschichte der Araber, Bd. 1. P. 56. (٥)

BOASOOR., Num. 73. (1939). P. 7. Le Muséon, LXII, 3 — 4, (1949). (٦)

P. 234.

حكمت « معينا » ، أو أن الأسرة الأولى منها هي أول أسرة حكمت ذلك الشعب ، فقد يكون هنالك عدد آخر من الأسر والملوك حكموا قبلها سنين كثيرة ربما بلغت بضعة قرون .

ورد اسم الملك « اليفع وقه » في كتابة عثر عليها في « الخربة السوداء » (١) . وهي مدينة « نشن » « نشان » (٢) في الكتابات المعينية ، وفي كتابة أخرى عثر عليها في « براقش » وهي مدينة « يثل » من مدن معين . وقد ذكر معه اسم ابنه « وقه ايل صديق » « وقه ال صدق » . ويظهر من كتابة « نشان » أنه في عهد « اليفع وقه » جدد ورمم هيكل « عم » رب مدينة « ناعط » ، وقدمت الهدايا والقرابين لهذه المناسبة (٣) . وتولى ملك معين بعد « اليفع وقه » ابنه « وقه ايل صديق » « وقه ال صدق » (٤) ، وقد ورد اسمه في كتابة كتبت في « قرن » « قرنو » ، كما ورد اسمه واسم ابن له يدعى « أبو كرب يثع » في كتابة وجدت في « الديدان » « ددان » « العلا » (٥) . وقد لقت الكتابة ابنه بلقب « ملك » أيضا . وتلك عادة مألوفة عند العرب الجنوبيين حيث كان الأب أو الأخ يلقب ابنه أو أخاه بلقب « ملك » ، وقد يكون ذلك من باب الاحترام والتبجيل ، وقد يدل على المساهمة في الحكم . ولقب « أبو كرب يثع » بلقب ملك في حياة أبيه « وقه ايل صديق » ، وكان له ولد لقب كذلك بلقب ملك هو « عمى يثع نبت » (٦) ، وقد ورد اسمه مع اسم والده « أبو كرب » في كتابة من الكتابات المدونة في مدينة « يثل » « براقش » (٧) ، ولا نعرف على كل حال من أمره ولا من أمر والده شيئا كثيرا .

ويرى فلبى أن فترة وقعت بين حكم هذا الملك وبين حكم ملك آخر من ملوك « معين » لأنعلم أمدها، وقدرها بنحو عشرين عاما تولى بعدها الملك « صدق ايل » « ال » ملك

(١) « الخربة السوداء ، بالشاكرية ، ثم معين وبراقش ثم كمننا وروثان لنشق » (الصفة ص ١٦٧) .

(٢) Handbuch der Altarabischen Altertumskunde. Bd. 1, S. 70. 82. 83. (٢)

Background., P. 49. BOASOOR., Num. 73. (1939). P. 7. (٣)

Background., P. 49. BOASOOR., Num. 73. (1939). P. 7. (٤)

« وقه ال صدق » في الكتابات .

Background, P. 50. (٥)

BOASOOR., Num. 73. (1939). P. 7. « عمى يدع نبط » . (٦)

Background, P. 51. (٧)



معين • ولا نعرف من أمر هذا الملك شيئا ، وانما يظهر أن ابنه « اليفع يثع » هو الذي تولى الملك من بعده • وأما ابنه الثاني « شهر علن » « علان » فقد تولى عرش حضرموت <sup>(١)</sup> . ولم تتحدث النصوص عن كيفية تولى « شهر علن » عرش حضرموت • ومن الجائز أن هذه الملكية انتقلت اليه من أبيه ، وأن حضرموت كانت في عهد والده جزءا من مملكة « معين » ، وأن الملك « صدق ايل » وزع ملكه بين أولاده فأعطى « اليفع يثع » أرض معين وما يتبعها من مقاطعات ، وأعطى « شهر علن » أرض « حضرموت » • ويحتمل أيضا أن يكون « صدق ايل » ملك حضرموت ، وأن ابنه « شهر علن » تولى الملك من بعده على حضرموت ، وأن ظروفها لانعرفها ساعدت ابنه « اليفع يثع » على توليه عرش معين <sup>(٢)</sup> • ويرد اسم الملك « حفن ذرح » بعد « اليفع يثع » في بعض القوائم ، وكان له شقيق يقال له « معد يكرب » تولى عرش حضرموت • وتولى الملك بعد « حفن ذرح » الملك « اليفع ريام » ، وهو ابن « اليفع يثع » • ثم تولى من بعده ابنه « خوف عث » ، ثم شقيقه « أب يدع يثع » وهو ابن الملك « اليفع ريام » <sup>(٣)</sup> .

وجاء في الكتابة التي رقمت برقم "Glaser. 1150" و "Halévy. 192" ، وهى من الكتابات الطويلة التي تتألف من جملة أسطر ومصدرها مدينة « معين » <sup>(٤)</sup> ، اسم الملك « أب يدع يثع » <sup>(٥)</sup> . وقد دونت هذه الكتابة لمناسبة قيام جماعة من أشرف مدينة « قرتو » « قرن » بترميم خنادق هذه المدينة واصلاح أسوارها وانشاء محلة جديدة فيها • وصاحب هذه الكتابة والآمر بتدوينها هو « علمن بن عم كرب » من أسرة « ذى حذار » أى « آل حذار » ورئيس « كبان » « جبآن » وصديق ومكتسب عطف ومودة « موددت » ملك معين « أب يدع يثع » ووالد عدد من الأولاد ساعدوه في هذا العمل ، هم : « يآوس ايل » « يآوس ال » و « يذكر ايل » « يذكر ال » و « سعد ايل » « سعد ال » و « وهب ايل » « وهب ال » و « يسمع ايل » « يسمع ال » • وقد قاموا بهذا العمل تقريبا الى آلهة معين : « عثر ذو قبضم » <sup>(٦)</sup> و « وود » و « نكرح »

Background, P. 51 — 52. (٢) Background., P. 141. (١)

Background, P. 141. « اليفع ريام » (٣)

Halévy., Mission, P. 32. 75. 77. (٤)

Glaser. 1150 = Hal. 192 + 199. راجع النص (٥)

Nikolaus Rhodokanakis, Studien Zur Lexikographie. « عثر ذو قبضم » (٦)

und Crammatik des

Altsüdarabischen. Heft. 2. P. 54—55. Stud. Lexi. : وسيكون رمزه

والى ملك معين . وقد جرى هذا العمل فى ربع « ربعن »<sup>(١)</sup> المدينة ، المسمى « رمشو » ، وامتد الى أماكن أخرى حتى موضع « شلوث » . وبعد الانتهاء من العمل ذبحت القرابين للآلهة : « عثر سيد » رب « قبض » « عثر ذقبض » و « ود » . وذكرت الكتابة تفاصيل الأعمال التى تمت ومواضعها ومقدارها وغير ذلك مما يذكر عادة فى وثائق البناء .

ولهذه الكتابة أهمية كبيرة ، لأنها تكشف عن نواحي تتعلق بجباية الضرائب فى دولة معين ، وعن كيفية انشاء الأبنية العامة هناك . ولم ينق « علمان » « علمن » على هذه الأعمال من أمواله الخاصة ، وإنما دفع جزءا من النفقات ، وسدد البقية من الهبات التى كانت تقدم الى الآلهة ومن الجبايات التى تجمعها ادارة المعابد ولاسيما معبد الآله « عثر » ومن الأموال التى يحصل عليها من استغلال الأرض التى أصلحها ، وقد فوضه ذلك ملك « معين » « ملك معن » و مجلس « معين » « مسود معن »<sup>(٢)</sup> .

وهناك نصوص معينة أخرى تشبه هذا النص ، لها علاقة بكيفية جباية الضرائب فى حكومة « معين » « معن فى النصوص » وبانشاء الأبنية العامة ، مثل النصوص المرقمة Gl. 1083 و Gl. 1144 و Gl. 1150 و Gl. 1155 و Hal. 187/8 و Hal. 535 و Gl. 1302 وغيرها<sup>(٣)</sup> . وقد ورد فيها بعض التعابير التى كانت تستعمل فى عقد العقود فى ذلك العهد ، مثل « كبودت » و « اكرب » و « فرع » و « عثر » وغير ذلك . وتأخذ « الفرع » و « العشر » عن الأرض . وأما « كبودت » و « اكرب » « أقرب » فتعنى الهبات والأعمال الخيرية التى يتقدم بها أصحابها بمحض اختيارهم تقربا الى آلهة معين<sup>(٤)</sup> . وتنتهى أكثر هذه النصوص بالطلب الى آلهة « معين » « معن » بحماية هذه المنشآت والطلب الى الناس المحافظلة عليها وانزال الشر والغضب بمن يحاول التجاوز عليها<sup>(٥)</sup> .

(١) « هجرن قرنو بقلح ربعن رمشو . . . » Stud. Lexi., 2. P. 55.

(٢) « ويوم سنش ابيدع يشع ملك معن ومسود معن » .

(٣) أيضا Hal. 353. Gl. 1144. Hal. 565. Hal. 478.

(٤) Stud. Lexi. 2. P. 58. ويعبر فى المعينية عن الهبات والعطايا التى تقدم للمعابد

أو الحكومة بجمل تحمل هذا المعنى مثل : « يوم وهب » و « وبدماد «ماد» بن يدمس » ذات يده . الخ .

(٥) Stud. Lexi., 2. P. 60.



ولورود هذه الأسماء وأمثالها في النصوص المعينية وفي غيرها من الكتابات العربية الجنوبية أهمية كبيرة في دراسة تطور الأسماء وتاريخها في شبه جزيرة العرب ، فيمكن المقابلة بينها وبين الأسماء العربية التي كانت شائعة قبيل الاسلام وتطورت بمرور الوقت حتى أخذت الشكل الذي عرفت به عند ظهور الاسلام . ولا سم « يسمع ايل » « يسمع ال » أهمية خاصة أيضا ؛ لأنه يشير الى شيوع اسم « اسماعيل » عند العرب قبل الميلاد .

وورد في كتابة أخرى عثر عليها في « قرنو » ، وهي الكتابة التي أشير اليها بعلامة 'Halévy 193' ، اسم الملك « أب يدع يثع » ، وهي من الكتابات المهمة التي تشير الى الصلات السياسية التي كانت في هذا العهد بين مملكة « حضرموت » وبين مملكة « معين » . وقد جاء فيها : أن « معد يكرب » ملك حضرموت وقف حصن « خرف » للآله « عثر ذ قبضم » « عثر رب قبض » الذي بناه خاله « شهر علن بن صدق ال » ملك « حضرموت » تقربا للآلهة « عثر رب قبض » و « عثر شرقان » « عثر الشارق » و « ود » و « نكرح » ولابن أخيه « أب يدع يثع » ملك « معين » ، ولشعبه شعب « معين »<sup>(١)</sup> . وجاء في كتابة أخرى ، وهي الكتابة المؤشرة بعلامة «Halévy 520» عثر عليها في مدينة « يثل » وهي تتحدث عن انشاء بناء في مدينة « وكل » ليكون وقفا للآلهة اسم الملك « معد يكرب بن اليثع يثع » ملك معين . كما ورد في كتابة أخرى عثر عليها في المكان نفسه اسم « أب يدع يثع » ملك « معين » و « معد يكرب » ابن « اليثع »<sup>(٢)</sup> . وورد اسم « أب يدع يثع » في ثلاث كتابات أخرى ورد في اثنتين منها اسم ابنه « وقه ال ريم » « وقه ايل ريام »<sup>(٣)</sup> .

وتشير هذه الكتابات الى وجود صلات وقرابة بين ملوك « معين » و « حضرموت » . ونحن لانعلم كيف تلقب « شهر علن » بلقب « ملك حضرموت » ، الملكية انتقلت اليه من أبيه « صدق ال » ، وكان أبوه نفسه ملكا على حضرموت ، فوزع الملك بين ولديه ، فأصبح « شهر علن » وهو الابن الأصغر ملكا على « حضرموت » ، أو أن « شهر علن » هو الذي تلقب بهذا اللقب الذي لم يكن يحمله والده ؟ ولكننا نعلم أن

Halévy 535. (٢)

Background., P. 51. (١)

Background. P. 51. (٣)

« شهر علقن » كان منكاً من ملوك « حضرموت » ، وانتقلت الملكية منه الى ابن اخيه الأكبر « معد يكرب » ، وهو ابن « اليفع يثع » ملك معين الذى تولى الملك من بعده ولداه : « حفن ذرح » ، و « اليفع ريام »<sup>(١)</sup> .

وجاء بعد « أب يدع يثع » على عرش معين الملك « وقه ال ريم » « وقه ايل ريام » ، وهو ابن « أب يدع يثع » على رأى بعض العلماء<sup>(٢)</sup> ، وهو ابن « خوف عث » على رأى بعض آخر<sup>(٣)</sup> . ثم جاء من بعده « حفن صديق » وهو والد « اليفع يفضن » من ملوك معين<sup>(٤)</sup> .

وحكمت « معيناً » أسرة أخرى على رأسها « يثع ال صدق » « يثع ايل صديق »<sup>(٥)</sup> ولا نعرف الآن من أمره شيئاً سوى أنه بنى حصن « يشبم » « يشبوم » ، وأنه والد « وقه ال يثع » ملك معين<sup>(٦)</sup> . و « وقه ال يثع » هو والد « اليفع يشر » الذى ضعفت فى أيامه حكومة « معين » واعترفت بسيادة حكومة « قبان » عليها كما يظهر ذلك من كتابة كتبها أهل مدينة « ذمرن » « ذمران » لمناسبة تقديمهم وقفا لأحد المعابد ، حيث ورد « فى أيام سيدهم ، وقه ال يثع وابنه اليفع يشر » ، ملك معين وباسم سيده شهر يجل يهرجب ملك قبان<sup>(٧)</sup> . ويظهر منها أنها كتبت فى أيام « وقه ال يثع » ، وكان ابنه يحمل لقب « ملك » كذلك ، وأن حكومة « قبان » كانت أقوى من حكومة « معين » ، ولهذا اعترف ملك معين بسيادة ملك حضرموت عليه . والى أيام الملك « اليفع يشر » تعود الكتابة التى أشير إليها برقم Gl. II44 = Hal. 353 ، وقد دوت بأمر جماعة من « أهل نيط » لمناسبة قيامهم بترميمات واصلاحات فى الأبراج وحفر قنوات ومسائل للمياه تقرباً لآلهة معين<sup>(٨)</sup> . وقد وردت فى هذه الكتابة كلمات عديدة هى مصطلحات كانت تستعمل فى البناء تفيد فى دراسة حضارة المعينيين .

وقد ورد اسم « اليفع يشر » فى عدد من الكتابات ، منها كتابة كتبت فى « نشن » « نشان » ، ويظهر من كتابة دوت فى « قرنو » ما يؤيد رأى القائلين ان حكومة

Background, P. 52. (١)

Background, P. 55. (٣) BOASOOR., Numb. 73. (1939). P. 7. (٢)

Background, P. 55. (٤)

Background, P.56. (٦) BOASOOR., Numb. 73. (1939). P. 7. (٥)

Background, P.56. (٧)

Stud. Lexi. 2. 30—31. Mordtmann, Min. Epigr. S. 68, 71. (٨)



« قنبان » كانت قد فرضت نفسها على حكومة معين<sup>(١)</sup> ، الا أن هذا لا يعنى أنها فقدت استقلالها واندمجت فى حكومة « قنبان » . فاننا نرى أنها بقيت مدة طويلة بعد هذا العهد محافظة على كيانها ، وعلى رأسها ملوك منهم ابن « اليفع يشر » الملك « حفن ريام » و « وكه ال نبت » « وجه ال نبت »<sup>(٢)</sup> .

وهناك أسرة أخرى حكمت معين من أعضائها « أب يدع ريام » وابنه « خال كرب صدق » . وقد ورد اسمه فى كتابة وجدت فى « قرنو » لمناسبة تدشين معبد « لعتر ذ قبض » ، وكان له ولدان هما : حفن يثع وأوس . وقد تولى « حفن يثع » عرش « معين » بعد وفاة والده ، ومن الجائز أن يكون شقيقه « أوس » اشترك معه فى الحكم<sup>(٣)</sup> .

وورد اسم « اليفع يشر » فى كتابتين من الكتابات التى عثر عليها فى « ددان »<sup>(٤)</sup> ، أمر بتدوين احدهما « وهب ال بن حيو زعم رتبع »<sup>(٥)</sup> « عمى رتبع »<sup>(٦)</sup> من أعيان المعينين فى الشمال . وأما الكتابة الأخرى ، فتعود الى « يفعان » من رؤساء « ددان » كذلك . وقد كان هذان الرجلان من أسرتين كبيرتين عرفتا فى أيام معين المتأخرة وفى عهد اللحيانيين ، وورد اسم الأُسرتين فى عدد آخر من الكتابات<sup>(٧)</sup> .

ويرى « ونت » أن هذه الكتابات اللحيانية التى ورد فيها اسم هاتين الأُسرتين أقدم عهدا من الكتابات المعينية التى ورد فيها اسم الأُسرتين ، وهذا معناه أن المعينين جاؤوا الى هذا الموضع بعد اللحيانيين . وقد أشارت بعض الكتابات اللحيانية القديمة الى المعينيين والى صلاتهم التجارية مع « ددان » والشمال ، وهذا يعنى أن المعينيين كانوا يتاجرون مع « العلا » وشمال شبه الجزيرة فلما ازداد عددهم استولوا على « ددان »<sup>(٨)</sup> نهائيا .

ومن ملوك معين المتأخرين الملك « يثع ال ريم » وابنه « تبع كرب » ، وقد عثر

Background, P. 141. (٢)

Background, P. 56. (١)

Background, P. 57. (٣)

Res. 3341. Res. 3355b. Le Muséon, LXII, 3—4. (1949). P. 234. (٤)

Le Muséon, LXII, 3—4. (1949). P. 234 (٥)

BOASOOR, Number 73 (1939). P. 6. (٦)

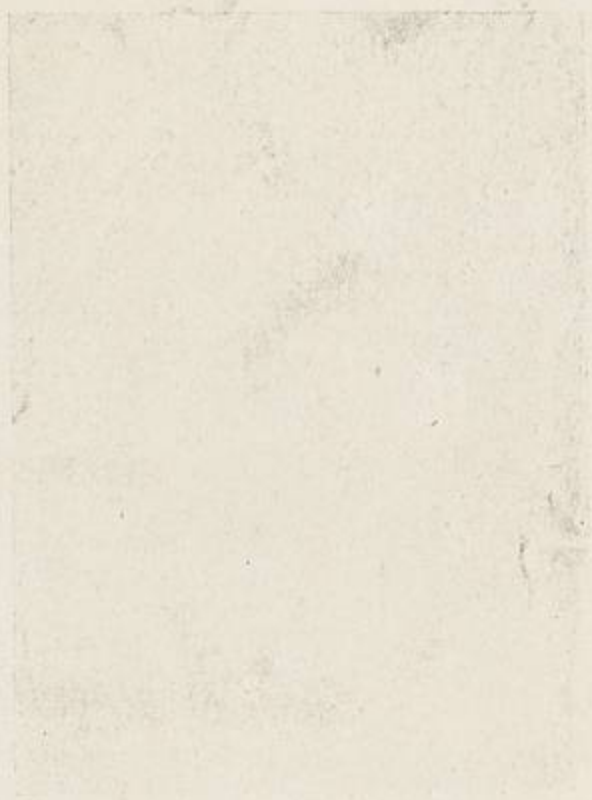
Js 43, 245, 276, 281, 288, Js. 50, 196, 197, 216. (٧)

BOASOOR, Number 73 (1939). P. 6. (٨)



محارب راكب جملا يخوض موضع ماء ، وقد  
كتب في أعلا الصورة : «مشيقرم حميت بن يشف»  
• أي «مشيقر حمية بن يشف» وهو صاحب الصورة





على كتابة أمر بتدوينها رجل من « دبر » اسمه « ثوب ال » وابنه « يسلم » من آل « هنا » تعود الى عهد هذين الملكين . وقد وردت في هذه الكتابة عبارة مهمة تشير الى الحالة السياسية التي كانت عليها معين في هذا الوقت ، ورد فيها : « ورثد أهل دبر سل اسم وأسطر سم عتتر شرقن وعتتر ذ قبض وود ونكرح وعتتر ذ يهرق وكل الآلت معن ويثل وكل الآلت وشيم هي وأملك واشعب سبا وجو بن كل ذ يسنكرسم وسفاى وحتيل بن مقهسم بضم وسلمم يمت أرضم » أى « وجعل آل دبر وقفهم ونقوشهم فى حماية عتتر شرقان » (١) « الشارق » وعتتر ذو قبض (٢) وود ونكرح وعتتر ذو يهرق وجميع آلهة معين ويثل وجميع آلهة سبا ومحامى سبا وملوك « سبا » وشعوب سبا وجو جعلها فى حمايتهم لمدافة كل من يغيرها ويبيدها فتخرب من مكانها فى الحرب والسلم أيام « أى مادامت « الأرض » (٣) .

ويظهر من عبارة « وجميع آلهة سبا ومحامى سبا وملوك سبا وشعوب سبا » أن معيناً كانت فى هذا الوقت خاضعة لنفوذ سبا السياسى ، وربما كانت خاضعة لها ، وأن معيناً وان كانت تتمتع باستقلالها ولها ملوك كانت قد فقدت سلطانها القديم ، انتزعت منها سبا . ولهذا وردت هذه الجملة فى هذه الكتابة التى تشير الى اعتراف المعينين بآلهة سبا وبملوك سبا وبشعب سبا عليهم ، وما كان ذلك ليكون لو لا تفوق سبا على حكومة معين .

وموضوع هذه الكتابة هو قيام « ثوب ال » وابنه باجراء اصلاحات على معبد « نكرح » وانشاء أبنية جديدة فيه من الجزية التى كان « ثوب ال » يؤديها لمعبد « نكرح » . ويظهر أن المعبد المذكور كان فى مدينة « دبر » ، ويرى « فلبى » أن هذه المدينة تقع الى الجنوب من الجوف (٤) . وقد ذكرت الكتب الاسلامية أسماء مواضع فى اليمن قريبة من هذا الاسم . ذكر « ياقوت الحموى » اسم قرية قال لها « دبر » ، ولكنه جعلها

(١) « شرقن » وحرف « ن » اذا لحق آخر المعرفة دل على التعريف فهو فى مقام « ال » فى لهجتنا ويقرأ « آن » ويكتب فى المسند بغير ألف أى « ن » . فتعنى كلمة « شرقن » الشارق .

(٢) « ذ » وتعنى فى لهجتنا « ذو » أى صاحب ورب .

(٣) غويدى : المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة ( ص ٢٨ ) .

(٤) Background, P. 57.



قريّة من نواحي صنعاء<sup>(١)</sup> . وذكر الهمداني اسم موضع قال له « دبرة » قال انه في الجوف<sup>(٢)</sup> ، كما ذكر اسم موضع آخر قال له « الدبر »<sup>(٣)</sup> .

ذكرت أن علماء العربيات الجنوبية لم يتفقوا على بدء حكومة معين ونهايتها ، ولا على تقويم واحد ينظم ملوك معين ؛ وبنت من رأيي أن ذلك لا يمكن أن يتم الآن ، ولن يتم الا بعد القيام بحفريات علمية عميقة ولا سيما في منطقة الجوف موطن المعينين . وقد وضع « البرايت » W. F. Albright قائمة رتب فيها ملوك معين ، فجعل أولهم « اليفع يثع » ، وقد حكم على رأيه حوالي سنة « ٤٠٠ » قبل الميلاد ، وهو ابن « صدق ايل » ملك حضرموت . وعندى أن البدء بهذا الملك على أنه أقدم ملوك معين يدل على أن مملكة معين كانت في أقدم عهودها خاضعة لمملكة حضرموت . وهو قول يحتاج الى دليل ، ولم يرد في نص أن حكومة معين كانت خاضعة في بادى الأمر لحكومة حضرموت ، ثم استقلت عنها ، بل يذهب أكثر علماء العربيات الجنوبية الى تقدم معين على حضرموت في القدم . ويلاحظ أيضا أنه جعل الملك « يدع ايل » على رأس قائمة ملوك حضرموت . وقد كان هذا الملك على رأيه أيضا معاصرا للملك « كربعيل وتر » أول ملوك سبأ ، وقد حكم على رأيه حوالي سنة « ٤٥٠ » قبل الميلاد<sup>(٤)</sup> . والواقع أننا لا نستطيع التحدث عن صلة « صدق ايل » ملك حضرموت بمعين بصورة جازمة ، وان كان الغالب على الظن أنه كان ملكا على شعب معين وشعب حضرموت . ولكننا لانستطيع أن نؤكد أنه كان حضرميا ، كما أننا لانستطيع أن نقول بجزم أنه كان من معين . وأرى أن هذا الملك لم يكن أقدم ملوك معين ، والظاهر أنه قد تولى عرش معين قبله عدد من الملوك ، وأن ابنه « اليفع يثع » ورث من والده عرش معين ، بينما ورث شقيقه « شهر علن » عرش حضرموت . وهذا يدل على أن رابطة قرابة كانت تربط بين حكام الشعبين ، يؤيد ذلك أن « معد يكرب بن اليفع يثع » هو الذي تولى عرش حضرموت بعد « شهر علن » ، ووالده كما رأيت ملك معين .

وجعل « البرايت » « حفن ذرح » بعد « اليفع يثع » ، وهو ابنه ولعله الابن الأكبر ، وهو شقيق « معد يكرب » ملك حضرموت ، أى أن ولدى « اليفع يثع » قد اقتسما

(٢) الصفة ( ص ٨١ ، ١٠٨ ) .

(١) البلدان ( ٣٢/٤ )

(٣) الصفة ( ص ١٢٥ ) .

(٤) BOASOOR., Number, 119 (1950). P. 14—15.

تاج معين وتاج حصرموت ، فأصاب « حفن ذرح » عرش معين ، وكان عرش حصرموت من نصيب « معد يكر ب » .

وتولى عرش معين بعد « حفن ذرح » « اليفع ريام » ، وهو ابن « اليفع يثع » ، وقد تولى أيضا عرش حصرموت على رأى « البرايت » . ثم تولى بعده « هوف عث » ثم « أب يدع » ، وهو شقيقه وابن « اليفع ريام » . وفى أيامه كتب « نص Halévy 535 + 578 = Glaser 1155 » الذى تحدث عن حرب نشبت بين « مذى » « ماذى » و « مصر » . وقد ذهب « البرايت » الى أن المقصود من هذه الحرب ، الحرب التى وقعت بين « الماديين » « الماذيين » وبين المصريين وانتهت بانتصار « الماذيين » واحتلال ملكهم « ارتحشتا الثالث Artaxerxes Ochus » لمصر عام « ٣٤٣ » قبل الميلاد . وعلى هذا يكون حكم هذا الملك فى هذا العهد<sup>(١)</sup> . وقد جعل « فلبى » حكمه حوالى عام ٩٣٥ قبل الميلاد ، وجعله العاشر بحسب تسلسل الملوك<sup>(٢)</sup> .

وتشابه قائمة « البرايت » وقائمة « فلبى » فى تسلسل الملوك الذين تولوا عرش معين بعد « أب يدع يثع » الى « اليفع يثع » ثم تختلف قائمته عن قائمة « فلبى » ، اذ يذكر « فلبى » بعد الفترة التى لا نعرف من حكم فيها ، ومدتها عشرون عاما على رآيه ، اسم « يثع ايل صديق » ثم « وقه ايل يثع » فاليفع يشر فحفن ريام ووجه ايل نبط<sup>(٣)</sup> . أما « البرايت » فيذكر قبل هذه السلالة السلالة التى تبدأ ب « اليفع وقه » و « وقه ايل صديق » و « أب كرب يثع » ثم « عم يثع نبط » ، وقد حكم « اليفع وقه » على رآيه فى حوالى سنة « ٢٥٠ » قبل الميلاد<sup>(٤)</sup> . وقد قدم « فلبى » هذه السلالة وجعلها فى رأس قائمة ملوك معين . وقد حكم « اليفع وقه » على رآيه حوالى سنة « ١١٢٠ » قبل الميلاد .

ويتفق « البرايت » و « فلبى » فى تسلسل الملوك الذين حكموا بعد السلالة المتقدمة ، ولكنهما يختلفان بالطبع اختلافا بينا فى وقت حكم هذه السلالة وكل السلالات المتقدمة ، اذ رأينا أن « فلبى » جعل حكم أول ملك نعرفه من ملوك معين حوالى عام « ١١٢٠ » قبل الميلاد . أما « البرايت » فقد حدد ذلك بحوالى سنة ٤٠٠ قبل الميلاد .

BOASOOR., Number, 119 (1950). P. 15. (١)

BOASOOR., Number, 119 (1950). P. 15. (٣) Background, P. 141. (٢)

(٤) المصدر نفسه .



وجعل « فلبى » بعد هذه السلالة عددا من الملوك على أنهم حكموا بالتعاقب ، وقد مرت بنا أسماؤهم ، وجعل آخرهم الملك « تبع كرب » . أما « البرايت » فقد ذكر أنه لم تثبت لديه تواريخ هؤلاء الملوك ، وعددهم خمسة . ولذلك فإنه لم يشأ أن يذكر موقعهم في قائمة تأريخ الملوك (١) . وأرى أن من الخطأ ترجيح قائمة على أخرى ، أو اعتبار قائمة ما من القوائم التي وضعها علماء العربيات الجنوبية مضبوطة صحيحة . فالترجيح يجب أن يستند الى حجج ثابتة ، وليست لدينا وثائق تخولنا ترجيح رأى على سائر الآراء . ثم ان هذه القوائم التي وضعها أصحابها ظن ، والظن لا يفيد علما في نظر العلم ، وقد يأتي يوم تنقلب فيه هذه القوائم رأسا على عقب .

انقرضت حكومة « معين » وحلت محلها حكومة « سبأ » على رأى أكثرية علماء العربيات الجنوبية ، غير أن هذا لايعنى انقراض شعب معين بانقراض حكومتهم ، وذهابهم من عالم الوجود ، اذ ورد اسمهم في عدد من الكتابات المعينية التي يرجع عهدها الى ما بعد سقوط حكومتهم ، كما ورد اسمهم في المؤلفات الكلاسيكية التي تعود الى القرن الأول للميلاد (٢) . أما متى استخفى اسمهم من عالم الوجود استخفاء تاما ، فذلك سؤال لايمكن الاجابة عنه الآن ، اذ يتطلب ذلك التأكد من أننا قد وقفنا على جميع الكتابات العربية الجنوبية والمؤلفات الكلاسيكية ، ولا اخال أن في استطاعة أحد اثبات هذا الادعاء .

وفي خلال الفترة التي انصرمت بين أواخر أيام حكومة معين وبين اندماجها نهائيا في مملكة « سبأ » ، ظهرت حكومات صغيرة يمكن أن نشبهها بحكومات المدن انتهت فرصة ضعف ملوك معين ، فاستقلت في شؤونها ، ثم اندمجت بعد ذلك في « سبأ » . ومن هذه الحكومات « حرم » « الحرم » ، و « نشن » ، و « كمنة » « كمنهو » (٣) . « كمننا » (٤) ، وغيرها . ويمكن اعتبار مملكة « لحيان » التي كان مركزها في « العلا » « ددان » من الممالك التي استقلت في أيام ضعف المعينيين (٥) . وقد كانت في

BOASOOR., Number, 119 (1950). P. 15. (١)

Le Muséon., LXII, 3—4 (1949). P. 231 "South Arabian Chronology" (٢)  
by Philby

Philby, in Le Muséon., LXII, 3—4 (1949) P. 231. (٣)

(٤) الصفة ص ١٦٧ .

Le Muséon., LXII, (1949) 3—4. P. 231. (٥)

الأصل جزءاً من أرضى هذه المملكة يحكمها « كبير » .

لم يرد اسم معين في التوراة ، ويرى بعض الباحثين أن « معونيم Me'unim » و « Me'inim » الواردة في أخبار الأيام الأول<sup>(١)</sup> وفي أخبار الأيام الثاني<sup>(٢)</sup> إنما يقصد بها المعينون الذين كانوا يقطنون في المناطق الشمالية<sup>(٣)</sup> . غير أننا إذا ما ذهبنا مذهب القائلين بأن الحكومة المعينية حكمت قبل مملكة سبأ ، وأنها كانت في الألف الثانية قبل المسيح ، تكون مملكة معين قد ازدهرت في الوقت الذي كان فيه العبرانيون يعيشون عيشة قبائل وليس لهم حكومة ولا ملوك . ولهذا لم تحفظ ذاكرتهم من أخبار المعينين شيئاً ، إنما وقفت على خبر حكومة « سبأ » والسبئين .

#### الكتابات المعينية :

وعثر - كما قلت سابقاً - على كتابات معينة خارج اليمن ولا سيما في « العلا » ، وبينها عدد من الكتابات « اللحيانية » المتأثرة باللهجة المعينية<sup>(٤)</sup> ، وقد وردت فيها أسماء كانت شائعة عند المعينيين مثل : « يهر » و « علهان » و « نوبت » و « يفعان » ، كما ورد فيها ذكر آلهة معين<sup>(٥)</sup> .

وتشير النصوص التي عثر عليها في « مصر » في « الجيزة »<sup>(٦)</sup> وفي موضع « قصر البنات »<sup>(٧)</sup> إلى الصلات التجارية التي كانت تربط مصر باليمن وبالمعنيين ، ويظهر من كتابة « الجيزة » - وهي مؤرخة في السنة الثانية والعشرين من حكم بطلميوس بن بطلميوس - أن جالية معينة كانت في مصر في هذا الوقت ، ولعلها من أيام حكم « بطلميوس الثاني »<sup>(٨)</sup> . وكان المعينون يتاجرون في القرن الثالث

(١) الاصحاح الرابع آية ٤١ . (٢) الاصحاح السادس والعشرون ، الآية ٧ .

(٣) Hastings, P. 619. Le Muséon, LXII, 3—4. (1949). P. 236. Ency. Bibl., (٣) P. 3065—3066.

BOASOOR, Number, 73. (1939). P. 5. (٤)

(٥) راجع النصوص 151, 164, 196, 197, 206, 212 Jaussen, Savignac., 220, 221, 222, 226, 248, 269; 324; 364. Winnett; Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions, P. 9.

BOASOOR, Numb. 73. (1939). P. 7. Hommel in PSBA., XVI (1894), (٦) 145—9. D. H. Müller, in Wiener Zeitschrift, F. D. Kunde des Morgenländers (1894). I.

Le Muséon, LXII (1949), 1—2. P. 56 A. E. P. Weigall, Travels in (٧) the upper Egyptian Deserts, 1909. PI. IV Ryckmans, in Le Muséon, XLVIII. (1935), P. 228—229.

BOASOOR. Numb. 73. (1939). P. 7. (٨)



أو الثاني قبل الميلاد بتجهيز معابد ممصر بالبحور<sup>(١)</sup>، وللنصوص التي عثر عليها في جزيرة «ديلوس»<sup>(٢)</sup> أهمية كبيرة بالطبع؛ لأنها تشير أيضاً إلى الصلات التي كانت بين المعينيين واليونان.

يظهر من كتابات «العلا» «الديدان» «Dadan» أن هذا الموضع كان مأهولاً بالمعنيين، وقد كان من جملة الأراضين التابعة لحكومة معين. وقد بلغت حدود هذه الحكومة - كما قلت سابقاً - أعلى الحجاز وجنوب فلسطين، ولعل المستقبل يكشف لنا الحجاب عن كتابات معينة في أماكن أخرى من المنطقة التي بين فلسطين واليمن. ولم يرد اسم «ديدان» في النصوص الآشورية<sup>(٣)</sup>، ولا اسم «المعنيين»<sup>(٤)</sup>. أما عند العبرانيين فقد اقترن اسم «ددان» في التوراة باسم «شبا» على أنه شقيقه من «رعمة» في موضع، أي من نسل «كوش»<sup>(٥)</sup>، واقترن بـ «شبا» في موضع آخر على أنه من نسل «يقشان» من ذرية قطورة<sup>(٦)</sup>. ولم تشير التوراة إلى وجود المعينيين فيه ولعدم إشارة التوراة إلى وجود المعينيين في «ددان» «الديدان»، وتوحيها بأن الديدانيين هم أشقاء «شبا» معنى، لأن ذلك يدل على أن المعينيين لم يكن لهم سلطان على هذا الموضع بل على سائر الأنحاء الواقعة إلى الجنوب من فلسطين في هذا العهد.

ويظهر من الكتابات التي عثر عليها في «الديدان» أن الديدانيين كان يحكمهم ملوك منهم، كما كان عندهم ممثل يمثل حكومة «معين» وهو بمثابة نائب عن الملك يقال له «كبر» «كبير»<sup>(٧)</sup>. ولم ترد إشارة إلى هذا المنصب في الكتابات التي ترجع إلى أيام السبئيين، ويرى «موسل» أن ذلك قد يكون بسبب ضم هذه المقاطعة إلى المملكة السبئية كما يفهم ذلك من الكتابات الآشورية، واعتبارها أرضاً من سبأ، وقد حل «اللحيانيون» في القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد محل السبئيين<sup>(٨)</sup>. ولظهور أثر اللهجة المعينية

(١) Corpus Repertoire D'Epigraphic Semitique. 3427. BOASOOR., Numb.

73. (1939). P. 7. C. Conti Rossini, Chrest. Ar. Merid. 1931. P. No. 86.

Musil, Hegaz. P. 294. (٣) Background, P. 42. (٢)

(٤) التكوين، الإصحاح العاشر، الآية ٧.

(٥) التكوين، الإصحاح الخامس والعشرون، الآية ٣.

(٦) Musil, Hegaz., P. 295. D. H. Müller, Epigraphische Denkmäler, S. 1-96.

(٧) Musil, Hegaz., P. 295. (٨)

في الكتابات اللحيانية نستطيع أن نستنتج من ذلك أن المعينين - وان كانوا قد فقدوا نفوذهم السياسي في هذا المكان - لم يفقدوا شخصيتهم فيه ، ولا تأثيرهم الثقافي فيمن حل محلهم ، وأنهم اندمجوا بعد ذلك في اللحيانيين .

وتعد الكتابة المرقمة برقم « 578 + Halévy = Glaser 1155 » من الكتابات المعينية المهمة ؛ لأنها تحدثت عن حرب وقعت بين « ذيمنت » وبين « ذشامت » « وبين ضركون بين ديمنت وذشامت » أي « ومن الحرب التي وقعت بين سادة الجنوب وبين سادة الشمال » ، ولا يعرف المقصود من « الجنوب » و « الشمال » . ويرى « ونكلر » أن المقصود من « الجنوب » حكومة معين ، وأن المقصود من « الشمال » حكومة عربية هي حكومة « أريبي » التي كان يمتد نفوذها - على رأيه - الى أرض دمشق <sup>(١)</sup> . والظاهر أن السبئيين والخولانيين انتهزوا فرصة هذه الحرب وخروج معين ضعيفة منها ، فأغاروا على قافلة معينة في المنطقة الواقعة بين « معين » على قراءة « ونكلر » <sup>(٢)</sup> أو « ماوان » على قراءة أخرى <sup>(٣)</sup> وبين موضع « ركمت » « رجمت » « رجمت » . واذا صح أن الكلمة هي « معين » فيقصد بها العاصمة ويكون هجوم سبأ وخولان على القافلة المعينية قد وقع في المنطقة التي بين العاصمة وبين موضع « ركمت » . واذا قرأنا الكلمة « مون » أو « ماوان » يكون الهجوم قد وقع في المنطقة التي بين « مون » « ماوان » وبين « ركمت » . وقد ذكر « ياقوت الحموي » في معجم البلدان اسم موضع « ماوان » فقال : انه « واد فيه ماء بين النقرة والربذة ، فغلب عليه الماء فسمى بذلك الماء ماوان » <sup>(٤)</sup> . وصاحب هذه الكتابة هو « عم صدق » ابن « حم عث » ذو « يفعن » « اليفع » و « سعد » ابن « ولك » « ولج » « ولي » « على » <sup>(٥)</sup> ذو « ضفكن » « ضفلن » <sup>(٦)</sup> « كبرى » « مصر » « مصرن » و « معين مصر » <sup>(٧)</sup> وقد كانا - كما يظهر

(١) H. Winckler, Musri, Meluhha, Ma'in, S, 20, 22.

(٢) H. Winckler, Musri, S, 20. Background, P. 53. (٣)

(٤) البلدان (٣٧٠/٧) .

(٥) « على » كذا في كتاب Background, P. 53. قرأها بعضهم « ولك » « ولج » وهنالك تشابه كبير بين رسمى حرفى اللام و « الكيمل » . راجع النص في

Winckler, Musri, P. 56.

(٦) « ضفكن » لدى « وينكلر » في كتابه Musri, Meluhha, P. 20. وفي النص الملحق بصفحة ٥٦ . و « ضفلن » في كتاب Background, P. 53.

(٧) « عم صدق بن حمعث ذ يفعن وسعد بن . . . ( ولي ) ( ولك ) ( على ) . . . ذ ضفكن كبرى مصرن ومعن مصرن . . . مصر ورتكل . . . مهسمن مصر والشنور الخ . . . »



من هذه الكتابة - يحملان لقب « كبر » أى « كبير » ، ويعنى هذا اللقب أن صاحبه كان من أصحاب الوظائف العالية ؛ إذ كان يعنى عند المعينين درجة « وال » أو نائب ملك أو حاكم على مقاطعة من مقاطعات الدولة . والظاهر أنهما كانا يمثلان كذلك ملك « معين » فى « مصر » أو « صور » بحسب اختلاف القراءات<sup>(١)</sup> ، وعند « أشور » « آشور » و « عبر نهرن » « عبر نهران » .

وقد أمرا بتدوين هذه الكتابة تقريبا الى « عتر ذ قبضم » « عتر ذو قبض » وبقية آلهة « معين » ، وهى : « ود » و « نكرح » ؛ لأنها نجت القافلة من الغزو ، كما قاما بتزيين معبد « تنعم » وذلك فى عهد ملك « معين » « أب يدع يثع » وقد ورد فى الكتابة ذكر حرب وقعت بين « مذى » و « مصر » فى وسط « مصر »<sup>(٢)</sup> . وقد شكرا الآلهة على أن سلمت أموال المعينين فى هذه المنطقة أيضا وحفظت أرواح رجال القافلة وشملتها برحمتها وحمايتها الى أن أبلغتها حدود مدينتهم « قرنو » . شكرا وسبحا بحمد « عتر شرقان » « الشارق » و « عتر ذ قبض » و « ود » و « نكرح » و « عتر ذى يهرق » و « ذات نشق » « نشقم » وبكل آلهة معين<sup>(٣)</sup> و « يثل » وملك معين « أب يدع يثع » و « بابنى » « معد يكرب » ابن « اليع » وشعبي معين و « يثل »<sup>(٤)</sup> .

والظاهر من هذه الكتابة أن هذه القافلة كانت قافلة ضخمة تألف من عدد كبير من الجمال ، وكانت برأس مال عظيم ، ويعد يوم وصول هذه القوافل من أيام الفرح والسرور ، للاخطار التى كانت تتعرض لها فى الطريق ، ولذلك لايتولى قيادتها الا المخنكون الشجعان وتذكرنا هذه القافلة بخبر تلك القافلة التى كان يقودها أبو سفيان . وأمر الرسول رجاله بالتعرض لها ، فكان لهذا النبأ وقع شديد فى نفوس قريش . ولذلك فمن الجائز أن يكون هذان الكيران قد توليا قيادة هذه القافلة التى طمعت فيها « سبأ » و « خولان » .

ولم يرد فى الكتابة ذكر الجهة التى كانت تقصدها هذه القافلة : أكانت متجهة من معين نحو الشمال أى من اليمن نحو الشمال ، أم كان اتجاهها على العكس من

Glaser, Skizze, 2 P. 452. Winckler, Musri., P. 20. Background, P.53. (١)

(٢) « بن وسط مصر بمرد كون بن مذى ومصر » السطرين الخامس والسادس من النص .

(٣) « وبكل الآلات معين و يثل » (٤) النص : Glaser II55 = Halevy 535.

« معين مصران » نحو الجنوب قاصدة اليمن وتعرضت لها ، وهى عائدة الى وطنها ، قبائل من سبأ وخولان ؟ (١) . والا تقرب الى الواقع فى نظرى أن هذه القافلة كانت عائدة الى وطنها اليمن ، وتعرضت وهى فى الشمال الى مصاعب كبيرة بسبب تلك الحرب ، فلما عادت تعرضت لمصاعب أخرى هى هجوم سبأ وخولان .

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن « أشر » انما تعنى « آشور » أو البادية وأن « عبر نهرن » أو « عبر نهران » انما تعنى شرقى الأردن الى الشام ، وأن « صور » أو « صار » « صر » قد يقصد بها « صور » أو الساحل الفينيقي ، وعلى هذا فإن هذا النص يشير الى العلاقات السياسية والاقتصادية التى كانت بين حكومة معين وحكومات هذه المواضع المذكورة (٢) . وذهب « ونكلر » الى أن المقاطعات الشمالية التى كانت تحكمها حكومة معين كان يقال لها « مصر » ، وتتبعها أرض « أشر » وأرض « عبر نهران » ، وكانت تميز عن أرض معين بتسميتها بمعين المصرية أو « معين مصرن » . وأن الكبيرين كانا يمثلان حكومة معين فى هذه المقاطعة (٣) . ورأى « هومل » و « كلاسر » أن « آشور » انما هى « اشوريم » الواردة فى التوراة على أنهم من نسل ابراهيم من زوجته « قطورة » (٤) . وهى المنطقة الواقعة على حدود مصر (٥) ، وعلى هذا تكون المنطقة المذكورة فى هذه الكتابة ممتدة من مصر الى « بئر السبع » Beersheba ، و « جبرون » ، Hebron (٦) . وهى منطقتة شبه جزيرة طورسيناء على رأى « هومل » ، وعند « كلاسر » المنطقة الواقعة بين السويس الى غزة وجنوب فلسطين (٧) .

ويرى « ونت » أن ماجاء فى هذه الكتابة عن الحرب التى وقعت بين « مذى » و « مصر » انما يقصد بها الحرب التى وقعت بين الماذيين والمصريين ، ويرى أن من الصعب أن يكون المقصود بها غزو « قميز » لمصر عام « ٥٢٥ » قبل الميلاد ،

(١) Le Muséon, LXII, 3—4, (1949). P. 237.

(٢) Winckler, Musri, P. 24—25 Background., P. 54.

(٣) Glaser, Skizze, 2, P. 452, Hommel, AHT, S, 239f, Winckler, AOF, 28f. ZDMG. (1895) P. 527.

(٥) التكوين : اصحاح ٢٥ ، الآية ٣ . Ency Bibl. P. 346, Hastings, P. 59.

(٦) Ency Bibl., P. 346

(٧) ...Glaser, Skizze, 2, S. 452.



اذ لم يكن للمعنيين فعاليات - على رأيه - فى هذا الوقت ، فمن المحتمل أن تكون هذه الحرب هى الحرب التى وقعت عام ٣٤٣ قبل الميلاد<sup>(١)</sup> . واستولى فيها « أرطخشستا أوخوس » « أرطخششت أوخوس » « Artaxerxes Ochus »<sup>(٢)</sup> على مصر بعد مضى ستين سنة على إعادة مصر استقلالها . وعلى هذا يكون الملك « أب يدع يثع » قد حكم فى هذا الوقت . وقد أيد هذا الرأى « البرايت » « Albright » كذلك<sup>(٣)</sup> . ويرجع « ونت » عهد أقدم ملك من ملوك معين الى عام « ٥٠٠ » قبل الميلاد .

وقد رجح « ملاكر » « K. Mlaker » تأريخ هذه الحرب بين « مذى » « ومصر » الى سنة « ٥٢٥ » قبل الميلاد<sup>(٤)</sup> ، أى الى « نوح » « تمبيز » = « كمييسس » « Carbysses »<sup>(٥)</sup> هذا العام<sup>(٥)</sup> . وكلمة « مذى » هى التى وجهت النظر الى هذه الحرب ، أو الى الحرب الأخرى التى وقعت عام « ٣٤٣ » قبل الميلاد ؛ اذ رأى أصحاب هذا القول أن كلمة « مذى » تعنى « الماديين » ، وأن العرب الجنوبيين كانوا يطلقون على الشعب « المادى » « المادى » « مذى » مثل الأرميين الذين كانوا على اتصال وثيق بهم . ومن الأرمية أو من الرواة المتأثرين بالأرميين أخذ المسلمون « ماذى بن يافث » بن نوح<sup>(٦)</sup> ، وقد ذكر الطبرى اسم « كيرش المادوى »<sup>(٧)</sup> . فماذى تعنى اذن « الماديين » . وشعب « ماذى » « Media » « Medes » من نسل « ماداي » « Madai » ابن يافث الثالث فى التوراة<sup>(٨)</sup> .

BOASOOR, Number, 73. (1939). P. 8. (١)

(٢) هكذا كان يكتب عند اليونان ، أما الفرس فكانوا ينطقون به على هذا الشكل « ارتخشسترا Artakhshatra » ، وفى العبرانية « Artachshasta » ومعناه ملك عظيم .

قاموس الكتاب المقدس (٥٩/١) 52 (٥٩/١) « أرطخششت الثالث المعروف بالأسود . واليونانيون يسمونه أوخوس ملك سبعا وعشرين سنة واستعاد ملك مصر وهزم نقطاببيوس ملكها . . . » تاريخ مختصر الدول لابن العبرى ( بيروت ١٨٩٠ ) ص ٨٩ .

(٣) BOASOOR, Number, 119 (1950) "The Chronology of Ancient south

Arabia in the Light of the first Campaign of excavation in qataban". P. 15.

(٤) Le Muséon. LXII, 3—4 (1949). P. 231. K. Mlaker, Die Hierodulen—

(٥) Isten Von Ma'in Nebst untersuchungen Zur altsüdarabischen Rechtsgeschichte Und Chronologie.

(٥) قاموس الكتاب المقدس (٢٧٦/٢)

(٦) الطبرى ٢١٦/١ . ٦٥٠ . ٦٥٢ ( الطبعة الأوربية ) .

(٧) الطبرى ٢١٦/١ ( الطبعة الأوربية ) .

(٨) التكوين : الإصحاح العاشر ، الآية ٢ ، وأخبار الأيام الأول : الإصحاح

الأول ، الآية ٥ . قاموس الكتاب المقدس (٣٠٦/٢) . Hastings, P. 596.

وذهب « فلبى » الى احتمال كون « مذى » « المديانيين » « مدينيين » الذين عرفوا كما يظهر من التوراة بتعرضهم لجيرانهم وغزوهم لهم<sup>(١)</sup> . وعلى هذا يحتمل وقوع هذه الحرب بين « مدين » و « مصر » العربية التي تمثلها فى الوقت الحاضر « معان المصرية » ، وتقع فى شمال « ددان » أو « العلا » التي كانت عاصمة للمعنيين الشماليين<sup>(٢)</sup> . وقد تصور « فلبى » أن « أب يدع يثع » الذى فى أيامه دونت هذه الكتابة قد حكم حوالى سنة « ٩٣٥ » قبل الميلاد<sup>(٣)</sup> . وعلى هذا فان هذه الحرب تكون قد وقعت فى ذلك العهد .

ويرى « فلبى » أن من الصعب تصور تعرض سبأ لقافلة آمنة كانت متجهة من مصر الى معين فى هذا الوقت الذى ارتاه « ونت » أو « ملاكر » ، أى فى القرن الرابع أو السادس قبل الميلاد ، اذ كان السبئيون فى هذا العهد أصحاب حكومة ، وكانوا يمارسون التجارة ، فلا يعقل تعرضهم لقافلة آمنة مطمئنة<sup>(٤)</sup> . ولذلك يحاول رجوع هذا الحادث الى وقت أقدم من هذا الوقت ، لم يكن لسبأ على رأيه فيه حكومة .

ويتمسك « فلبى » برأيه أن الحرب التي وقعت بين « مذى » و « مصر » قد وقعت فى القرن العاشر قبل الميلاد ، وقد وضع عدة احتمالات أخرى ، فذكر أن من المحتمل أن يكون المقصود من الحرب التي وقعت بين الشمال والجنوب حرب وقعت بين « مصر » و « نوبية » ، غير أنه يلقى عسرا شديدا فى ايجاد دليل يثبت به رأيه هذا فى وقوع حرب بين المصريين والنوبيين فى هذا الوقت ، كما أن من المحتمل أيضا أن تكون هذه الحرب قد وقعت بين سبأ ومعين ، أو أن « مذى » انما هى كلمة « Madhoy » أو « Maziou » أو « Maroe » ، وأن الحرب المذكورة التي وقعت بين « مصر » و « مذى » هى حرب وقعت بين مصر وبين هؤلاء فى القرن العاشر قبل الميلاد . وقد ذكر كل هذه الآراء على أنها مجرد احتمالات<sup>(٥)</sup> . وقد سبق أن رأى « هومل » أن « مذى » قد يكونون جماعة من بدو طور سيناء<sup>(٦)</sup> .

Background, P. 54. (٢)

Background, P. 54. (١)

Background, P. 141. (٣)

Le Muséon, LXII, 3—4. (1949). P. 237. (٤)

Le Muséon, LXII, 3—4. (1949). P. 238. (٥)

Ditlef Nielsen, Handbuch, S. 70 Hommel, Aufsätze, S. 231. Le Muséon, LXII, 3—4. P. 238. (٦)



وأرى أن من الصعب بلوغ نتائج ايجابية من هذا النص وتعيين الوقت الذى دون فيه ، ويخيل الى أنه قد تطرق الى الحالة السياسية التى كانت فى ذلك العهد وسهلت لخلولان وقبائل سبأ التعرض للقوافل وللجاليات المعينة التى كانت تعيش فى « معين مصران » ، ويخيل الى كذلك أن النص قد تحدث عن حربين : حرب وقعت بين « ذيمنت » و « ذشامت » أى بين سادة الجنوب وبين سادة الشمال ، ويقصد بيمينت الجنوب وبشامت الشمال ، وحرب أخرى هى الحرب التى وقعت بين « مذى » وبين « مصر » . وقد أصاب المعينيين من هاتين الحربين خسائر كبيرة . ولكن ما المقصود من سادة الجنوب أو أصحابه ومن سادة الشمال أو أصحابه ؟ ومتى وقعت هذه الحرب حرب الجنوب والشمال ؟ أوقعت فى وقت قريب أم بعيد من وقت الحرب التى حدثت بين « مذى » و « مصر » ؟ . وهل قصد من عبارة « وبن ضر كون بين ذيمنت وذشامت » أى « ومن الحرب التى وقعت بين أصحاب الجنوب وأصحاب الشمال » وكتبت قبل جملة « بن وسط مصر بمرد كون بين مذى ومصر » ، أى « بوسط مصر فى المعركة التى حدثت بين مذى ومصر » أنها كانت قبل حرب « مذى » و « مصر » ولهذا السبب قدمها الكاتب ! ؟ واذا فرضنا ذلك فكيف كانت المدة بين الحربين ؟ هذه أسئلة أعتقد أنها لا يمكن الاجابة عنها فى الوقت الحاضر اجابة مقنعة لقله مالدينا من كتابات ووثائق ، لذلك أرى أن من الصواب ترك هذه الاجابة الى المستقبل .

يظهر من هذا النص أن الخولانيين كانوا من القبائل العربية القديمة التى عاشت فى أيام المعينيين وكانوا معاصرين للسبئيين كذلك . وقد ورد اسمهم فى نصوص عربية جنوبية أخرى . تعود الى عهود « سبأ » و « حمير »<sup>(١)</sup> ، ويظهر منها أنها كانت كثيرة العدد ، وقد عدها النسابون من قحطان أى من اليمن .

وقد بنى « ونت » نظريته فى تقدير عمر حكومة معين على هذه الكتابة الغامضة التى لا تحتمل تأريخاً، فافترض أن حرب « مذى » و « مصر » إنما هى الحرب التى وقعت عام « ٣٤٣ » قبل الميلاد بين الماذيين والمصريين<sup>(٢)</sup> ، كما بنى « ملاكر » نظريته فى تقدير عمر حكومة معين على هذه الحرب التى وقعت قبل هذا التاريخ الى سنة « ٥٢٥ » قبل الميلاد وافتتح فيها

(١) Glaser 1076 Halévy 585, Glaser 119. (١) بئير نقوش نقش رقم ٩ سبطر ٤ .

BOASOOR, Number, 73. (1939) P. 8. (٢)

« قميز » مصر (١) . كما بنى « فلبى » وغيره نظرياتهم في تقدير عمر حكومة « معين » ،  
 وقتبان وحضرموت وسبأ على فرضيات ، من غير أدلة ، لذلك لا أستطيع أن أسلم بصحة  
 فرضية من هذه الفرضيات ، وأرى أن الترتيب الذى وضعوه لأسماء الملوك ومدد  
 حكمهم عرضة للتغيير والتبديل .

يتبين من الكتابات المعينية أن حكومة معين كانت حكومة ملكية ، ويتبين منها كذلك  
 أن لقب « ملك » لم يكن محصورا فى رجل واحد حسب ، بل يجوز أن يشترك اثنان  
 أو ثلاثة مع الملك فى حمل هذا اللقب كأن يكون صاحبه ابنا أو شقيقا للملك ، وهذه  
 عادة ترد فى النصوص العربية الجنوبية الأخرى ، لاتنفرد بها حكومة معين .  
 ويظهر منها أيضا أن حكومة معين لم تكن حكومة تسيل الى النظام المركزى  
 فى الحكم ، بل كانت فى الواقع حكومات مدن : كل مدينة فيها كأنها حكومة صغيرة  
 لها آلهتها التى تتسمى باسمها ولها هيئاتها الدينية التى يقال لها « عم » . وكان على  
 المقاطعات ممثل عن الملك يلقب بلقب « كبر » ، أى « كبير » ، يظهر أنه كان لايتداخل الا  
 فى السياسة التى تخص المسائل العليا التى تهتم الملك وشعب معين . وللمدن مجالس  
 تدير شؤون المدينة يجتمع فيها الاشراف للحكم بين الناس ولتقرير ما يخص مصالح  
 المدينة فى السلم والحرب ، ويقولون لهذه المجالس « مسود » ، ويذكر فى النص  
 مع « المسود » اسم المدينة فيقال مثلا « مسود معن » (٢) أى « مسود معين » .  
 وقد كان للسبيين هذه المجالس التى يقال لواحدھا « مشود » أيضا (٣) . وكان  
 رؤساء القبائل يبنون دورا يتخذونها مجالس يجتمع فيها شيوخ القبيلة لبت فى الأمور  
 ويسجلون ذلك فى الكتابات كما يسجلون الترميمات والتحسينات التى يدخلونها على  
 البناية . وقد عرفت الدار التى كان يجتمع فيها رجال مكة وصناديد قريش « بدار  
 الندوة » ، وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لاتقضى أمرا الا فيها يتشاورون

(١) « قمباسوس » مختصر تاريخ الدول لابن العبرى ( ص ٨٢ ) .

(٢) Stud. Lexi. 2. P. 55.

(٣) Mordtmann und Eugen Mittwoch, sabäische inschriften, Bd, 1, P. 22—23.

وسيكون رمزہ : RW79.sab. Inschr. 4 . MM. نشر نصوص ص ٤٨ نقش ٢٨ سطر ٤ .



فيها (١) . فهي بمثابة « المسود » أو « المشود » عند المعينين أو السبيين (٢) .

والضرائب - كما يظهر من الكتابات - على ثلاثة أنواع : ضرائب تعود جبايتها لخزانة الدولة العامة أو خزانة الملك ، وضرائب تعود الى المعابد ، وضرائب تعود الى المشايخ والحكام وتجيى من سواد الشعب والأفراد . ويتعهد المشايخ والحكام والكبراء عادة بجمع الضرائب من أتباعهم وتقديمها الى الملك ، أو الى الأعمال العامة كانشاء المباني الحكومية واحكام أسوار المدينة وبناء الحصون والأبراج والمعابد وما شاكل ذلك . يقوم بأكثر هذه الأعمال المشايخ والأقطاعيون باسم آلهة وملوك معين .

كانت المعابد أو مجالس المدن أو ملوك معين يفوضون الى رؤساء القبائل أو « الكبراء » أو المشايخ انشاء الأبنية والمصالح العامة لقاء اعفائهم من الضرائب المتقدمة أو تفويض التصرف في الأرضين العامة اليهم مقابل تلك الأعمال . فإذا تمت الموافقة عقد عقد بين الطرفين يذكر فيه أن آلهة معين قد رضيت عن ذلك الاتفاق ، وأنه سيقوم بأعمال الترميم أو الصيانة أو بناء مشروع جديد « يوم وهب » (٣) . فإذا تم العمل وقد يضيف اليه المتعهد من جيبه الخاص ورضى عنه الملك الذي عهد اليه بالعمل أو الكهنة أو مجلس المدينة ، كتب بذلك محضر ، ثم يدون خبره على الحجر ويوضع في موضع بارز ليراه الناس ، يسجل فيه اسم الرجل الذي قام بالعمل واسم الآلهة التي تم باسمها العقد واسم الملك الذي تم في أيامه المشروع .

وتألف وارادات المعابد من الضرائب التي كانت تجمع باسم آلهة معين . وهي على نوعين : ضرائب يقال لها « كبودت » و « أكرب » ، وضرائب يقال لها « فرع » و « عشر » (٤) . فإذا كانت المبالغ التي قدمت هدايا وهبات ونذوراً من رؤساء القبائل أو القبيلة كلها أو مجموعة القبائل أو المدينة تقرباً الى الآلهة دون اجبار أو فرض من الكهنة ورجال المعبد قيل لهذه الواردات « كبودت » أو « أكرب » . وإذا كانت ضرائب اجبارية مفروضة لابد للانسان من تقديمها الى خزانة المعبد قيل لها « فرع » و « عشر » .

ويقوم « الناذر » أو الشخص الذي استحقت عليه الضرائب أو القبيلة بتقديم

(١) سيرة ابن هشام ( طبعة وستنفلد ) ص ٣٢٢ .

(٢) Sab. Inschr. P. 23.

(٣) Rhodokanakis, Vol. 2, P. 57. Halevy. 187. 188. 535. Glaser. 1083.

1155. 1302.

(٤) Rhodokanakis, Stud. Lexi. Vol. 2, P. 58. Glaser 1083, 1144, 1150, 1155.

ما استحق عليه الى المعبد ، وكانت تعد « ديونا » للآلهة على الأشخاص . فاذا نذر الشخص للآلهة بمناسبة مرض أو لمطالبة باحلال بركة في المزرعة أو في التجارة أو انقاذ من حرب وصادف ان مضت الأمور على وفق رغبات أولئك الرجال استحق النذر على الناذر فردا كان أو جماعة ، ولذلك يعبر عنه بـ « دين » فيقال « دين عثر » أو « دين الآلهة » . (١) .

وقد يفوض الملك أو المعبد الى الشيخ استغلال مقاطعة مقابل شروط تدون في الكتابات فتحدد الحدود تحديدا دقيقا ويقوم المستغل بالاستفادة منها وتأدية الضرائب العامة ويقوم هو بجباية الضرائب واستيفاء حقوقه من صغار المستغلين ، ولم يكن المستغل يقدم ما عليه تقودا بل يقدم ذلك عروضاً أو عملاً كأن يتعهد ببناء مكان أو تحصين مدينة أو فتح شارع فيجتمع افراد القبيلة أو المدينة التي يرأسها المستغل أو الشيخ أو الحاكم ويقومون بالعمل معا . فاذا تم ذلك ورضى الملك أو « الكبير » أو « رجال المعبد » عنه كتب المحضر بذلك وأعطى من الدين .

كان للمعنيين آلهة يتعدون لها ، فكان لكل مدينة معبد وأحيانا عدة معابد لكل معبد « كهنة » يقيمون « الطقوس » ويقبضون العوائد ويتصرفون في الأوقاف وما يجبس على المعبد . ويساهم المعبد في المشروعات العامة مثل اقامة الحصون والأبراج وحفر الخنادق بتنازله عن الضرائب التي تستحق له أو بتقديمه الأموال والمصروفات من خزائنه الخاصة ، وله ضرائب تبلغ عشرين الأرباح التي تجني من التجارة أو منتجات الأرض . فان كانت حصته عينا مثل « لسان » و « مر » و « بخور » حفظت في خزائن المعبد يأخذ منها ما يحتاج اليه في الأعياد وللطقوس الدينية وبيع الباقي في الاسواق ويرسل مع القوافل . ولذلك كانت عوائد المعابد كبيرة وأرباح الكهنة عظيمة ، وقد كان أكثرهم من الأرستقراطيين وكبار الأغنياء .

وورد في الكتابات المعينية أسماء عدد من آلهة شعب معين ، وفي مقدمتها اسم « عثر » ويرمز الى « الزهرة » ، ويلقب في الغالب « بعثر ذ قبضم » أي « عثر ذو قبض » ، كما ورد أيضا « عثر ذ يهرق » « عثر ذو يهريق » (٢) ويهرق اسم مدينة من مدن معين ،

Glaser. 1150. Halévy. 353. (١)

Ditlef Nielsen, Handbuch der Altarabischen Altertumskunde, S. 228. (٢)

Hommel, Grundriss, Vol, I. P. 85.



فيظهر أنه كان في هذه المدينة معبد كبير خصص لعبادة «عثر» .  
ومن آلهة معين «ود» و «نكرح» ، وترد أسماء هذه الآلهة الثلاثة  
في الكتابات المعينية على هذا الترتيب : عثر ، ود ، ونكرح في الغالب . ويرد  
بعدها في بعض الأحيان جملة «الآلات معين» أي آلهة معين<sup>(١)</sup> . أما «نكرح»  
فيظهر أنه يرمز إلى الشمس ، وهو يقابل ذات حميم في الكتابات السبئية<sup>(٢)</sup> . وأما  
«ود» فقد ظلت عبادته معروفة في الجاهلية إلى وقت ظهور الإسلام ، وقد ورد اسمه  
في القرآن الكريم<sup>(٣)</sup> ، وقد تحدث عنه ابن الكلبي في كتابه «الأصنام»<sup>(٤)</sup> .  
وذكر أن قبيلة «كلب» كانت تتعبد له بدومة الجندل<sup>(٥)</sup> ، ووصفه فقال : «كان  
تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال ، قد ذبر عليه حلتان ، متزر بحلة ، مرتد بأخرى .  
عليه سيف قد تقلده وقد تكب قوساً ، وبين يديه حربة فيها لواء ، ووفضة فيها نبل .»<sup>(٦)</sup> .  
وقد نعت «ود» في بعض الكتابات ببعض النعوت ، مثل : «الآهان» أي «الآله» ،  
و «كاهلان» «كاهلن» أي «القدير» «المقتدر»<sup>(٧)</sup> . وكتب اسم «ود» بحروف  
بارزة على جدار في «القرية» «قرية الفاو»<sup>(٨)</sup> ، وذلك يدل على عبادته في هذه البقعة .  
ويرمز «ود» إلى القمر بدليل ورود جملة «ودم شهران» «ودم شهرن» أي  
«ود الشهر» ، ومعنى كلمة «الشهر» القمر<sup>(٩)</sup> . وتمثل هذه الآلهة المعينية ثالوثاً يرمز  
إلى كواكب ثلاثة ، هي : الزهرة ، والشمس ، والقمر .

ويلاحظ أن الكتابات المعينية الشمالية أي التي عثر عليها في اعالي الحجاز لا تتبع

(١) Ditlef Nielsen, Der Sabäische Gott ilmukah, S55.

(٢) Ditlef Nielsen, Handbuch der Altarabischen Altertumskunde, Bd. I, S, (٢)

188, 224. Der Sabäische Gott ilmukah, 56.

(٣) « وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا »  
سورة نوح ٧١ ، الآية ٢٣ .

(٤) الأصنام ( ص ١٠ ، ٥٥ ، ٥٦ ) .

(٥) الأصنام ( ص ١٠ ) . (٦) الأصنام ( ص ٥٦ ) .

J. Wellhausen, Reste Arabischen Heidentums, S, 14ff.

Hommel, Grundr. I, S, 136. Gl. 284. Halévy 237. Chresto. S. 91. 97. (٧)

Philby—qariya 23e. Le Muséon. LXII (1949) 1—2, P. 97. and Pl. IV. (٨)

Ditlef Nielsen, Der Sabäische Gott ilmukah. P. 64. Ditlef Nielsen, Die (٩)

Altarabischen Mondreligion, S, 51.

نفس الترتيب الذي تتبعه الكتابات المعنية الجنوبية في كتابة أسماء الآلهة. كما يلاحظ أيضا أن للمعنيين الشماليين آلهة محلية لانجد لها ذكرا عند الجنوبيين ولعل ذلك بتأثير الاختلاط مع الشعوب الأخرى (١) . وعلى كل فسنبحث عن ذلك في الأجزاء المقبلة من الكتاب الخاصة بتاريخ اديان العرب قبل الاسلام .

ويقال للكاهن في المعنية « يثرو » « Jethro » ، وفي العبرانية « يثرو » ، Jithro (٢) . وقد ذهب كثير من علماء التوراة الى أن « يثرون » (٣) « Jethro » في العهد العتيق - على أنه حمو موسى - انما هو كاهن معيني من مقاطعة « مصرى المعنية » ، وكان يقيم في أرض مدين ، فنزل عليه « موسى » وتزوج ابنته « صفورة » « Zipporah » (٤) . ومن أشهر مدن معين مدينة « قرنو » وقد قال لها بعض « الكلاسيكين » « Karana » « Karna » (٥) و « Nascus » وهي « نشق » (٦) و « ريشان » (٧) و « هریم » (٨) و « كمنا » بجوف همدان ومراد (٩) و « يثل » ، وهي التي دعيت « براقش » فيما بعد (١٠) . وكانت قائمة في أيام الهمداني ، ووصف الهمداني الآثار والحرائب التي كانت بها (١١) .

#### مصرى ومصر :

لقد أثار قول بعض العلماء ان هنالك أرضا في شمال العربية السعيدة تتاخم أرض « أدوم » يقال لها « مصرى » Musri « جدلا بين العلماء المتبحرين في التوراة ، وقد قال « شرادر » ان « مصرى » التي ورد اسمها في كتابة « تغلاتلسر » وكان قد نصب

(١) Nielsen, Der Sab. Gott, S. 59. (٢) Hastings. P. 465.

(٣) هكذا ورد في الترجمات العربية للتوراة . راجع قاموس الكتاب المقدس (٤٩٦/٢) .

(٤) « عصفرة » قاموس الكتاب المقدس ( ٨/٢ ) . Ency. Bibl., P, 2455.

(٥) O'Leary, P. 95.

(٦) الصفحة ١٢٨/٨ ( طبعة الكرملى ) ١٠٩/٨ ( طبعة نبيه أمين فارس ) .

(٧) الاكليل ١٢٤/٨ ، ١٢٨ ( ط الكرملى ) ص ١٠٥ ، ١٠٩ ( ط نبيه ) .

(٨) الاكليل ١٠٤/٨ ( ط نبيه ) هرم ص ١٢٤ ( ط الكرملى ) .

(٩) الاكليل ١٢٤/٨ ( ط الكرملى ) ص ١٠٤ ( ط نبيه ) .

(١٠) العرب قبل الاسلام ( ص ١١١ ) .

(١١) الاكليل ١٢٤/٨ فما بعد ( ط الكرملى ) ٣٨ ، ١٠٤ ، ١٠٥ - ١٠٩ ( ط نبيه ) .



« آدبيل » « Idi—Bi'il » حاكما عليها هي هذه الأرض ، وان « هنو » « هانو » « Hanunu » (١) من « غزة » (٢) و « يمانى Jaman » من أشدود ، انهزما من تعقب الآشوريين لهما الى « مصرى » لم يهربا الى « مصر » بل الى هذه المقاطعة التى تقع فى شبه جزيرة العرب التى كانت تخضع فى أيام « يمانى » الى حكم « ملوخة » « Meluchcha » (٣) ، وأن الملك الذى دعاه « سرجون » « برعو Pir'u » « برعو شارومت مصرى » لم يكن « فرعون » مصر ، بل كان ملكا عربيا يحكم مقاطعة « مصرى » (٤) ، وأن هنالك مقاطعة أخرى كانت فى بلاد العرب هى مقاطعة « كوش » . وعلى هذا فان « مصرى » و « كوش » لا يقصد بهما أرض فى افريقية بل أرض فى شبه جزيرة العرب (٥) . وقد ذهب « ونكلر » الى أن ماورد فى التوراة عن مصر لايعنى « مصر » التى نعرفها ، بل مقاطعة فى شبه جزيرة العرب . فما ورد عن إقامة العبرانيين فى مصر لايعنى فى مصر الافريقية ، بل فى هذه الأرض العربية ، وأن عبارة « هاكر هم مصريت » « Hagar Ham—Misrith » « هاجر المصرية » لاتعنى أنها من أرض مصر بل من « مصر » العربية ، وأن « فرعو Pharaoh » انما هو « Pir'u » وهو اسم ملك هذه المقاطعة ، وقد يعنى « الفرع أو الفراع » ، وأن القصة الواردة فى التوراة عن ابراهيم واسحاق واتصالهما « بفرعون » لاتعنى « فرعون » مصر بل ملك مصر العربية ، وأن الأرض التى اختارها « Lot » « لوط » هى « Misrim » ، لا « Misraim » (٦) ، وأن « آبل مصرايم » « Abel Misraim » (٧) انما تعنى آبل فى أرض « مصرى Musri » ، (٨) الى غير ذلك من مواضع حساسة أثارت جدلا بين العلماء .

وقال « ونكلر » : ان مصر العربية هى « مصر » و « مصران » « مصرن » فى النص

Ency. Bibl., P. 3163. (٢)

Winckler, Musri, S. 5. (١)

Ency. Bibl., P. 3163. (٤)

Ency. Bibl., P. 3163. (٣)

Eberhard Schrader, KAT. (3Auflage) P. 144. (٥)

Ency. Bibl., P. 3163. (٦)

(٧) التكوين : الاصحاح الخمسون ، الآية ١١ .

Ency. Bibl., P. 3164. (٨)

Ency. Bibl., P. 3165. Schrader, KAT. (2). S. 280.

Winckler, Musri, Meluhha, Ma'in, Berlin.







نقد يظن أنه معيني كبر في الشعبة الفنية بالمجمع العلمي العراقي ، وهو في المتحف  
البريطاني . وقد نقلت صورته من كتاب « هل » عن النقود اليونانية في شبه جزيرة العرب  
والهلال الحبيب . وترى كلمة « أب يشع » في الجهة اليمنى من الصورة كما يظهر الحرف  
الأول من الاسم في الجهة اليمنى منها .

المعنى الذى تحدثت عنه ، وتقع فى أعلى الحجاز وربما تقع فى موضع « معان »  
« معان المصرية » ، وأن ماورد فى النصوص الآشورية عن « مصر Musur » مثل  
« شرانى مات مصرى » « Sharràni Mat Musri » أى « ملوك أرض مصر » وغير ذلك  
مما ورد فى النصوص الآشورية إنما يقصد من « مصر » فيها هذه الأرض الواقعة فى  
شبه جزيرة العرب (١) .

ولم يوافق كثير من علماء التوراة على هذا الرأى ، وإنما يرون أن ماورد فى العهد  
العتيق عن « مصر » إنما يقصد به أرض مصر المعروفة لا تلك الأرض العربية  
التي ورد اسمها فى النصوص المعينية .

وقد عثر المنقبون على قطعة من النقود ، يرون أنها تعود الى القرن الثانى  
قبل الميلاد . كتب عليها « أب يثع » بحروف المسند . وقد صور فى داخلها صورة  
رجل جالس على عرشه ، قد وضع رجله على عتبة ، وهو حليق الذقن ، وقد تدلى  
شعره على شكل ضفائر . وقد مسك بيده اليمنى وردة . ويظن الباحثون فى علم  
« النميات » أن هذه الصورة تشير الى ملك من ملوك معين المتأخرين الذين عاشوا فى  
القرن الثالث قبل الميلاد اسمه « أب يثع » (٢) . غير أننا لانعرف اليوم اسم ملك معينى  
بهذا الاسم كما أن كثيرا من علماء العربيات الجنوبية لا يرون أن دولة « معين » عاشت  
الى هذا الوقت ، ولهذا فهم يشكون فى كون هذا النقد من نقود المعينيين . أما من يرى  
أنه نقد معينى فيرى أن الدولة المعينية كانت مستقلة فى هذا الوقت ولها ملوك ،  
ويستشهدون على ذلك بما ورد فى « الكتب الكلاسيكية » من الاشارة الى وجود حكومة  
معينية فى هذا العهد ، ولهذا فلا يرون مانعا يمنعهم من اعتبار أن قطعة النقود هذه من نقود  
المعينيين (٣) . ويلاحظ أننا لم نملك حتى الآن قطعا أخرى من النقود تعود الى عهد  
حكومة معين .

(١) Winckler, Musri, Meluhha Ma' in.

(٢) George Francis Hill, Catalogue of the Greek Coins of Arabia Mesopotamia  
and Persia. London 1922. P. IXXXII.

وسيكون رمزه : Hill  
Hill, P. IXXXIII (٣)



الآن ، وقد انتهت من طبع الجزء الأول من تاريخ العرب قبل الاسلام ، وشرعت  
في طبع الأجزاء الأخرى منه مبتدئا بالجزء الثاني ، وهو في تاريخ قبان وحضرموت  
وأوسان وسبا وهمدان وسمعى وبتع وبكيل وغيرها ، أشعر أن الواجب يدفعني الى أن أعيد  
شكري للمجمع العلمي العراقي اذ أبي الا أن يتوج هذا المؤلف باسمه وشعاره ، وأن  
يشجع مؤلفه علي المضي في البحث والتقيب في تاريخ العرب قبل الاسلام ، وهو لطف  
لعمرك الله عظيم ، فقرر في جلسته المنعقدة في ٣٠/١/١٩٥١ ادخال هذا الكتاب في جملة  
الكتب التي قرر نشرها باسمه ، وذلك بناء على اقتراح قدمه الاستاذ السيد محمد بهجت  
الأخرى . وقد ضمنت بذلك الاستمرار في نشر الأجزاء الباقية منه ، فله الشكر  
والمنة والفضل .

وبعد ، فالكتاب كتابي ، وأنا المسؤول عنه وحدي وهو جهدي واجتهادي ، ان  
كان فيه ما يستحق الشكر فالشكر للمجمع ولاعضائه الأفاضل ، وان كان فيه ما يستوجب  
المواخظة فالخطأ خطئي وهو من نصيبي لا يؤاخذ عليه أحد غيري ، والله من وراء  
القصد والغايات .



حجر يظهر أنه من الأحجار التي توضع شاهدا على القبور يمثل صورة امرأة يقال لها : « غللت بنت ممدت » ويقال للبنت في العربية الجنوبية « بت » أيضا ، وقد توسلت إلى الآله « عشر » بانزال الويل والشبور على من يتجاسر فيغير هذا الحجر عن موضعه :





صورة رجلين ، يحمل أحدهما في  
يده اليمنى طيرا ، وتظهر الصورة اشكال  
الملابس التي كان يلبسها أهل اليمن قبل  
الاسلام . وقد كتب في أعلا الصورة :  
« صور أزد بن سعد أوم » ويقصد بكلمة  
« صور » صورة .

## فهرس الجزء الاول

	المقدمة	٣
	<b>الفصل الاول</b>	
	الجاهلية ومصادر التاريخ الجاهلي	
	الجاهلية	٦
	موارد التاريخ الجاهلي	١٠
	النقوش والكتابات	١١
	تاريخ الكتابات	١٥
	التوراة والتلمود والتفاسير والكتب العبرانية	٢٢
	الكتب الكلاسيكية والسريانية	٢٥
	الموارد النصرانية	٣٠
	الموارد العربية الاسلامية	٣٣
	المؤرخون المسلمون	٣٩
	اهمال التاريخ الجاهلي	٦١
	تدوين التاريخ الجاهلي	٧٢
	<b>الفصل الثاني</b>	
	شبه جزيرة العرب	٨٦
	المجموعة الصحراوية	٨٨
	الدهناء	٩١
	التفود	٩٣
	الدارات	٩٦
	الأنهار والأودية	٩٧
	الجيال	١٠٣



ظهور الجفاف	١٠٤
طبيعة أرض شبه الجزيرة ومعادنها	١٠٦
نباتات وحيوانات شبه الجزيرة	١١٤
أقسام بلاد العرب : التقسيم اليوناني - الروماني	١١٧
العربية السعيدة	١١٨
العربية الحجرية	١٢٠
العربية الصحراوية	١٢٢
التقسيم العربي	١٢٧
الحجاز	١٢٨
تهامة	١٣٢
اليمن	١٣٤
العروض	١٣٩
نجد	١٤٥

### الفصل الثالث

#### صلات العرب بالساميين

الساميون	١٤٨
الموجات السامية	١٥٧
اللغات السامية الأولى	١٦٦
العقلية السامية	١٦٨
العرب	١٦٩
الأقلام العربية	١٨٥
المسند	١٩٢
الصفوية والتمودية	٢٠٠
العرب ولغاتهم	٢١٢
العربية الشمالية والعربية الجنوبية	٢١٥

### الفصل الرابع

طبقات العرب وأسابهم	٢٢٠
	٤١٤

٢٨٦	أثر التوراة	٢٢٥
٢٨٦	العرب البائدة	٢٢٩
٢٨٦	عاد	٢٣٠
٢٨٦	هود	٢٣٧
٢٨٦	ثمود	٢٤٤
٢٨٦	طسم وجديس	٢٥٢
٢٨٦	أميم	٢٥٥
٢٨٦	عيل	٢٥٨
٢٨٦	جرهم	٢٦٣
٢٨٦	العماليق	٢٦٣
٢٨٦	ارم ولاوذ	٢٦٥
٢٨٦	القحطانيون أو العرب العاربة	٢٦٧
٢٨٦	قحطان	٢٦٧
٢٨٦	الموداد	٢٧٢
٢٨٦	شالف	٢٧٣
٢٨٦	تحضرموت	٢٧٤
٢٨٦	يارح	٢٧٤
٢٨٦	هدورام	٢٧٥
٢٨٦	أوزال	٢٧٦
٢٨٦	دقلة	٢٧٧
٢٨٦	عوبال	٢٧٧
٢٨٦	ابيميل	٢٧٧
٢٨٦	شبا	٢٧٧
٢٨٦	أوفير	٢٧٩
٢٨٦	حويلة	٢٨٠
٢٨٦	يوباب	٢٨٠



٢٨٠	أولاد قحطان	٢٨٠
٢٨٥	العرب المستعربة	٢٨٥
٢٨٧	نبايوت	٢٨٧
٢٨٩	قيدار	٢٨٩
٢٩٠	أدبيل	٢٩٠
٢٩١	مبسام	٢٩١
٢٩١	مشماع	٢٩١
٢٩١	دومة	٢٩١
٢٩٢	مسا	٢٩٢
٢٩٢	حدد	٢٩٢
٢٩٢	يطور	٢٩٢
٢٩٣	نافس	٢٩٣
٢٩٣	قدمة	٢٩٣
٢٩٣	عدنان	٢٩٣
٢٩٧	معد	٢٩٧
٣٠١	عك	٣٠١
٣٠٢	نزار	٣٠٢
٣٠٥	الدراسات « الأثروبولوجية »	٣٠٥
٣٠٧	الأنساب	٣٠٧
٣٢٠	أولاد يقشان	٣٢٠
٣٢٨	القحطانية والعدنانية	٣٢٨
٣٣٦	دراسات أسماء القبائل	٣٣٦
٣٣٧	القحطانية والعدنانية في الاسلام	٣٣٧
٣٤٨	عك	٣٤٨
٣٤٩	من الحياة الاجتماعية	٣٤٩
٣٥٢	الشعار	٣٥٢
٤١٦		٤١٦

الأحلاف	٣٥٢
طبقات القبائل	٣٦٢
العصية	٣٦٥
الحرية	٣٧٠
الخلاصة	٣٧٢
<b>الفصل الخامس</b>	
تأريخ شبه جزيرة العرب	٣٧٥
الدولة المعينية	٣٨١
ملوك معين	٣٨٥
الكتابات المعينية	٣٩٧

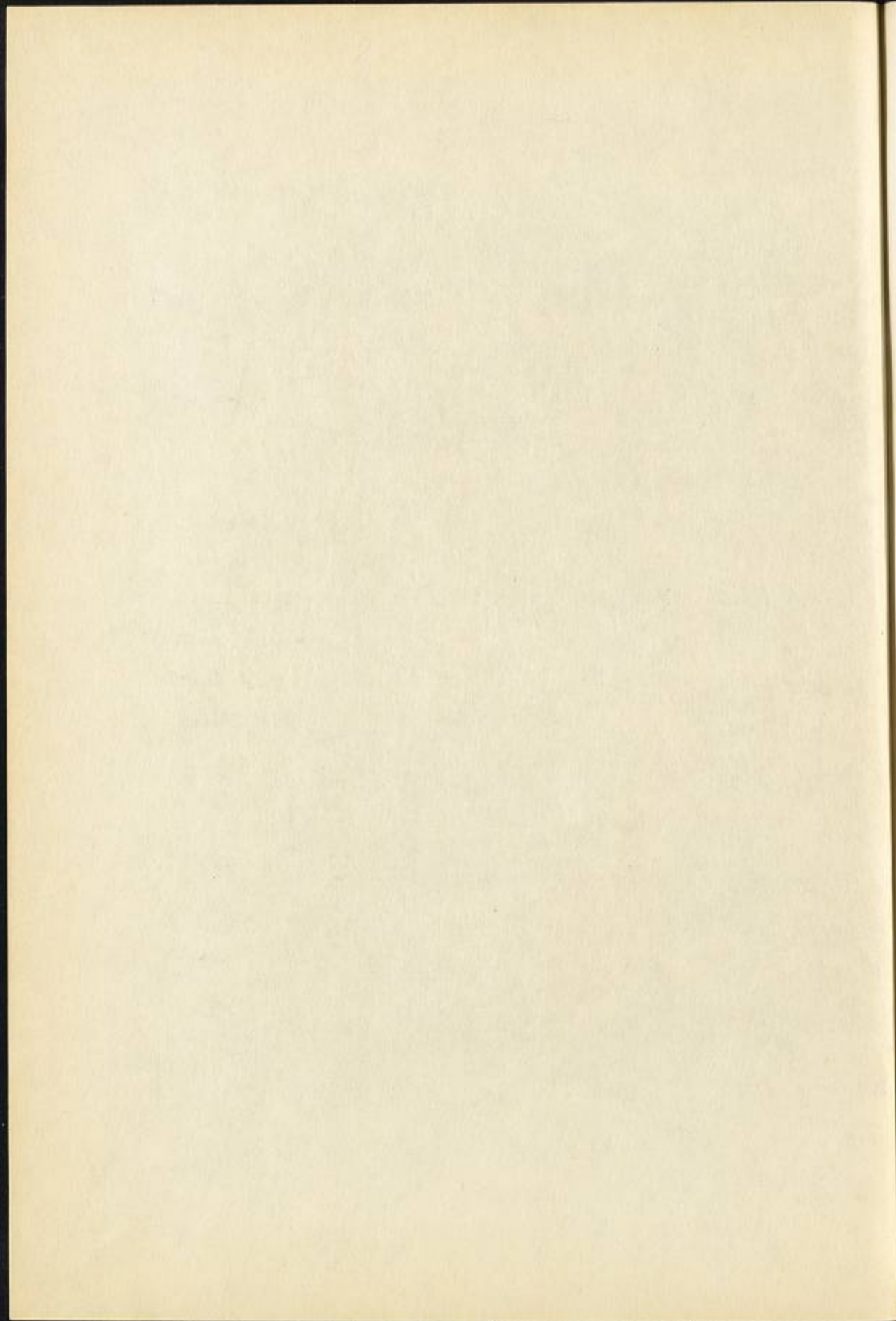


## مطبوعات المجمع العلمي العراقي

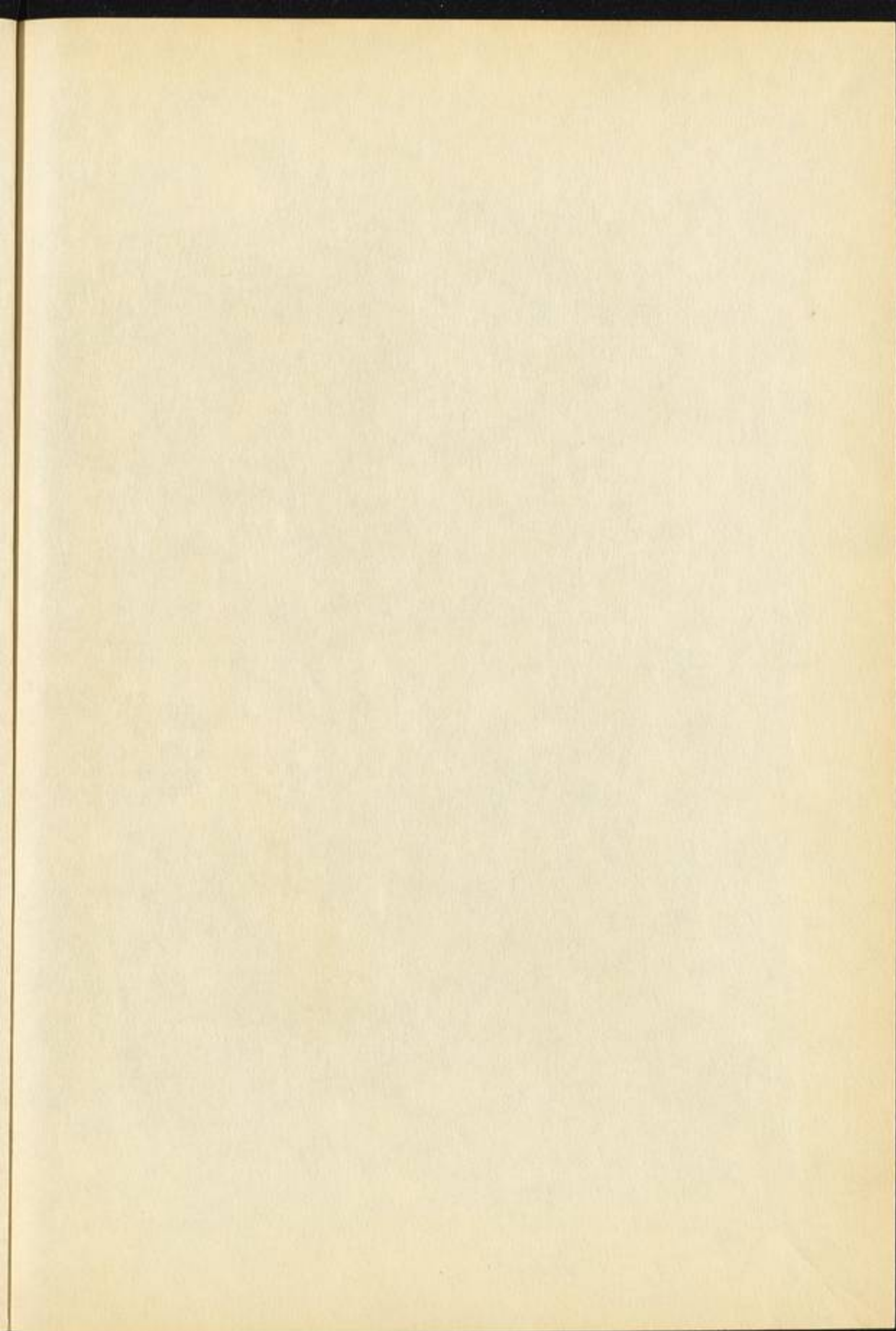
- فلس  
٦٠٠
- ١ مجلة المجمع العلمي العراقي
- ٢ كتاب النغم ليحيى بن علي بن يحيى المنجم بتحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثرى  
وتعليق الدكتور جواد علي •
- ٣ صورة الأرض : للدريسي تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثرى والدكتور  
جواد علي ( تحت الطبع ) •
- ٤ تأريخ العرب قبل الاسلام - الجزء الثاني ( تحت الطبع )
- ٥ ابن الفوطى : للأستاذ الدكتور محمد رضا الشيبى ( تحت الطبع )
- ٦ خريدة القصر وجريدة العصر لعلماد الدين الاصبهاني الكاتب ، تحقيق الأستاذ  
محمد بهجة الأثرى والدكتور جميل سعيد ( تحت الطبع )
- ٧ المختصر المحتاج اليه من تأريخ بغداد للذهبي تحقيق الدكتور مصطفى جواد  
( تحت الطبع ) •
- ٨ الديناز الاسلامى فى المتحف العراقي تأليف السيد ناصر النقشبندى ( تحت الطبع )
- ٩ مقدمة للرياضيات لوايت هيد ترجمة الأستاذ محيى الدين يوسف ( تحت الطبع )
- ١٠ موجز كتاب الدورة الدموية فى الكلية تلخيص الدكتور هاشم الوترى ( تحت الطبع )

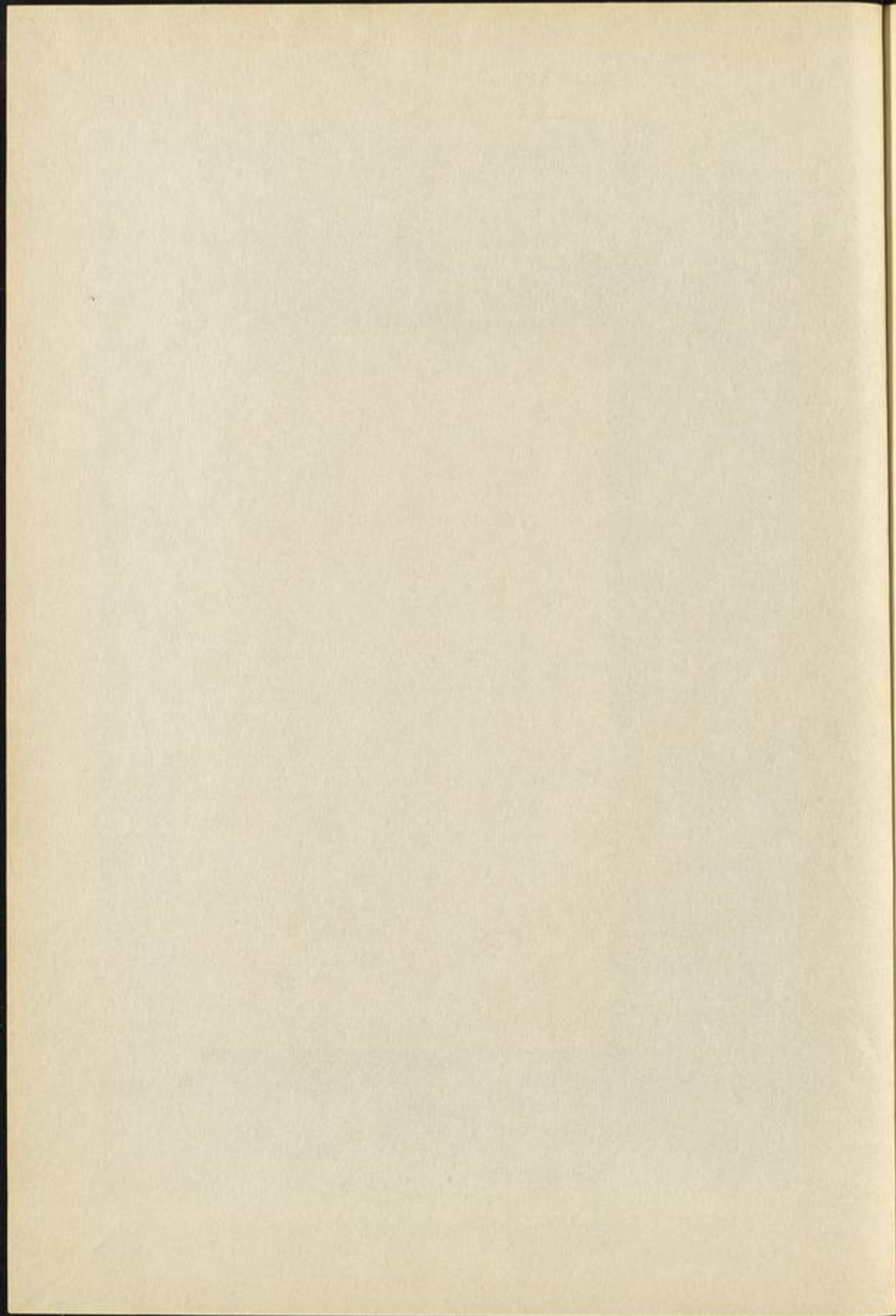
### الكتب التى ساعد المجمع على طبعها

- (١) الزيدية : تأليف السيد صديق الدمولوجى طبع فى الموصل •
- (٢) أنت والوراثة : تأليف أمرام شايونفلد وترجمة بشير اللوس طبع فى بغداد •
- (٣) المدخل الى الفلسفة الحديثة : تأليف سي • أى • أم جود وترجمة كريم متى  
طبع فى بغداد •
- (٤) كتاب الديارات للشابشتى تحقيق كوركيس عواد ( تحت الطبع )













COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0023994495

893.712

J329

v.1

**BOUND**

**SEP 8 1955**



